



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 3 "إبراهيم سلطان شيبوط"
كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير
قسم العلوم الاقتصادية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية
تخصص: نقود ومالية وبنوك

بعنوان:

**مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية
وسبل تفعيل سياسة الإنفاق العام للحد منها
دراسة حالة الجزائر**

إشراف الأستاذ:
أ.د / أحمد باشي

إعداد الطالب:
عبد القادر سلمان

أعضاء لجنة المناقشة:

رقم	الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
1	دراجي كريمو	أستاذ	جامعة الجزائر 3	رئيسا
2	أحمد باشي	أستاذ	جامعة الجزائر 3	مقررا
3	بوعمامة نصر الدين	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 3	عضوا
4	بدور شعيب	أستاذ	جامعة بومرداس	عضوا
5	محمد لموتي	أستاذ	جامعة البلدية	عضوا
6	عدلي إبراهيم	أستاذ	جامعة برج بوعرييج	عضوا

السنة الجامعية

2026 / 2025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾

فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾

سورة يوسف، الآية 47

شكر

الشكر أولاً وآخراً لله عز وجل على توفيقه لنا على إتمام هذه الرسالة من غير حول منا ولا قوة.

ثم أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور أحمد باشي على قبوله الإشراف على هذه الأطروحة، ولما أفادني به من نصائح سديدة وتوجيهات رشيدة، وصبره معي إلى آخر المشوار.
كما أتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم تحكيم هذه الأطروحة بما يزيد بها غنى وإثراءً.

كما وأشكر الأستاذ كسيرة عبد الرحيم على مساعدته، وكل من ساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو

من بعيد.

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى:

- الوالدين الكريمين رحمهما الله وأسكنهما فسيح جنانه،
- زوجتي العزيزة،
- أبنائي الأعمام: مُحَمَّد جابر، لميس رهف، فرح نور شام
- إخوتي وأخواتي الأعمام.
- جميع الأساتذة الذين تتلمذت ودرست على أيديهم.
- جميع زملاء الذين درست معهم أو تعرفت عليهم.
- إلى الجزائر، بلد المليون ونصف المليون شهيد.
- إلى غزة، رمز الصمود والمقاومة.
- إلى سوريا، قلب العروبة.

تعالج هذه الأطروحة إشكالية البطالة في الاقتصادات النفطية من خلال دراسة حالة الجزائر خلال الفترة 2001-2023، انطلاقاً من فرضية مفادها أن البطالة في هذا النمط من الاقتصادات لا تمثل مجرد اختلال ظرفي مرتبط بتباطؤ النشاط الاقتصادي، بل تعكس في جوهرها اختلالاً هيكلياً متصلاً بطبيعة الاقتصاد الريعي وبدرجة اعتماده على عائدات المحروقات. وفي هذا السياق، تبرز الدراسة أثر المرض الهولندي في إضعاف تنافسية القطاعات القابلة للتداول خارج قطاع المحروقات، وما يترتب عن ذلك من سوء تخصيص للموارد باتجاه قطاعات غير قابلة للتداول وأقل إنتاجية، الأمر الذي يحد من قدرة الاقتصاد الوطني على توليد مناصب شغل مستقرة ومستدامة، ويجعل أداء سوق العمل شديد الحساسية لتقلبات أسعار النفط ولتذبذب القدرة التمويلية للميزانية العامة.

وقد اعتمدت الدراسة مقارنة منهجية مركبة تجمع بين التحليل النظري والمؤسسي، والتحليل الوصفي والقياسي، من خلال دراسة بنية الإنفاق العام وتطوره وتركيبته، واختبار العلاقة بين السياسة المالية والنمو الاقتصادي والبطالة. وتخلص النتائج إلى أن سياسة التوسع في الإنفاق العام ساهمت في التخفيف من حدة البطالة على المدى القصير، خاصة خلال فترات الوفرة النفطية، غير أنها لم تفض إلى تحول هيكل مستدام في بنية الاقتصاد وسوق العمل، وذلك بسبب هيمنة الإنفاق الجاري، وضعف فعالية الاستثمار العمومي، وتأخر إنجاز المشاريع وارتفاع تكاليفها، فضلاً عن محدودية المحتوى المحلي وتسرب جزء معتبر من أثر الإنفاق نحو الواردات. وبناء على ذلك، توصي الأطروحة بإعادة توجيه الإنفاق العمومي نحو الاستثمار المنتج، ودعم القطاعات القابلة للتداول، واعتماد إطار مالي متوسط الأجل يحد من الدورية النفطية، إلى جانب تعزيز الحوكمة والشفافية، وتحسين آليات سوق العمل، وتطوير السياسات الصناعية والتجارية بما يرفع الإنتاجية ويعظم أثر الإنفاق العام على التشغيل.

الكلمات المفتاحية: البطالة، سياسة التوسع في الإنفاق العام، المرض الهولندي، الاقتصادات النفطية، الحمائية المعاصرة.

Abstract in English

This thesis examines the problem of unemployment in oil-dependent economies through the case of Algeria over the period 2001-2023. It is based on the premise that unemployment in such economies cannot be understood merely as a cyclical phenomenon associated with temporary slowdowns in economic activity, but rather as a structural imbalance rooted in the characteristics of a rent-based economy and its heavy dependence on hydrocarbon revenues. Within this framework, the study highlights the role of Dutch Disease in weakening the competitiveness of non-hydrocarbon tradable sectors, leading to a misallocation of

resources toward less productive non-tradable activities. This, in turn, restricts the economy's capacity to generate stable and sustainable employment and makes labor-market outcomes highly vulnerable to oil-price fluctuations and changes in the fiscal capacity of the state.

Methodologically, the research adopts a comprehensive approach combining theoretical and institutional analysis with descriptive and econometric investigation. It examines the structure, evolution, and composition of public expenditure, while testing the relationship between fiscal policy, economic growth, and unemployment. The findings show that expansionary public spending contributed to reducing unemployment in the short run, particularly during periods of oil revenue abundance. However, it failed to generate a sustainable structural transformation of the economy and the labor market. This limitation is mainly attributable to the predominance of current expenditure, the weak efficiency of public investment, delays and cost overruns in project implementation, limited local content, and significant leakages of fiscal stimulus into imports. Accordingly, the thesis recommends redirecting public expenditure toward productive investment, strengthening tradable sectors, adopting a medium-term fiscal framework to reduce oil-driven procyclicality, and reinforcing governance, transparency, labor-market mechanisms, industrial policy, and trade policy in order to enhance productivity and maximize the employment impact of public spending.

Keywords: Unemployment, Expansionary public spending policy, Dutch Disease, oil-dependent economies, contemporary protectionism.

Résumé en français

Cette thèse analyse la problématique du chômage dans les économies pétrolières à travers le cas de l'Algérie durant la période 2001-2023. Elle part du postulat que le chômage, dans ce type d'économies, ne saurait être appréhendé comme un simple phénomène conjoncturel lié au ralentissement temporaire de l'activité économique, mais qu'il traduit principalement un déséquilibre structurel inhérent à la nature rentière de l'économie et à sa forte dépendance vis-à-vis des revenus des hydrocarbures. Dans cette perspective, l'étude met en évidence le rôle du syndrome hollandais dans l'affaiblissement de la compétitivité des secteurs échangeables hors hydrocarbures, entraînant une réallocation des ressources vers des activités non échangeables, moins productives, et limitant ainsi la capacité de l'économie à créer des emplois stables et durables. Cette configuration rend, par conséquent, le marché du travail particulièrement vulnérable aux fluctuations des prix du pétrole et aux variations de la capacité de financement budgétaire de l'État.

Sur le plan méthodologique, la recherche mobilise une approche globale combinant l'analyse théorique et institutionnelle, l'analyse descriptive et l'investigation économétrique. Elle examine la structure, l'évolution et la composition des dépenses publiques, tout en analysant les relations entre politique budgétaire, croissance économique et chômage. Les résultats montrent que la politique d'expansion des dépenses publiques a contribué à atténuer le chômage à court terme, notamment durant les périodes d'abondance pétrolière. Toutefois, elle n'a pas permis d'engendrer une transformation structurelle durable de l'économie et du marché du travail. Cette limite s'explique principalement par la prédominance des dépenses courantes, la faible efficacité de l'investissement public, les retards de réalisation, les surcoûts des projets, la faiblesse du contenu local ainsi que les fuites importantes de l'effet de relance vers les importations. Dès lors, la thèse recommande une réorientation de la dépense publique vers l'investissement productif, le renforcement des secteurs échangeables, l'adoption d'un cadre budgétaire à moyen terme permettant de limiter la cyclicité pétrolière, ainsi que l'amélioration de la gouvernance, de la transparence, des mécanismes du marché du travail et des politiques industrielles et commerciales afin d'accroître la productivité et de maximiser l'impact des dépenses publiques sur l'emploi.

Mots-clés : Chômage, politique d'expansion des dépenses publiques, syndrome hollandais, économies pétrolières, protectionnisme contemporain.

فهرس المحتويات

الصفحة	فهرس المحتويات
	الآية
	شكر
	إهداء
	مستخلص
I	الفهرس
V	فهرس الجداول والأشكال
أ	مقدمة
	الفصل الأول
	مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري
2	تمهيد
4	المبحث الأول: الإطار النظري لمشكلة البطالة
4	المطلب الأول: مفاهيم عامة عن مشكلة البطالة
18	المطلب الثاني: الآثار السلبية لمشكلة البطالة
24	المطلب الثالث: البطالة وتفسيراتها المختلفة في المدارس الاقتصادية
42	المبحث الثاني: المرض الهولندي ودوره في تفاقم مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية
43	المطلب الأول: الإطار المفاهيمي للاقتصادات النفطية
51	المطلب الثاني: المرض الهولندي وعلاقته بمشكلة البطالة
60	المبحث الثالث: دراسة تحليلية لمشكلة البطالة في الجزائر خلال الفترة 2001-2023
60	المطلب الأول: تحليل مشكلة البطالة بشكل عام من خلال معطيات سوق العمل
71	المطلب الثاني: تحليل مشكلة البطالة الهيكلية في الجزائر
81	المطلب الثالث: تحليل مشكلة البطالة المقنعة في الجزائر
93	خلاصة الفصل الأول
	الفصل الثاني:
	سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر
95	تمهيد:
96	المبحث الأول: الإطار النظري لسياسة الإنفاق العام
96	المطلب الأول: مفاهيم أساسية للإنفاق العام

102	المطلب الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام وآثارها على البطالة
112	المبحث الثاني: دراسة تحليلية لتطور مستويات الإنفاق العام في الجزائر وتأثيراتها المختلفة على البطالة
112	المطلب الأول: تحليل تطور الإنفاق العام ومكونيه خلال الفترة 2001-2023
120	المطلب الثاني: اعتماد سياسة الإنفاق العام في الجزائر على الجباية النفطية وأثره في تعميق المرض الهولندي
127	المطلب الثالث: تحليل فعالية السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر في ضوء مضاعف الإنفاق ومضاعف التشغيل
138	المطلب الرابع: بعض البرامج المباشرة المقدمة من طرف الحكومة للتخفيف من حدة البطالة
144	المبحث الثالث: الإجراءات الكفيلة برفع فعالية السياسات الاقتصادية والاجتماعية المكتملة لسياسة الإنفاق العام في التخفيف من مشكلة البطالة في الجزائر
144	المطلب الأول: الإجراءات المرتبطة بظاهرة البطالة وسوق العمل
147	المطلب الثاني: الإجراءات المرتبطة بسياسة الإنفاق العام
153	المطلب الثالث: السياسات الكلية الضرورية المكتملة لعمل السياسة التوسعية في الإنفاق العام
167	خلاصة الفصل الثاني
	الفصل الثالث:
	النمذجة القياسية لبيانات الدراسة وآفاق اعتماد التقنيات المعاصرة في تطوير الدراسات الاقتصادية في الجزائر
169	تمهيد
171	المبحث الأول: التحليل الإحصائي الوصفي ودراسة العلاقات بين المتغيرات
171	المطلب الأول: التحليل الإحصائي الوصفي
174	المطلب الثاني: دراسة العلاقات بين المتغيرات
177	المبحث الثاني: النمذجة الزمنية والتحليل الديناميكي والتنبؤ الاقتصادي
177	المطلب الأول: خصائص السلاسل الزمنية واختبارات الاستقرار
178	المطلب الثاني: نماذج ARIMA للتنبؤ الفردي
180	المطلب الثالث: نموذج المتجهات الذاتية (VAR) والتحليل المشترك
185	المطلب الرابع: التنبؤ الاقتصادي والسيناريوهات المستقبلية
190	المبحث الثالث: التصنيف والتحليل العنقودي والهرمي
191	المطلب الأول: التحليل من خلال خوارزمية means-K
194	المطلب الثاني: التحليل العنقودي الهرمي
195	المطلب الثالث: تفسير النتائج والدلالات السياسية للتحليل العنقودي في السياق الاقتصادي

197	المبحث الرابع: حدود النماذج التقليدية وآفاق اعتماد التقنيات المعاصرة في تطوير الدراسات الاقتصادية في الجزائر
197	المطلب الأول: حدود النماذج الاقتصادية التقليدية في تفسير الظواهر الاقتصادية المعاصرة
200	المطلب الثاني: الأساس النظري لاعتماد النمذجة الهيكلية العميقة والذكاء الاصطناعي والحوسبة عالية الأداء والبيانات الضخمة في الدراسات الاقتصادية المعاصرة
206	المطلب الثالث: متطلبات وآليات اعتماد التقنيات المعاصرة في تطوير الدراسات الاقتصادية في الجزائر
212	خلاصة الفصل الثالث
214	الخاتمة
220	قائمة المراجع

فهرس الأشكال والجداول

فهرس الأشكال

الصفحة	عنوان الشكل	رقم الشكل
	أشكال الفصل الأول	
8	التداخلات الموجودة بين البطالة والعمالة	1-1
27	آلية حدوث البطالة عند الكلاسيك	2-1
33	آلية حدوث البطالة حسب النظرية الكينزية	3-1
47	الحلقة المغلقة للفساد في الاقتصادات النفطية	4-1
61	تطور معدل النمو الديمغرافي في الجزائر خلال الفترة 2001-2023	5-1
63	تطور معدلات النشاط والإعالة في الجزائر في الفترة 2001-2023	6-1
65	تطور معدل وحجم التشغيل في الجزائر في الفترة 2001-2023	7-1
68	تطور معدل وحجم البطالة في الجزائر في الفترة 2001-2023	8-1
73	تطور معدل البطالة حسب الفئات العمرية في الجزائر في الفترة 2001-2023	9-1
73	التوزيع النسبي لحجم البطالة بين الفئات العمرية في الجزائر في الفترة 2001-2023	10-1
76	التوزيع النسبي لحجم البطالة بين الجنسين والمناطق السكنية في الجزائر في الفترة 2001-2023	11-1
78	تطور حجم التشغيل في الجزائر حسب القطاعات الاقتصادية خلال الفترة 2001-2019	12-1
79	التوزيع النسبي لحجم التشغيل حسب القطاعات الاقتصادية في الجزائر في الفترة 2001-2019	13-1
83	تطور متوسط الإنتاجية الاسمية (مليون دج/عامل)	14-1
83	تطور مؤشر فجوة الإنتاجية — نسبة APL الإجمالي إلى APL خارج المحروقات	15-1
85	تطور الإنتاجية المتوسطة الحقيقية للعمل على مستوى الناتج الإجمالي والناتج خارج قطاع المحروقات (ألف دج لكل عامل)	16-1
89	تطور الإنتاجية المتوسطة الاسمية حسب القطاعات الاقتصادية القيم بملايين الدينير لكل عامل	17-1
	أشكال الفصل الثاني	
99	التقسيم الاقتصادي للإنفاق العام	1-2
104	سياسة التوسع في الإنفاق العام ودورها في تخفيض البطالة	2-2
107	تأثير الزيادة في الإنفاق العام على التخفيض من البطالة من خلال نموذج التوازن العام	3-2
109	منحنى فيليبس	4-2

110	آلية اختيار التوليفة المثلى لكل من التضخم والبطالة	5-2
111	منحنى فيليبس طويل المدى	6-2
113	تطور الإنفاق العام الكلي بالقيم الاسمية والحقيقية مليار دج	7-2
113	تطور نفقات التجهيز ونفقات التسيير بالقيم الاسمية والحقيقية مليار دج	8-2
118	تطور مكونات نفقات التسيير في الجزائر(2001-2017)	9-2
122	تطور الإيرادات العامة والنفقات العامة والحماية النفطية وغير النفطية 2001-2020	10-2
124	الرصيد السنوي للميزانية والرصد التراكمي للفائض/العجز، 2001-2020	11-2
	أشكال الفصل الثالث	
172	تطور الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي وخط الاتجاه	1-3
172	مقارنة تطور الناتج المحلي الإجمالي والناتج خارج قطاع المحروقات	2-3
173	تطور معدل البطالة وحجم الإنفاق الحكومي	3-3
175	العلاقة بين النمو الاقتصادي والبطالة في ضوء قانون أوكون	4-3
176	تمثيل أولي للعلاقات بين المتغيرات الاقتصادية المدروسة	5-3
183	منحنيات الاستجابة للصدمات	6-3
187	التنبؤات الاقتصادية للفترة 2024-2028	7-3
189	مقارنة دقة النماذج التنبؤية وفق مختلف المعايير	8-3
193	مخرجات تحليل means-K وتوزيع سنوات الدراسة ومتوسطات العناقيد المعيارية.	9-3
195	المخطط الشجري للتحليل الهرمي لسنوات الدراسة (2001-2023)	10-3

فهرس الجداول

الصفحة	جداول الفصل الأول	رقم الجدول
61	أهم معطيات سوق العمل في الجزائر	1-1
72	توزيع البطالين حسب الفئات العمرية	2-1
76	توزيع البطالين حسب الجنس والمناطق السكنية	3-1
78	تطور توزيع حجم ونسب العمالة على القطاعات الاقتصادية في الجزائر خلال الفترة 2001-2019	4-1
82	تطور قيم الإنتاجية المتوسطة الاسمية في الجزائر خلال الفترة 2001-2021	5-1
85	تطور قيم الإنتاجية المتوسطة الحقيقية في الجزائر خلال الفترة 2001-2021	6-1
89	تطور قيم الإنتاجية المتوسطة الاسمية حسب القطاعات الاقتصادية في الجزائر خلال الفترة 2001-2019	7-1
	جداول الفصل الثاني	
112	تطور مؤشرات الإنفاق العام للفترة 2002-2023	1-2
118	تطور مكونات نفقات التسيير للفترة 2002-2017	2-2
121	تطور أدوات تمويل الإنفاق العام في الجزائر للفترة 2002-2020	3-2
128	قيم مضاعف الإنفاق السنوي والتراكمي بالصيغة النظرية	4-2
132	قيم مضاعف الإنفاق السنوي والتراكمي بالصيغة التطبيقية	5-2
135	قيم مضاعف التشغيل بالقيم الاسمية	6-2
136	قيم مضاعف التشغيل بالقيم الحقيقية	7-2
	جداول الفصل الثالث	
171	معلومات الإحصاء الوصفي للدراسة	1-3
178	نتائج اختبار ديكي فولر المعزز	2-3
179	نتائج تقدير نموذج $ARIMA(2,1,2)$ للنتائج المحلي الإجمالي الحقيقي	3-3
180	نتائج تقدير نموذج $ARIMA(1,1,1)$ لمعدل البطالة	4-3
182	نتائج تقدير نموذج $var(2)$	5-3
184	نتائج تقدير اختبار السببية لغرانجر	6-3
186	نتائج التنبؤات للفترة 2024-2028	7-3

189	نتائج تقييم دقة النماذج التنبؤية	8-3
193	نتائج التحليل العنقودي باستخدام خوارزمية k-means	9-3

مقدمة

تمثل البطالة في الاقتصادات النفطية إحدى أكثر الإشكالات الاقتصادية-الاجتماعية تعقيدا، لأنها لا تتبع فقط من اختلالات سوق العمل بالمعنى الضيق، بل تتصل ببنية الاقتصاد الريعي نفسها وبكيفية تفاعلها مع تقلبات أسعار النفط وطبيعة السياسات العمومية، خاصة السياسة المالية. فالاقتصاد النفطي يقوم على مورد ناضب ومتذبذب، وتتحوّل عائداته في معظم الحالات إلى المورد الأساسي لتمويل الميزانية وتمويل الاستهلاك العمومي والاستثمار العمومي والتحويلات الاجتماعية. هذا النمط يولد مفارقة جوهرية: وفرة مالية ظرفية خلال فترات ارتفاع الأسعار، تقابلها هشاشة بنيوية عند تراجعها، لأن الاقتصاد الحقيقي خارج النفط يبقى محدود التنوع وضعيف القدرة على خلق وظائف مستدامة. وتزداد هذه المفارقة حدة عندما تتجسد ظاهرة "المرض الهولندي" بوصفها آلية انتقال مركزية تربط الربح النفطي بسوق العمل؛ إذ يؤدي تدفق العملة الأجنبية وارتفاع الإنفاق العمومي إلى ضغط صعودي على سعر الصرف الحقيقي، ما يضعف تنافسية القطاعات القابلة للتداول (الصناعة التحويلية، الفلاحة التصديرية، والخدمات القابلة للتصدير) ويشجع توسع القطاعات غير القابلة للتداول (البناء، التجارة الداخلية، وبعض الخدمات)، فتحدث إعادة تخصيص للموارد نحو أنشطة أقل إنتاجية وأقل قدرة على خلق قيمة مضافة قابلة للاستمرار. وفي هذه البيئة، تصبح البطالة، وخاصة بطالة الشباب والخريجين، نتاجا لبنية إنتاجية غير متوازنة، لا مجرد فجوة ظرفية بين العرض والطلب على العمل.

تكتسب الجزائر أهمية تحليلية خاصة في هذا الإطار، لأنها تمثل نموذجا اقتصاديا نفطيا يعتمد بدرجة كبيرة على عوائد المحروقات في تمويل الميزانية وفي موارد النقد الأجنبي، وفي الوقت نفسه شهدت خلال الفترة 2001-2023 توسعا ملحوظا في الإنفاق العام وبرامج الاستثمار والتحويلات والدعم، مع استمرار تحديات البطالة وتغير بنيتها عبر الزمن. فخلال سنوات ارتفاع أسعار النفط، اتسع هامش المالية العامة بما سمح بتضخم الإنفاق الجاري وتوسيع برامج التشغيل والدعم والاستثمار العمومي. غير أن صدمات النفط المتكررة لاحقا كشفت حدود هذا النموذج، إذ تبين أن توسع الإنفاق لا يضمن بذاته خلق وظائف منتجة، وأن ضعف التنويع والاعتماد على الواردات في تلبية الطلب الداخلي قد يبدد جزءا كبيرا من الأثر الاقتصادي للإنفاق العمومي، بل وقد يعمق اختلالات المرض الهولندي عبر تقوية الطلب على السلع والخدمات غير القابلة للتداول دون بناء قاعدة تصديرية خارج النفط. ومن هنا تنطلق الأطروحة من ضرورة فهم البطالة في الجزائر بوصفها ظاهرة ذات جذور هيكلية تتأثر بخصائص الاقتصاد النفطي، وبكيفية توجيه الإنفاق العام،

وتمدى تكامل السياسة المالية مع السياسات المرافقة (السياسة الاستثمارية، سياسة سعر الصرف، السياسة الحمائية و سياسات دعم المنتج المحلي).

الإشكالية:

تنبع إشكالية هذه الأطروحة من ملاحظة أساسية مفادها أن البطالة في الجزائر، كما في عدد من الاقتصادات النفطية، لم تتراجع بصورة ملحوظة ومستدامة رغم فترات الوفرة المالية والتوسع في الإنفاق العام، وهو ما يثير التساؤل حول حدود المقاربات التقليدية التي تراهن على التوسع في الإنفاق العام بوصفه أداة كافية للحد من البطالة. فالإشكال لا يتعلق فقط بحجم الإنفاق، بل بطبيعته، وبكيفية توجيهه، وبقدرة البيئة الاقتصادية والمؤسسية على تحويله إلى استثمارات ومنتجات وفرص عمل مستدامة. كما أن الاعتماد الواسع على الإيرادات النفطية يجعل السياسة المالية ذاتها عرضة للدورية والتقلب، الأمر الذي قد يضعف من قدرتها على تحقيق أثر تشغيلي طويل الأمد.

وعليه، تتمثل الإشكالية الرئيسة لهذه الدراسة في السؤال الآتي:

إلى أي مدى ساهمت سياسة الإنفاق العام في الجزائر خلال الفترة 2001-2023 في الحد من البطالة ضمن سياق اقتصاد نفطي يتأثر بظاهرة المرض الهولندي، وما هي السبل الكفيلة بتفعيل هذه السياسة لرفع فعاليتها في خلق التشغيل وتقليص الاختلالات الهيكلية الناتجة عن ظاهرة المرض الهولندي؟

ويتولد من هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية، أهمها:

- ما المقصود بالبطالة في الإطار النظري، وما أهم أنماطها وتفسيراتها الاقتصادية؟
- كيف تؤثر خصائص الاقتصادات النفطية والمرض الهولندي في تفاقم البطالة بمختلف أنواعها وإضعاف ديناميكية التشغيل الحقيقي المنتج؟

- ما طبيعة تطور البطالة في الجزائر خلال الفترة 2001-2023، وما أبرز تجلياتها الهيكلية والمقنعة؟
- ما مدى فعالية سياسة التوسع في الإنفاق العام في الجزائر في التخفيف من البطالة؟ و ما هي الحدود التي واجهت هذه السياسة في تحويل ذلك الإنفاق إلى تشغيل مستدام؟

- ما أهم الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية المكتملة القادرة على رفع فعالية سياسة التوسع في الإنفاق العام في التخفيف من أعراض المرض الهولندي وبالتالي الحد من البطالة؟

- كيف يمكن توظيف أدوات التحليل الإحصائي والقياسي والتقنيات المعاصرة في فهم هذه الظاهرة وتطوير دراستها مستقبلا في الجزائر؟

فرضيات الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من فرضية رئيسة مؤداها أن:

سياسة التوسع في الإنفاق العام تمثل أداة ضرورية للتخفيف من البطالة في الجزائر، غير أن فعاليتها تبقى محدودة ما لم تدعم بإصلاحات هيكلية وسياسات اقتصادية واجتماعية مكاملة تستهدف تنويع القاعدة الإنتاجية، وتحسين كفاءة سوق العمل، ورفع جودة تخصيص الموارد العمومية.

وتتفرع عن هذه الفرضية الرئيسية مجموعة من الفرضيات الفرعية، أهمها:

- ترتبط البطالة في الاقتصادات النفطية بطابع هيكلية يتجاوز التفسير الظرفي، بسبب أثر الربيع النفطي والمرض الهولندي على بنية الإنتاج والتشغيل.

- يسهم المرض الهولندي في إضعاف القطاعات القابلة للتداول، ويحد بذلك من قدرة الاقتصاد على خلق فرص عمل منتجة ومستدامة.

- يؤثر الإنفاق العام في البطالة في الجزائر تأثيرا ملموسا، لكن أثره يظل غير كاف لتحقيق انخفاض مستدام في ظل ضعف التنويع الاقتصادي وانخفاض الكفاءة التخصيصية للإنفاق.

- تزداد فعالية سياسة الإنفاق العام عندما توجه الموارد نحو الإنفاق المنتج، وتدعم بسياسات إصلاح سوق العمل، وتحسين الوساطة والتشغيل، وعصرنة رأس المال البشري، وتعزيز الحوكمة الاقتصادية.

- يسمح توظيف أدوات التحليل الإحصائي والقياسي والتقنيات الحديثة بفهم أدق للعلاقات بين البطالة والإنفاق العام والنمو الاقتصادي في الجزائر.

أهمية الدراسة

تحدد أهمية هذه الدراسة في بعدين متكاملين: علمي وتطبيقي.

فعلى المستوى العلمي، تسعى الأطروحة إلى الإسهام في تعميق الفهم النظري لمشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية، من خلال الربط بين أدبيات البطالة، والاقتصاد الريعي، والمرض الهولندي، والسياسة المالية، بدل دراسة كل محور

منها بمعزل عن الآخر . كما تكمن أهميتها في سعيها إلى بناء مقارنة تحليلية تجمع بين الجانب النظري، والتحليل التطبيقي للحالة الجزائرية، والتقدير القياسي للعلاقات بين المتغيرات، فضلا عن فتح النقاش حول آفاق تطوير الدراسات الاقتصادية باستخدام أدوات وتقنيات تحليلية معاصرة.

أما على المستوى التطبيقي، فتنبع أهمية الدراسة من تناولها حالة الجزائر، حيث تمثل البطالة إحدى أبرز القضايا الاقتصادية والاجتماعية، في ظل اعتماد واسع على المحروقات، ودور قوي للدولة في تمويل النشاط الاقتصادي .ومن ثم، فإن نتائج هذه الدراسة يمكن أن تسهم في تحسين فهم حدود فعالية الإنفاق العام، وفي توجيه النقاش نحو سياسات مكتملة تجعل من هذا الإنفاق أداة أكثر مردودية في دعم التشغيل والتخفيف من البطالة.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، من أبرزها:

- تأصيل الإطار النظري لمشكلة البطالة، وبيان مفاهيمها وأنماطها وتفسيراتها الاقتصادية.
- تحليل خصائص الاقتصادات النفطية وبيان أثر المرض الهولندي في تفاقم البطالة وإضعاف القطاعات المنتجة.
- دراسة تطور البطالة في الجزائر خلال الفترة 2001-2023، مع التركيز على البطالة الهيكلية والبطالة المقنعة.
- تحليل سياسة التوسع في الإنفاق العام في الجزائر، وبيان آليات تأثيرها في التشغيل.
- تقييم فعالية هذه السياسة في ضوء مضاعف الإنفاق ومضاعف التشغيل والبرامج الحكومية المباشرة.
- اقتراح الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية المكتملة الكفيلة برفع فعالية سياسة الإنفاق العام في الحد من البطالة.
- تحليل أدوات التحليل الإحصائي والقياسي والتصنيف والتنبؤ الاقتصادي لفهم ديناميكية الظاهرة محل الدراسة.
- إبراز آفاق اعتماد التقنيات المعاصرة، كالذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي والبيانات الضخمة، في تطوير الدراسات الاقتصادية في الجزائر.

أسباب اختيار الموضوع

يرجع اختيار هذا الموضوع إلى مجموعة من الاعتبارات العلمية والعملية. فمن الناحية العلمية، يشكل موضوع البطالة أحد أكثر المواضيع حضوراً في التحليل الاقتصادي، غير أن معالجته في سياق الاقتصادات النفطية تطرح تحديات خاصة ترتبط بطبيعة الاقتصاد الريعي، وحدود النمو المعتمد على الموارد الطبيعية، وآثار المرض الهولندي، وهي كلها عناصر تجعل من دراسة الحالة الجزائرية مجالاً خصباً للتحليل. كما أن الربط بين البطالة وسياسة الإنفاق العام يمنح البحث بعداً مركباً يجمع بين الاقتصاد الكلي، والمالية العامة، وسوق العمل، والتنمية الاقتصادية.

أما من الناحية العملية، فإن استمرار البطالة في الجزائر، خاصة في أبعادها الهيكلية، وتكرار اللجوء إلى الإنفاق العام كأداة للتخفيف منها، يطرحان سؤال الفعالية وليس فقط سؤال الحجم. ولذلك، فإن هذا الموضوع يتصل اتصالاً مباشراً بانشغالات الواقع الاقتصادي الوطني، وبقضايا التنمية والتشغيل وتوجيه الموارد العامة، الأمر الذي يمنحه أهمية تطبيقية واضحة.

حدود الدراسة

تحدد الدراسة بالحدود الآتية:

- الحدود الموضوعية:

تنصب الدراسة على تحليل مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على حالة الجزائر، وعلى بحث سبل تفعيل سياسة الإنفاق العام للحد منها، مع إبراز دور السياسات الاقتصادية والاجتماعية المكتملة.

- الحدود الزمنية:

تشمل الدراسة الفترة الممتدة من سنة 2001 إلى سنة 2023، وهي فترة تسمح برصد التحولات التي عرفها الاقتصاد الجزائري من حيث البطالة، والإنفاق العام، والنمو الاقتصادي، وتأثير الصدمات النفطية. كما تمتد بعض عمليات التنبؤ إلى آفاق لاحقة لأغراض التحليل والاستشراف.

- الحدود المكانية:

تقتصر الدراسة التطبيقية على الاقتصاد الجزائري، مع الاستفادة من الإطار المقارن للاقتصادات النفطية في الجانب النظري.

-الحدود المنهجية:

تعتمد الدراسة على مزيج من التحليل النظري، والوصف الإحصائي، والنمذجة القياسية، والتحليل الديناميكي، والتصنيف العنقودي، مع توسيع النقاش ليشمل آفاق استخدام التقنيات المعاصرة في الدراسات الاقتصادية.

منهج الدراسة والأدوات المستخدمة

اقتضت طبيعة الموضوع اعتماد مقارنة منهجية متعددة تجمع بين المناهج النظرية والكمية. فقد تم توظيف المنهج الوصفي التحليلي في عرض المفاهيم الاقتصادية المرتبطة بالبطالة والاقتصادات النفطية والمرض الهولندي وسياسة الإنفاق العام، كما تم الاعتماد على المنهج التحليلي التطبيقي لدراسة الحالة الجزائرية وربط تطور البطالة بطبيعة الاقتصاد الوطني وبمسار السياسة المالية.

وفي الجانب الكمي، اعتمدت الدراسة على التحليل الإحصائي الوصفي لمتغيرات الدراسة، وتحليل السلاسل الزمنية باستخدام نماذج ARIMA و VAR، وأدوات التنبؤ الاقتصادي، فضلا عن أساليب التصنيف العنقودي مثل K-means والتحليل الهرمي. وقد استخدمت هذه الأدوات لبحث العلاقات بين البطالة والإنفاق العام والنمو الاقتصادي، وتصنيف سنوات الدراسة وفق أنماط الأداء الاقتصادي، واستشراف الاتجاهات المستقبلية للمتغيرات المدروسة. كما تم تنفيذ مختلف هذه التحليلات باستخدام برنامج MATLAB R2015b.

الدراسات السابقة

استفادت هذه الأطروحة من عدد من الدراسات العربية التي تناولت موضوع البطالة أو السياسة المالية أو الاختلالات البنوية في الاقتصادات العربية، غير أن مراجعة هذه الدراسات تظهر أن معظمها عالج الإشكالية من زوايا جزئية، دون أن يجمع بين خصوصية الاقتصاد النفطي، وإشكالية البطالة، وحدود فعالية سياسة الإنفاق العام، في إطار تحليلي وتطبيقي موحد.

فمن بين الدراسات التي تناولت موضوع البطالة دراسة علي عبد الوهاب نجا المعنونة بـ "مشكلة البطالة وأثر برنامج الإصلاح الاقتصادي عليها"، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2005. والتي ركزت على تحليل البطالة في ضوء التحولات

الاقتصادية وبرامج الإصلاح، مبرزة أن البطالة ليست مجرد خلل ظرفي في سوق العمل، بل ظاهرة ترتبط ببنية الاقتصاد وبطبيعة السياسات الاقتصادية المتبعة. وقد أسهمت هذه الدراسة في إبراز العلاقة بين الإصلاح الاقتصادي وبين أوضاع التشغيل، إلا أنها لم تتناول خصوصية الاقتصادات النفطية، كما لم تربط البطالة بآثار الربيع النفطي أو المرض الهولندي، ولم تبحث بصورة مباشرة في فعالية سياسة الإنفاق العام بوصفها أداة للتخفيف من البطالة.

كما تعد دراسة أديب علي صقر الموسومة بـ "البطالة في سورية: الواقع والآفاق"، أطروحة دكتوراه، جامعة دمشق، 2006 من الدراسات المهمة التي قاربت البطالة في بعدها الاقتصادي والاجتماعي، من خلال تحليل واقع الظاهرة ومحدداتها وآفاق تطورها. وقد بينت هذه الدراسة أن البطالة تتأثر بجملة من الاختلالات المرتبطة بسوق العمل، وبضعف التوافق بين مخرجات التعليم واحتياجات النشاط الاقتصادي، وبطبيعة النمو غير القادر على توليد فرص عمل كافية. غير أن هذه الدراسة، على أهميتها، ظلت محصورة في تحليل حالة قطرية ضمن سياق مختلف عن الاقتصاد الجزائري، كما أنها لم تتجه إلى تحليل العلاقة بين البطالة والاقتصاد النفطي، ولم تخصص حيزا كافيا لدراسة دور الإنفاق العام في مواجهة البطالة ضمن منظور هيكلي ممتد.

ومن جهة أخرى، تبرز دراسة دراوسي مسعود بعنوان "السياسة المالية ودورها في تحقيق التوازن الاقتصادي: دراسة حالة الجزائر"، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2005، باعتبارها من الدراسات القليلة التي تناولت السياسة المالية في الجزائر بصورة مباشرة. وقد أكدت هذه الدراسة أهمية السياسة المالية في التأثير في التوازنات الاقتصادية الكبرى، وأظهرت أن تدخل الدولة من خلال أدوات المالية العامة يظل عنصرا محوريا في الاقتصاد الجزائري. غير أن هذه الدراسة، رغم قيمتها، لم تجعل البطالة محورا رئيسيا للتحليل، كما لم تبحث بعمق في حدود فعالية الإنفاق العام من حيث أثره التشغيلي، ولم تربط بين هذه الفعالية وبين الطبيعة النفطية للاقتصاد الجزائري أو بآثار المرض الهولندي على بنية التشغيل والقطاعات المنتجة.

وانطلاقا من هذه المراجعة، يتبين أن الدراسات السابقة قد أسهمت في إضاءة جوانب مهمة من موضوع البطالة أو السياسة المالية أو الاختلالات الهيكلية، لكنها لم تجمع بين هذه الأبعاد في إطار بحثي واحد. فبعض الدراسات ركز على البطالة من منظور عام أو قطري، وبعضها تناول السياسة المالية أو الإنفاق العام في بعدها الكلي، غير أن الربط بين البطالة في الاقتصادات النفطية، وآثار المرض الهولندي، وحدود سياسة التوسع في الإنفاق العام، وسبل رفع فعالية السياسات المكتملة في الحالة الجزائرية، ظل محدودا أو غير مطروق بالصورة الكافية.

ومن هنا تتحدد الإضافة العلمية لهذه الأطروحة في سعيها إلى سد هذه الفجوة، من خلال بناء مقارنة تحليلية متكاملة تربط بين مشكلة البطالة في الاقتصاد النفطي، وخصوصية الحالة الجزائرية، وحدود فعالية سياسة الإنفاق العام خلال الفترة 2001-2023، مع توسيع التحليل ليشمل السياسات الاقتصادية والاجتماعية المكملية، وتوظيف أدوات كمية وقياسية تسهم في تعميق الفهم وتحسين التفسير واستشراف المسارات الممكنة للمعالجة.

صعوبات الدراسة

واجهت هذه الدراسة عددا من الصعوبات المنهجية والتطبيقية، تعود أساسا إلى طبيعة موضوعها وتشابك أبعاده. فمشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية لا ترتبط بعامل منفرد يمكن عزله بسهولة، بل تتداخل فيها محددات اقتصادية واجتماعية ومؤسسية وديمقراطية، كما تشابك فيها العوامل الظرفية مع الاختلالات الهيكلية المرتبطة ببنية الاقتصاد الريعي وطبيعة سوق العمل. ومن ثم، فإن تحليل هذه الظاهرة يفرض حذرا منهجيا في تفسير العلاقات بين المتغيرات، وفي التمييز بين الأسباب المباشرة والآثار غير المباشرة أو الممتدة عبر الزمن.

وإلى جانب هذا التعقيد النظري، برزت صعوبة تطبيقية مهمة تتعلق بمحدودية توفر الإحصاءات الدقيقة والمنتظمة، خاصة ما تعلق منها ببيانات التشغيل والبطالة وبعض المؤشرات الفرعية المرتبطة بسوق العمل. وقد انعكس عدم انتظام نشر نتائج المسوح الإحصائية الخاصة بالتشغيل، لاسيما في السنوات الأخيرة، على إمكانية بناء سلاسل زمنية متجانسة تماما، وأثر في دقة بعض المقارنات والتحليلات التفصيلية، لا سيما عند محاولة تتبع التطور المنتظم لبعض المؤشرات خلال كامل فترة الدراسة. وهو ما استدعى التعامل بحذر مع المعطيات المتاحة، والاستناد إلى ما توفر من مصادر رسمية ومكملية، مع مراعاة حدود المقارنة وإمكانات التفسير التي تسمح بها المادة الإحصائية المتوفرة.

كما واجهت الدراسة صعوبة أخرى تتعلق بقياس الأثر الحقيقي للإنفاق العام على البطالة، بالنظر إلى تعدد مكونات هذا الإنفاق، وتفاوت مردوديته بين القطاعات، واختلاف الآجال الزمنية التي يظهر خلالها أثره في التشغيل. فليس كل إنفاق عمومي يحقق الأثر نفسه على مستوى خلق مناصب الشغل، كما أن العلاقة بين الإنفاق العام والبطالة لا تتخذ دائما طابعا مباشرا أو فوريا، بل قد تمر عبر قنوات وسيطة تتعلق بالنمو والاستثمار وهيكل الاقتصاد وسوق العمل.

غير أن هذه الصعوبات، على أهميتها، لم تمنع من إنجاز الدراسة، بل فرضت اعتماد قدر أكبر من الحذر في التعامل مع البيانات، وفي تفسير النتائج، وفي الربط بين المتغيرات محل التحليل، بما يضمن قدرا مناسباً من الانسجام بين الطموح العلمي للدراسة وحدود المادة الإحصائية والمنهجية المتاحة.

هيكل الأطروحة

تم تقسيم هذه الأطروحة إلى ثلاثة فصول رئيسة مترابطة، يندرج كل منها ضمن منطق تحليلي يخدم الإشكالية العامة للدراسة.

الفصل الأول خصص لمشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري. وقد تناول الإطار النظري لمشكلة البطالة من حيث المفاهيم العامة والآثار السلبية والتفسيرات المختلفة في المدارس الاقتصادية، ثم انتقل إلى تحليل المرض الهولندي ودوره في تفاقم البطالة في الاقتصادات النفطية، قبل أن يركز على دراسة تحليلية لمشكلة البطالة في الجزائر خلال الفترة 2001-2023، مع إبراز البطالة الهيكلية والبطالة المقنعة.

الفصل الثاني تناول سياسة التوسع في الإنفاق العام بوصفها أداة لتخفيض البطالة في الجزائر. وقد عرض أولاً الإطار النظري للإنفاق العام وعلاقته بالتشغيل، ثم حلل تطور الإنفاق العام في الجزائر وتأثيراته المختلفة على البطالة، وناقش فعالية السياسة التوسعية في ضوء مضاعف الإنفاق ومضاعف التشغيل والبرامج الحكومية المباشرة، قبل أن يعرض الإجراءات الكفيلة برفع فعالية السياسات الاقتصادية والاجتماعية المكملة لسياسة الإنفاق العام.

الفصل الثالث خصص للنمذجة القياسية لبيانات الدراسة وآفاق اعتماد التقنيات المعاصرة في تطوير الدراسات الاقتصادية في الجزائر. وقد اشتمل على أربعة مباحث: التحليل الإحصائي الوصفي ودراسة العلاقات بين المتغيرات، والنمذجة الزمنية والتحليل الديناميكي والتنبؤ الاقتصادي، والتصنيف والتحليل العنقودي، ثم آفاق اعتماد التقنيات المعاصرة، كالذكاء الاصطناعي والحوسبة عالية الأداء والبيانات الضخمة، في تطوير الدراسات الاقتصادية. وقد مثل هذا الفصل الامتداد الكمي والمنهجي للدراسة، بما يربط بين التشخيص والتحليل والاستشراف.

وتختتم الأطروحة بخاتمة عامة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها، وأبرز الاستنتاجات المتعلقة بحدود فعالية سياسة الإنفاق العام في التخفيف من البطالة في الجزائر، فضلاً عن أهم التوصيات والآفاق البحثية الممكنة.

الفصل الأول:

مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع
التركيز على الاقتصاد الجزائري

تمهيد:

تعد البطالة من أكثر الإشكالات الاقتصادية تعقيدا في الاقتصادات النفطية، ليس فقط بوصفها مؤشرا اجتماعيا على اختلال سوق العمل، بل باعتبارها نتيجة مباشرة لتفاعل بنيوي بين هيكل الإنتاج، وطبيعة النمو، وآليات توزيع الربح، وخصائص السياسة الاقتصادية الكلية. فبالرغم من امتلاك هذه الاقتصادات لمورد طبيعي يولد إيرادات كبيرة، إلا أن التجربة المقارنة تظهر أن ارتفاع العائدات لا يترجم بالضرورة إلى توسع مستدام في التشغيل المنتج، ولا إلى بناء قاعدة إنتاجية متنوعة قادرة على امتصاص الداخلين الجدد إلى سوق العمل. وفي كثير من الحالات، تتخذ البطالة طابعا هيكليا مرتبعا بضعف خلق الوظائف خارج القطاع العمومي، وهيمنة أنشطة غير قابلة للتداول ذات إنتاجية منخفضة، وتزايد فجوة المهارات بين مخرجات التعليم واحتياجات السوق.

يتعاضم هذا التحدي في الاقتصادات النفطية عندما تقترن الطفرات الربعية بظاهرة المرض الهولندي، التي تمثل إحدى الآليات التفسيرية الأكثر حضورا في الأدبيات الاقتصادية لفهم أثر الربح على بنية الاقتصاد الحقيقي وسوق العمل. إذ يؤدي تدفق الإيرادات النفطية إلى ضغوط على سعر الصرف الحقيقي نحو الارتفاع، وإلى إعادة تخصيص عوامل الإنتاج نحو القطاعات غير القابلة للتداول (الخدمات والأنشطة الداخلية) على حساب القطاعات القابلة للتداول (الصناعة التحويلية والزراعة والأنشطة التصديرية). وينتج عن ذلك تراجع القدرة التنافسية للقطاعات المنتجة القابلة للتصدير، وانخفاض ديناميكية الاستثمار الخاص المنتج، وضعف معدلات خلق الوظائف ذات القيمة المضافة المرتفعة. ومن ثم، تصبح البطالة في هذا السياق ليس مجرد نقص في الطلب الكلي يمكن علاجه بتوسيع الإنفاق، بل انعكاسا لاختلالات هيكلية تمس تركيبة الاقتصاد ومولدات التشغيل فيه.

ضمن هذا الإطار، تكتسب الحالة الجزائرية أهمية خاصة، بالنظر إلى الاعتماد المرتفع تاريخيا على المحروقات في تمويل الميزانية العامة للدولة وميزان المدفوعات، وما ترتب عنه من هشاشة دورية مرتبطة بتقلبات أسعار النفط، ومن مسارات نمو تتسم بتفاوت القدرة على خلق فرص عمل منتجة ومستدامة. كما أن طبيعة بنية الاقتصاد الجزائري حيث يظل قطاع الصناعة التحويلية محدود الوزن نسبيا، وتستأثر الدولة والقطاع العمومي بحصة معتبرة من التشغيل المباشر وغير المباشر تجعل تحليل البطالة مرتبعا ارتباطا وثيقا بفهم أثر المرض الهولندي على التنافسية، وعلى توجيه الموارد، وعلى سلوك الاستثمار والتشغيل في القطاع الخاص. وعليه، فإن معالجة البطالة في الجزائر لا يمكن فصلها عن سؤال التنويع الاقتصادي، وإصلاح بيئة الأعمال، واستعادة القدرة التنافسية للقطاعات القابلة للتداول، بما يتجاوز المقاربات الظرفية المعتمدة فقط على التوظيف العمومي أو التوسع في التحويلات الاجتماعية.

وانطلاقا من ذلك، يهدف هذا الفصل إلى تقديم معالجة تحليلية لمشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري، عبر ربط الإطار النظري للبطالة بخصائص الاقتصاد الريعي وآليات المرض الهولندي باعتباره قناة مركزية لتفاقم الظاهرة. ولهذا تم تقسيم الفصل إلى ثلاثة مباحث متكاملة: يتناول المبحث الأول الإطار النظري لمشكلة البطالة من حيث المفاهيم الأساسية والتفسيرات الاقتصادية وأنماط البطالة ومحدداتها، بما يسمح بتحديد طبيعة

البطالة محل الدراسة وأدوات تحليلها. أما المبحث الثاني فيخصص لخصائص الاقتصادات النفطية، مع التركيز على سمات الاقتصاد الريعي والتقلبات الدورية، وآثارها على بنية الإنتاج وسلوك الاستثمار، وعلى ديناميكيات سوق العمل، مع إبراز موقع المرض الهولندي ضمن هذه السلسلة التفسيرية. بينما يركز المبحث الثالث على دراسة حالة الجزائر، من خلال تحليل تطور البطالة وعلاقتها بهيكل الاقتصاد، وتقييم مظاهر المرض الهولندي وانعكاساته على القطاعات المنتجة القابلة للتداول وعلى القدرة على خلق وظائف مستدامة من خلال التركيز على مشكلتي البطالة الهيكلية والبطالة المقنعة، وهذا كله من أجل الوصول إلى استخلاص دلالات بحثية تمهد للفصول اللاحقة المتعلقة بالسياسات العلاجية.

وبذلك، يسعى الفصل إلى بناء خيط تحليلي واحد: البطالة في الاقتصادات النفطية ليست ظاهرة مستقلة عن طبيعة الربح، بل تتشكل داخل منظومة اقتصادية تعيد توجيه الموارد والحوافز بصورة قد تضعف القاعدة الإنتاجية المولدة للتشغيل. ومن ثم، فإن فهم المرض الهولندي بوصفه آلية انتقال من الربح إلى اختلالات هيكلية في الإنتاج وسوق العمل يمثل مدخلا ضروريا لتفسير مسار البطالة في الجزائر، ولتقييم حدود السياسات التقليدية، ولتأسيس مقارنة أكثر اتساقا مع متطلبات التنويع والانتقال نحو نمو كثيف التشغيل.

المبحث الأول: الإطار النظري لمشكلة البطالة

سنتناول في هذا المبحث البطالة في شقها النظري البحت، أو بالأحرى الجوانب النظرية الرئيسية التي من خلالها يمكن وضع تصور منطقي وسليم لآليات المواجهة، ولن يكون هذا الفصل ترفا فكريا، بقدر ما هو ضرورة منهجية، ذلك أن رسم أي سياسة لمكافحة البطالة لا بد أن تقوم على نظرية ما لتفسير البطالة وتحديد أسبابها، وبقدر ما يكون فهمنا النظري للبطالة سليما تكون سياستنا ملائمة وفعالة للتصدي لها.

وعليه فسيتم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول سيتم التطرق فيه لمفهوم البطالة وبعض المفاهيم الأخرى التي لها علاقة بها، وكذا كل ما يتعلق بكيفية ضبط وقياس معدلات البطالة، بالإضافة إلى الأشكال والأنواع التي من الممكن أن تظهر من خلالها.

المطلب الثاني فهو يركز على بعض الآثار التي قد تنجم عن تنامي ظاهرة البطالة.

المطلب الثالث، فسيتم من خلاله تناول مختلف الآراء والأفكار لمختلف المدارس الاقتصادية الشهيرة التي حاولت تفسير وتحليل البطالة، وهذا ما يساعد على رؤية المشكلة قيد دراسة من نوافذ متعددة.

المطلب الأول: مفاهيم عامة عن مشكلة البطالة

حتى يتم ضبط وحصر البطالة ضمن مجال علمي صحيح قابل للتحليل الدقيق الذي يرمي إلى استخراج نتائج صحيحة نسبيا ولا تتناقض مع ما هو موجود في الواقع، فإنه لا بد من تحديد المفهوم الأصح للبطالة، وكذا تحديد بعض العوامل الجزئية التي تتكون منها.

أولا: مفهوم البطالة **unemployment**

البطالة لغة: البطالة مصدر من الفعل الثلاثي بطل يبطل الذي معناه الضياع والخسران ، ويقال بطل الأجير فهو بطل بمعنى تعطل من التعطل وهو البقاء بلا عمل ، وحتى لا يتم الخلط بين البطالة ذات الاستعمال السلبي في اللغة، والبطولة ذات الاستعمال الإيجابي، يتم التفريق بينهما، فالبطال من البطالة من لم يكن له عمل أو حرفة فيبطل دوره في الحياة، أما البطل من البطولة فهو الشجاع الذي تبطل جراحه ولا يكثر لها، وقيل لأنه يبطل العظام، أو هو المتعرض للموت الذي يتصور بطلان دمه¹.

البطالة اقتصاديا: تنوعت مفاهيم البطالة اقتصاديا بتنوع وجهة نظر الاقتصاديين لها ومدى حصر الظاهرة ضمن مجال محدد لتسهيل دراستها وتحليلها، ومن هذه التعاريف نذكر :

¹ - جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1997، ط6، ج 11، ص56.

"الفرق بين حجم العمل المعروض وحجم العمل المستخدم في المجتمع خلال فترة زمنية معينة عند مستويات الأجور السائدة"¹، أو هي "عدم توفر التوظيف الكامل لأفراد المجتمع، وأن الأفراد الراغبين في العمل أكبر من الفرص المتاحة والموجودة في هذه المجتمعات"²، وعرفها الاقتصادي الفرنسي جان باتيست ساي بأنها "عرقلة في التداول بسبب كمية من البضائع لا تتمكن من الوقوع على مشترين، وحينئذ تتوقف آلات كثيرة من السير ويصبح كثير من العمال في حالة بطالة"³، أما تعريفها من قبل الهيئات الدولية فنجد أن البنك الدولي عرفها بأنها "الجزء من اليد العاملة التي ليس لها عمل لكنها متواجدة للبحث عن وظيفة". في حين كان تعريف منظمة العمل الدولي INTERNATIONAL LABOUR ORGANIZATION للبطال بأنه "كل من هو قادر على العمل وراغب فيه ويبحث عنه ويقبله عند مستوى الأجر السائد ولكن دون جدوى"⁴، والملاحظ في هذا التعريف محاولته إعطاء البطالة معايير ثابتة قابلة للقياس يمكن توحيدها في جميع البلدان قصد إجراء المقارنات بينها، وتمثل هذه المعايير فيما يلي:

- **معيار عدم العمل without work criterion**: ويعني انعداماً تاماً للعمل أثناء الفترة المرجعية، ولم يكن هناك غياباً عن العمل بصفة مؤقتة كعطلة مرضية أو عطلة راحة، ويعد هذا المعيار الفاصل بين حالة العمالة والبطالة، وبالتالي فإنه لا يمكن تصنيف الفرد الذي يمارس عملاً ما ولو كان عارضاً، وفي نفس الوقت يبحث عن عمل آخر ضمن فئة البطالين.
- **معيار البحث عن عمل seeking-work criterion**:⁵ ويقوم هذا المعيار على أن الفرد محل الملاحظة قد اتخذ خطوات جادة للبحث عن عمل بأجر أو لحسابه الخاص يثبت من خلاله أنه مستعد للعمل وساع إليه، كقيامه بالتسجيل في مكاتب العمل سواء الخاصة أم الحكومية، ومتابعة الإعلانات الخاصة بالتوظيف، ونشر عروض عمله على مختلف الشركات. لكن غالباً ما يحدث أن يصاب عدد كبير من الباحثين عن العمل بعد فترة زمنية من البحث دون الحصول عليه بنوع من اليأس، وهو ما يدفعهم إلى التوقف عن البحث مرة أخرى، وبالتالي فإنه حسب هذا المعيار فإنهم يصنفون خارج فئة البطالين على الرغم من أنهم ليسوا كذلك.

● **معيار الجاهزية للعمل availability for work criterion** :

يعني هذا المعيار أنه إذا ما عرض عمل على فرد فإنه سيكون مستعداً وقادراً على العمل فوراً خلال فترة البحث، حيث يستبعد كل الأفراد الذين يبحثون عن العمل لمباشرته في فترة لاحقة (أي بعد انتهاء

¹- علي عبد الوهاب نجا، مشكلة البطالة واثار برنامج الإصلاح الاقتصادي عليها، الإسكندرية، الدار الجامعية، 2005، ص3

²- أديب علي صقر، البطالة في سورية: الواقع والآفاق، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، 2006، ص58.

³- جمال حسن أحمد عيسى، مشكلة البطالة وعلاجها، دراسة مقارنة بين الفقه والقانون، اليمامة، دمشق، 2000، ص47.

⁴-International labour Organization(ilo),2013. Resolution concerning statistics of work , employment and labour underutilization (19th ICLS, Geneva, October 2013);ILO,p48.

⁵- علي عبد الوهاب نجا، مرجع سابق ص6.

الاستبيان). مثل الطالب الذي يبحث عن عمل مؤقت بالموازاة مع دراسته، فخلال فترة بحثه هذه هو غير مستعد للعمل وبالتالي غير متاح للعمل، وكذلك يستبعد الأفراد غير القادرين على العمل بسبب بعض المعوقات (المرض، مسؤوليات عائلية...). خلال فترة الاستبيان، لأنه من الناحية العملية لا يكونون مستعدين له بسبب إعاقاتهم التي تمنعهم من الموافقة على أي عمل يعرض عليهم مباشرة، بل يقومون بترتيب أمورهم أولاً

وعلى الرغم من أن منظمة العمل الدولية سعت إلى تقديم تعريف محدد وأكثر شمولا للبطالة يصلح للتطبيق في مختلف بلدان العالم، وبالتالي يمكن من خلاله قياس معدل البطالة في الدول المختلفة بنفس الطريقة حتى يمكن المقارنة بين تلك المعدلات، إلا أن هذا التعريف كان محل انتقادات حمة، ومن أهم هذه الانتقادات نذكر:¹

✓ لا يأخذ في حسابه كلا من البطالة المقنعة والبطالة الجزئية، فالفرد يعد في تعداد العاملين ما دام يعمل حتى ولو لساعة واحدة، مثله في ذلك مثل الفرد الذي يعمل سبع أو ثماني ساعات يوميا.

✓ لا يربط بين العمل والإنتاجية، فالعمال تختلف إنتاجيتهم.

✓ لا يأخذ في تعداد العاطلين إلا الأفراد الذين لا يعملون ويبحثون عن عمل، وبالتالي يهمل فئة كبيرة من العاطلين الذين لا يبحثون عن عمل بعد ما يتسوا من الحصول على وظيفة.

كل ما تم ذكره آنفا عن تعريف البطالة هو ذلك التعريف الذي يحصرها ضمن المجال الكمي القابل للقياس، ولكن في حقيقة الأمر فإن البطالة أوسع من أن تحصر في حدود هذا المجال الضيق، وإذا كان لا بد من أن تأخذ مفهوما علميا أوسع، فهي تمثل "الحالة التي لا يستخدم المجتمع فيها قوة العمل فيه استخداما كاملا و/ أو أمثلا، ومن ثم يكون الناتج الفعلي في هذا المجتمع أقل من الناتج المحتمل، مما يؤدي إلى تدني مستوى رفاهية الأفراد عما كان يمكن الوصول إليه"². والملاحظ من هذا التعريف أنه يركز على مبدأي الاستخدام الكامل والأمثل للفئة النشيطة بمفهومها الواسع كذلك، فالأول معناه أن جميع الأفراد النشيطين يعملون بصفة دائمة وعلى طول الفترة الكلية للعمل، أما الثاني فمعناه أن تكون الإنتاجية المتوسطة لهذا العامل أقصى ما يمكن، وهو ما يؤدي إلى الوصول بالناتج إلى حدوده القصوى كذلك.

أما تعريف الباحث للبطالة فهي تمثل مجموع الأفراد غير العاملين في لحظة ما، والذين تتطلب المصلحة الكلية للمجتمع أن يكونوا ضمن مناصب عمل محددة تسمح بالاستغلال الأقصى والأمثل للطاقة الإنتاجية لهذا المجتمع. وحسب هذا التعريف فإن:

✓ الأفراد الذين لا يعملون ولا يبحثون عن عمل يصنفون ضمن البطالين إذا كانت مصلحة المجتمع تتطلب عملهم.

¹ - عبد القادر مجّد عبد القادر " نحو مفهوم علمي للبطالة مع التطبيق على مصر" مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية، مجلد 27 العدد الأول 1990، ص 205.

² - عبد القادر مجّد عبد القادر، نفس المرجع السابق، ص 206

- ✓ الفرد الذي يعمل في غير المنصب الذي يحقق فيه أكبر إنتاجية فإنه يصنف ضمن البطالة الجزئية.
- ✓ لا يصنف الأفراد المتعطلين في لحظة ما بطالين إذا كان هناك متعطلين آخرين أكفأ منهم، والعكس بالعكس صحيح.
- ✓ لا يصنف الأفراد قيد التكوين واكتساب الخبرة المهنية ضمن البطالين حتى ولو كانوا يبحثون عن عمل.
- ✓ لا يعد العمال الذين انخفضت كمية عملهم بسبب التطور التكنولوجي ضمن البطالة الجزئية، بشرط أن تبقى إنتاجيتهم على ما كانت عليه من قبل وكذلك العائد الذي يحصلون عليه من العملية الإنتاجية.
- ويبقى تعريف منظمة العمل الدولية، على الرغم من بعض السلبات التي يتضمنها، التعريف الملائم لإجراء الدراسات الأكاديمية .

وحتى يتم تحديد مفهوم البطالة جيدا فإنه من الضروري إيراد مفاهيم عامة لأهم المصطلحات التي لها علاقة بها، وفيما يلي تعريف لأهم هذه المصطلحات:¹

- **العمل work** : لقد تعددت آراء الاقتصاديين حول مفهوم العمل فكانت هناك وجهات نظر فلسفية واجتماعية و اقتصادية، والمفهوم الاقتصادي المبسط للعمل هو تأثير الإنسان على الطبيعة في سبيل الحصول على منفعة مادية، هذه المنفعة ضرورية من أجل تأمين ظروف مناسبة تساعد الإنسان على الاستمرار في النشاط العملي، أو بتعبير آخر فإن العمل هو العملية التي تجري بين الإنسان والطبيعة حيث يؤثر الإنسان عليها ويكيف مواردها لكي تصبح صالحة لإشباع حاجاته المتعددة والمتزايدة، هذا وكان تعريف ²ILO للعمل بأنه أي نشاط ينجز لإنتاج سلع أو خدمات لاستخدام الغير أو للاستخدام الذاتي سواء كان بمقابل أو بدون مقابل وقد يأخذ عدة أشكال نذكر منها: العمل بغرض التشغيل **employment work**، العمل للإنتاج الذاتي **own-use production work**، العمل التطوعي **volunteer work**

- **السكان population**: يقصد بالسكان مجموع الأفراد الذين يقيمون في منطقة جغرافية معلومة الحدود خلال فترة مرجعية محددة.

- **السكان القادرون على العمل working-age population**: وهم السكان الذين يملكون المقدرة الجسدية والعقلية اللازمة للقيام بالعمل، أو هم جميع الأفراد الذين بلغوا السن المعتمد إحصائيا لقياس النشاط الاقتصادي .

- **موارد القوى العاملة labour force resources (القوى البشرية human resources)**: تتألف هذه الفئة من السكان القادرين على العمل والموجودين ضمن حدود سن المقدرة على العمل بالإضافة إلى

¹ - محمد جميل عمر، اقتصاد وتخطيط القوى العاملة، جامعة دمشق، 1987، ص7، ص127، 128.

²International labour Organization(ilo), 2013 . Op cit, p2.

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

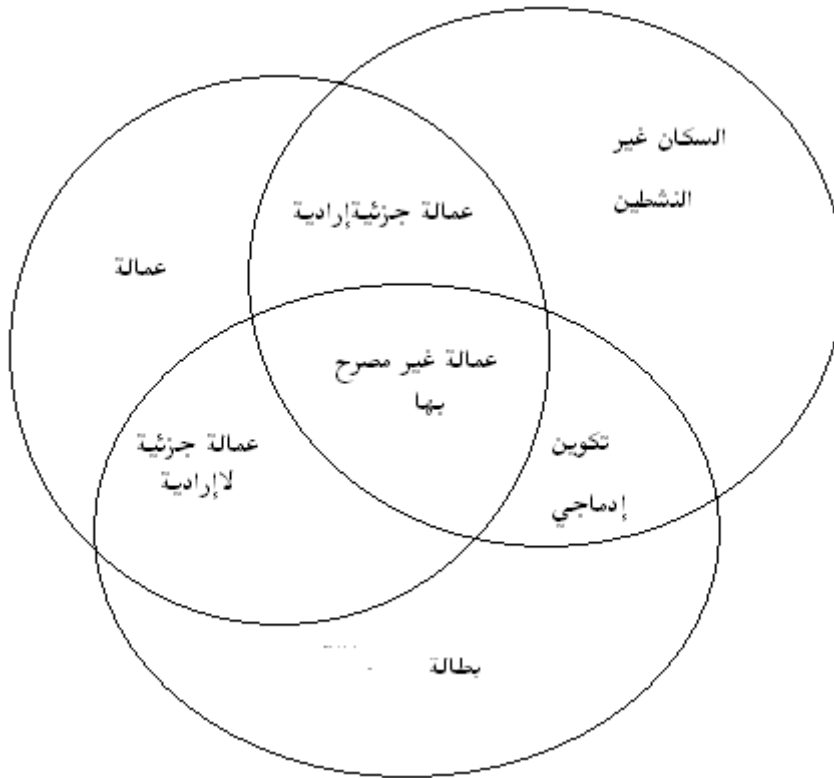
الأشخاص الذين يشتغلون في العمل الاجتماعي وهم من خارج حدود سن المقدرة على العمل، ويطلق أحيانا على هذه الفئة اسم الموارد البشرية. ويستخدم هذا المصطلح في الاقتصاد الكلي والإدارة أكثر من استعماله في الإحصاءات الرسمية لسوق العمل.

– **القوى العاملة أو السكان النشيطون اقتصاديا labour force** : يضم هذا المفهوم ذلك الجزء من موارد القوى العاملة المشتغلين فعلا في الإنتاج **employed persons** والمتعطلين عن العمل **unemployed persons**.

– **المشتغلون Employed population**: يطلق لفظ المشتغلون على تلك الفئة من القوى العاملة التي تعمل فعلا في العمل الاجتماعي بغض النظر عن كونها تعمل بأجر أو بدون أجر لدى الغير أو لدى الأسرة أو لحسابها الخاص¹.

ولتوضيح مفهوم البطالة جيدا، وتبيان الترابط والتداخل الذي قد يحدث بينها وبين العمالة، يتم إيراد الشكل التالي:

الشكل(1-1): التداخلات الموجودة بين البطالة والعمالة



Source: Jacques freyssinet , le chômage , editions la decouverte.Paris.1984.page19.

¹ Ipid p 6.

ثانيا: قياس البطالة unemployment measurement

" للوقوف على حجم مشكلة البطالة وأبعادها ينبغي أن تكون هناك قاعدة معلومات تفصيلية ودقيقة عن المتعطلين من حيث أعدادهم وأماكن إقامتهم والمهن التي يزاولونها وأعمارهم وتعليمهم وجنسهم وسبب تعطلهم، ومدة بطالتهم... إلخ، والحقيقة أن توافر هذه البيانات ودقتها وحداتها هي من الأهمية بمكان، لأنه على ضوءها يحسب معدل البطالة على مستوى الاقتصاد القومي، وهو أحد المؤشرات الاقتصادية الكلية ذات الدلالة البالغة في رسم السياسات الاقتصادية وتقييم فعاليتها كما لا يخفى أنه لا يمكن علاج مشكلة البطالة ما لم يكن هناك تصور حقيقي عنها، على أن الإحصاءات الرسمية المنشورة حول البطالة كثيرا ما تثير الجدل حول مدى دقتها وشمولها، وإلى أي مدى تعكس حجم مشكلة البطالة"¹، فكلما كانت المعلومات الإحصائية عن المتعطلين متوفرة بشكل دقيق ومتنوع أمكننا حساب معدل البطالة ومعدلات أخرى تساعدنا في تحليل الظاهرة بشكل جيد، وفيما يلي أهم المعدلات الممكن حسابها، وبعدها يتم تبيان طرق جمع البيانات عن المتعطلين

أ- كيفية حساب معدل البطالة والمعدلات المشتقة منه:

يمثل معدل البطالة **unemployment rate** النسبة بين الأفراد القادرين والراغبين في العمل والباحثين عنه والذين لا يجدون وظيفة من إجمالي قوة العمل خلال فترة زمنية معينة² ويعبر عنه رياضيا بما يلي:

$$\text{معدل البطالة } Ur = (\text{عدد المتعطلين} / \text{عدد القوى العاملة}) * 100.$$

ويعد هذا المعدل الأكثر استعمالا بالرغم من أنه لا يعطي تفصيلا دقيقا عن الظاهرة، في حين أنه يمكن حساب معدلات أخرى حسب صفات البطال تسمح بتحليل الظاهرة تحليلا جيدا ومن هذه المعدلات نذكر:

معدل البطالة حسب الجنس Unemployment rate by sex: ونجد فيه ، معدل بطالة النساء والذي يساوي نسبة النساء المتعطلات إلى مجموع المتعطلين ، وكذلك معدل بطالة الرجال الذي هو النسبة بين الرجال المتعطلين والمجموع الكلي للمتعطلين. ويفيد هذا المعدل في تبيان أي الجنسين تكثر فيه البطالة ، وهذا ما يساعد في تحديد الآليات التي بها يتم إيجاد فرص عمل تتوافق مع المعدل الأكبر ، فمثلا إذا كان معدل بطالة النساء أكبر منه عند الرجال فيستحسن هنا دعم قطاع الخدمات الذي تكون فرص العمل فيه أكثر تلاؤما مع فئة النساء.

معدل البطالة حسب العمر unemployment rate by age: وهو أن يقسم المتعطلون إلى فئات عمرية محددة ، ومن بعدها حساب معدل البطالة لكل فئة، والذي يساوي عدد المتعطلين في كل فئة على إجمالي عدد المتعطلين. وغالبا ما يكون هذا التقسيم إلى ثلاث فئات هي: [40 60] ، [25 40] ، [16 25] ويفيد هذا المعدل في معرفة الفئة العمرية الأكثر بطالة، ومن ثم يتم تركيز الدراسة عليها لمعرفة أسباب عدم قدرتها على

¹ - رمزي زكي، الاقتصاد السياسي للبطالة ، سلسلة عالم المعرفة، العدد 226، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، 1997، ص 38، 39.

² International labour organization(ILO) ; key indicators of the labour market; 10th edition; geneva: ILO ; 2021;p14.

الاندماج في سوق العمل، فعلى سبيل المثال لا الحصر إذا كان معدل البطالة للفئة العمرية [16 25] أكبر منه عن باقي الفئات فقد يكون هذا بسبب نقص الخبرة المهنية مثلا، وهذا ما يتطلب اتخاذ إجراءات إدماجية وطرح فرص للتكوين تتماشى مع متطلبات سوق العمل.

معدل البطالة على أساس الريف والحضر unemployment rate by residence (urban/rural): حيث يساوي معدل بطالة الريف عدد المتعطلين الريف على المجموع للمتعطلين، ونفس الشيء بالنسبة لمعدل بطالة الحضر. ويفيد هذا المعدل في تبيان المنطقة التي تكثر فيها البطالة والذي يسمح بدوره بتحديد نوعية المشاريع الممكن دعمها وتحفيزها والتي يجب أن تتلاءم مع خصائص كل منطقة.

معدل البطالة على أساس المستوى التعليمي unemployment rate by education level:

وفيه يقسم البطالون إلى فئات حسب مستواهم التعليمي الذي غالبا ما يكون، أقل من الثانوي ، جامعي ، دراسات عليا. وبعدها يتم حساب النسبة بين عدد المتعطلين لكل فئة والمجموع الإجمالي للمتعطلين، وتفيد هذه المعدلات في تحديد الفئة التي تكثر فيها البطالة والذي يسمح بتحديد الأسباب المسببة لذلك ، ومن ثم معالجتها. فمثلا إذا كان معدل البطالة مرتفع لدى فئة الجامعيين فهذا دليل نسبي على أن مخرجات التعليم لا تتلاءم مع متطلبات سوق العمل وهذا ما يستلزم القيام بإصلاحات جذرية في قطاع التعليم العالي.

معدل البطالة على أساس مدة التعطل unemployment rate by duration: ونجد فيه معدل البطالة قصيرة الأجل والذي تكون فيه مدة التعطل أقل من شهر، معدل البطالة متوسطة الأجل والذي تكون فيه مدة التعطل أكثر من شهر وأقل من سنة ، ومعدل البطالة طويلة الأجل والذي تكون فيه مدة التعطل أكثر من سنة. ويعد هذا المعدل ذو أهمية كبيرة في توضيح البنية التركيبية للبطالين، ويوضح كذلك مدى كفاءة سوق العمل، فمثلا إذا كان معدل البطالة قصيرة الأجل مرتفع فهذا مؤشر قوي على أن سوق العمل كفاء يسمح بإيجاد فرص عمل للمتعطلين في مدة قصيرة، والعكس في حالة ارتفاعه عند الفئة طويلة الأجل.

معدل البطالة على أساس الإعالة unemployment rate by dependency status:

وفيه يتم تقسيم البطالين إلى فئات حسب عدد الأفراد غير النشطين الذين هم تحت مسؤولية هؤلاء البطالين، فقد يكون البطال معيل لنفسه فقط، أو لفرد، أو لفردين، أو حتى لعشرة أفراد أو أكثر. ويفيد هذا المعدل في توضيح الحرمان والبؤس الذي يعانيه الأفراد غير النشطين جراء تعطل فرد نشيط، فكلما كانت قيمة الإعالة كبيرة كان هذا مؤشر قوي على خطورة المشكلة ، وبإمكان هذا المعدل إبراز مستوى الفقر داخل المجتمع.

ب- طرق جمع البيانات data collection methods :

1- التعدادات العامة للسكان population censuses: وهو العملية التي تقوم بها أعلى هيئة إحصائية في الدولة يتم من خلالها إحصاء كلي وشامل لمجموع العائلات المقيمة داخل القطر، ويكون هذا بعد

رصد الإمكانيات البشرية والمادية اللازمة لذلك، حيث يتوجه المكلفون بهذه العملية إلى العائلات مباشرة وجرّد كافة المعلومات الإحصائية الضرورية وتسجيلها في استمارات مخصصة لذلك، ليتم بعدها تجميع هذه المعلومات من الجزء إلى الكل وتحليلها.

"وتجري التعدادات بواسطة الحكومة، ولا بد من أن تجري في وقت واحد في جميع أجزاء الرقعة الجغرافية- الدولة- التي يجري فيها التعداد، ولكن ذلك قد يختلف حسب ظروف الدول، فمن الناحية المثالية ينبغي أن يجري التعداد في يوم واحد معين، ولكن ذلك لا يكون سهلاً إلا في الدول محدودة المساحة أما الدول الواسعة فتستغرق فيها وقتاً أطول. والمفروض أن تفصل بين التعدادات فوارق زمنية محددة- أي أن تجري التعدادات دورياً بفواصل زمنية منتظمة- وتختلف الفترة التي تفصل بين تعداد وآخر من دولة إلى أخرى حسب إمكانيات الدول المادية والبشرية وحسب سعة أراضيها أو تبعاً للمدى الذي تهدف إلى تحقيقه من بيانات التعداد، فبعض الدول تجري التعداد كل خمس سنوات كفرنسا، اليابان، الدانمرك. وأخرى كل عشر سنوات كالجائز، سورية، مصر، كندا، وأخرى أكثر من ذلك كالبرازيل"¹.

ولما كانت علاقة التعداد في هذا البحث تخص موضوع البطالة والعمالة فإنه من الضروري إيراد أهم المعلومات المتعلقة بالموضوع والتي يجب أن تتضمنها الاستمارة، ومن هذه المعلومات نذكر²:

- العلاقة بقوة العمل (يعمل خارج المنزل، يعمل داخل المنزل، متعطل سبق له العمل، متعطل لم يسبق له العمل، طالب، متفرغ للتدبير المنزلي، متقاعد، مكنتفي، غير قادر على العمل)
- معلومات عن أسباب التعطل (الدخل غير ملائم، العمل غير ملائم، انتهاء المشروع، الرغبة في إيجاد عمل خاص، أخرى)
- المهنة الرئيسة الحالية (صاحب عمل، يعمل لحسابه، يعمل بأجر، يعمل لدى الغير دون أجر)
- مكان مزاوله العمل (عام، خاص، مشترك، تعاوني)
- عدد ساعات العمل خلال أسبوع الإسناد الزمني.

2- المسح الجزئي sample survey (مسح العمل بالعينة LFS labour force survey):

ولما كان المسح الكلي غالباً ما يجري في فترات متباعدة، فإنه من الصعب تتبع ظاهرة البطالة في الفترة التي تلي هذا المسح بالاعتماد فقط على إحصائياته، لأن هذه الظاهرة تمتاز بالتغير السريع مع الزمن، لذلك فإنه من الضروري اللجوء إلى المسوحات الخاصة بالأخص وبالأخص ما يسمى مسح العمل بالعينة، وهو عملية مصغرة للمسح الكلي، تجري

¹-عبد الرحيم بوادقجي، محمد خالد الحريري، علم السكان، جامعة دمشق، 2006، ص40.

²- عبد الرحيم بوادقجي، نفس المرجع السابق، ص50.

على أفراد عينة مختارة اختيارا يسمح بتمثيلها للمجتمع الأصلي، تركز فقط على الأمور المتعلقة بالعمالة والبطالة، يتم إجراءاتها على الأقل مرة في كل سنة، ويعمل هذا الأسلوب بقدر الإمكان على التقليل من الأفراد الذين سيضمحلهم البحث وهذا ما يؤدي إلى النتائج التالية¹:

✓ خفض تكاليف البحوث.

✓ إمكانية إجراء البحث في فترة زمنية وجيزة.

✓ إمكانية تحقيق جمع نتائج البحث بأكبر قدر ممكن من الدقة.

وقد أصبح هذا الأسلوب هو الأكثر اعتمادا في الدول المتقدمة التي تملك أجهزة إحصائية فعالة حيث صار بالإمكان الإعلان عن معدلات البطالة شهريا.

3- سجلات التأمين ضد البطالة **unemployment insurance records** وسجلات

مكاتب التوظيف **employment office records** : حيث توجد في بعض الدول كالدول الصناعية أجهزة إدارية تتعامل مع المتعطلين مباشرة، كجهاز التأمين ضد البطالة الذي يضمن التعويض النقدي للمتعطلين الذين سبق لهم العمل وفق شروط معينة، وهذا ما يسمح بإحصاء عدد المتعطلين الذين يلجؤون إليه للاستفادة من هذه المنحة . أما مكاتب التوظيف فهي بمثابة مكاتب وساطة بين عارضي العمل (المتعطلون) وطالبي العمل (أصحاب الأعمال). حيث يلجأ إليه الصنف الأول كأفراد باحثين عن عمل وهذا ما يساعد على عددهم وإحصائهم. لكن قد يحدث وأن يسجل بعض العمال أنفسهم في مكاتب التوظيف للبحث عن عمل آخر، أو قد يمتنع بعض البطالين من تسجيل أنفسهم في هذه المكاتب لاعتقادهم بعدم قدرتها على توفير منصب الشغل المناسب، وهذا كله يقلل من مصداقية الإحصائيات المجمعة من هذه السجلات.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه كلما كانت الإحصائيات المجمعة بهذه الوسائل متقاربة كلما كانت على قدر كبير من الصحة، وأن قياس معدل البطالة في الدول النامية أصعب بكثير من قياسه في الدول المتقدمة وهذا راجع إلى عدم توفر بيانات سليمة لدى الجهات الرسمية التي يستدل منها على حجم البطالة في الدول النامية، هذا بالإضافة إلى الوزن النسبي الكبير لما يسمى بالاقتصاد الخفي في هذه الدول والذي لا تدخل أنشطته في الإحصاءات الرسمية. لذلك فمن الأهمية بمكان أن تربط معدلات البطالة بالواقع ومقارنتها بمؤشرات نوعية أخرى للتأكد من مصداقيتها.

ثالثا : أنواع البطالة

¹ - عبد الرحيم بوادجي ، نفس المرجع السابق، ص 65.

بالرغم من أن البطالة هي وصف وتمثيل لحالة واحدة يكون فيها جزء من القوى العاملة متعطلون، إلا أن تحليل هذه الحالة تحليلا معمقا يكشف أنها قد تختلف من فترة لأخرى، متخذة أشكالا متعددة تبعا لمسبباتها، ومما يترتب عن ذلك من اختلاف إجراءات المواجهة، وفيما يلي أهم الأنواع التي من الممكن أن تكون عليها البطالة:

1- البطالة السافرة **open unemployment**: وتسمى كذلك بالصريحة لأنها تمثل بوضوح الأفراد

القادرين على العمل، ولكنهم بدون وظائف كليا، ويمكن أن تكون هذه البطالة اختيارية أو إجبارية.

أ. البطالة الإجبارية **involuntary unemployment**: وهي التي تمثل الأفراد القادرين على العمل والراغبين فيه والباحثين عنه لكنهم لا يستطيعون الحصول عليه لخلل ما موجود في سوق العمل، ويمكن أن تأخذ أحد الأشكال التالية:

أ-1 البطالة الهيكلية **structural unemployment**: يقصد بالبطالة الهيكلية "ذلك النوع من التعطل الذي يصيب جانبا من قوة العمل، بسبب تغيرات هيكلية تحدث في الاقتصاد القومي، وتؤدي إلى إيجاد حالة من عدم التوافق بين فرص التوظيف المتاحة ومؤهلات وخبرات العمال المتعطلين و الراغبين في العمل والباحثين عنه. أما عن طبيعة هذه التغيرات الهيكلية فهي إما أن تكون راجعة إلى حدوث تغير في هيكل الطلب على المنتجات، أو راجعة إلى تغير أساسي في الفن التكنولوجي المستخدم، أو إلى تغيرات هيكلية في سوق العمل نفسه، أو بسبب انتقال الصناعات إلى أماكن توطن جديدة"¹. فكما هو معلوم، فإن كل منتج إلا وله دورة حياة خاصة به قد تطول أو تقصر، لذا فإنه في أي لحظة قد يتحول المستهلكون إلى منتج جديد بديل للمنتج الأول، وهو ما يعني توقف صناعة المنتج الأول وتسريح عمالها، فإذا كانت صناعة المنتج البديل تتوافق مع مؤهلاتهم وخبراتهم المهنية، فإن زيادة الطلب على هذا المنتج تؤدي إلى التوسع في الإنتاج، وسيسمح هذا بامتصاص اليد العاملة المسرححة. وأبرز مثال على ذلك ظهور النفط كمصدر جديد للطاقة أدى إلى غلق كثير من مناجم الفحم في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وتسريح العمال منها، غير أنه بعد فترة أصبحت الصناعة النفطية بكامل فروعها مورد هام لفرص العمل. كما أن ابتكار تقنية إنتاجية جديدة تؤدي إلى الاستغناء عن التقنيات القديمة وهذا ما يعرض العمال الذين لا يستطيعون التأقلم مع هذه التقنية إلى التسريح، أضف إلى ذلك أن جل التقنيات الحديثة تحتاج إلى عدد من الأيدي العاملة أقل بكثير من سابقاتها، غير أنه في بعض الأحيان يؤدي ظهور هذه التقنيات إلى فتح فروع إنتاجية جديدة لم تكن موجودة من قبل وهذا ما يساعد في امتصاص مستقبلي للعمال المسرحين. أما فيما يخص التغيرات الهيكلية التي تحدث في سوق العمل فهي غالبا ما تكون بسبب طفرة تحدث لقوة العمل تجعل من الصعب التواء عرض العمل مع الطلب عليه عند المستوى التوازني، ومن الأمثلة على ذلك، التغير في الهيكل العمري للسكان وزيادة نسبة الشبان في قوة العمل، ارتفاع كبير لنوع معين من مخرجات التعليم، هجرة العمالة من الدول الفقيرة إلى الدول الغنية. هذا وقد عرفت البلدان الصناعية المتقدمة

¹-رمزي زكي، مرجع سابق ص 30.

نوعاً جديداً من البطالة الهيكلية نجم عن تعاضم ظاهرة العمالة في ربع القرن الأخير والتي تسارعت على نحو شديد عبر نشاط الشركات متعددة الجنسيات. حيث لجأ كثير من الصناعات التحويلية في الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا إلى الانتقال إلى البلاد النامية للاستفادة من المزايا والامتيازات التي وفرتها هذه البلاد للاستثمارات الأجنبية المباشرة (مثل الإعفاءات الضريبية، رخص الطاقة والأراضي، وعدم تحمل تكلفة التلوث البيئي، ...). فضلاً عن رخص الأيدي العاملة. كما أن ازدياد وتراجع دور الدولة في النشاط الاقتصادي غالباً ما يؤدي إلى ظهور مثل هذا النوع من البطالة فعلية إعادة الهيكلة التي قامت بها الدول النامية والتي فيها تحلت عن ممارسة بعض الأنشطة الاقتصادية وفتح المجال للمستثمرين الخواص أدى إلى غلق عدد كبير من المصانع وتسريح العمال منها، في حين لم يتمكن الخواص من تعويض هذا الخروج المفاجئ للدولة. "إذن فهذا النوع من البطالة يمكن أن يحدث نتيجة لانخفاض الطلب على نوعيات معينة من العمالة بسبب الكساد الذي لحق بالصناعات التي كانوا يعملون بها وظهور طلب على نوعيات معينة من المهارات التي تلزم لإنتاج سلع معينة لصناعات تزدهر. فهنا تحدث البطالة بسبب تغيرات هيكلية طرأت على الطلب. وفي هذه الحالة يصعب على العمال المتعطلين أن يجدوا بسهولة فرصة للعمل لأن مستويات الخبرة و المهارة المطلوبة للوظائف الشاغرة المتاحة غير متوفرة لديهم. وفي الوقت نفسه، يصعب على رجال الأعمال أن يحصلوا على حاجاتهم من العمالة المطلوبة بسبب نقص عرض هذا النوع من العمالة. أي أننا هنا نواجه حالة فائض عرض في سوق عمل ما وفائض طلب (نقص عرض) في سوق عمل آخر. ويظل هذا الاختلال قائماً إلى أن تتوافق قوى العرض مع قوى الطلب من جديد"¹.

وتجدر الإشارة إلى أن الدول التي تتمتع بجهاز تكويني متطور يتماشى مع التغيرات التي تحدث في سوق العمل، بإمكانها مواجهة هذا النوع من البطالة والتقليل من فترة التعطل، فبمجرد أن يجد المتعطل نفسه غير مؤهل لصناعة ما يلجأ مباشرة إلى إحدى مراكز التكوين المهني والقيام بدورة تدريبية مكثفة واكتساب المهارات التي تسمح له بالاندماج من جديد في عمل ما.

أ-2 البطالة الاحتكاكية frictional unemployment: وهي الحالة التي تمثل عدد من الأفراد القادرين على العمل والباحثين عنه، لكن لا يستطيعون الوصول إلى الوظائف التي يريدونها بالرغم من أنها متوفرة في سوق العمل وعند الأجر الذي يتفق عليه طالبو العمل وعارضوه، و"تنشأ بسبب الحركة المستمرة للأفراد، والانتقال بين المناطق ومن عمل إلى آخر، فحتى لو كان التوظيف في اقتصاد ما كاملاً، فلا بد من حدوث تحولات في سوق العمل تؤدي إلى ظهور مثل هذا النوع من البطالة"². و"تتميز البطالة الاحتكاكية بتواجدها في الاقتصاديات كافة أياً كان مستوى نموها ومهما اختلفت طبيعتها، وذلك لأن سوق العمل يتميز بطبيعته الحركية

1 - رمزي زكي، نفس المرجع السابق، ص31.

2 - بول سامويلسون، ويليام نورد هاوس، ترجمة هشام عبد الله، الاقتصاد، الأهلية، عمان، 2001، ص597.

كما أن تدفق المعلومات لا يتم بالصورة المثلى ولأن بحث العمال عن الوظائف وبحث أصحاب الأعمال عن العمال عادة ما يأخذ وقتاً¹.

لذا فإن كثير من الاقتصاديين يعتقدون بأن البطالة الاحتكاكية وإن كانت تنشأ بسبب تنقلات الأفراد بين المهن والمناطق المختلفة، فإن السبب الرئيسي لها هو نقص المعلومات، وبالتالي، فإن إنشاء بنك قومي أو مركز للمعلومات الخاصة بفرص التوظيف من شأنه أن يقلل من مدة البحث عن العمل، ويتيح للأفراد الباحثين عن العمل فرصة الاختيار بين الإمكانيات المتاحة بسرعة وكفاءة أكثر. ويرى عدد آخر من الباحثين أن البطالة الاحتكاكية تقل كلما ارتفعت نفقة البحث عن العمل، وهي النفقة التي تقاس بالدخل المفقود نتيجة للتعطيل وتكاليف الانتقال والمقابلات والنشر في الصحف. ويعتقد هؤلاء أن نظام إعانة البطالة يلعب دوراً مؤثراً في خفض كلفة البحث عن العمل، ومن ثم يسهم في زيادة حجم ومعدل البطالة الاحتكاكية. فهم يعتقدون أنه مع وجود هذه الإعانة التي غالباً ما تكون معفاة من ضرائب الدخل يميل العاطل إلى بذل وقت أطول في البحث عن العمل ومن ثم يتزايد عدد من يعتبرون داخل دائرة البطالة الاحتكاكية. ولهذا ينادي هؤلاء بأن فرض ضرائب الدخل على إعانة البطالة وتقليل المدة الزمنية التي تعطى فيها هذه الإعانة من شأنهما أن يقللا من هذا النوع من البطالة².

وتجدر الإشارة إلى أنه قد يحدث و أن تظهر بعض التداخلات بين البطالة الهيكلية والبطالة الاحتكاكية، غير أن أهم ما يميز الأولى عن الثانية أنها أطول زمناً، كما أن الحصول على وظيفة جديدة عادة ما يتطلب إعادة تدريب لاكتساب مهارات جديدة، في حين أن البطالة الاحتكاكية أقل زمناً ولا يحتاج فيها المتعطل لاكتساب مهارات جديدة.

أ-3 البطالة الدورية Cyclical unemployment : هي ذلك النوع من التعطل الذي يتعرض له العمال في البلدان الرأسمالية المتقدمة في فترات متعاقبة، غير منتظمة، نتيجة انخفاض الطلب الكلي الفعال على المنتجات المختلفة فتتكسد بذلك السلع في المخازن والمستودعات، ويضطر بعدها رجال الأعمال إلى توقيف العملية الإنتاجية جزئياً أو كلياً، ريثما ينتعش السوق مجدداً، ففي هذه الفترة، التي قد تقصر أو تطول تبعاً لمدى شدتها ومدى فعالية السياسات المرصودة لمعالجتها، يظهر ما يسمى بالبطالة الدورية. "والبطالة الدورية في تعريف الأمم المتحدة هي نتيجة من نتائج فشل الطلب الاقتصادي بسبب التغيرات في مستويات النشاط خلال فترة معينة"³، وتعتبر هذه البطالة إجبارية مرتبطة بتقلبات النشاط الاقتصادي أو ما يسمى دورة الأعمال الاقتصادية، و"تتكون هذه الدورة من مرحلتين ومن نقطتين تحول، و المرحلة الأولى هي مرحلة الرواج أو التوسع، يتجه فيها

1 - نعمة الله نجيب إبراهيم، نظرية اقتصاد العمل و الدار الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص 167، 168.

2 - رمزي زكي، مرجع سابق، ص 30.

2 - خالد الزاوي، البطالة في الوطن العربي المشكلة والحل، مجموعة النيل العربية، القاهرة، مصر، ط.1، 2004، ص 19.

حجم الدخل والنتاج والتوظيف نحو التزايد ، إلى أن يصل التوسع منتهاه بالوصول إلى نقطة الذروة أو قمة الرواج، وعندها تحدث الأزمة (وهي نقطة تحول) وبعدها يتجه حجم النشاط الاقتصادي بجميع مكوناته الدخل والنتاج والتوظيف نحو الهبوط الدوري ،ليدخل الاقتصاد القومي مرحلة الانكماش إلى أن يبلغ الهبوط منتهاه بالوصول إلى نقطة قاع الانكماش، وبعدها مباشرة يبدأ الانتعاش (وهي نقطة تحول) يتجه بعدها حجم النشاط الاقتصادي نحو التوسع مرة أخرى ..وهكذا.¹

وعلى الرغم من أن الدورة الاقتصادية مرتبطة بالنشاط الاقتصادي غير المستقر للدول الرأسمالية المتقدمة، إلا أن الدول النامية غالبا ما تتأثر هي الأخرى، ولو بعد فترة ، نتيجة لتبعيتها الاقتصادية لهذه الدول.

"يتطلب علاج هذا النوع من البطالة اتباع سياسات اقتصادية توسعية تهدف إلى زيادة مستوى الطلب الكلي من خلال تشجيع زيادة كل من الاستثمار والصادرات والإنفاق الحكومي وأو إنقاص كل من الواردات والضرائب ، غير أن هذا لا يتلاءم مع ظروف الدول النامية ، نظرا لعدم مرونة الجهاز الإنتاجي في مواجهة الزيادة في الطلب الكلي، مما ينعكس بدوره على ارتفاع المستوى العام للأسعار دون تحقيق زيادات محسوسة في كل من الإنتاج والعمالة، ذلك أن المشكلة في الدول النامية تنصب في جانب العرض، حيث أن سبب نقص الطلب الكلي هو انخفاض الدخل بسبب انخفاض مستويات الإنتاج ، ومن ثم يتطلب العلاج التأثير في جانب العرض الكلي من خلال زيادة الإنتاج واستغلال الموارد المتعطلة ، وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة الدخل ومن ثم زيادة الطلب الكلي"².

4- البطالة الموسمية Seasonal unemployment : "يحدث هذا النوع من البطالة في مواسم معينة وذلك لطبيعة بعض العمليات الإنتاجية التي تخضع لتقلبات موسمية حيث يحدث انخفاض وتراخي في النشاط الاقتصادي خلال مواسم معينة يترتب عليها الاستغناء عن بعض العمال ، وعندما تحدث زيادة في مستوى النشاط الاقتصادي في موسم آخر يؤدي إلى زيادة الطلب على العمال واختفاء البطالة الموسمية، ويتمثل هذا النوع من البطالة في البطالة التي تظهر بين عمال المصايف في فصل الشتاء، أو العكس، والبطالة التي تظهر بين العمال الزراعيين في الفترة ما بين الزرع والحصاد"³، و"يمكن الحد من هذه البطالة عن طريق إيجاد أعمال معينة يمكن للأفراد ممارستها ، مثل اشتغال المزارعين بالأعمال العامة المتعلقة بالبنية الأساسية، مثل شق الترع وتطهير المصارف وتعبيد الطرق، في فترات نقص الطلب على العمل في النشاط الزراعي ، هذا فضلا عن تنويع المنتج الزراعي بدرجة أكبر مع التوسع في الاستثمار في الصناعات المرتبطة بالزراعة في تلك المناطق"⁴

1 - رمزي زكي، مرجع سبق ذكره، ص26.

2 - علي عبد الوهاب نجا، مرجع سبق ذكره، ص 28.

3 - إيمان عطية ناصف، مبادئ الاقتصاد الكلي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2008، ص252.

4 - علي عبد الوهاب نجا، مرجع سبق ذكره، ص30.

ب - البطالة الاختيارية¹ Voluntary Unemployment :

البطالة الاختيارية هي حالة يتعطل فيها العامل بمحض اختياره وإرادته ، حينما يقدم استقالته عن العمل الذي كان يعمل به ، إما لعزوفه عن العمل وتفضيله لوقت الفراغ (مع وجود مصدر آخر للدخل والإعاشة) ، أو لأنه يبحث عن عمل أفضل يوفر له أجرا أعلى وظروف عمل أحسن . فقرار التعطل هنا اختياري لم يجبره عليه صاحب العمل. وبالتالي تحدث وتظهر البطالة الاختيارية عندما يقرر الأفراد عدم العمل عند الأجر السائد مفضلين الراحة أو انتظار فرص عمل أفضل رغم توفر الوظائف².

2- البطالة المقنعة Hidden Unemployment

"يقصد بها تكس عدد كبير من العمال بشكل يفوق الحاجة الفعلية للعمل، مما يعني وجود عمالة زائدة أو فائضة لا تنتج شيئا، ولكنها تتقاضى أجرا وإذا سحبت من مكان عملها فإن حجم الإنتاج لا ينخفض"³، أو هي الحالة التي يكون فيها عدد العاملين أكبر من اللازم لتحقيق مستوى الإنتاج الحالي يبحث تكون الإنتاجية الحدية لبعض العاملين صفرا أو قريبة من الصفر⁴ ومنه يمكن القول بأنها تعطل غير ملموس وغير قابل للقياس الكمي، كما هو في الأنواع الأخرى، غير أن لها مؤشرات أهمها : انخفاض الناتج الحدي للعمل إلى الصفر أو حتى دون الصفر، وتدهور مرونة الإنتاج إلى العمل لتصبح صفرا أو سالبة ويتجاوز حجم العمل حجم رأس المال بأضعاف.

ويشيع هذا النوع من البطالة في الدول النامية وفي مختلف القطاعات والأقاليم والمؤسسات وخاصة في :⁵

✓ الزراعة عندما يسود المجتمع الريفي الاقتصاد المعيشي الكفاف والاستهلاك الذاتي والعائلي للمحصول، ويرتفع معدل نمو السكان ويتناقص الوقت المخصص للعمل الإنتاجي، وخاصة عندما يعاني النشاط الزراعي من انخفاض خصوبة الأرض ، وضآلة الماكينات الحديثة وتقليدية الأساليب المتبعة.

✓ خدمات الإدارة الحكومية ، حيث أن السلطات التنفيذية تعمل على استيعاب أكبر عدد من خريجي المدارس والجامعات وذلك بغض النظر عن مؤهلاتهم الحقيقية ومدى تناسبها مع الوظائف المعروضة. ومما يوسع من نطاق البطالة المقنعة ضمن الإدارة الحكومية هو التنظيم غير الرسمي الذي يعتمد سلوكيات غير حضارية وغير موضوعية في قرارات الاختبار والتطوير والتنسيب الوظيفي مثل التوسط والمحسوبية والمنسوبية، وإحلال مبدأ الولاءات محل الكفاءات الوظيفية ، وبالتالي تتكرر حالات عدم التوافق التام بين المؤهلات الشخصية والمواصفات الوظيفية بالإضافة إلى تكالب الكثير من منتسبي الدوائر الحكومية وحتى المؤسسات الأكاديمية على المراكز العليا وبمختلف

¹ - رمزي زكي، مرجع سبق ذكره، ص 32.

² - david romer ; Advanced macroeconomics ; 5th ed,(new York Mcgraw-hill education,2021)chapitre2,pp45-47

³ - جلال مراد، البطالة والسياسات الاقتصادية، بحث منشور ضمن بحوث ندوة الثلاثاء الاقتصادية الخامسة والعشرين، دمشق، 2008/4/8، ص13.

⁴ - Olivier blanchard ; macroeconomics ; 7th ed , boston: person 2017 chapitre3 , pp 85

⁵ - هوشيار معروف، تحليل الاقتصاد الكلي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2005، ص 213، 214.

الأساليب أو الوسائل غير المشروعة. وهكذا تكون الإنتاجية الحقيقية دون معدل الأجر ونظرا لتأثير التشوهات الهيكلية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية في البلدان النامية على نشوء واستمرار البطالة المقنعة فإن هذه الظاهرة قد تستمر لفترة طويلة إلى أن تحدث تحولات جذرية في الاقتصاد والمجتمع وإدارة الدولة.

المطلب الثاني : الآثار السلبية لمشكلة البطالة

تنوع وتتعدد الآثار السلبية للبطالة تبعا للبيئة التي تظهر فيها، حيث يقل تأثيرها عندما يتم اتخاذ إجراءات وقائية، وهذا الموجود غالبا في الدول المتقدمة والمفتقد في الدول المتخلفة، ويمكن إبراز أهم آثار البطالة على المجتمع فيما يلي:

أولا- البطالة وأثرها في الاضطرابات النفسية:

يساهم العمل الإنتاجي مساهمة كبيرة في الحفاظ على التوازن النفسي للأفراد ويجنبهم الكثير من الضغوطات النفسية التي قد يتعرضون لها في حالة عدم ممارستهم لأي نشاط، ومن أهم الوظائف التي يمكن أن يلعبها العمل في حياة الفرد ما يلي:

- العمل يزود بالمدخولات ووسائل الاستهلاك وهو يندرج في التبادل الاقتصادي .
- ينظم الوقت وأوقات الحياة اليومية .
- ينمي فرصة النشاطات المنتظمة الاعتيادية ذات الطابع التكراري.
- ينمي فرصة التفاعلات الاجتماعية ويمنح إمكانيات توسيع حقل التجارب العلائقية .
- يشرك في أفعال جماعية ويسمح بالمساهمة الفردية بمنح الإحساس بالأهمية للمجتمع بالسمو عن الانشغالات الفردية .
- يسمح بإظهار وتطوير القدرات والإمكانيات و المهارات ذات الطابع الإبداعي والكفاءة.
- يغذي الإحساس بالهوية وتقدير الذات .

ومنه فقد "تؤدي العوامل النفسية التي تصاحب البطالة، خاصة إذا طال أمدها، إلى آثار سلبية على تكوين شخصية المتعطل وسلوكه النفسي، ذلك أن البطالة قد تؤدي إلى تغذية وتقوية شعور الإحباط والفشل لدى المتعطل وشعور عدائي نحو الآخرين، قد تقود نحو الانتحار"¹. ومن أهم الأمراض النفسية التي تصيب الفرد البطال ما يسمى في علم النفس بالاغتراب، والاغتراب وإن كان يستخدم بأكثر من معنى إلا أنه في الوضع الخاص للدراسة يعني²

1 - عمر حسن الشيخ، مرجع سبق ذكره، ص48

2 - أحمد حويطي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 141

- نقص وضعف القوة الاجتماعية، بمعنى شعور الشخص بالعجز وإحساسه بأن مقدراته في مجملها ليست ملكا له، وإنما تتحكم فيها وتسيرها كائنات أخرى خارجة عن ذاته، غير مقدره له وغير منصفة.
- العزلة النفسية الاجتماعية بمعنى انفصال الشخص عن مجتمعه وتراثه والعيش في شبه عزلة لأنه يرى المعايير المتفق عليها اجتماعيا (نظريا) تتهاوى، فهي في جانب وما يحدث على أرض الواقع في جانب آخر، وهنا يصبح الشخص يعاني من الانفصام الاجتماعي.

وعلى وجه العموم، " فإنه نتيجة لكل هذه المظاهر الاغترابية تبرز كثير من المشكلات ويأتي في مقدمتها سوء التكيف، والتعرض للأمراض النفسية والنفسجسمية، والأمراض النفسية الاجتماعية، كفقد الحس المجتمعي، واهتزاز الهوية وضعف الانتماء الوطني والإصابة بأمراض التبدل والسلبية و اللامبالاة، وغيرها من الأمراض الاجتماعية والنفسية المدمرة والتي قد تقود بدورها إلى مشكلات أكبر منها متمثلة في الانحرافات بشتى اتجاهاتها ومختلف صورها"¹.

ثانيا- الآثار الاقتصادية للبطالة :

- تكون البطالة في بداية ظهورها نتيجة لمشكلات اقتصادية أخرى، فهي عندما تظهر في أي اقتصاد تكون بمثابة مؤشر قوي على أن هذا الاقتصاد يعاني من اختلالات هيكلية بين مختلف مكوناته الأساسية، غير أنه إذا تفاقم حجمها أكثر فأكثر تصبح سببا في ظهور مشاكل اقتصادية أخرى، وفيما يلي أهم الآثار الاقتصادية للبطالة:
- فقدان الاقتصاد لكمية كبيرة من السلع والخدمات التي كان من الممكن إنتاجها بواسطة العمال المتعطلين، ويعني ذلك أن الاقتصاد لا يعمل على حدود إمكانياته الإنتاجية، مما يعني انخفاض الناتج القومي الفعلي عن الناتج القومي المحتمل.² كما أن "انخفاض مستوى المعيشة وانعدام الأمن الاقتصادي والشعور بافتقار هذا الأمن بالنسبة لمن يعملون لبعض الوقت أو في أعمال مؤقتة، وما يرافق ذلك من خفض في مستويات الأجور الحقيقية، كثيرا ما يلجأ العمال والطبقة الوسطى إلى الإضرابات والاعتصامات و المظاهرات التي قد تشمل الحياة في بعض القطاعات أو الأنشطة وما ينجم عنها من فقدان أيام عمل تؤثر سلبا في مستويات الناتج والدخل"³.
 - فقدان المتعطلين لمصادر دخل ثابتة وبالتالي "فإن مقدرتهم على الإنفاق تكون متدنية أو معدومة، وبالتالي فإن حجم الإنفاق الكلي في الاقتصاد سينخفض مما يؤدي إلى انخفاض مستوى الطلب الكلي، وهذا ما يساهم في ظهور آثار انكماشية في الاقتصاد، لأن الطلب هو الذي يحفز الإنتاج، فانخفاض الطلب يؤدي إلى انخفاض الإنتاج وهذا ما يؤدي إلى تفاقم البطالة"⁴، ومن الممكن أن يدخل بعدها الاقتصاد في حالة الركود التام .

1 - أحمد حويطي وآخرون، نفس المرجع السابق، ص 142.

2 إيمان عطية ناصف، مبادئ الاقتصاد الكلي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2008، ص 254.

3 - رمزي زكي، مرجع سبق ذكره، ص 418.

4 - حسام داود وآخرون، مبادئ الاقتصاد الكلي، دار المسيرة، عمان، 2005، ص 260.

- تؤدي البطالة إلى فقدان العاطلين عن العمل لمهارتهم بسبب طول فترات الانتظار، وبالتالي يفقدون جزءا كبيرا من مستواهم المهني. فمن المعروف أن المهارة والخبرة تحفظ بالاستخدام وتنمو مع الزمن بعد ذلك وخصوصا كلما تعرض العمال لمواجهة فنون إنتاجية أحدث خلال عملهم.
- تؤدي البطالة إلى تفاقم ظاهرة الاقتصاد الموازي أو الخفي، حيث أن ظهور عدد كبير من المتعطلين الباحثين عن العمل والذي لا يجدونه في القطاعات الرسمية للاقتصاد، يلجؤون عندها إلى النشاطات غير القانونية حيث يكونون محل ابتزاز من أصحاب هذه النشاطات وهذا بأن يشتغلوا في ظروف صعبة وبأجر زهيد، مع عدم حصولهم على التأمين الاجتماعي ولا على التقاعد، أضف إلى ذلك أن انتشار هذا النوع من الاقتصاد يضيع مبالغ ضخمة على خزينة الدولة ويكون عامل ضغط على تقليص القطاع الرسمي لكونه في موقع تنافسي أحسن.
- غالبا ما تضطر الدول "إلى تخصيص جزء من مواردها للإنفاق على الاحتياجات الأساسية للمتعطلين، فالحكومات تجد نفسها مواجهة بمشكلة اجتماعية وسياسية خطيرة كلما وجد متعطلون فقدوا مصادر دخلهم، ولهم ولعائلاتهم احتياجات أساسية، وهنا لا بد من توفير الإعانات الضرورية عن طريق الميزانية العامة. إن مبالغ هذه الإعانات كان من الممكن في غير ظروف البطالة أن تذهب في إنشاء بعض الهياكل القاعدية كالطرق، وبناء المستشفيات والجامعات وغيرها من المرافق العامة"¹، والمشكلة تزداد خطرا إذا كان تمويل هذه النفقات عن طريق الإصدارات النقدية التي تحدث آثارا تضخمية شديدة على الاقتصاد.

ثالثا - الآثار الاجتماعية للبطالة:

تعد البطالة من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر بشكل مباشر على الأفراد والمجتمع فهي لاتمس فقط الوضع المالي للفرد بل تمتد آثارها لتشمل العلاقات الأسرية والاجتماعية ومستوى التفاعل مع المجتمع، دراسة هذه الآثار تساعد على فهم كيف يمكن للبطالة أن تغير أنماط الحياة والسلوكيات الاجتماعية وما يترتب عليها من تحديات للمجتمع بأسره، وفيما يلي أهم هذه التأثيرات:

1- البطالة والتفكك الاجتماعي: ينتج عن البطالة إذا تفشت في مجتمع ما اختلالات بنيوية في مكوناته، فعندما يتعرض عدد كبير من الشبان إلى التعطل ويفقدون عندها مصدرا ثابتا للدخل يؤخرون مسألة الزواج إلى سن متأخرة أو إلى حين تحسن ظروفهم المادية، وقد يعزفون عنه نهائيا، وهذا ما يسبب في ارتفاع نسبة العنوسة داخل المجتمع للجنسين وهي عند الإناث أكبر، وهذا يؤدي إلى تأخر تكوين الأسر التي تمثل الخلية الأساسية في أي مجتمع، والمشكلة تكون أخطر عندما تتشكل هذه الأسرة ويتعرض المسؤول عنها إلى التعطل، فاحتمال تعرضها للتفكك من جديد كبير، وهذا راجع لصعوبة توفير الاحتياجات الضرورية لهذه العائلة، والذي غالبا ما ينجم عنه توترات في العلاقة الزوجية قد تنتهي بالطلاق الذي يحرم الأبناء من فرصة العيش داخل أسرة مستقرة، ويكونون عندها أكثر

¹ - عبد الرحمن يسرى أحمد، النظرية الاقتصادية الكلية والجزئية، الإسكندرية، مصر، 2004، ص 247.

تعرضا لخطر الانحراف. كذلك " عند تفشي البطالة في مجتمع ما فإن كثير من العلاقات الاجتماعية بين الأفراد تكون معرضة للزوال والاضمحلال وبالأخص تلك العلاقات التي تنشأ عن طريق العمل أو تلك التي تكون قائمة على وجود دخل ثابت"¹.

2 - البطالة وأثرها في زيادة الجريمة : إن غياب دخل ثابت للفرد المتعطل وتعرضه باستمرار للفراغ يؤدي به إلى التفكير في الكيفية التي عن طريقها يملأ هذا الفراغ، فإذا لم يجدها في الطرق السليمة والصحيحة فإنه ينجح إلى عالم الإجرام الاجتماعي المتمثل في العنف، السرقة، جرائم الآداب العامة، الإرهاب،... إلخ. وعندما يكثُر عدد هؤلاء المجرمين في أي بلد، وتلتقي مصالحهم مع بعضهم البعض تبدأ تشكل العصابات الإجرامية وفرق المافيا، وعندها يتم الانتقال من الجريمة الفردية إلى الجريمة الجماعية، ومن الجريمة العفوية إلى الجريمة المنظمة مما يكسبها القوة أكثر في مواجهة وتحدي القوى الردعية، فتتجذر مع مرور الوقت في المجتمع وتهدد تماسكه.

3- البطالة و مشكلة انتشار تعاطي المخدرات: مما لا شك فيه أن التأثيرات التي تحدثها البطالة في نفسية الأفراد، وعدم قدرتهم على مواجهتها، تؤدي بهم للهروب إلى عالم الخيال والنسيان، وهذا باللجوء إلى التعاطي ومن ثم الإدمان على مختلف أنواع المخدرات، وتعد هذه الأخيرة أخطر مرض اجتماعي يهدد الدول، هذا بالإضافة إلى أن انتشارها " يجعل السلطة العامة في وضع رقابي مختلف عن الجرائم الأخرى، فتزيد من القوى العاملة البشرية للرقابة وزيادة عدد المراقبين في السجون وزيادة عدد الوظائف القضائية والعاملين في المؤسسات الصحية لعلاج المدمنين وكل هذه الإجراءات تتطلب الكثير من الأموال ولولا هذا الانتشار لأمكن توجيه هذه الموارد المالية والبشرية إلى القطاعات الإنتاجية"².

4- البطالة وانتشار اللامبالاة بالتعليم : تساهم البطالة، وبالأخص منها بطالة المتعلمين إلى عدم اهتمام الأجيال اللاحقة بشكل جدي بالتحصيل العلمي، وهذا لما يستقر في أذهانهم، من ملاحظتهم للأجيال السابقة، من انعدام فرصة حصولهم على عمل بواسطة هذا التعليم، الذي هو بمنظورهم ضياع للوقت والمال، ويزداد شيوع هذا التفكير الخاطيء في المجتمع في حالة ما إذا كان الوضع الاقتصادي لغير المتعلمين نسبيا أحسن من المتعلمين، فتنتشر عندها الرداءة في هذا المجتمع على مستوى جميع المجالات، ويتم الانتقال مع مرور الوقت من السيء إلى الأسوأ.

5- البطالة والهجرة: كثيرا ما يكون انتشار البطالة في مجتمع ما عاملا مهما في تزايد ظاهرة الهجرة، لكونها أحد أهم عوامل الطرد (الدفع) التي تجبر الأفراد على الانتقال إلى الأماكن التي تتوفر على عوامل الجذب والتي أهمها وجود فرص عمل، والهجرة في علم الاجتماع هي " انتقال السكان بصورة دائمة أو مؤقتة إلى الأماكن التي تتوفر فيها سبل الكسب والعيش، وقد تكون تلك الأماكن داخل حدود بلد أو خارج حدود هذا البلد، وتتم هذه العملية إجمالا

¹ - Jacques Freyssinet, le chômage, edition la decouverte, paris,1984, p53.

² - سيد شوربجي عبد المولى, تأثير الجريمة على خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية, دار النشر, الرياض, 1994, ص100.

بإرادة الفرد أو الجماعة أو بغير إرادتهم¹، و " الهجرة ليست مجرد انتقال فيزيقي فحسب ولكنها تعني بالإضافة إلى ذلك الانفصال عن جميع الروابط الاجتماعية من ناحية، ثم توزيع العلاقات الاجتماعية للأفراد من ناحية أخرى². وقد تكون الهجرة في المجتمع الذي تكثر فيه البطالة " كصمام الأمان الذي يمنع الوضع من الانفجار، فهي - كحركة عبر الحدود بهدف الإقامة الدائمة لمدة لا تقل عن سنة للعمل - تخفف الضغط عن مناطق الضغط العمالي المرتفع وتتحول به إلى مناطق الضغط العمالي المنخفض لتضع في النهاية توازنا اقتصاديا مأمولا، ولكنه يكون غير ذلك اجتماعيا حيث تنتج عنه مشكلات أخرى كثيرة ومتداخلة لتزيد الوضع تعقيدا على تعقيدته³. وفيما يلي أهم المشكلات التي من الممكن أن تنجم عن الهجرة:

- تغير التركيب العمري والنوعي للسكان وهذا مرده إلى أن المهاجرين " ليسوا عينة عشوائية من السكان في مكان الأصل، لأن الأشخاص الذين ينفذون عملية الهجرة هم من الشباب والذكور منهم على وجه الخصوص، وتسمى هذه الظاهرة بالانتقاء الهجري، أي اختيار المهاجرين وأعمارهم ونوعياتهم، وبالتالي فإن حركة الهجرة لهذه الفئة العمرية تؤدي إلى تغيير في التركيب العمري للسكان في المجتمع المهاجر منه والمجتمع المهاجر إليه، وكذلك الحال في التركيب النوعي وهذا بالتالي سينعكس ولا شك على الأهرام النوعية والعمرية للسكان في كلا المجتمعين، ويؤدي هذا إلى اضطراب وتغير معدلات الخصوبة والوفاة والزواج في كلا المنطقتين⁴، وفي الغالب ما يؤدي هذا التغير إلى ظهور مشاكل اجتماعية في البلد المهاجر منه كتأخر سن الزواج وازدياد نسبة العنوسة.
- ضعف الهوية الوطنية وفقد الطابع الثقافي الوطني نتيجة التأثير بطبائع ثقافات أخرى - خاصة إذا كانت مخالفة للثقافة الأصلية، وهذا لا يحدث للمهاجرين فقط وإنما يتأثر بها ذوهم حينما تنتقل إليهم من خلال الزيارات التي يقوم بها المهاجرون أو عند عودتهم النهائية إلى أوطانهم⁵.
- يتعرض المهاجرون في حالة الهجرة غير الشرعية إلى الكثير من الأخطار نتيجة استعمالهم وسائل هجرة غير آمنة قد تؤدي بهم إلى الموت، أضف إلى ذلك تعرضهم إلى معيشة سيئة في البلد المهاجر إليه نتيجة الابتزاز الذي يتعرضون إليه هناك واضطرابهم للعمل بأجر زهيد، ويزداد هذا الوضع سوءا في البيئات العنصرية.
- غالبا ما تؤدي الهجرة من الريف إلى المدن " إلى اتساع المدينة غير الملائم وازدحامها على حساب المناطق الخضراء، كما أن فقر الأحياء التي يقطنها المهاجرون، وافتقارها إلى الخدمات الأساسية يؤدي إلى إمكانية ارتفاع التلوث البيئي، هذا ولما كان المهاجرون الجدد من الريف يتميزون عن غيرهم من سكان المدن بانخفاض المستوى

1 - عبد القادر القصير، الهجرة من الريف إلى المدن، دار النهضة العربية، بيروت، 1992، ص 105.

2 - حسين عبد الحميد رشوان، السكان من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، ط 2، 2006، ص 30.

3 - أحمد حويطي وآخرون، البطالة وعلاقتها بالجريمة والانحراف في الوطن العربي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1998، ص 143.

4 - عبد الرحيم بوادقجي، محمد خالد الحريري، مرجع سبق ذكره، ص 151.

5 - أحمد حويطي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 145.

الصحي والثقافي وتختلف العادات الاجتماعية نسبيا وارتفاع معدل الأمية، فإن هذا الوضع يؤثر على التطور العام للمدينة فيعيق تطورها"¹.

- أما الجانب الأخطر من الهجرة فهو ما يعرف بهجرة الأدمغة، "لأن هذا النوع من الهجرة ليس انتقال أفراد من الناس وإنما هي انتقال مهارات فنية وخبرات إدارية وقدرات جسمانية وذهنية وجزء من رأس المال البشري في صور متعددة وأشكال مختلفة"²، وهذا ما يؤدي إلى خسارة المجتمع ما أنفق على تنشئة وتربية وتعليم وتدريب هؤلاء من مال ووقت وجهد وإضافة كل ذلك إلى المجتمع المتنقل إليه، كذلك مع مرور الزمن تضعف القدرة القيادية والتنظيمية والإدارية للمجتمع، وهذا كله معناه حرمان المجتمع من استثمار جهد هؤلاء المهاجرين ونشاطهم وقدرتهم على البناء، وما قد يكون لهذا من تعطيل لقدرات التنمية والتطوير.

وتجدر الإشارة إلى أنه قد تصبح الهجرة في الأجل الطويل ذات أثر إيجابي للدولة المهاجر منها، في حالة إذا ما ساهمت في انتقال رؤوس الأموال من المهجر إلى الوطن الأم من خلال حرص المهاجرين على توفير أو استثمار مدخراتهم في مجتمعاتهم الأصلية في صور شتى كامتلاك الأراضي الزراعية أو العقارات أو إقامة مشروعات أعمال يديرها ذووهم في الموطن الأصلي.

د- الآثار السياسية للبطالة:

عندما تتفاقم المشاكل النفسية والاقتصادية والاجتماعية سألغة الذكر، والتي من أهم أسبابها انتشار البطالة، داخل أي دولة فإن ذلك كله يكون بمثابة تهديد للأمن السياسي لهذه الدولة، وهذا راجع لظهور عوامل تكون سببا في نشوء النزاعات والصراعات بين مختلف المكونات السياسية، حيث يبدأ هذا النزاع في الأول على المستوى الفكري والأيدولوجي الذي يتبناه كل طرف والذي حسب رأيه هو السبيل الوحيد والأمثل لتخليص المجتمع من المشاكل التي يعاني منها، وبعدها ينتقل ذلك الصراع إلى دوايب السياسة عندما تتشكل الأحزاب السياسية التي يتبنى فيها كل حزب فكرا أيدولوجيا معيناً، وبعدها يعمل كل فريق على حشد أكبر قدر من الأنصار قصد كسب الدعم الجماهيري للضغط على الأطراف الأخرى، وقد تتجاوز الأمور الخطوط الحمراء، وينتقل الصراع بعدها إلى صراع مسلح، حين يصعب إيجاد وفرض التيار القوي الذي بإمكانه تنفيذ الإصلاحات، لما يبيده كل طرف من صلابة في التمسك بأحقيقته وجدارته بالتغيير دون غيره، وحتى إن وجد هذا التيار ووصل إلى مقاليد السياسة فإنه من الصعب عليه القيام بتلك الإصلاحات في المدة التي تجنب البلاد الأمور الأخطر. والملفت للانتباه أنه في مثل هذه الظروف الصعبة تزداد قوة وشعبية التيارات الفكرية المتطرفة التي تدعوا إلى التغيير وإلى الانقلاب على كل ما هو موجود بإيجابياته وسلبياته، وتستعمل لذلك الشعارات والهتافات المذهبية، الفارغة من شيء ملموس، لتأجيج الروح الثورية للمواطنين، والتي غالبا ما تستجيب لها نسبة كبيرة من هؤلاء الأفراد الذين معظمهم يعانون من البطالة، لكونهم يبحثون عن التغيير بأي

1 - عبد الرحيم بوادقجي، محمد خالد الحريري، مرجع سبق ذكره، ص152.

2 - عطوف محمود ياسين، نزيه الأدمغة، هجرة العقول العربية إلى الدول التكنولوجية، دار الأندلس، بيروت، 1984، ص99.

وسيلة كانت وعلى يد أي كان، ويستمر هذا الانهيار الأمني والانفلات السياسي بالتدهور إلى أن يتم فرض طرف ما بأي طريقة كانت لشيء من الإصلاحات والتي تسمح بعودة الاستقرار نسبيا للمجتمع.

المطلب الثالث : البطالة وتفسيراتها المختلفة في المدارس الاقتصادية

حتى يتم فهم البطالة بشكل واضح، ورؤيتها من نوافذ متعددة فإنه لا بد من معرفة المسار التاريخي الذي سلكته في التحليل الاقتصادي عند بعض المدارس الاقتصادية الشهيرة التي حاولت تحليل وتفسير الظاهرة حسب المبادئ الأساسية التي قامت عليها، وسيتم التركيز بشكل رئيسي على البطالة الإجبارية، أي البطالة التي تشمل المتعطلين الذين يبحثون عن عمل عند أي مستوى من الأجر، ولكنهم لا يجدونه، وهي التي أخذت حيزا كبيرا من الاهتمام عند المفكرين الاقتصاديين. وسيتم تقسيم هذه النظريات إلى فئتين: الفئة الأولى التي ظهرت قبل أزمة الكساد العالمي، والفئة الثانية التي ظهرت بعده، بالإضافة إلى بعض نظريات المدارس الحديثة، ومع كل نظرية سيتم تناولها سيتم الإشارة إلى أهم الأسس و المرتكزات الفكرية الاقتصادية التي تبنتها المدرسة، والتي من خلالها تم تفسير البطالة على ذلك النحو.

أولا- البطالة من وجهة نظر الفكر الاقتصادي لما قبل أزمة الكساد

1- تفسير البطالة حسب المدرسة الكلاسيكية Classical Economics:

يمثل مصطلح المدرسة الكلاسيكية مجموع المفكرين الاقتصاديين الذين بدؤوا يدرسون ويحللون الظواهر الاقتصادية تحليلا مستقلا بذاته عن الجانب الفلسفي، وهو ما عرف بعد ذلك بعلم الاقتصاد السياسي، أما الفترة التي برز فيها هذا التيار فهي الفترة المصاحبة لبداية ظهور الثورة الصناعية " والتي فيها برز الاهتمام بمشكلي الثروة والقيمة مع انتقال مركز البحث من مجال التداول إلى مجال الإنتاج"¹، وهو ما ظهر بشكل واضح في جل المؤلفات الاقتصادية بعد ما نشر آدم سميث (1723-1790) كتابه الشهير " بحث في طبيعة وأسباب ثروة الأمم " (1776)، ومن أبرز مفكري هذه المدرسة بالإضافة إلى آدم سميث، دافيد ريكاردو (1772-1823) صاحب كتاب " مبادئ الاقتصاد السياسي والضرائب " (1817)، روبرت مالتس (1777-1842) وكتابه " بحث في مبدأ السكان(1798)، جان باتست ساي (1767-1832) صاحب كتاب " بحث في الاقتصاد السياسي"(1803)، جون ستيوارت ميل(1806-1873) وكتابه الشهير " مبادئ الاقتصاد السياسي "(1848)². والملفت للانتباه أن الفكر الاقتصادي الكلاسيكي هو حاصل تجميع أفكار هؤلاء الاقتصاديين وآخرين مع بعضها البعض، حيث ساهم كل واحد في دراسة مجال معين من الاقتصاد وحله لبعض المشكلات الاقتصادية، فتبلورت بذلك الأفكار التي كونت ما يعرف الآن بالمدرسة الكلاسيكية .

1 - مُجَّد دويدار, مبادئ الاقتصاد السياسي, الجزء الأول (الأساسيات), منشورات الحلبي الحقوقية, بيروت, 2001, ص 214.

2 - مُجَّد دويدار, نفس المرجع السابق, ص 230-231.

وقبل أن يتم توضيح موقف الاقتصاد الكلاسيكي من مشكلة البطالة في النظام الرأسمالي، فإن منطق التحليل العلمي يقتضي عرض، ولو بشكل مختصر، الدعائم الفكرية لهذا الاقتصاد والتي اعتبرت كبداهيات لا تقبل النقاش، وهذا حتى يمكن الإمام بطبيعة الخيوط الفكرية التي ربطت بين نظرتهم إلى قضية البطالة ونظرتهم إلى سائر الأمور، حيث إن تفسيرهم للبطالة مشتق من تفسيرهم ونظرتهم للأمور الأخرى، وفيما يلي أهم الأسس والمركبات التي يبنى عليه الفكر الكلاسيكي:

- اعتقد الكلاسيك بوجود نظام طبيعي للأشياء تسير فيه الحياة الاقتصادية بموجب قوانين طبيعية منطقية، عقلانية، وأن اكتشاف هذا النظام الطبيعي العفوي للأشياء هو هدف علم الاقتصاد.¹ و"هذه القوانين ذات طابع صارم ومطلق، لا يستطيع الفرد أو الدولة أن يغيرها، أو أن يخرج عن منطق الإذعان لها، وفي حالة تجاهل هذه القوانين أو محاولة الخروج عنها، أو تغييرها، فإن الطبيعة تقف ضد ذلك. وما تلبث أن تولد من ذاتها قوى مضادة، تعيد تصحيح الأوضاع على النحو الذي يعيد سريان هذه القوانين"².
- آمن الكلاسيك بفكرة الحرية الاقتصادية المطلقة بوصفها دعامة أساسية للنشاط الاقتصادي، وإطارا ضروريا لتحقيق التقدم الاقتصادي. والحرية عندهم تشمل: حرية التجارة الداخلية والخارجية، حرية العمل، حرية التعاقد، وحرية مزاوله أي نشاط اقتصادي، فحرية التعاقد مثلا كانت تعني بالنسبة لهم، حرية الرأسمالي في استخدام العمال وأن يدفع لهم من الأجور ما يتماشى مع قوانين العرض والطلب في سوق العمل، دون أن يتقيد بما تفرضه عليه الحكومة أو نقابات العمال من مستويات للأجور.³
- افترض الكلاسيك أن المنافسة الكاملة والتي هي عكس الاحتكار هي الإطار الذي يتعين أن يسود في جهاز السوق، و"على هذا النحو نظر الكلاسيك إلى جهاز السوق القائم على المنافسة الكاملة على أنه الجهاز الساحر الذي ينظم نفسه بنفسه، وأنه في ضوء فاعلية هذا الجهاز يتم توزيع وتخصيص الموارد، وتحدد كميات الإنتاج وتتعين الأسعار والدخول بطريقة مثلى. وأن أي اضطراب يحدث في هذا النظام، فإن ثمة قوى طبيعية مضادة لا تلبث أن يفرزها هذا الجهاز بطريقة تلقائية لتعيد الأمور إلى نصابها الطبيعي"⁴.
- اعتمد الكلاسيك في تقييمهم للسلع على ما يعرف بالقيمة العمل، أي أن حجم العمل الأساسي المبذول في إنتاج هذه السلع هو أصلح المقاييس للتعبير عن القيمة الحقيقية للأشياء.
- يرى الكلاسيك أنه من الضروري أن يكون مستوى أجور العمال في الأجل الطويل عند حد الكفاف، وهو الحد الذي يسمح لهم فقط بتلبية الحاجات الأساسية من السلع الغذائية، وأن أي زيادة فوق هذا الحد ستؤدي إلى

1 - إسماعيل سفر، عارف دليبة، تاريخ الأفكار الاقتصادية، منشورات جامعة دمشق، ط11، 2001، ص133.

2 - رمزي زكي، مرجع سبق ذكره ص 166.

3 - رمزي زكي، نفس المرجع السابق ص168.

4 - رمزي زكي، نفس المرجع السابق، ص170

تحسين أوضاع معيشة العمال وهذا ما يجعلهم يتناسلون أكثر، فيحدث بذلك ارتفاع في عرض العمل، وهو ما يعمل على إعادة تخفيض الأجر من جديد. أما عند انخفاض الأجر عن مستوى الكفاف، فإن ذلك يؤدي إلى تفشي الأمراض بين العمال وتزداد وفياتهم، ومن ثم ينخفض عرض العمل ويزداد بعده الأجر، ويستقر في الأخير عند حد الكفاف.

- دافع الكلاسيك وبشدة عن مبدأ مصلحة الجزء لا تتعارض مع الكل، وأن الأفراد حينما يسعون إلى تعظيم مصالحهم الشخصية فإنهم يعظمون من حيث لا يشعرون مصلحة المجتمع الكلية.

- لقد آمن الكلاسيك (جميعهم ما عدا مالتهس) بأن العرض يوجد الطلب المساوي له، وهو ما يعرف بقانون ساي للأسواق، أو قانون المنافذ، " ولقد أشار هؤلاء الاقتصاديون إلى أنه بالرغم من احتمال زيادة عرض منتجات سلعة معينة عن الطلب عليها، إلا أنه من المستحيل أن توجد حالة عامة من زيادة العرض الكلي عن الطلب الكلي، ويرجع ذلك إلى أنهم افترضوا أن الهدف من كل نشاط اقتصادي هو الاستهلاك، ولكن الاستهلاك يعتمد على الدخل كما أن الدخل يعتمد على الإنتاج . وعليه فإن القيام بالإنتاج لا بد أن يمثل طلب على شيء ما، ويترتب على ذلك استحالة وجود حالة عامة من فائض الإنتاج وبالتالي فإن احتمال وجود حالة عامة من البطالة هو، أيضا، غير محتمل¹.

- بنى الكلاسيك أفكارهم الاقتصادية على أساس النظر للنقود باعتبارها مجرد وسيط للتبادل، "فمن خلال النقود، تتم المعاملات سريعا وبسهولة وبدونها تتم المعاملات أيضا ولكن بصعوبة وفي وقت أطول، والنقود في الفكر الكلاسيكي لا تطلب لذاتها وإنما لكونها وسيطا للتبادل، فالنقود لا تؤدي دورا إيجابيا في الحياة الاقتصادية وإنما كل دورها هو أنها تعبير عن الأثمان النسبية للسلع والخدمات وعناصر الإنتاج"². "أما فيما يتعلق بالتقلبات التي تحدث في قيمة النقود، أي في قوتها الشرائية فقد آمن الكلاسيك بصحة ما تذهب إليه نظرية كمية النقود، والتي تنص على أن التغيير في قيمة النقود يتناسب عكسيا مع التغيير في كميتها. فكلما زادت كمية النقود بمعدل أكبر من معدل زيادة الإنتاج، تدهورت قيمتها لارتفاع مستوى الأسعار"³.

والملاحظ من هذه المبادئ الأساسية للفكر الكلاسيكي أن معظمها يصب في مصلحة الطبقة البرجوازية التي وجدت في هذا الطرح الدعم الفكري لتوجهاتها الاستغلالية والاضطهادية لطبقة العمال، وذريعة أساسية وظفتها لتحجيد الدولة اقتصاديا، وعلى الرغم من أن البنيان الفكري الكلاسيكي هو بنيان متكامل في شكله النظري، إلا أن أي خلل في واحد من القوانين سالفة الذكر ينسف البنيان كله.

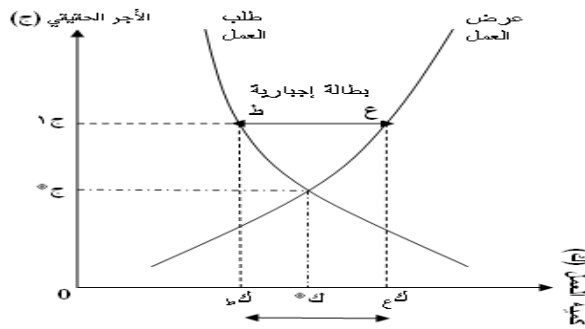
1 - أسامة مُجّد باحنشل، مقدمة في التحليل الاقتصادي الكلي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1999، ص49.

2 - أسامة مُجّد باحنشل، نفس المرجع السابق ص51.

3 - رمزي زكي، مرجع سبق ذكره ص178.

" وبناء على افتراضات النظرية الكلاسيكية، فإن سيادة المنافسة الكاملة في سوق السلع وسوق العمل ستؤدي إلى تحقيق التوظيف الكامل، أما سيادة المنافسة غير الكاملة كوجود احتكارات أو نقابات عمال، فإنها ستحول دون التوظيف الكامل، فلو فرض مثلاً أن نقابات العمال طالبت بزيادة الأجور النقدية عند المستوى (ج1) كما هو موضح بالشكل الموالي، فإن ذلك سيؤدي إلى حدوث بطالة تساوي المسافة (ع،ط)، حيث الطلب على العمالة عند الأجر المرتفع (ج1) يساوي (كط)، بينما عرض العمال يساوي (كع)، وفائض عرض العمل يساوي (كط،كع). وعند ظهور الفائض فلا بد من انخفاض الأجور النقدية إلى النقطة (ج*) حتى يتم تحقيق العودة إلى التوازن في سوق العمل عند النقطة (ك*)، إلا أن وجود نقابات العمال والتي تعارض بشدة انخفاض الأجور سيؤدي إلى استمرار حالة اللاتوازن في سوق العمل،...، ولهذا كلما بقيت الأجور النقدية مرتفعة وغير مرنة للتغير بالانخفاض استمرت البطالة في الاقتصاد ولا يمكن معالجتها إلا عن طريق قبول العمال بتخفيض الأجور النقدية ليزداد الطلب على العمالة ويزداد الإنتاج وتنخفض الأسعار ويعود الاقتصاد مرة أخرى إلى التوظيف الكامل"¹.

الشكل (1-2): آلية حدوث البطالة عند الكلاسيك



المصدر: أسامة مجاهد باحنشل، مرجع سبق ذكره، ص 71.

و"عليه فإن المدرسة الكلاسيكية ترى أن وجود البطالة الإجبارية هو وجود مؤقت سرعان ما يترتب عليه تخفيض الأجور، مما يترتب عليه حدوث التوازن تلقائياً عند مستوى العمالة الكاملة، وبذلك يلقي الكلاسيك بمسؤولية وجود البطالة لفترات طويلة على عاتق العمال"²، كما أنهم لم يسقطوا من التحليل إمكان حدوث البطالة الجزئية التي يمكن أن تنشأ بفعل الأخطاء التي ربما يقع فيها رجال الأعمال عند تقدير أحجام الطلب والإنتاج أو نتيجة لتغير أذواق المستهلكين. ومع ذلك، فقد اعتقد الكلاسيك أن البطالة الجزئية التي تعكس معها أزمات إفراط إنتاج جزئية، سوف تقضي على نفسها بنفسها من خلال توافر مرونة الأسعار والأجور"³.

1 - أسامة مجاهد باحنشل، مرجع سبق ذكره، ص 70.

2 - علي عبد الوهاب نجا، مرجع سبق ذكره، ص 37.

3 - رمزي زكي، مرجع سبق ذكره، ص 188.

وتجدر الإشارة إلى أن الكلاسيكي روبرت مالتس خرج عن الإجماع الكلاسيكي فيما يخص البطالة، حيث رأى أنه من الممكن أن يتعرض النظام الرأسمالي لأزمات إفراط الإنتاج العامة، ومن ثم احتمال ظهور البطالة على نطاق واسع، وهذا بسبب قصور الاستهلاك الذي مرده إلى أن الرأسماليين يستهلكون أقل مما يرغبون، والعمال يستهلكون أقل مما ينتجون، ويؤدي قصور الاستهلاك عند تفاقمه إلى انخفاض الأسعار، الذي ينتج عنه انخفاض في الأرباح، الذي بدوره يثبط العملية الإنتاجية، وعندها تظهر البطالة . وقد أثبت التاريخ الاقتصادي صحة بعض ما ذهب إليه مالتس، في فترات عدة من القرن الثامن والتاسع عشر، إلا أن أزمة الكساد الكبير التي أصابت الدول المتقدمة في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين والتي كان من أبرز نتائجها بطالة كبيرة لفترة طويلة، والتي عجز الفكر الكلاسيكي عن تفسيرها، جعلته يختفي ليترك المجال لظهور نظريات اقتصادية جديدة بنت صرحها على أنقاض هذا الفكر

2- تفسير البطالة حسب المدرسة النيوكلاسيكية Neoclassical Economics:

تمثل المدرسة النيوكلاسيكية الجيل الجديد من المفكرين الاقتصاديين الذي تولى مهمة الدفاع عن النظام الرأسمالي، وبالتالي الدفاع عن مصالح الطبقة البرجوازية التي ازدادت قوتها يوما بعد يوم بعد توسع نتائج الثورة الصناعية، وبالرغم من أن المدرسة الكلاسيكية كانت هي الأخرى مع هذا الهدف، إلا أن أسلوب التحليل الذي انتهجته والأفكار التي أتت بها، لم تعد لهما المصدقية الكافية لمواجهة الانتقادات الكبيرة الموجهة إليها، خاصة مع بداية القرن التاسع عشر، فمن هنا بدأت تظهر محاولات لإيجاد منهج تحليل اقتصادي، الهدف منه تبرير الهيمنة الرأسمالية وإخفاء سلبياتها، واعتبارها حقيقة يجب أن يتأقلم معها الجميع، وهذا المنهج هو منهج التحليل النيوكلاسيكي أو ما يعرف كذلك بمنهج التحليل الحدي، الذي فصل نهائيا الجانب الاجتماعي من التحليل الاقتصادي، فأصبح الاقتصاد السياسي علما اقتصاديا بحتا، "فبينما كان الاقتصاد السياسي الكلاسيكي يبحث في علاقات الناس من خلال عمليات إنتاج وتوزيع وتبادل المنتجات و الثروة، تأتي المدرسة النيوكلاسيكية لتتهم فقط بالبحث في علاقات الإنسان بالأشياء في ضوء عزلة كاملة عن العلاقات الاجتماعية"¹، وهذا ما ظهر جليا في أفكار عدد كبير من الاقتصاديين أهمهم : النمساوي كارل مانجر (1840-1921)، والانجليزيان ستانلي جيفونس (1835-1882) وألفريد مارشال (1842-1924)، والفرنسي ليون فالراس (1834-1910).

ويعد المفهوم الجديد للقيمة، والذي مفاده " القيمة منفعة"، أهم ما جاء به الفكر النيوكلاسيكي، فأصبحت قيمة السلعة عندهم، لا تحددها كمية العمل المبذول لإنتاجها، بل مقدار المنفعة الموجودة و الكامنة داخل هذه السلعة والتي بإمكانها أن تشبع حاجة اقتصادية وهذا بمقارنتها مع منافع السلع الأخرى، و" على هذا النحو أصبح العمل المنتج عند النيوكلاسيك هو العمل الذي يتمخض عنه نفع أو منفعة، ولهذا فإن إنتاجية العمل الإنساني مردها إلى مستويات المنفعة الناتجة عنه وليس إلى طبيعة المنتج المادية أو غير المادية، وبهذا الشكل أصبح بالإمكان إضفاء صفة

¹ - رمزي زكي، مرجع سبق ذكره، ص 292.

الإنتاجية على جميع ضروب النشاط الإنساني التي تخلق المنافع"¹. ومن خلال هذا المفهوم للقيمة أصبح التحليل الاقتصادي يتركز بشكل أساسي عن الكيفية التي بها يستطيع الرجل الاقتصادي العقلاني أن يحقق فيها توازنه، أي أن يصل إلى الحالة التي يعظم فيها منفعه، ومن ثم تم الانتقال في هذه المرحلة من التحليل الكلي إلى التحليل الجزئي، وبالتالي أصبحت مشكلة البطالة في مثل هذا التحليل مشكلة فرعية، لا يتم التركيز عليها كمشكلة اقتصادية كلية، وإنما كإشارات عند دراسة سلوك المنتج وتوازنه، حيث "يتحدد طلب المنتجين على عنصر العمل من خلال إنتاجيته الحدية، أي أن المنتجين يتوقفون عن طلب وحدات إضافية من عنصر العمل عندما يتساوى إيراد الناتج الحدي مع التكلفة الحدية للعمل، وهو شرط تعظيم الربح بالنسبة للمنتج"². في حين تتحدد كمية العمل المعروضة بناء على المفاضلة بين الرغبة في العمل أو عدم العمل وهذا على حسب مستوى الأجر المحدد سلفا في السوق، لذلك فإن النيوكلاسيك يفسرون البطالة بأنها اختيارية، أي أن الأفراد يفضلون التعطل عن العمل في ظل الأجور الموجودة في السوق.

وتجدر الإشارة إلى أن الفكر النيوكلاسيكي أبقى على بعض المسلمات الفكرية التي جاء بها الكلاسيك، كأفكار الحرية الاقتصادية، والمنافسة الكاملة، قانون المنافذ، نظرية التوازن التلقائي، وهذا ما جعلهم يجزمون باستحالة حدوث بطالة عامة في الأجل الطويل، "وكأن المدرسة النيوكلاسيكية تريد أن تقول أن كل عامل من عوامل الإنتاج يحصل (في جو تسوده آلية الاقتصاد الحر)، على حقه كاملا وفق أسس العدالة، وأن زيادة الأجور وازدياد التوظيف يتم بفضل زيادة الإنتاجية، وبالتالي فإن النظام الرأسمالي هو انسجام المصالح الطبقية والتعاون الطبقي لا نظام الاستغلال والصراع"³.

3- تفسير البطالة حسب المدرسة الاشتراكية Socialist Economic Thought:

تضم المدرسة الاشتراكية* في داخلها مجموعة متعددة من التيارات الفكرية التي حاولت إيجاد نظام اقتصادي تعاوني بديل للنظام الرأسمالي، الذي يعتبرونه نظاما مآله إلى الزوال، حيث ظهرت ما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر عدة أفكار ذات توجه اشتراكي منها⁴: الاشتراكية البرجوازية الصغيرة لصاحبها سيسموندي (1773-1842)، الاشتراكية الفوضوية لبرودون (1809-1865)، الاشتراكية الطوباوية التعاونية (الخيالية) لكل من سان سيمون (1760-1825)، شارل فوربيه (1772-1837)، روبرت أوين (1771-1858)، لكن أبرزها وأهمها الأفكار التي جاء بها كارل ماركس (1819-1883) والتي على أساسها تأسست الاشتراكية الماركسية أو الاشتراكية العلمية، وهي الوحيدة التي كتب لها أن تطبق على أرض الواقع لفترة زمنية قاربت السبعين عاما في عدد لا

¹- رمزي زكي، نفس المرجع السابق ص 284.

²- محمد دويدار، مرجع سبق ذكره، ص 755.

³- إسماعيل سفر، عارف دليلة، مرجع سبق ذكره، ص 524.

* ظهرت الاشتراكية socialism كمصطلح اقتصادي في سنة 1840 في عدد من الكتابات الاقتصادية، لكنها كفكرة موجودة منذ القدم.

⁴- إسماعيل سفر، عارف دليلة، مرجع سبق ذكره، ص 329، 369.

بأس به من الدول وما زالت تطبق حتى الآن في بعض الدول، لذلك سيتم تناول المبادئ الاقتصادية الأساسية التي قامت عليها والتي على أساسها تم تفسير وتحليل موضوع البطالة في هذه المدرسة.

- فكرة فائض القيمة¹:

بينما اعتمد ماركس كثيرا في نظرية القيمة على هيكل الأفكار الكلاسيكية إلا أنه سخر نظريته لهدف مختلف تماما عن أهدافهم، فبعد أن خرج بنتيجة وهي أن قيمة العمل وقيمة السلع تتحدد على أساس واحد بدأ يضع تفسيراً مختلفاً تماماً لآلية نظام الإنتاج و التوزيع في المجتمعات الرأسمالية، وهذا التفسير هو جوهر التحليل الماركسي وهو يتمثل في نظريته في فائض القيمة، بدأ ماركس من افتراض منطقي وهو أن العامل في إنتاجه اليومي ينتج سلعا تحتوي على كمية العمل الاجتماعي الضروري أكبر من تلك اللازمة لحفظه على قيد الحياة لليوم التالي، بعبارة أخرى أن قيمة السلع التي ينتجها العامل مقدرة بكميات العمل الضروري تزيد عن قيمة أجر الكفاف الذي يحصلون عليه بكميات من العمل الضروري، . . . ، وأن فائض القيمة يتكون من القيم التي ينتجها العامل خلال عمله أثناء تلك الساعات الزائدة عن ما يكفي لكفاه، ولذلك فإن الرأسمالي سوف يستحوذ على فائض القيمة لنفسه، ولهذا فإنه يسعى بصورة مستمرة إلى توسيع الفجوة بين قيمة طاقة العمل اللازم بذلها لكفاف العامل والذي يدفعها في شكل أجر من ناحية وقيمة الإنتاج من ناحية أخرى، والرأسمالي يفعل هذا عن أحد طريقتين، إما بإطالة عدد ساعات العمل اليومية أو بإنقاص ساعات العمل الاجتماعي اللازم لإنتاج كفاف العمل وهذا يأتي عن طريق التقدم التكنولوجي و بتكثيف الاعتماد على رأس المال.

- التراكم الرأسمالي واتجاه معدل الربح نحو التدهور :

"حينما يتوصل أحد الرأسماليين إلى استخدام آلة متقدمة تخفض من نسبة العمل المستخدم في الإنتاج وبالتالي ترفع معدلات فائض القيمة والأرباح فإن غيره من المنافسين معه يشعرون بضرورة مجاراته إن أرادوا البقاء، وطالما أن هناك تلك المنافسة الدائبة فإن السعي لاستخدام الآلات الحديثة التي تعتمد على فن إنتاجي موفر للعمل ومكثف لرأس المال يستمر، وبهذا الشكل ترتبط عملية الحصول على فائض القيمة التي يقطع منها المبالغ الجديدة للاستثمار بعملية التراكم الرأسمالي وبالتقدم التكنولوجي ارتباطا هاما ولا بد من سيرهم معا"²، "على أن الرأسمالي وهو بصدد تركيب رأس المال حينما يستبدل الآلات بالعمال فإنه في الواقع يزيد من رأس المال الثابت، الذي تنتقل قيمته كاملة للسلعة عبر عمره الإنتاجي، ولا يخلق فائض قيمة، في الوقت الذي يحدث فيه انخفاض نسبي في عدد العمال الذين يخلقون فائض القيمة، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى انخفاض معدل الربح، وهكذا يصل ماركس إلى قانون اتجاه معدل الربح نحو التدهور، مشيراً إلى أن هذا الاتجاه ينجم عن تراكم رأس المال وما يسببه ذلك من ارتفاع في التركيب العضوي لرأس المال. ذلك أنه إذا كان معدل الربح حسب مفهوم ماركس له هو عبارة عن ناتج قسمة فائض

1 - عبد الرحمن يسرى أحمد، تطور الفكر الاقتصادي، الدار الجامعية، الاسكندرية، 2001، ص 254، 255،

2 - عبد الرحمن يسرى أحمد، نفس المرجع السابق، ص 258، 259.

القيمة على إجمالي رأس المال (الثابت + المتغير) فإن افتراض ثبات معدل فائض القيمة عند ماركس قد أدى به بالضرورة لأن يستنتج أن معدل الربح يتجه للتناقص كلما أمعن الرأسمالي في زيادة تراكم رأس المال¹.

من خلال الفكرتين سالفتي الذكر وأفكار أخرى، وصل ماركس إلى قناعة ذاتية مفادها أن النظام الرأسمالي لا يستطيع أن يبقى نظاما اقتصاديا مطبقا إلى الأبد، بل مآله إلى الزوال نتيجة للأزمات التي ستظهر فيه لا محالة والنتيجة أصلا من التناقضات الموجودة فيه، حيث أنه مع مرور الزمن يحدث "انخفاض في معدل الأرباح وخسارة المنشآت المنتجة وتقليل منتجاتها، أي عدم التوازن في العملية الإنتاجية. وفي الواقع العملي لا يمكن استعادة التوازن إلا في صورة إنتاج أقل، وبطالة وتخفيض للأجور، مما يسمح بأن يكون الإنتاج مربحا مرة أخرى. وكان من النقاط المهمة بالنسبة لماركس أن النظام لا يستقر إلا عندما تظل الأجور منخفضة بسبب وجود احتياطي من العمال المتعطلين، ما أسماه البطالة التي تشكل الجيش الاحتياطي للصناعة. فالعمالة الكاملة ممكنة، ولكنها وضع غير مستقر"². وهكذا يرى ماركس أن النظام الاقتصادي الذي مجده التراث الكلاسيكي سيصل إلى نهايته، نهاية تأتي نتيجة لسمات معينة، سبق أن رأى بعضا من أهمها ريكاردو والاقتصاديون الكلاسيكيون أنفسهم³، وهذا ما يستدعي حسب رأيه وجوب قيام النظام الاشتراكي القائم على مبدأ الملكية العامة لوسائل الإنتاج، وهذا عن طريق الثورة الاجتماعية التي تقودها طبقة البروليتاريا، والذي تنعدم فيه - حسب ماركس - ظاهرة البطالة تماما، وذلك لخلوه من مظاهر الاستغلال واللاتوازن الموجود في النظام الرأسمالي.

لم يوافق التاريخ الاقتصادي لما بعد ماركس لتنبؤاته حول زوال الرأسمالية وقيام في مكانها الاشتراكية، حيث أنه بالرغم من أن الرأسمالية قد تعرضت إلى أزمات عنيفة مع بداية القرن العشرين، إلا أنها استطاعت أن توجد حلولاً لهذه الأزمات دون الوصول إلى مرحلة الثورة التي تنبأ بها ماركس، وهذا نتيجة قيام جل الدول الرأسمالية بإحداث إصلاحات مناهضة للثورة، وهذا بتحسين الظروف الاجتماعية للعمل، والتأمين على البطالة، وزيادة التدخل الحكومي في الحياة الاقتصادية، أضف إلى ذلك أن إدارة المشاريع الإنتاجية انتقلت من الإدارة الرأسمالية إلى الإدارة التكنوقراطية، وهذا ما سمح بأن يبقى النظام الرأسمالي نظاما اقتصاديا مطبقا من قبل كل الدول التي ولد فيها ودول أخرى كذلك، ومن جانب آخر أثبتت التطورات المتلاحقة في النظام الاقتصادي الاشتراكي الذي قام في الاتحاد السوفياتي، على أساس الفلسفة الماركسية، عدم قدرته على مواجهة التطورات والتحديات العالمية من قبل النظام الاقتصادي الرأسمالي، ولقد كان الظاهر للعالم كله أن التقدم التقني والنمو الاقتصادي يحدث بصفة مستمرة وسريعة داخل النظام الاشتراكي، أما حقيقة الأمر فقد كانت هناك مشاكل متزايدة نتيجة إلغاء الحافز الفردي ومحاولة التأكيد على الفلسفة المادية ومحو الأديان وجميع الفلسفات غير المادية، كل هذا كان يتعارض مع طبيعة البشر، وبعد نحو سبعين عاما من قيام النظام

1 - رمزي زكي مرجع سبق ذكره، ص 227.

2 - جون كينيث جالبريت، تاريخ الفكر الاقتصادي، الماضي صورة الحاضر، ترجمة أحمد فؤاد بلع، سلسلة عالم المعرفة، العدد 261، الكويت، 2000، ص 150.

3 - جون كينيث جالبريت، نفس المرجع السابق، ص 152.

الاشتراكي العلمي (الماركسي) حدث الانهيار التام وفوجئ العالم بأن الغالبية العظمى من الأفراد الذين عاشوا داخل هذا النظام لا يريدونه وإنما يريدون حريتهم ويريدون أن يعودوا إلى النظام الاقتصادي الحر الذي كرس ماركس فكره للقضاء عليه"¹.

ثانيا: البطالة من وجهة نظر الفكر الاقتصادي لما بعد أزمة الكساد

1- تفسير البطالة حسب المدرسة الكينزية Keynesian Economics:

نتيجة للكساد الكبير الذي ضرب العالم في سنة 1929، والذي تمخضت عنه آثار كارثية، كان من أهمها البطالة الإجبارية الواسعة التي تعرض لها العمال، وبما أن الطرح الاقتصادي التقليدي كان عاجزا عن إيجاد تفسير منطقي للظاهرة ومن ثم تقديم حلول فعالة لها، فإنه كان من الضروري على الحكومات آنذاك أن تخرج من حيادها الاقتصادي، وأن تتدخل أكثر فأكثر في الحياة الاقتصادية وتتخلى عن فكرة اليد الخفية التي نادى بها الكلاسيك، وفي سنة 1936 نشر الاقتصادي جون مينرد كينز (1883-1946) كتابه الشهير " النظرية العامة للاستخدام والفائدة والنقد"، الذي استطاع من خلاله أن يسقط بعض المسلمات الكلاسيكية، ويضع مبادئ اقتصادية جديدة كانت بمثابة القاعدة الأساسية لما عرف فيما بعد بالمدرسة الكينزية.

- أهم الأفكار الكينزية:

ومن أهم ما جاء به كينز في مجال التوازن الاقتصادي نفيه التام لفرضية التوازن التلقائي بين العرض والطلب عند مستوى التشغيل الكامل كما يدعي الكلاسيك، حيث يرى أن التوازن في ظل التوظيف الكامل هي حالة نادرة، وأنه في الغالب ما يحدث التوازن بين العرض والطلب عند مستوى التشغيل الناقص، وذلك لأنه يرى بأن التوازن يتحقق عندما يتساوى الادخار مع الاستثمار، غير أنه قد يحدث أن يفوق الادخار في لحظة ما الاستثمار، بسبب عامل خارجي، وهذا معناه أن الطلب الكلي الفعال أقل من العرض الكلي، وبالتالي يحدث تكديس في السلع عند قطاع الأعمال، فتتخفض أرباحه، ويقلل من ثم كمية الإنتاج، وتترايد الطاقة المعطلة، وتحدث البطالة وينخفض مستوى الدخل القومي، ومن ثم ينخفض الادخار (العلاقة الطردية بين الدخل والادخار) ليتساوى مجددا مع الاستثمار لكن عند مستوى أقل من مستوى التوظيف الكامل وحسب كينز فإنه على الدولة في هذه الحالة أن تقوم بالرفع التدريجي للطلب الفعال عن طريق زيادة الإنفاق الحكومي وتخفيض الضرائب إلى أن يعود التوازن إلى حالة التوظيف الكامل.

يرى كينز أيضا أن العمال غالبا ما يقعون فيما يسمى بالوهم النقدي " وهذا يعني أنهم يقيمون الزيادة في الأجر النقدي كما لو كانت زيادة في القيمة الحقيقية للأجر، دون اعتبار لمستوى الأسعار، وأنهم لا يألون بالا لما يحدث

¹ -عبد الرحمن يسرى أحمد، مرجع سبق ذكره، ص265

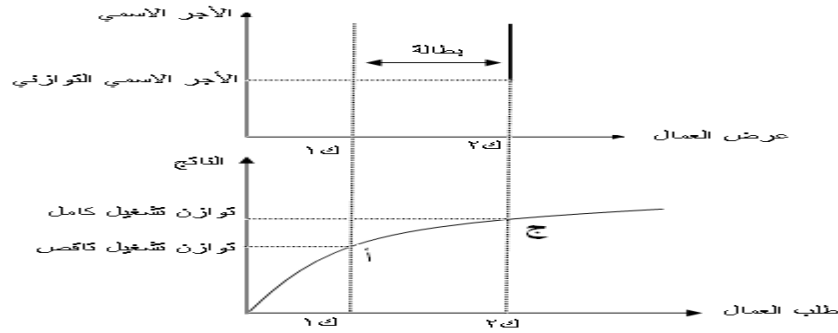
الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

للقوة الشرائية لأجورهم النقدية فهم على استعداد لزيادة العرض من العمل حتى وإن رافقت تلك الزيادة في الأجور النقدية ارتفاعا في الأسعار بنفس النسبة¹.

كما أن كينز لم يعط أي اهتمام للتغيرات الاقتصادية التي تحدث في الأجل الطويل وركز تحليله فقط في الأجل القصير حيث يرى أنه " في الأمد الطويل سنكون جميعا في عداد الأموات"².

- كيفية حدوث البطالة حسب كينز: لإبراز الآلية التي تحدث بها البطالة في الاقتصاد نورد الشكل التالي:

الشكل (3-1) : آلية حدوث البطالة حسب النظرية الكينزية



Source: Ménéndian Claude, « Fiches de macroéconomie » Edition Ellipses, Paris, 1997, p132.

حيث ربط الكينزيون "الطلب على العمل بالطلب الفعال الذي من خلاله يتحدد الدخل التوازني، بمعنى أن أسباب البطالة يجب البحث عنها في سوق السلع وليس في سوق العمل، في حين يتحدد عرض العمل بناء على الأجر الاسمي، لأن الأسر - حسبه - تكون ضحية الخدعة النقدية في سلوكها الإنفاقي"³. ومنه فإن الكينزيين يرون أن البطالة تظهر في الاقتصاد لما يحدث التوازن في نقطة (أ) أقل من نقطة التشغيل الكامل (ج)، لأنه في النقطة (أ) تكون كمية العمل المطلوب هي (ك1) وكمية العمل المعروض هي (ك2)، ومنه فإن البطالة تساوي (ك2-ك1)، وللقضاء عليها يجب العمل على رفع مستوى التوازن تدريجيا إلى حدود النقطة (ج)، وهذا بتحفيز الطلب الفعال عن طريق زيادة الإنفاق الحكومي وتخفيض سعر الفائدة.

- ما بعد كينز:

وقد تطور الفكر الكينزي حينما تم التحول من المنظور قصير الأجل في تحليل قضايا النمو والبطالة إلى المنظور طويل الأجل، وهو ما يعرف بمرحلة نماذج النمو الكينزية التي بنيت على أساس تحديد معدل النمو الضروري اللازم لتجنب البطالة والوصول إلى التشغيل الكامل للطاقات الإنتاجية والموارد البشرية، واكتشف الفكر الكينزي أن الاحتكار هو العقبة الأساسية التي تؤخر النمو في النظام الرأسمالي وتشده لمصيدة الركود والبطالة.

¹ - أسامة بشير الدباغ، البطالة والتضخم، المقولات النظرية ومناهج السياسة النقدية، الأهلية للنشر والتوزيع، 2008، ص 180.

² - جون كينيث جالبريت، مرجع سبق ذكره، ص 18.

³ - Arthuis Patrick Muet Pierre Alain, Théories du chômage ; Economica, Paris, 1995, p20.

" وانتهت المدرسة الكينزية الجديدة إلى نفس النتيجة التي انتهى إليها كينز، من حيث ضرورة الارتفاع بمستوى الطلب الكلي حتى يمكن المحافظة على مستويات الإنتاج والتشغيل وتحقيق التقدم الاقتصادي والتكنولوجي، وكذلك ضرورة تطبيق أساليب السياسة النقدية والمالية لضمان تحقيق هذا الهدف، والتركيز على إعادة توزيع الدخل الوطني بين دخل الملكية ودخل العمل، بوصفها وسيلة لتلافي أزمات الركود والبطالة، وللربط بين التوزيع والتشغيل والنمو"¹. " ولا يعارض الكينزيون الجدد تطبيق برامج لترشيد الأجور والأسعار والرقابة عليهما، أما معالجة مشكلة البطالة، والتحول من الركود إلى الانتعاش، فإنها تتطلب زيادة الادخار والتراكم والإنتاجية، وإعادة تأهيل القوى العاملة من خلال برامج واسعة للتدريب وإعادة التدريب، وينادون (في حال استفحال البطالة) بالعودة إلى سياسة الاستثمارات العامة الكبرى التي تهدف إلى خلق فرص واسعة للتشغيل والدخل"².

- الصعوبات الحالية التي تعترض مكافحة البطالة وفق السياسة الكينزية وسبل مواجهتها³:

تقف عدة ضغوط أمام السياسة الكينزية الرامية إلى مكافحة البطالة والمبنية أساسا على سياسة دفع الطلب، ومن هذه الضغوط نذكر:

الضغوط الخارجية: حيث لا يساعد الوضع الاقتصادي الدولي الحالي مطلقا على دعم مثل هذه السياسات الوطنية المتعلقة بدفع الطلب وإنعاش الاقتصاد، وهذا راجع إلى تنامي ظاهرة العولمة، وزيادة السيطرة الاحتكارية للشركات متعددة الجنسيات، وزيادة تحرير النظامين النقدي والمالي الدوليين، وتعويم أسعار الصرف، حيث كل هذه العوامل تعمل على تسريب الموارد المالية الوطنية إلى الخارج، وعدم تحقيقها الكفاءة القصوى.

● **الضغوط التضخمية:** تواجه الاقتصاديات المعاصرة موجات تضخمية متتابة نتيجة لتزايد قوة الفئات الاجتماعية-الاقتصادية المؤثرة في الاقتصاد، حيث غالبا ما يكون هذا التضخم غير ناتج عن زيادة الطلب مقارنة بالعرض، ومن المفارقات التي نتجت عن مثل هذا الوضع أن الأسعار ترتفع عندما ينخفض الطلب، وكذلك ترتفع الأجور عندما تزداد البطالة، لذلك يخشى من أي عملية حكومية تسعى لدفع وإنعاش الطلب أن تؤدي إلى تفاقم التضخم وتسريعه.

ولمواجهة هذه التغيرات التي تحدث داخل الاقتصاد تقترح المدرسة الكينزية سبلا جديدة، يمكن من خلالها إنجاح السياسة الكينزية في مكافحة البطالة، ومن هذه السبل نذكر:

- يجب أخذ الانفتاح المتزايد للاقتصاديات الوطنية بعين الاعتبار و حتى إذا تم التوصل إلى مكافحة المضاربة الدولية، يمكن للانفتاح الحاصل في الاقتصاد الوطني أن يدعم عملية التوسع في الطلب.

¹ - جلال مراد، مرجع سبق ذكره، ص 17.

² - جلال مراد، نفس المرجع السابق، ص 19.

³ عامر لطفي، مساهمة في شرح وتوضيح النظريات الاقتصادية، دار الرضا للنشر، دمشق، 2002، ص 37-41.

- يجب القيام بعملية تنظيم للنمو الاقتصادي الدولي، إذ لم يعد بالإمكان الاكتفاء بسياسات دفع وإنعاش للاستهلاك الداخلي فقط، وإنما يجب العمل على تحقيق ذلك على المستوى الدولي أيضا . حيث يعتبر الكينزيون من المؤيدين الأقوياء لتحقيق ما يشبه مشروع مارشال من أجل العالم الثالث.
- يجب أن تتم المفاوضات من البداية بين نقابات العمال وتنظيمات أرباب العمل وجميع الشركاء الاقتصاديين، حول موضوع اقتسام الدخل الوطني، حتى لا تسعى كل فئة إلى محاولة تحسين حصتها، فتحدث بذلك الضغوط التضخمية.
- يجب العمل على جعل الاستثمارات موجهة بشكل أفضل، لتفادي الوقوع بحالات من الاستثمار الزائد وحالات استبدال اليد العاملة برأس المال الثابت بشكل مبالغ فيه كما حصل في الستينات من القرن الماضي.

2- تفسير البطالة حسب المدرسة النقدية Monetarism:

- تمثل المدرسة النقدية، أو ما يعرف كذلك بمدرسة شيكاغو، ذلك التيار من المفكرين الاقتصاديين الذين أوجدوا صياغة جديدة لمعادلة كمية النقود الكلاسيكية، وأعطوا النقود أهمية ارتكازية للدور الذي تؤديه في النشاط الاقتصادي، وأنه يمكن تفسير التقلبات التي تحدث في مستويات الدخل والنتاج والتوظيف، صعودا أو هبوطا، من خلال ما يطرأ على عرض النقود من تغيرات، ويعتبر ملتون فريدمان أحد أهم رواد هذه المدرسة.
- وشأنها شأن كافة المدارس الاقتصادية الأخرى، فإن لمدرسة الفكر النقدي مبادئ اقتصادية قامت عليها، وإن كان لبعضها نزعة كلاسيكية، ومن هذه المبادئ نذكر¹:
- يعد نمو العرض النقدي هو المحدد والمنظم الأساسي لنمو الناتج المحلي الاسمي، ويقرر الفكر النقدي أن الطلب الاجمالي الاسمي يتأثر بصفة أساسية بمتغيرات العرض النقدي، ومن ناحية أخرى ليس للسياسة المالية تأثير على الطلب الإجمالي.
 - تتمتع الأسعار و الأجور نسبيا بالمرونة (عكس المدرسة الكينزية) حيث إن لتغيرات العرض النقدي تأثيرات طفيفة ومؤقتة فحسب على الناتج الحقيقي، وتؤثر الكتلة النقدية بصفة رئيسية على الأسعار، وكنتيجة لذلك يمكن أن تؤثر النقود على كل من الإنتاج والأسعار على الأمد القصير، ولكن عندما يتجه الاقتصاد نحو التشغيل الكامل، يتركز التأثير للنقود على مستوى السعر فقط.
 - يعتقد أصحاب التوجه النقدي أن الاقتصاد الخاص الذي يتحرك وفقا لآلياته الخاصة، لا تعثره حالات من عدم الاستقرار، بل على العكس من ذلك، إذ تنجم غالبية التقلبات وحالات اللااستقرار بسبب الإجراءات والتدخلات الحكومية في الاقتصاد وبالأخص منها تلك التي تمس وتؤثر على العرض النقدي.

¹ - بول سامويلسون، وويليام نورد هاوس، ترجمة هشام عبد الله، مرجع، سبق ذكره، ص736.

وقد أدخل النقديون عند تحليلهم وتفسيرهم لمشكلة البطالة فكرة البطالة الطبيعية أو المعدل الطبيعي للبطالة الذي هو " ذلك المعدل الذي تكون عنده القوى العاملة المؤثرة في صعود أو هبوط الأسعار والأجور في حالة توازن، وبحيث لا يكون هناك ميل لارتفاع معدل التضخم أو لانخفاضه، وإذا ما وصل معدل البطالة إلى حدود هذا المعدل فإن هذا يعني أن الاقتصاد عند مستوى التوظيف الكامل"¹، وبما أن هذا المعدل حسب رأيهم ليس ثابتا ومستقرا عند حد معين، بل الأكثر من ذلك أن له نزعة تصاعدية، فإنهم لا يولون أهمية كبيرة للبطالة المستمرة التي صارت تميز الدول المتقدمة، وأن أي محاولة لتخفيض هذه البطالة سيعرض الاقتصاد لمشاكل أخرى، دون تحقيق هذا الهدف في الأجل الطويل. والملاحظ بذلك من هذا التحليل الذي انتهجه النقديون أنهم صاروا يعتبرون أن كل معدل بطالة يظهر في الاقتصاد عند التوازن هو المعدل الطبيعي، خاصة إذا كان من غير الممكن إثبات أو نفي هذا الأخير .

أما عن الكيفية التي فسر بها النقديون البطالة التي تظهر فوق المعدل الطبيعي، فإنهم ينطلقون من أن النظام الرأسمالي بطبيعته مستقر في الأساس، وأنه لا يتعرض بالضرورة للتضخم والبطالة والركود إلا من خلال التقلبات الكبيرة التي تحدث في الرصيد النقدي، بمعنى أن التقلبات التي تحدث في مستوى الدخل والنتاج والتوظيف وانحرافها عن اتجاهها العام الممكن، إنما ترتبط بمعدلات التغيير في عرض النقود. فمثلا إذا حدث وأن اتبع البنك المركزي سياسة نقدية توسعية عن طريق شراءه للسندات الحكومية فإن ذلك سيؤدي إلى ارتفاع أسعار الأوراق المالية ومن ثم انخفاض العائد عليها، وهذا ما يجعل الأفراد يفضلون الاحتفاظ بالنقد سائلا، وأنه في مثل هذه الحالة في الأجل القصير فإنهم سيزيدون من إنفاقهم الاستهلاكي أو الاستثماري، وهو ما يعني أن زيادة عرض النقود قد تسببت في الإنفاق على الأصول المالية والعينية والخدمات، أي زيادة الطلب الكلي، وإذا كان الاقتصاد القومي يعمل عند مستوى أقل من مستوى التوظيف الكامل، فإن هذه السياسة التوسعية سوف تؤدي إلى زيادة الإنتاج الحقيقي وتقل البطالة عن مستواها العادي بفضل تشغيل الطاقات العاطلة وقد لا ترتفع الأسعار بسبب مرونة الجهاز الإنتاجي عند هذا المستوى. أما إذا استمرت هذه السياسة التوسعية في عرض النقود فإنها ستؤدي إلى حدوث التضخم في الأجل الطويل دون أن تتمكن من تحقيق خفض دائم في معدل البطالة. أما في الحالة المعاكسة التي يحدث فيها تخفيض في الكتلة النقدية، فإن ذلك سيؤدي إلى انخفاض في الطلب الكلي إلا أن الأسعار لا تستجيب بالانخفاض فورا، إذ لا بد من أن تمضي فترة حتى يقتنع رجال الأعمال بأن هذا الانخفاض حقيقي وليس عابرا حتى يعدلوا من خطط إنتاجهم. كما أن العاطلين الباحثين عن عمل لن يقتنعوا فورا بانخفاض الطلب الكلي على خدماتهم وعلى ذلك فربما يرفضون الأعمال التي تعرض عليهم وتعطيهم أجورا أقل اعتقادا منهم بأنهم سيجدون عملا أفضل في القريب وهو الأمر الذي يمدد من فترة تعطلهم وعلى هذا النحو قد تطول فترة البطالة والانكماش.

لذلك فالنقديون يفسرون البطالة الشديدة التي ضربت الاقتصادات المتقدمة في الكساد الكبير لسنة 1929، بأنها نتيجة للفهم السيئ والتحليل الخاطئ لهذه الأزمة، فبينما اعتقد كينز - نتيجة استمرارية البطالة - أنه لا وجود

¹ - رمزي زكي، مرجع سبق ذكره، ص 417.

لعودة عفوية نحو الاستخدام الكامل، يرى النقديون بأن هذه الأزمة ما هي إلا حادثة طارئة في التاريخ الاقتصادي لا أكثر ولا أقل، فنتيجة للتدابير التي اتخذت في ذلك الحين والمغايرة لنوعية الأزمة، عندما قامت السلطات الأمريكية باقتطاع وتخفيض الكتلة النقدية بنسبة 30%، الأمر الذي أدى إلى خلق بطالة كبيرة في الاقتصاد لأن العمال رفضوا الموافقة على تخفيض مماثل لأجورهم من أجل السماح بتخفيض الأسعار وتحقيق التوازن العام¹.

أما عن الوصفات المقدمة من طرف الفكر النقدي للخروج من أزمة البطالة التضخمية فهي تتمثل فيما يلي²:

- يجب التخلي عن اعتبار فكرة الاستخدام الكامل كهدف أساسي، وذلك لأن سوق العمالة هي سوق كبقية الأسواق، وبالتالي يجب ترك آليتها تعمل بحرية تامة دون أي تدخل، فإذا ترك العرض والطلب يتواجهان بحرية في هذه السوق فإن كل من يبحث عن عمل بسعر التوازن الخاص سيجده.
- يجب منع النقد من أن يلعب دورا فاعلا في موضوع التوقعات، وذلك بتبني سياسات اقتصادية تقوم دائما على حيادية النقد، خصوصا على المدى القصير من أجل إلغاء الوهم النقدي الذي يؤدي دائما إلى إرباك الأفراد في توقعاتهم وإلى تشويه آليات عمل السوق، وذلك بأن تكون الزيادة الحاصلة في الكتلة النقدية مساوية لمجموع الزيادة الحاصلة في الإنتاج، حتى لا يتم الوقوع في تغيرات الأسعار الاسمية.
- يجب تخفيض النفقات العامة والعمل بشكل أو بآخر على تقييدها.
- يجب العمل على تحريض فكرة البحث عن المصلحة الخاصة لكل القطاعات والجهات العاملة في الاقتصاد، وذلك لأن كل ما يعيق الفرد من الاستفادة من أرباحه يؤدي إلى عرقلة وتشويه المبادرة منه، وبالتالي من المفيد العمل على تخفيض الضرائب التصاعدية على الدخل، وكذلك تخفيض الضرائب غير المباشرة والمخصصات الاجتماعية.

3- تفسير البطالة حسب مدرسة التوقعات الرشيدة Rational Expectations³:

تعد مدرسة التوقعات الرشيدة من أبرز التحولات النظرية في الاقتصاد الكلي الحديث، إذ أعادت صياغة فهم البطالة من خلال التركيز على آلية تكون التوقعات لدى الفاعلين الاقتصاديين، ومدى تأثير هذه التوقعات في فعالية السياسات الاقتصادية. ويرى روبرت لوكاس أن الأفراد والمؤسسات لا يبنون قراراتهم على الماضي فقط ولا يتعاملون مع المتغيرات الاقتصادية بوصفها معطيات ثابتة، بل يقومون بتكوين توقعات عقلانية اعتمادا على مجموع المعلومات المتاحة، بما في ذلك السياسات النقدية والمالية المتوقعة واتجاهات الأسعار والأجور، والإشارات الصادرة عن السلطات الاقتصادية.

¹ - عامر لطفي، مرجع سبق ذكره، ص 101.

² - عامر لطفي، نفس المرجع السابق، ص 105، 107.

³ Lucas, R. E. (1972). Expectations and the Neutrality of Money. Journal of Economic Theory, 4(2), pp 103-124.

وفي هذا الإطار، لا تفسر البطالة بوصفها نتيجة مباشرة ودائمة لاختلال الطلب الكلي، بل تفهم أساسا باعتبارها ظاهرة قد تنشأ عن صدمات غير متوقعة أو عن أخطاء مؤقتة في إدراك الإشارات الاقتصادية. فحين يتعرض الاقتصاد لتغير مفاجئ؛ كزيادة غير متوقعة في العرض النقدي؛ قد يخطئ الأفراد في التمييز بين التغير في الأسعار النسبية والتغير في المستوى العام للأسعار، فيتخذون قرارات عرض عمل أو إنتاج لا تعكس الوضع الحقيقي بصورة دقيقة. وينتج عن ذلك انحراف مؤقت في العمالة والإنتاج، قبل أن يتم تصحيح السلوك بعد اتضاح المعلومات .

وتكمن الأهمية النظرية لهذه المدرسة في نقدها لفكرة إمكانية تحقيق خفض دائم للبطالة عبر سياسات توسعية متكررة. فإذا كانت السياسة الاقتصادية متوقعة، فإن العمال وأصحاب الأعمال سيدمجون آثارها المتوقعة في مفاوضات الأجور والأسعار مسبقا، مما يؤدي إلى تآكل أثرها الحقيقي على التشغيل. وبذلك، يصبح أثر السياسة في الغالب اسميا (على التضخم والأسعار) أكثر منه حقيقيا (على البطالة والإنتاج). ومن ثم، تؤكد مدرسة التوقعات الرشيدة أن العلاقة بين السياسة الاقتصادية والبطالة تتحدد بدرجة كبيرة بمدى مصداقية السياسة وعنصر المفاجأة فيها، لا بمجرد حجم التدخل ذاته.

كما أسهمت هذه المدرسة في نقل تحليل البطالة من منظور ساكن إلى منظور ديناميكي، حيث يتحدد سلوك العمال والمنشآت ليس فقط وفق ظروف السوق الحالية، بل أيضا وفق توقعاتهم بشأن المسار المستقبلي للمتغيرات الاقتصادية. وهذا يجعل البطالة في بعض الحالات انعكاسا لعمليات التكيف الاستباقي مع صدمات متوقعة أو مع تغيرات في قواعد السياسة الاقتصادية، لا مجرد استجابة متأخرة لاختلالات سابقة.

4- تفسير البطالة حسب مدرسة دورة الأعمال الحقيقية¹ Real Business Cycle:

تقدم مدرسة دورة الأعمال الحقيقية تفسيراً للبطالة يختلف عن التفسيرات التي تعطي الدور المركزي للصدمات النقدية أو اختلالات الطلب الكلي، إذ تربط تقلبات العمالة والإنتاج أساسا بـ الصدمات الحقيقية التي تصيب الاقتصاد، وعلى رأسها صدمات الإنتاجية والتغيرات التكنولوجية والتنظيمية. وفي هذا السياق، تفهم البطالة الدورية بوصفها جزءا من عملية تكيف عقلاني مع تغيرات الكفاءة الإنتاجية، لا باعتبارها بالضرورة دليلا على فشل السوق أو اختلاله الجوهرى .

وتنطلق هذه المدرسة من فرضية مفادها أن الأفراد والمنشآت يتخذون قراراتهم على أساس تعظيم المنفعة والأرباح في ظل قيود واقعية، وأن التغيرات في الإنتاجية تؤثر مباشرة في العائد الحدي للعمل. فإذا ارتفعت الإنتاجية في قطاع معين، زادت جدوى توظيف العمالة فيه وارتفع الطلب عليها، بينما يؤدي انخفاض الإنتاجية إلى تراجع الطلب على العمل أو تقليص ساعات العمل. وبذلك، فإن جزءا معتبرا من تقلبات التشغيل يمكن تفسيره بأنه استجابة عقلانية لتبدل الشروط الحقيقية للإنتاج، لا مجرد نتيجة لقصور في الطلب .

¹ Kydland, F. E., & Prescott, E. C. (1982). Time to Build and Aggregate Fluctuations. *Econometrica*, 50(6), pp 1345–1370

كما تؤكد المدرسة على أهمية الإحلال بين العمل والفراغ عبر الزمن (intertemporal substitution)، حيث قد يختار الأفراد زيادة عرض عملهم في الفترات التي تكون فيها الأجور الحقيقية مرتفعة نسبيا، وتقليله في الفترات التي تنخفض فيها العوائد الحقيقية للعمل. ووفق هذا المنطق، فإن بعض مظاهر البطالة أو انخفاض التشغيل قد تعكس قرارات تخصيص زمنية عقلانية، وليست دائما بطالة لا إرادية بالمعنى التقليدي. ومن الجوانب المهمة في تفسير هذه المدرسة أنها تبرز التفاوت بين القطاعات والمناطق في الاستجابة للصدمات. فالصدمات الإنتاجية لا تؤثر بصورة متماثلة في جميع فروع الاقتصاد؛ إذ قد تشهد قطاعات متقدمة تكنولوجيا توسعا في التشغيل، في حين تتعرض قطاعات تقليدية أو منخفضة الإنتاجية لانكماش مستمر. وهذا يضيف على البطالة بعدا ديناميكيا وهيكليا في آن واحد، ويظهر أن التغيرات الدورية قد تكون، في جزء منها، تعبيرا عن عمليات إعادة تخصيص الموارد داخل الاقتصاد. ومع ذلك، فإن القيمة التحليلية لهذه المدرسة تظل أكبر عندما تدمج ضمن أطر أكثر اتساعا تأخذ أيضا في الحسبان الاحتكاكات المؤسسية والمالية والسلوكية، خاصة في حالات الركود العميق أو البطالة الممتدة التي يصعب ردها إلى صدمات إنتاجية فقط.

5- تفسير البطالة حسب نماذج البحث والمطابقة Labor market search and matching models¹:

يمثل نموذج دايموند -Mortensen - بييساريدس (DMP) (MODEL) أحد أكثر النماذج تأثيرا في تفسير البطالة الحديثة، لا سيما البطالة الاحتكاكية والبطالة المستمرة رغم وجود وظائف شاغرة. وتكمن أهمية هذا الإطار في أنه ينطلق من فرضية واقعية مفادها أن سوق العمل لا يعمل كآلية فورية لتسوية العرض والطلب، بل يتطلب وقتا وتكاليف للبحث، والمفاضلة، والمفاوضة، واتخاذ القرار. وبالتالي، فإن وجود عاطلين عن العمل ووجود وظائف شاغرة لا يعني بالضرورة تحقق المطابقة تلقائيا أو فورا. ويظهر النموذج أن البطالة يمكن أن تستمر حتى في ظل ارتفاع عدد الوظائف الشاغرة، بسبب وجود احتكاكات في المطابقة ناجمة عن عدم توافق المهارات، أو تباعد المواقع الجغرافية، أو تفاوت الأجور المعروضة والمتوقعة، أو نقص المعلومات لدى أحد طرفي السوق.

وتزداد أهمية هذا الإطار عندما يربط البطالة بقرارات المنشآت الخاصة بخلق الوظائف. فصاحب العمل لا يفتح منصبا جديدا إلا إذا كان العائد المتوقع من شغل الوظيفة أعلى من تكلفة الإعلان والبحث والتوظيف والتدريب. وإذا ارتفعت تكاليف خلق الوظائف أو زادت درجة عدم اليقين أو ارتفع معدل الانفصال الوظيفي، فإن عدد الوظائف الشاغرة الجديدة ينخفض، ما يؤدي إلى ارتفاع البطالة حتى لو كان عدد الباحثين عن العمل كبيرا. وبذلك، يقدم النموذج تفسيراً بنيويا ديناميكيا للبطالة، يتجاوز التفسير القائم على اختلال الطلب الكلي فقط.

¹ Pissarides, C. A. (2000). Equilibrium Unemployment Theory (2nd ed.). Cambridge, MA: MIT Press, pp. 12–35.

كما يبرز دور التفاوض على الأجور في هذا النموذج، حيث لا يتحدد الأجر غالبا بوصفه "سعر توازن" بسيط، بل نتيجة تفاوض بين العامل وصاحب العمل، يتأثر بالإنتاجية، قوة التفاوض، سياسات الحماية الاجتماعية، وتعويضات البطالة. وهذا ما يجعل البطالة حساسة للبنية المؤسسية لسوق العمل، وليس فقط للمتغيرات الكلية. ويعد هذا الإطار أيضا أساسا تحليليا مهما لفهم منحى بيفردج (العلاقة بين البطالة والوظائف الشاغرة)، حيث قد يشير ارتفاع البطالة والوظائف الشاغرة معا إلى انخفاض كفاءة المطابقة بدلا من ضعف الطلب العام فقط.

وقد اكتسب هذا النموذج مكانته المركزية في التحليل الاقتصادي المعاصر بعد منح جائزة نوبل في الاقتصاد سنة 2010 لكل من بيتر دايموند وديل مورتنسن وكريستوفر بيساريدس تقديرا لإسهاماتهم في تحليل الأسواق ذات الاحتكاكات، وفي مقدمتها سوق العمل.

6- تفسير البطالة حسب نظرية الاقتصاد الهيكلي **Structural Economics Theory**:¹

يركز الاقتصاد الهيكلي على تفسير البطالة باعتبارها ظاهرة ناتجة عن اختلافات عميقة في بنية الاقتصاد، لا مجرد تقلبات ظرفية في النشاط. ومن هذا المنظور، فإن البطالة، خصوصا طويلة الأمد، ترتبط بعدم التوافق بين خصائص عرض العمل (المهارات، التكوين، التوزيع الجغرافي) وخصائص الطلب على العمل (القطاعات الصاعدة، المهارات المطلوبة، المواقع الاستثمارية). ولذلك، قد تستمر البطالة حتى في فترات النمو الاقتصادي إذا كان النمو يتمركز في قطاعات أو مناطق لا تستوعب الفئات العاطلة.

وتتفاقم البطالة الهيكلية عادة مع التحولات التكنولوجية والقطاعية الكبرى، مثل الأتمتة، الرقمنة، وإعادة تشكيل سلاسل القيمة، حيث تتراجع الحاجة إلى بعض المهن التقليدية مقابل ارتفاع الطلب على كفاءات جديدة. وفي هذه الحالة، لا يكون العاطل عن العمل فاقدا لوظيفة فقط، بل قد يكون فاقدا للمهارات التي يطلبها السوق الجديد. وهذا ما يجعل البطالة أكثر استمرارا، لأن علاجها يتطلب إعادة تأهيل مهني وتكيفا مؤسسيا وتعليميا، وليس مجرد زيادة الطلب الكلي.

وتبرز الأدبيات الهيكلية أيضا البعد الإقليمي للبطالة، إذ قد تشكل فجوات مستدامة بين المناطق نتيجة اختلاف الهياكل الإنتاجية، والبنية التحتية، وتكلفة الانتقال، وتوافر فرص الاستثمار. وعليه، فإن المتوسط الوطني للبطالة قد يخفي تفاوتات كبيرة بين أقاليم تشهد ديناميكية تشغيل قوية، وأخرى تعاني ركودا هيكليا ممتدا. وهذا البعد الإقليمي يجعل السياسات العامة القائمة على مقارنة موحدة أقل فاعلية، ويعزز الحاجة إلى تدخلات موجهة حسب الخصائص المحلية.

¹Petrúšek, I., & Basna, K. (2025). Structural and cyclical unemployment and redistribution support in Europe: the moderating role of welfare state size. *West European Politics*. Advance online publication. <https://doi.org/10.1080/01402382.2025.2556601>

ومن ثم، فإن الاقتصاد الهيكلي يدفع نحو سياسات متعددة المحاور: إصلاح منظومات التعليم والتكوين، تعزيز التعلم المستمر، تحسين الربط بين مخرجات التكوين واحتياجات المؤسسات، وتسهيل التنقل الجغرافي والمهني للعمال. كما يبرز أن نجاح هذه السياسات يتطلب تزامنها مع سياسات إنتاجية واستثمارية قادرة على خلق وظائف ذات قيمة مضافة حقيقية، بدل الاكتفاء بإجراءات إدارية محدودة الأثر.

7- تفسير البطالة حسب نظرية الاقتصاد السلوكي Behavioral economics¹:

يقدم الاقتصاد السلوكي إضافة تفسيرية نوعية لدراسة البطالة، لأنه يراجع الفرضية التقليدية التي تفترض أن الأفراد يتخذون قراراتهم دائما وفق عقلانية كاملة ومعلومات مكتملة. فالواقع يظهر أن قرارات البحث عن عمل، قبول العروض، تغيير القطاع، أو التفاوض على الأجور، تتأثر بالحييزات إدراكية ونفسية قد تجعل سلوك العامل أو صاحب العمل يبتعد عن الحل الأمثل اقتصاديا، ومن أبرز هذه الانحييزات مقاومة الخسارة، حيث يميل الفرد إلى المبالغة في وزن الخسائر مقارنة بالمكاسب المحتملة. وفي سوق العمل، قد يظهر ذلك في رفض عروض عمل تقل عن الأجر السابق حتى ولو كانت تمثل خطوة انتقالية مناسبة بسبب إدراكها كخسارة اجتماعية أو مادية. كما أن الانحيياز أو الركون للوضع الراهن قد يدفع الأفراد إلى تأخير الانتقال إلى قطاعات جديدة أو مناطق أخرى رغم تحسن فرص التشغيل فيها، بسبب الميل النفسي إلى الاستقرار وتجنب عدم اليقين

كذلك، يبرز تأثير الإطار (framing effect)* في استجابة الباحثين عن العمل للبرامج والسياسات. فقد يؤدي اختلاف طريقة عرض نفس البرنامج، كمساعدة مؤقتة، أو فرصة تدريب، أو مسار تأهيل مهني، إلى اختلاف واضح في الإقبال عليه. وهذا يكشف أن فعالية سياسة التشغيل لا تعتمد فقط على محتواها الاقتصادي، بل أيضا على تصميمها الاتصالي والإجرائي. ومن هنا، تتزايد أهمية أدوات “الدفع السلوكي (nudges) ” في تحسين الانخراط في برامج التكوين، وتيسير العودة إلى سوق العمل.

أما من جهة أصحاب العمل، فإن القرارات التوظيفية قد تتأثر بدورها بتحيزات مثل الاعتماد المفرط على مؤشرات شكلية (نوع الشهادة، المسار التقليدي، الانطباعات الأولى)، أو الخوف من المجازفة بتوظيف فئات معينة (العاطلون لفترات طويلة، حديثو التخرج، أو من لديهم مسارات مهنية غير خطية). وهذه الممارسات قد تؤدي إلى إقصاء غير مبرر اقتصاديا، وتزيد من صعوبة المطابقة بين العرض والطلب.

وتتضح القيمة التطبيقية للاقتصاد السلوكي خصوصا في تفسير البطالة طويلة الأمد، حيث يمكن أن يؤدي الإحباط، وتآكل الثقة بالنفس، والوصمة الاجتماعية المرتبطة بالعطالة، إلى تراجع كثافة البحث عن العمل أو الانسحاب الجزئي من السوق. ومن ثم، فإن السياسات العامة الأكثر فاعلية هي تلك التي تجمع بين الحوافز

¹ Thaler, R. H. (2015). Misbehaving: The Making of Behavioral Economics. New York: W. W. Norton & Company, pp. 101-106.

* بمعنى أن الأفراد لا يتخذون قراراتهم بناء على المحتوى فقط بل يتأثرون بالإطار الذي تقدم فيه المعلومة فمثلا إذا قيل لشخص عن مشروعين الأول نسبة الربح 90% والثاني نسبة الخسارة 10% فسيختار المشروع الأول رغم أن المعنى الإحصائي واحد.

الاقتصادية والتدخلات السلوكية (الإرشاد، المتابعة، التبسيط الإداري، والتحفيز النفسي) بهدف معالجة العوائق غير المرئية التي تعيق العودة إلى التشغيل.

8- تفسير البطالة حسب نظرية الاقتصاد المؤسسي الحديث New Institutional Economics:

يربط الاقتصاد المؤسسي الحديث بين البطالة وبين جودة الإطار المؤسسي الذي ينظم النشاط الاقتصادي، انطلاقاً من أن الأسواق لا تعمل في فراغ، بل داخل منظومة من القواعد والقوانين والأعراف وآليات الإنفاذ. ووفق هذا المنظور، فإن مستوى البطالة لا يتحدد فقط بحجم الاستثمار أو نمو الناتج، بل أيضاً بمدى كفاءة المؤسسات في خلق بيئة مستقرة ومحفزة على الإنتاج والتوظيف. فحين تكون المؤسسات قوية من حيث وضوح القواعد، سرعة الإجراءات، فعالية القضاء، وحماية حقوق الملكية ترتفع قدرة الاقتصاد على جذب الاستثمار وتوسيع النشاط، مما ينعكس إيجاباً على خلق الوظائف. أما في البيئات المؤسسية الضعيفة، فإن تعقيد التراخيص، بطء الفصل في المنازعات، عدم اليقين التنظيمي، وضعف الحماية القانونية يرفع تكلفة ممارسة الأعمال ويضعف الحوافز على التوسع الرسمي، مما يحد من الطلب على العمل ويغذي البطالة أو الهشاشة الوظيفية. كما يبرز هذا الاتجاه العلاقة الوثيقة بين البطالة والاقتصاد غير الرسمي. ففي السياقات التي تتسم بضعف المؤسسات، قد يتجه جزء معتبر من النشاط الاقتصادي نحو القطاع غير الرسمي هرباً من التعقيدات الإدارية أو كلفة الامتثال، لكن ذلك غالباً ما يكون مصحوباً بانخفاض الإنتاجية، وضعف الاستثمار في رأس المال البشري، وغياب الحماية الاجتماعية. وبذلك، قد يتم امتصاص جزء من البطالة الظاهرة، لكن دون معالجة جوهر المشكلة المتعلقة بضعف خلق وظائف منتجة ومستقرة.¹

وتؤكد الأدبيات المؤسسية الحديثة أن الإصلاحات الهادفة إلى خفض البطالة يجب أن تشمل، إضافة إلى سياسات التكوين والتشغيل، إصلاحات عميقة في بيئة الأعمال والحوكمة، مثل تبسيط إجراءات تأسيس المؤسسات، تحسين كفاءة القضاء التجاري، تعزيز الشفافية، الحد من عدم اليقين التنظيمي، وحماية الحقوق الاقتصادية. فهذه الإصلاحات لا تنتج وظائف بشكل مباشر وفوري فقط، بل تعيد تشكيل مناخ الثقة والاستثمار الذي يعد أساساً لخلق فرص عمل مستدامة.

وعليه، ينظر الاقتصاد المؤسسي الحديث إلى البطالة بوصفها مؤشراً مركباً يعكس، إلى جانب أوضاع سوق العمل، مستوى جودة المؤسسات وقدرتها على تنسيق الحوافز الاقتصادية بصورة تدفع نحو الإنتاج والتشغيل.

المبحث الثاني: المرض الهولندي ودوره في تفاقم مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية

يعد موضوع المرض الهولندي من المواضيع المحورية التي نالت اهتمام الباحثين الاقتصاديين، نظراً لما يمثله من تحديات هيكلية عميقة تطال صلب البنية الاقتصادية للدول المعتمدة على الموارد الطبيعية. ويأخذ هذا الموضوع أهمية خاصة في

¹ North, D. C. (1990). Institutions, Institutional Change, and Economic Performance. Cambridge: Cambridge University Press, pp. 71-74.

الاقتصادات النفطية، حيث يشكل النفط المصدر الأساسي للدخل وللإيرادات الخارجية، ما يخلق اختلالات بنيوية مستمرة تؤثر على قدرة هذه الاقتصادات في خلق الثروة الحقيقية وتنويع مصادر النمو .

إن فهم ظاهرة المرض الهولندي يتطلب التعمق في دراسة آليات انتقال الصدمات النفطية إلى القطاعات الحقيقية والإنتاجية، وبيان كيفية انعكاس هذه الصدمات على مؤشرات التشغيل وسوق العمل . كما يستدعي تناولاً معمقاً لبنية الاقتصاد النفطي وخصائصه، وتحليل العلاقة بين الاعتماد على النفط وبين هشاشة القطاعات الإنتاجية الأخرى.

المطلب الأول : الإطار المفاهيمي للاقتصادات النفطية

أصبح مصطلح الاقتصادات النفطية من بين أهم المصطلحات الأكثر استخداماً في أدبيات اقتصاد التنمية إذ لا يقتصر هذا المصطلح على وصف القطاع النفطي فحسب بل يمثل إطاراً تحليلياً لدراسة الدول التي تعتمد بشكل رئيسي على عائد النفط في تمويل الاقتصاد وما ينتج عن هذا الاعتماد من نشأة اختلالات هيكلية أصبحت بمثابة خصائص بارزة وسمات جوهرية لهذه الدول وفيما يلي أهم المفاهيم المرتبطة بهذا المصطلح.

أولاً : تعريف الاقتصاد النفطي Petroleum Economics

يعرف الاقتصاد النفطي بأنه الاقتصاد الذي تكتسب فيه الموارد البترولية، وبالأخص النفط والغاز الطبيعي، دوراً مركزياً في تشكيل البنية الاقتصادية وتحديد اتجاهات النمو والتشغيل والإنفاق العام. ولا يقتصر هذا التعريف على معيار واحد، بل يعتمد على مجموعة من المؤشرات الكمية والنوعية التي تعكس درجة اعتماد الاقتصاد على قطاع المحروقات.

فعلى المستوى الكمي، يعد الاقتصاد نفطياً عندما تشكل صادرات النفط والغاز نسبة معتبرة من إجمالي الصادرات، غالباً ما تتجاوز 40%، أو عندما تساهم الإيرادات البترولية بما يفوق 30-50% من مجموع الإيرادات الحكومية، أو عندما يهيمن قطاع المحروقات على أكثر من 20-30% من الناتج المحلي الإجمالي.¹

أما على المستوى النوعي، فيعكس الاقتصاد النفطي مدى تأثير الموارد البترولية على البنية الاقتصادية، حيث يصبح أداء الاقتصاد مرهوناً بأسعار النفط العالمية. ويتجلى هذا الارتباط في ضعف التنويع الاقتصادي، وتوسع القطاع العام، وهشاشة سوق العمل، وسيطرة عائدات النفط على قرارات الاستثمار والإنتاج والاستهلاك.²

علاوة على ذلك، يتخذ الاقتصاد النفطي غالباً طابعاً ريعياً، إذ تعتمد الحكومات بشكل رئيس على الإيرادات النفطية لتغطية نفقاتها، وهو ما يقلل الحاجة لتطوير القطاعات الإنتاجية الأخرى، مثل الصناعة والزراعة والخدمات الحديث. ويؤكد الباحثون أن جوهر المشكلة ليس في المورد ذاته، بل في كيفية إدارة هذا المورد وفي فعالية المؤسسات الاقتصادية

¹. Corden, W. M., & Neary, J. P. (1982). Booming Sector and De-industrialization in a Small Open Economy. *Economic Journal*, 92(368), 825-848.

². Sachs, J. D., & Warner, A. M. (2001). The Curse of Natural Resources. *European Economic Review*, 45(4-6), 827-838.

هذا و تعد الاقتصادات النفطية حالة فرعية ضمن الإطار الأشمل للاقتصادات الريعية **Rentier Economy**، إذ يقوم الأول على الاعتماد المفرط على عائدات النفط والغاز بوصفهما المصدر الرئيس للنتائج المحلي الإجمالي ولإيرادات المالية العمومية، بينما يتجاوز مفهوم الاقتصاد الريعي ذلك ليشمل كل دخل خارجي متحقق دون مساهمة إنتاجية محلية تذكر، سواء تعلق الأمر بالثروات الطبيعية أو بالموقع الجغرافي أو التحويلات أو المساعدات. ويشير التحليل البنوي إلى أن الاقتصادات النفطية تندرج في صميم الاقتصادات الريعية، لكنها لا تستوعب كل أنواع الربوع الممكنة، ما يجعل الريعية مفهوماً أوسع من حيث الدلالة الاقتصادية. وتؤكد الأدبيات أن هذا النمط من الاعتماد يؤدي إلى ضعف التنوع، وهيمنة الدولة على توزيع الموارد، وتوسع السلوكيات الريعية، فضلاً عن هشاشة البنية الاقتصادية أمام التقلبات الخارجية، وهي سمات ترتبط جوهرياً بطبيعة الربيع كما عرفه ببلوي ولوسيان، باعتباره دخلاً غير ناتج عن نشاط إنتاجي داخلي، وتترتب عنه اختلالات هيكلية ممتدة في مسار التنمية¹.

ثانياً: خصائص الاقتصادات النفطية في الدول النامية

أ- هيمنة قطاع المحروقات على النشاط الاقتصادي:

تتسم البنى الاقتصادية في الدول النامية المصدرة للنفط بسيطرة واضحة ودائمة لقطاع المحروقات، الذي يشكل الركيزة الأساسية للدخل القومي وعائدات الصادرات والقدرة الجبائية للدولة. ففي دول مثل الجزائر والمملكة العربية السعودية ونيجيريا، تمثل عائدات النفط والغاز الحصة الغالبة من صادرات السلع، وغالباً ما تتجاوز 85 إلى 90 بالمائة، في حين تسهم بما بين 40 و70 بالمائة من إيرادات المالية العمومية تبعاً للدورات السعرية في الأسواق العالمية. وتعكس هذه الدرجة العالية من تركيز النشاط الاقتصادي في قطاع استخراجي واحد حالة من التبعية الهيكلية التي تحد من فرص التنوع وتعرض الاقتصاد لمستويات مرتفعة من التقلب الخارجي. كما أن قطاع المحروقات يتميز بكونه كثيف رأس المال ومرتفع المتطلبات التكنولوجية، الأمر الذي يجعل مساهمته المباشرة في التشغيل محدودة، وهو ما يوسع الفجوة بين أهميته بالنسبة لمالية الدولة وقدرته الضعيفة على تحريك التنمية الاقتصادية الشاملة. ونتيجة لذلك، تميل فترات ارتفاع أسعار النفط إلى دفع الحكومات نحو توسيع الانفاق العام وتسريع النمو، في حين تؤدي فترات الانخفاض إلى عجز في الميزانية وتراجع في الاستثمار العمومي واضطرابات في التوازنات الخارجية.

إضافة إلى ذلك، يمارس تفوق قطاع المحروقات تأثيرات غير مباشرة واسعة على الاقتصاد، غالباً ما تعيق التحول الهيكلي وتعيد إنتاج أنماط طويلة الأمد من الضعف التنموي. وتبين الدراسات التطبيقية أن هذه الآثار ذات طبيعة هيكلية وليست ظرفية، حيث تتسم الدول النامية المعتمدة على النفط بمستويات ضعيفة من تنوع الصادرات، وبنية صناعية هشة، وقدرة محدودة على الإدماج التكنولوجي². كما تعتمد الحكومات في هذه الاقتصادات بصفة كبيرة على

1. Beblawi, H., & Luciani, G. (1987), *The Rentier State*, London: Croom Helm, p. 51.

2. Karl, Terry Lynn, *The Paradox of Plenty: Oil Booms and Petro-States*, University of California Press, Berkeley, 1997, pp. 42-56.

عائدات النفط لتمويل جهاز إداري واسع وأنظمة دعم مكلفة، بما يخلق حوافز مؤسسية تعزز الاعتماد على الربح بدل تشجيع الاستثمار المنتج في الأنشطة غير النفطية. وبهذه الطريقة، لا يهيمن قطاع المحروقات على المشهد الاقتصادي فحسب، بل يفرض منطقه كذلك على البنية الجبائية والسياسية، بما يقيد آفاق النمو المستدام والمرونة الاقتصادية على المدى الطويل.

ب- تضخم دور الدولة في الاقتصاد:

يعد تضخم دور الدولة في الاقتصاد من أبرز خصائص الاقتصادات النامية المعتمدة على النفط، إذ توفر عائدات المحروقات الموارد اللازمة لتوسيع الأنشطة الاقتصادية التي تهيمن عليها الدولة. ففي هذه الاقتصادات، تصبح الدولة الفاعل الاقتصادي الأكبر، مسيطرة على الاستثمار العام وتوظيف العمالة وتوزيع الموارد، في حين تظل القطاعات غير النفطية محدودة التطور. تؤدي هذه الهيمنة إلى عدة آثار سلبية على المدى الطويل، أبرزها تقليص الحوافز أمام القطاع الخاص، وتعزيز الاعتماد على الدولة كمصدر رئيسي للدخل، وتشجيع سلوكيات البحث عن الربح، والفساد الإداري، وضعف المنافسة الاقتصادية. كما يحد التدخل المكثف للدولة من المرونة الاقتصادية ويجعل الاقتصاد أكثر هشاشة أمام الصدمات الخارجية، وخاصة تقلبات أسعار النفط، ويعيق تطوير القطاعات الإنتاجية غير النفطية، بما في ذلك الصناعة والزراعة والخدمات. بالإضافة إلى ذلك، فإن السيطرة المفرطة على الموارد وتوجيهها من قبل الدولة قد يؤدي إلى ضعف الابتكار والتحول الهيكلي، إذ تعتمد السياسات الاقتصادية في الغالب على الإيرادات النفطية بدل تنمية قاعدة إنتاجية مستدامة. وبهذا الشكل، تصبح الهيمنة الحكومية على النشاط الاقتصادي عاملاً رئيسياً في تعزيز نموذج ريعي يحد من نمو القطاع الخاص ويضعف القدرة على تحقيق التنمية المستدامة على المدى الطويل¹.

ج- ضعف القدرات المؤسسية وغياب الحوكمة الرشيدة:

يعد ضعف القدرات المؤسسية من السمات الجوهرية للاقتصادات النامية المعتمدة على النفط، حيث ينعكس هذا الضعف على فعالية السياسات الاقتصادية واستدامة التنمية. ففي هذه الاقتصادات، يقلل التدفق الكبير لعائدات المحروقات من الحوافز لبناء مؤسسات قوية ومستقلة، إذ غالباً ما تعتمد الحكومات على الربح النفطي لتغطية النفقات العامة بدلا من تطوير هياكل إدارية فعالة. ويؤدي هذا الاعتماد إلى تراجع كفاءة الإدارة، وضعف الأجهزة الرقابية، وعدم القدرة على وضع وتنفيذ استراتيجيات تنمية طويلة الأمد. ونتيجة لذلك، تبقى مجالات أساسية مثل إدارة المالية العامة، ومراقبة الاستثمارات، والتخطيط القطاعي دون المستوى المطلوب، ما يعرض الاقتصاد لهشاشة هيكلية ويحد من قدرته على التنويع وتحقيق نمو مستدام.

¹. Ross, Michael L., The Oil Curse: How Petroleum Wealth Shapes the Development of Nations, Princeton University Press, Princeton, 2012, pp. 45-49.

ويترتب على ضعف القدرات المؤسسية ارتباط وثيق بغياب الحوكمة الرشيدة، وهي ظاهرة متكررة في الاقتصادات النفطية النامية. إذ يساهم تركيز الموارد الاقتصادية في يد الدولة في تعزيز سلوكيات البحث عن الربح، وتقليل الشفافية، وانتشار الفساد، ما يضعف الثقة العامة ومصداقية السياسات. كما يسمح الاعتماد على عائدات النفط للحكومات بالاحتفاظ بالسلطة الاجتماعية والسياسية من خلال برامج الدعم والتحويلات وشبكات المحاباة، مما يجد من المساءلة ويضعف إشراك المواطنين في صنع القرار. ويؤدي هذا التلازم بين الهشاشة المؤسسية وعجز الحوكمة الى ترسيخ نموذج اقتصادي ريعي تهيمن عليه الدولة، ما يعيق نمو القطاع الخاص ويحد من فرص التحول الهيكلي المستدام¹.

د- ضعف قاعدة الابتكار وتطوير رأس المال البشري:

ضعف قاعدة الابتكار وتطوير رأس المال البشري يمثلان أحد السمات الجوهرية للاقتصادات النفطية في الدول النامية، حيث يؤدي الاعتماد الكبير على عائدات المحروقات إلى تقليص الحوافز للاستثمار في القطاعات المعرفية والبحث العلمي والتقدم التكنولوجي. وغالبا ما تركز الحكومات والمؤسسات على المكاسب الاقتصادية قصيرة المدى والمخرجات الكمية، متجاهلة البحث النوعي والتحليلي، ما يؤدي الى إعطاء الأولوية للدراسات الوصفية والإحصائية على حساب الأبحاث التطبيقية والتجريبية التي يمكن أن تولد ابتكارات منتجة. ونتيجة لذلك، تظل آليات دعم الإبداع والاكتشاف العلمي وريادة الأعمال التكنولوجية محدودة، وتقل قدرة المجتمع على تحويل المعرفة والبحث العلمي إلى منافع اقتصادية واجتماعية ملموسة.

هذا الضعف المؤسسي في الابتكار يتكامل مع ظاهرة هجرة العقول، حيث يسعى الأفراد ذوو المهارات العالية والكفاءات العلمية إلى البحث عن فرص أفضل واعتراف مهني وموارد بحثية مناسبة، ويؤدي هذا النقص في الاستثمار في البنية التحتية للابتكار، إلى جانب محدودية تقدير المساهمات العلمية، إلى تقليل الحوافز للاحتفاظ بالمواهب وخلق المعرفة محليا. وبالتالي يسهم هذا الواقع في تعزيز الاعتماد الهيكلي على الربح النفطي، ويحد من تطوير اقتصاد معرفي قادر على الابتكار والمنافسة، ويعمق السيطرة الحكومية على النشاط الاقتصادي، مما يعيق التحول الهيكلي المستدام ويحد من فرص النمو طويل المدى².

هـ- تنامي ظاهرة الفساد والمحسوبية :

تشكل ظاهرتا الفساد والمحسوبية واستغلال النفوذ أحد أبرز السمات المميزة للاقتصادات النفطية في الدول النامية. ففي هذه الدول، تتيح وفرة عائدات المحروقات للمسؤولين العموميين إمكانيات واسعة للانخراط في توجيه الموارد لتحقيق مكاسب شخصية مباشرة، سواء من خلال الاختلاس المباشر، أو منح الامتيازات المالية المشبوهة، أو توفير فرص استثنائية للمقربين في العقود والمشتريات الحكومية. ويؤدي هذا الاعتماد الهيكلي على الربح النفطي إلى نشوء اقتصاد سياسي يقوم على مكافأة الولاء للنخب الحاكمة على حساب الكفاءة والعدالة، بينما تضعف مؤسسات

¹. عامر لطفي، نفس المرجع السابق ص 75-80

². عامر لطفي، نفس المرجع السابق ص 91-95

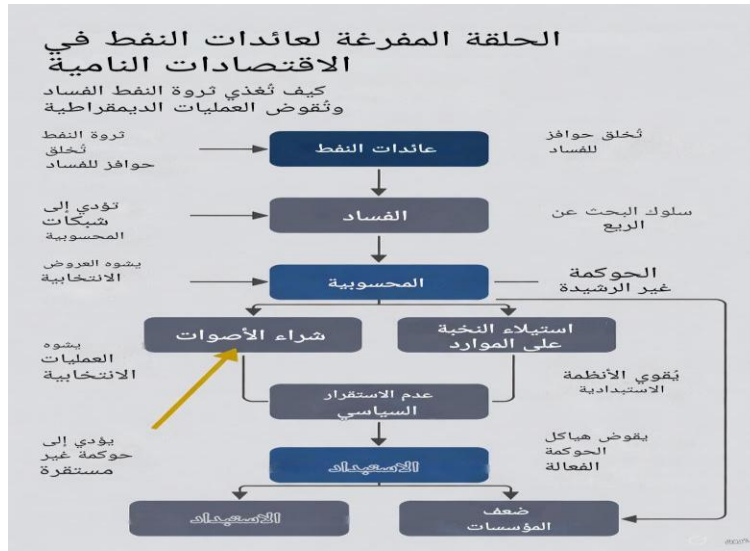
الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

الدولة نتيجة تحويل الموارد من التنمية العامة إلى المصالح الخاصة. ويترتب على ذلك انعدام الشفافية في صنع القرار، وتقليل فعالية الرقابة على السياسات الاقتصادية، ما يعيق تطوير هياكل مؤسسية قوية وموثوقة.

ويشمل في هذا السياق أيضا استخدام عائدات النفط كأداة لتأمين الولاءات السياسية وترسيخ السلطة. فالحكومات غالبا ما توظف الموارد النفطية في برامج الدعم والتحويلات المالية، أو تقديم امتيازات مباشرة للفئات الموالية، بما يؤدي فعليا إلى شراء الطاعة الاجتماعية والسياسية. ويؤدي هذا النهج إلى تفويض المساءلة والشفافية، وإضعاف الضوابط المؤسسية، وتقليص حوافز تطوير السياسات العامة وتحسينها. ومع مرور الوقت، تمكن هذه الآليات النخب الحاكمة من ترسيخ نفسها في السلطة، ما يخلق أشكالا حديثة من الديكتاتورية التي تعتمد بصورة أقل على القمع المباشر وأكثر على التحكم الاستراتيجي في توزيع الموارد والنفوذ، بما يضمن استدامة الهيمنة السياسية.

وتتعاظم آثار هذه الظواهر حين تتضافر مع ضعف المؤسسات الأخرى، فتنتج حلقة مستمرة من الاعتماد على الربح النفطي وضعف الحوكمة. فالتحكم المفرط في الموارد، ومحدودية المشاركة المدنية، وغياب التقدير الحقيقي للجهود الفردية والإبداع، يجعل الدولة قادرة على التحكم في الاقتصاد والمجتمع مع الحد من النشاط السياسي المستقل وحرية المبادرة الاقتصادية. وبهذا الشكل يصبح الربح النفطي أداة لترسيخ المحسوبية، وتعزيز الفساد المؤسسي، وتقليص فرص الإصلاح الاقتصادي والسياسي الهيكلي. ولهذا السبب غالبا ما تواجه الاقتصادات النفطية النامية صعوبات مستمرة في تعزيز الديمقراطية، وتقوية المؤسسات، وتحقيق إدارة مستدامة وفعالة للموارد، ما يضعف آفاق النمو الطويل المدى¹.

الشكل (1-4) : الحلقة المغلقة للفساد في الاقتصادات النفطية



المصدر: من إعداد الطالب.

ز- ارتفاع سعر الصرف الحقيقي وضعف القدرة التنافسية للسلع محلية الصنع:

¹. Shaxson, Nicholas, Oil, Corruption and the Resource Curse, International Affairs, Vol. 83, No. 6, 2007, pp. 1123-

في الاقتصادات المعتمدة على الموارد، خصوصا الدول النامية التي تعتمد على صادرات النفط، يظهر ارتفاع سعر الصرف الحقيقي وتراجع القدرة التنافسية كإحدى السمات البارزة لهذه الاقتصادات. وينشأ هذا الاختلال نتيجة تدفق عائدات النقد الأجنبي خلال فترات ازدهار النفط، مما يؤدي إلى تجاوز قيمة العملة المحلية لمستواها الحقيقي هذا الأمر الذي يؤدي كذلك إلى تآكل القدرة السعرية التنافسية للسلع المنتجة محليا في الأسواق الدولية، الأمر الذي يكرس اختلالا هيكليا يعمق التبعية لإيرادات السلع الأولية المتقلبة. ونتيجة لذلك، تعاني هذه الاقتصادات من بطء في التنوع، وهشاشة مرتفعة أمام الصدمات الخارجية، إضافة إلى نمط استهلاك يعتمد بشكل كبير على الواردات، ما يقوض آفاق النمو المستدام على المدى الطويل.

وتعود المحركات الأساسية لارتفاع سعر الصرف الحقيقي في الدول النامية المصدرة للنفط إلى التدفقات الضخمة لرؤوس الأموال المرتبطة بالإيرادات البترولية. ففي فترات ارتفاع أسعار النفط عالميا، تحصل الحكومات والمؤسسات على كميات كبيرة من النقد الأجنبي، والذي يؤدي تحويله محليا إلى توسع في الكتلة النقدية وظهور ضغوط تضخمية مدفوعة بالطلب، خصوصا في القطاعات غير القابلة للتجارة مثل الخدمات والبناء. وتؤدي هذه الضغوط التضخمية، إلى جانب استقرار سعر الصرف الاسمي في ظل أنظمة التثبيت أو الإدارة المشددة، إلى ارتفاع سعر الصرف الفعلي الحقيقي. كما يعمل أثر الإنفاق على تضخيم هذا الاتجاه، حيث تمول العوائد النفطية سياسات مالية توسعية تشمل الدعم والاستثمارات العمومية، مما يرفع مستويات الأسعار المحلية مقارنة بالأسعار العالمية ويجعل العملة مقيمة بأعلى من قيمتها.

كما يمثل دافع التباهي ورغبة السلطات في إظهار قوة اقتصادية مصطنعة أحد العوامل التي تدفع الحكومات في الدول النفطية إلى الإبقاء على سعر صرف مقيم بأعلى من قيمته الحقيقية خلال فترات ارتفاع أسعار النفط. ففي لحظات الوفرة الربعية، يصبح الحفاظ على عملة قوية رمزا للانجاز السياسي والاستقرار المالي، حتى عندما لا تعكس هذه القوة وضعية الاقتصاد غير النفطي ولا قدرته الإنتاجية الفعلية. ويقود هذا السلوك، المدفوع بالاعتبارات السياسية وصورة الدولة أكثر من الأسس الاقتصادية، إلى تثبيت إداري مبالغ فيه لسعر الصرف يمنع العملة من التعديل الطبيعي وفق التطورات الهيكلية.

وينتج عن هذا التثبيت القائم على التباهي تشوهات واسعة في بنية الاقتصاد، إذ تتضرر القدرة التنافسية للقطاعات المنتجة التي تتحمل تكلفة العملة القوية، بينما تتوسع الأنشطة الربعية والتجارية المعتمدة على الواردات الرخيصة. كما تتزايد الفجوة بين القيمة الاسمية للعملة وقيمتها التوازنية، ما يجعل الاقتصاد أكثر هشاشة أمام تقلبات أسعار النفط، ويصعب لاحقا عملية التصحيح التي غالبا ما تأتي عبر خفض حاد ومكلف لقيمة العملة. وبهذه الطريقة يتحول التباهي بقوة العملة من رمز للنجاح إلى مصدر لاختلال هيكلية تضعف المسار التنموي على المدى البعيد.

كما يؤدي هذا الارتفاع في سعر الصرف الحقيقي مباشرة إلى إضعاف تنافسية السلع المحلية القابلة للتجارة نتيجة ارتفاع أسعارها النسبية مقارنة بنظيراتها الأجنبية. وتصبح الصادرات غير النفطية، كالمحاصيل الزراعية والمنتجات

الصناعية ، أعلى ثمنا في الأسواق الدولية، ما يؤدي إلى انكماش هذه القطاعات بفعل تراجع الربحية وتآكل الحصة السوقية. ويزيد أثر حركة الموارد من حدة هذا الوضع، إذ تنتقل اليد العاملة ورأس المال نحو القطاع النفطي المزدهر والقطاعات غير القابلة للتجارة، مما يترك القطاعات القابلة للتجارة تعاني من نقص الاستثمار وضعف التحديث التكنولوجي. وتظهر الأدلة التجريبية في الدول النامية الغنية بالنفط أن هذه الديناميكيات تقود إلى مسار شبه صناعي يتمثل في تراجع مساهمة الصناعة التحويلية في الناتج المحلي الإجمالي، بما يعزز حلقة مفرغة من ضعف التنويع وارتفاع التعرض لتقلبات أسعار السلع الأساسية.

وفي النهاية، يؤدي تآكل القدرة التنافسية إلى تعاضم التبعية للواردات، إذ تجعل العملات المبالغ في تقييمها السلع الأجنبية أرخص وأكثر جاذبية، مما يزيح الإنتاج المحلي ويوسع العجز التجاري. ويؤدي هذا التحيز نحو الواردات إلى إضعاف روح المبادرة والابتكار والإنتاجية محليا، ويعمق نموذج الدولة الربعية التي تعطي الأولوية للاستهلاك قصير الأجل على حساب الاستثمار المنتج¹.

ك- ازدهار القطاع غير المتداول:

يشير القطاع غير المتداول إلى مجموعة الأنشطة الاقتصادية التي يظل إنتاجها موجها للسوق المحلي ولا يمكن تصديره بسهولة بسبب طبيعة المنتجات أو ارتفاع تكاليف نقلها. وتشمل هذه الأنشطة أساسا البناء والعقار والخدمات المحلية والنقل الداخلي والتعليم والصحة والإدارة العامة. وتشكل أسعار هذا القطاع ضمن حدود السوق الوطنية فقط، مما يجعله شديد التأثر بالتحويلات الداخلية مثل التوسع في الإنفاق الحكومي وتقلبات الطلب المحلي، بعيدا عن ضغوط المنافسة الدولية.

ويتسم القطاع غير المتداول في الاقتصادات النفطية النامية بخصائص بنيوية مميزة، من أبرزها اعتماده المكثف على اليد العاملة، وضعف قدرته على التوسع السريع في الطاقة الإنتاجية، وارتباطه الكبير بالمشاريع الحكومية. كما أن الطلب على خدماته يتسم بارتفاع المرونة تجاه الدخل، إذ يشهد نموا ملحوظا مع ارتفاع الإيرادات النفطية. وتشير الدراسات الحديثة، على غرار تحليل البنك الدولي²، إلى أن هذا القطاع يصبح أكثر عرضة للاختناق خلال فترات الازدهار بسبب فجوة العرض والطلب وضعف الإنتاجية، مما يعزز سرعة تشكل موجات ازدهار غير مستدامة.

وينتج ازدهار القطاع غير المتداول في الاقتصادات النفطية عن مجموعة من الأسباب التي ترتبط أساسا بالدورة الربعية. فالارتفاع الكبير في الإيرادات النفطية يؤدي إلى توسع الإنفاق العمومي الموجه نحو البناء والإسكان والخدمات، وهو ما يرفع الطلب على منتجات هذا القطاع ويدفع أسعاره للارتفاع. كما يسهم ارتفاع سعر الصرف

¹ van der Ploeg, Frederick. 2011. "Natural Resources: Curse or Blessing?" Journal of Economic Literature 49 (2): PP 366–420

² World Bank. (2022). Commodity Dependence and Structural Transformation in Developing Economies. Washington, DC: World Bank, p. 4

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

الحقيقي في جعل السلع المستوردة أرخص، بينما تبقى الخدمات المحلية أكثر ربحية، مما يشجع انتقال الموارد نحو القطاع غير المتداول. وتزيد السيولة البنكية والائتمان الاستهلاكي من نشاط العقار والبناء والخدمات، فتتشكل حالة ازدهار سريعة قد تتحول في غياب الرقابة الاقتصادية إلى فقاعة تضخمية.

وتتجلى انعكاسات ازدهار القطاع غير المتداول في مزيج من الإيجابيات والسلبيات. فمن جهة، يساعد الازدهار على خلق فرص عمل جديدة وتنشيط الدورة الاقتصادية المحلية وتحسين الخدمات العامة. ومن جهة أخرى، يؤدي هذا الازدهار إلى ارتفاع تكاليف الخدمات والإسكان والأجور، مما يضغط على القطاعات المتداولة ويحد من تنافسيتها الخارجية، ويشجع إعادة تخصيص الموارد نحو أنشطة قصيرة الأجل واستهلاكية. كما تنتقل آثاره إلى باقي القطاعات عبر زيادة تكاليف الإنتاج وارتفاع أسعار العقار وتآكل القدرة الشرائية للأسر. وفي المدى الطويل، يمكن أن يسهم هذا الازدهار في ترسيخ الاعتماد على النفط وإضعاف القاعدة الإنتاجية إذا لم يرافقه إصلاح هيكلي مستدام.

ل- النمو الديمغرافي السريع المصحوب بتركيبية سكانية شابة:

تتميز الدول النفطية النامية بوجود نمو سكاني مرتفع وهم عمري شاب، إذ يشكل الشباب نسبة كبيرة من السكان مقارنة بالفئات العمرية الأخرى. يعود هذا الوضع إلى تحسن مستويات الدخل الناتجة عن العائدات النفطية، وتوسع خدمات الصحة العامة، وتراجع معدلات الوفيات، مع استمرار ارتفاع معدلات الخصوبة. تؤدي هذه التركيبة الديمغرافية إلى زيادة الضغط على سوق العمل نتيجة دخول أعداد كبيرة من الشباب سنويا، مما يرفع من معدلات البطالة، خصوصا بطالة الشباب. كما يزداد الطلب على الخدمات العامة من تعليم وصحة وإسكان وتكوين مهني، مما يشكل تحديا للمالية العامة في ظل اعتماد الاقتصاد على النفط. ومع ذلك، يمكن أن تتحول هذه الفئة الشابة إلى قوة دافعة للنمو الاقتصادي إذا تم الاستثمار في رأس المال البشري وتنويع الاقتصاد. على النقيض، قد تؤدي فترات انخفاض أسعار النفط إلى توترات اجتماعية بسبب غياب فرص العمل وتراجع مستوى الخدمات¹.

وعلى نفس المنوال تسجل هذه الدول في العادة معدل تحضر سريع نتيجة الهجرة الداخلية من المناطق الريفية نحو المدن، بحثا عن فرص عمل في القطاع النفطي والخدمات المرتبطة به، هذا التحضر السريع يؤدي إلى توسع المدن بشكل غير منظم، ويزيد الضغط على البنية التحتية من طرق، مياه، صرف صحي وسكن. كما يساهم التحضر في تغير أنماط الأسرة والتقاليد الاجتماعية، ويؤدي أحيانا إلى ارتفاع تكاليف المعيشة وزيادة الفوارق الاجتماعية. وعليه، يصبح التوازن بين النمو العمراني والقدرة على تلبية الخدمات العامة تحديا رئيسيا للحكومات النفطية².

المطلب الثاني: المرض الهولندي وعلاقته بمشكلة البطالة

¹ World Bank, Population Dynamics in Resource-Rich Economies: Opportunities and Challenges, Washington DC, 2023, p 12-25 .

² Ibid, p 30

1- تعريف المرض الهولندي Dutch Disease:

يشير مفهوم المرض الهولندي إلى مجموعة التحولات الاقتصادية التي تنشأ عندما تؤدي الطفرات الربعية المفاجئة، خصوصا الناتجة عن صادرات الموارد الطبيعية، إلى ارتفاع سعر الصرف الحقيقي للعملة المحلية وما يرافقه من تراجع القدرة التنافسية للقطاعات القابلة للتداول مثل الصناعة والزراعة. ويحدث هذا الاختلال نتيجة تدفق العملة الأجنبية بشكل يفوق قدرة الاقتصاد المحلي على استيعابها، مما يرفع مستوى الأسعار داخليا مقارنة بالأسواق الخارجية. ونتيجة لذلك تنكمش القطاعات الإنتاجية التي تعتمد على التصدير لصالح توسع القطاع الريعي والقطاع غير القابل للتداول، الأمر الذي يؤدي إلى اختلال في البنية الاقتصادية وفقدان قاعدة إنتاجية قادرة على دعم النمو على المدى الطويل. ويعد هذا المفهوم أحد المحاور الأساسية في تحليل الاقتصادات الربعية نظرا لارتباطه بتدهور التنوع الاقتصادي وتعميق الهشاشة الهيكلية للاقتصادات المعتمدة على مورد واحد¹.

هذا ويرجع أصل تسمية المرض الهولندي إلى التجربة التي عرفتها هولندا خلال ستينات القرن العشرين عقب اكتشاف حقول غاز غرونينغن سنة 1959، حيث أدت العوائد الضخمة المتأتية من صادرات الغاز إلى ارتفاع ملحوظ في قيمة العملة الهولندية وتراجع تنافسية القطاعات الصناعية التقليدية، خصوصا قطاع الصناعات التحويلية. وقد لاحظ الاقتصاديون أن هذا الازدهار المفاجئ في قطاع الغاز صاحبه انكماش تدريجي في القدرة التصديرية للقطاعات غير الربعية، ما أدى إلى فقدان جزء مهم من القاعدة الصناعية. ولهذا استخدم مصطلح المرض الهولندي لأول مرة في مجلة الايكونوميست سنة 1977 لوصف هذه المفارقة الاقتصادية التي تجعل الوفرة الربعية مصدرا لنتائج عكسية على هيكل الاقتصاد. وقد شكلت التجربة الهولندية لاحقا نقطة انطلاق لتحليل العديد من الاقتصادات الربعية، حيث تبين أن نفس الديناميكيات تتكرر في دول مختلفة رغم اختلاف السياقات والموارد المتاحة².

هذا وقد عرف الفكر الاقتصادي زحما متزايدا في التنظير الاقتصادي للأعراض المشابهة للمرض الهولندي وهذا ما أدى إلى ظهور عدد كبير من النظريات الاقتصادية التي تفسر الاختلالات الهيكلية التي قد تنشأ في الاقتصادات الربعية وبالخصوص النفطية منها، نورد بعضها هنا مع إجراء بعض المقارنات بينها وبين نظرية المرض الهولندي.

أ- نظرية لعنة الموارد Resource curse :

تعد نظرية لعنة الموارد إطارا تفسيريا أوسع يتقاطع مع مفهوم المرض الهولندي، غير أن العلاقة بينهما ليست علاقة تطابق بل علاقة جزء بكل. فالمرض الهولندي يمثل آلية اقتصادية كمية محددة تشرح كيف يؤدي ارتفاع العوائد الربعية إلى تقدير سعر الصرف الحقيقي وإضعاف القطاع المتداول، بينما تتناول لعنة الموارد طيفا أشمل من التفاعلات الاقتصادية والمؤسسية والسياسية التي تجعل الاقتصادات الغنية بالموارد الطبيعية تحقق أداء تنمويا أدنى

¹ Corden, W. M., & Neary, J. P. (1982). Booming Sector and De-Industrialization in a Small Open Economy. The Economic Journal, vol. 92, p. 829.

² Auty R. M. (1993). Sustaining Development in Mineral Economies: The Resource Curse Thesis. London: Routledge, p. 12.

من الاقتصادات الفقيرة بالموارد. ويلاحظ الباحثون أن المرض الهولندي قد يكون مدخلا أوليا لظهور لعنة الموارد، إذ أن التحول الهيكلي غير المتوازن الذي يسببه الربيع في توزيع عوامل الإنتاج يفتح المجال أمام اختلالات مؤسسية أكبر، مثل ضعف المساءلة العامة، وتراجع الحوافز للابتكار، وتضخم الإنفاق غير المنتج. وتؤكد الدراسات المقارنة أن الاقتصادات التي نجحت في تفادي لعنة الموارد ليست تلك التي تجنب الوفرة الربعية، بل تلك التي استطاعت بناء مؤسسات فعالة تسمح بامتصاص آثار المرض الهولندي وتحويل الربيع إلى استثمارات منتجة قادرة على خلق نمو طويل المدى¹.

ب- نظرية التخلف المتزايد **Cumulative Backwardness** :

ترى نظرية التخلف المتزايد أن الاقتصادات النفطية النامية قد تدخل في مسار تراكمي من الإعاقات الهيكلية التي تعمق الفجوة بينها وبين الاقتصادات المتقدمة، نتيجة حلقات متواصلة من الانكماش النسبي في القدرات الإنتاجية والتكنولوجية. ويتقاطع هذا المنظور مع المرض الهولندي حين يؤدي تدفق الربيع إلى تكريس نمط من النمو غير المتوازن، يضعف فيه القطاع المتداول ويتعزز فيه القطاع غير المتداول، مما يقيد فرص تراكم الخبرة الصناعية ويؤدي إلى اتساع فجوة التكنولوجيا والإنتاجية مع الزمن. ويشير الباحثون إلى أن الاقتصادات التي تعاني من المرض الهولندي غالبا ما تجد نفسها في مسار تخلف متزايد، لأن الاعتماد على الربيع يقلل من الحوافز الضرورية للاستثمار في رأس المال البشري والتكنولوجيا، ويحد من قدرة الاقتصاد على اللحاق بالاقتصادات الأكثر تقدما. و مع مرور الوقت يصبح من الصعب كسر هذا المسار بسبب تآكل القدرات الصناعية وغياب قاعدة إنتاجية متنوعة، وهي عناصر تعد محورية في تفسير منطق التخلف المتزايد. وهكذا يتبين أن المرض الهولندي ليس مجرد ظاهرة مرتبطة بتقلبات سعر الصرف الحقيقي، بل هو أيضا محفز ديناميكي لمسار طويل من الضعف البنوي المتراكم².

ت- نظرية التبعية³ **Dependency Theory** :

تسلط نظرية التبعية الضوء على كيفية تأثر الدول النامية بالعلاقات الاقتصادية والسياسية مع الدول المتقدمة، بحيث تصبح اقتصاداتها معتمدة على تصدير المواد الأولية واستيراد السلع المصنعة، مما يرسخ حالة التخلف الهيكلي. ويظهر المرض الهولندي كحالة خاصة لهذه الديناميكية، حيث يؤدي ارتفاع العوائد الربعية إلى تقدير سعر الصرف وتفضيل الواردات على الإنتاج المحلي، فيتراجع القطاع الصناعي والزراعي الذي يمكنه تعزيز الاستقلالية الاقتصادية. وبهذا الشكل، يعمق المرض الهولندي الاعتماد على السوق العالمية ويجعل الدولة رهينة لتقلبات الأسعار العالمية للموارد

¹ Sachs J. D., Warner A. M. (2001). The Curse of Natural Resources. European Economic Review, Vol. 45, No. 4-6, p. 837.

² Myrdal G. (1957). Economic Theory and Underdeveloped Regions. London: Duckworth, p. 34.

³ Prebisch, R. (1950). The Economic Development of Latin America and Its Principal Problems. United Nations, p. 12.

الطبيعية، وهو ما يوضح كيف أن الوفرة الريعية قد تزيد من التبعية بدلا من أن تعزز التنمية. وتؤكد الدراسات أن الاقتصادات التي تمكنت من الحد من آثار المرض الهولندي غالبا هي تلك التي تبنت سياسات تنوع الاقتصاد، وحفزت الصناعات المحلية ووضعت قواعد مؤسسية تقلل من الاعتماد على الواردات والموارد الريعية.

ث - نظرية الصدمات الخارجية External Shocks Theory¹:

توضح نظرية الصدمات الخارجية كيف يمكن للتقلبات المفاجئة في الأسواق العالمية أن تؤثر على الاقتصادات النامية، خاصة تلك المعتمدة على الموارد الطبيعية. ويظهر المرض الهولندي كنوع من الصدمة الإيجابية الخارجية عندما تؤدي زيادة عوائد الموارد، مثل النفط أو الغاز، إلى تدفق كبير للعملة الأجنبية وارتفاع سعر الصرف الحقيقي. ورغم أن هذه الطفرة الريعية قد تبدو إيجابية في البداية، فإنها تؤدي إلى انكماش القطاعات القابلة للتصدير، وتفضيل الواردات على الإنتاج المحلي، ما يضعف البنية الصناعية ويزيد من هشاشة الاقتصاد أمام الصدمات المستقبلية. وتؤكد الدراسات الحديثة أن الاقتصادات التي تعتمد بشكل مفرط على الموارد الريعية غالبا ما تتحمل آثارا أكبر لتقلبات الأسعار العالمية، مما يعكس الطبيعة المزدوجة للصدمات الخارجية، إذ يمكن أن تكون مؤقتة ومفيدة، لكنها تتحول إلى عبء طويل المدى على التنمية المستدامة.

ج - نظرية التخصص غير السليم Maladaptive Specialization²:

تؤكد نظرية التخصص غير السليم أن الاعتماد المفرط على سلعة أو قطاع واحد قد يحد من قدرة الاقتصاد على التنوع والنمو المستدام. ويبرز المرض الهولندي كأحد أبرز الأمثلة العملية لهذه النظرية، حيث يؤدي التركيز على قطاع الموارد الطبيعية إلى زيادة الاستهلاك المحلي للموارد المستوردة وتراجع الصناعات التحويلية والزراعية. وينجم عن ذلك هيكل إنتاجي هش يعتمد على صادرات محدودة، ما يجعل الاقتصاد عرضة للتقلبات الخارجية ويضعف فرص تراكم رأس المال البشري والتكنولوجي. وتؤكد الدراسات الحديثة أن الاقتصادات التي عاشت تجارب المرض الهولندي غالبا ما تواجه صعوبة في كسر هذا التخصص، ما يعيق تطوير قاعدة صناعية متنوعة ويحد من قدرة الاقتصاد على خلق فرص عمل مستدامة وتنمية مستمرة.

ح - نظرية المسارات المعتمدة: Path Dependency Theory

تؤكد نظرية المسارات المعتمدة أن التطور الاقتصادي والمؤسسي لا تحكمه فقط شروط الحاضر، بل يتأثر بصورة عميقة بالقرارات التاريخية والاختيارات التي تمت في مراحل سابقة. إذ تؤدي هذه القرارات إلى نشوء ما يعرف بحالة الانغلاق المساري (Lock-in)، حيث يصبح الاقتصاد أو المؤسسة مقيدة بمسار محدد يصعب الفكك منه، حتى وإن ظهرت بدائل أكثر كفاءة في الوقت الراهن. ويرجع ذلك إلى ارتفاع تكاليف الانتقال، وتراكم الخبرات حول

¹ van der Ploeg, F., & Venables, A. J. (2013). Absorbing a Windfall of Foreign Exchange. *Journal of Development Economics*, 102, pp. 1-17, p. 5.

² Gelb, A. (1988). *Oil Windfalls: Blessing or Curse*. Oxford University Press, p. 45.

المسار الأصلي، إضافة إلى التأثيرات الشبكية والعوائد المتزايدة التي تجعل الاستمرار في المسار القائم أكثر جاذبية من تغييره. وفي سياق الاقتصادات الريعية، ولا سيما النفطية منها، تفسر هذه النظرية استمرار الاعتماد البنيوي على المحروقات؛ إذ تنشأ بني إنتاجية ومؤسسية ومالية ترسخ مع الزمن، فتتحول إلى قيد يعيق التحول نحو التنوع الاقتصادي. ومن ثم، فإن تفسير الاختلالات التنموية في هذه الاقتصادات يتطلب فهما لمسارها التاريخية التي صنعت بنية تعتمد على الربح ومن الصعب تعديلها دون إصلاحات عميقة وممتدة. وتشير الدراسات الحديثة إلى أن الاقتصادات التي تواجه مرض هولندي طويل الأمد غالباً ما تعاني من ضعف القدرة على كسر هذه المسارات المترسخة، حيث تتحكم المصالح المؤسسية، والعادات الإنتاجية، والاعتماد على الربح في توجيه القرارات الاقتصادية بشكل يكرس الهيكل الريعي، مما يزيد من هشاشة الاقتصاد أمام الصدمات الخارجية ويحد من قدرته على النمو المستدام¹.

2- آليات حدوث المرض الهولندي في الاقتصادات النفطية وقنوات تأثيره على هذه الاقتصادات:

تبدأ ملامح المرض الهولندي بالظهور من خلال صدمة خارجية إيجابية، غالباً ارتفاع في أسعار النفط أو الغاز أو اكتشافات جديدة، تؤدي إلى تدفق كميات كبيرة من العائدات الخارجية نحو الاقتصاد الوطني. هذا التدفق يخلق توسعاً سريعاً في السيولة وارتفاعاً في الطلب المحلي، مما يدفع نحو تقدير مبالغ فيه للعملة المحلية خارج حدود مستويات التوازن الهيكلي، ويحدث انحرافاً في منحني التنافسية الخارجية لبقية القطاعات الإنتاجية. وتبرز قناة سعر الصرف الحقيقي بوصفها الحلقة الأكثر حساسية في عملية انتقال المرض الهولندي. فارتفاع العملة المحلية يؤدي إلى انخفاض أسعار السلع المستوردة، فيصبح اللجوء إلى الاستيراد خياراً مفضلاً لدى المستهلكين والمنتجين على حد سواء. وفي المقابل، تتدهور القدرة السعرية للصادرات غير النفطية، فتتفقد الصناعة المحلية والزراعة مكانتهما في السوق الدولي. وتجد المؤسسات الوطنية نفسها أمام منافسة شرسة لا تستطيع مجاراتها، ما ينعكس في شكل انكماش تدريجي للقطاعات القابلة للتداول وارتفاع معدلات الاعتماد على السلع المستوردة. ومع استمرار بروز هذه الديناميكية، تتراكم الاختلالات الخارجية، ويتراجع عمق القاعدة الإنتاجية الوطنية بما يرسخ النموذج الريعي للاقتصاد².

أما قناة تحويل الموارد فهي تمثل آلية مكملة تفسر الانحراف الداخلي للهيكل الإنتاجي. ففي ظل الارتفاع الكبير في أرباح القطاع النفطي، ترتفع الأجور فيه مقارنة بباقي القطاعات. ونتيجة لذلك، ينتقل العمل الماهر ورأس المال من الصناعات التحويلية والزراعة نحو قطاع النفط أو القطاعات الخدمية المرتبطة به بشكل مباشر أو غير مباشر. هذا التحول يفرغ القطاعات الإنتاجية القابلة للتداول من مواردها البشرية ورأس مالها، مما يؤدي إلى انخفاض قدرتها الإنتاجية

¹ Ross, M. (2012). The Oil Curse: How Petroleum Wealth Shapes the Development of Nations. Princeton University Press, p. 102.

² Sachs, J. D., & Warner, A. (2001). The curse of natural resources. European Economic Review, 45(5), 827-838.

والتكنولوجية. وتؤدي هذه العملية إلى إضعاف القدرة على الابتكار وتنويع القاعدة الصناعية، وهو ما يجعل الاقتصاد شديد الحساسية لأسعار النفط وتقلبات السوق العالمية.

وتتعمق مظاهر المرض الهولندي من خلال توسع القطاع غير المتداول، وهو قطاع يستجيب بقوة لارتفاع الطلب الداخلي الناتج عن الطفرة النفطية. فمع زيادة الإنفاق الحكومي وارتفاع الدخل، يتعزز الطلب على السلع والخدمات ذات الطابع المحلي مثل البناء، الأشغال العمومية، العقارات، والخدمات التجارية. هذا الطلب المتزايد يرفع أسعار السلع غير المتداولة مقارنة بالسلع القابلة للتداول، فيظهر ما يسمى بـ التضخم الهيكلي داخل القطاع غير المتداول. ومع مرور الوقت، يصبح الاستثمار في هذا القطاع أكثر جاذبية من الاستثمار في القطاعات الإنتاجية، ما يقود إلى فتح إنتاجي يهيمن فيه النشاط غير المتداول على الاقتصاد ويضعف القدرة على خلق قيمة مضافة قابلة للتصدير.

وتلعب السياسات المالية الحكومية وبالخصوص سياسة الإنفاق العام دورا حاسما في تكريس هذه الديناميكية. ففي كثير من الاقتصادات النفطية، تستخدم العوائد النفطية في توسيع الإنفاق العام، سواء عبر رفع الأجور، أو تمويل المشاريع الضخمة، أو توسيع برامج الدعم والتحويلات الاجتماعية. ورغم أن هذا الإنفاق قد يخلق انتعاشا قصير المدى، إلا أنه يؤدي إلى تسخين الاقتصاد المحلي ورفع أسعار السلع والخدمات الداخلية، مما يعزز ارتفاع سعر الصرف الحقيقي ويضعف تراجع القطاع القابل للتداول. وعندما ترتفع الأسعار الداخلية بوتيرة أسرع من الإنتاجية، تصبح القطاعات الوطنية أقل تنافسية، ويزداد اعتماد الاقتصاد على العوائد النفطية لتمويل الإنفاق العام، مما يرسخ حالة الإدمان المالي على الربح.¹

وتتداخل هذه القنوات فيما بينها لتنتج حلقة مفرغة يصعب كسرها؛ فالارتفاع في سعر الصرف يؤدي إلى انكماش القطاعات القابلة للتداول، ومنه تتراجع القدرة التكنولوجية والإنتاجية، فيصبح الاقتصاد أكثر هشاشة أمام الصدمات الخارجية. ومع غياب إصلاحات مؤسسية فعالة، ووجود إنفاق عام غير رشيد، يتجذر نموذج الاقتصاد أحادي المصدر، ويتحول المرض الهولندي من ظاهرة عابرة مرتبطة بدورة أسعار النفط إلى اختلال بنيوي طويل المدى يعيق عملية التنمية الحقيقية ويجول دون بناء قاعدة إنتاجية متنوعة.

3- علاقة المرض الهولندي بالبطالة:

مما لا شك فيه أن الاختلالات الهيكلية التي نشأت في الاقتصادات النفطية كان لسوق العمل في هذه الدول النصيب الأكبر من حيث عدم التناسب بين ما يحتاجه الاقتصاد كمورد في رأس المال البشري وبين ما تم فعليا توفيره في الواقع العملي ومع مرور الوقت وتفاقم الظاهرة بدأت تنشأ في هذه الاقتصادات عدة أنواع من البطالة حتى وإن كانت إحصائيات هذه الدول قد أظهرت انخفاضا في معدلات البطالة مع مرور الزمن إذ كان هذا الانخفاض شكليا فقط

¹ van der Ploeg, F. (2011). Natural Resources: Curse or Blessing? Journal of Economic Literature, 49(2), 366–420.

من دون أن يعالج الاختلالات الهيكلية التي حدثت في سوق العمل، وفيما يلي تبيان أهم أنواع البطالة التي أوجدها المرض الهولندي في الاقتصادات النفطية للدول النامية.

3- 1 المرض الهولندي وعلاقته بالبطالة الهيكلية:

في الاقتصادات النفطية في الدول النامية التي تعاني من أعراض المرض الهولندي، تتجلى البطالة الهيكلية كظاهرة بارزة لهذه الدول بوصفها نتيجة مباشرة للتحويلات العميقة التي تحدثها البنية الربعية على تخصيص الموارد والإنتاج. إذ يؤدي الاعتماد المكثف على العائدات النفطية إلى إعادة توجيه الموارد، بما في ذلك رأس المال والاستثمار العام، نحو الأنشطة المرتبطة بالنفط والقطاعات غير القابلة للتجارة، وهو ما يفضي إلى انكماش القطاعات الإنتاجية القابلة للتصدير، خصوصا الصناعة التحويلية والزراعة. هذا التحول البنيوي ينتج فجوة طويلة الأمد بين هيكل الإنتاج وهيكل التشغيل، حيث تختفي العديد من المهن التقليدية وتقلص فرص الاندماج المهني للعمالة التي تمتلك مهارات غير قابلة للتوظيف في القطاعات الصاعدة.

وتمتد جذور البطالة الهيكلية كذلك إلى نموذج التنمية غير المتوازن السائد في الاقتصادات النفطية، والذي يركز على قطاع وحيد كثيف رأس المال على حساب القطاعات المنتجة الأخرى. هذا النموذج، بما يحمله من اختلالات هيكلية، يفشل في توليد فرص عمل تتناسب مع النمو الديمغرافي، مما يجعل البطالة الهيكلية خاصية بنيوية للاقتصادات الربعية.

وتفاقم ضعف الحركة البينية للعمالة من حدة البطالة الهيكلية، إذ يواجه العاملون في القطاعات المتراجعة صعوبات معتبرة في الانتقال نحو قطاعات أخرى تستلزم مهارات أكثر تقدما أو تكويننا متخصصا. ويعود ذلك إلى الطبيعة التقنية المعقدة للقطاع النفطي وإلى الكثافة الرأسمالية العالية التي تحد من الطلب على اليد العاملة منخفضة المهارة. وبذلك، تتسع دائرة العمالة التي تجد نفسها خارج سوق العمل حتى في فترات الانتعاش الاقتصادي، مما يعكس قصورا مستمرا في مرونة سوق العمل.

وتبرز كذلك مشكلة عدم التطابق بين مخرجات أنظمة التعليم والتكوين وبين المهارات المطلوبة في السوق، حيث تستمر المؤسسات التعليمية في إنتاج كفاءات ذات طبيعة نظرية أو غير تقنية، في الوقت الذي تزداد فيه حاجة الاقتصاد إلى مهارات تقنية متقدمة، خاصة في مجالات الهندسة، والميكانيك، وتقنيات الطاقات. هذا الاختلال بين العرض والطلب في سوق العمل يرسخ البطالة ذات الطابع الهيكلي ويجعلها ظاهرة ممتدة عبر الزمن.

وتسهم التقلبات الدورية في أسعار النفط هي الأخرى في إدامة البطالة الهيكلية، إذ يؤدي الانتعاش النفطي إلى توسع الدولة في مشاريع ريعية غير مستدامة وفي التوظيف الحكومي، بينما تفضي فترات الانكماش إلى تجميد التوظيف وإلغاء المشاريع. هذه الدورات المتموجة تضعف الاستقرار في سوق العمل وتمنع تشكل قاعدة تشغيلية متوازنة تعكس الديناميكيات الحقيقية للنشاط الاقتصادي.

ويضاف إلى ذلك قصور واضح في سياسات التكوين والتأهيل المهني، حيث تفشل برامج التكوين في مواكبة التحولات البنيوية في الاقتصاد، سواء من حيث نوعية المهارات أو من حيث القدرات التقنية المطلوبة. ويؤدي هذا القصور إلى ضعف تراكم رأس المال البشري وتراجع قدرة العمال على التأقلم مع التغيرات في بنية الطلب على المهارات.

كما يلاحظ أن ضعف القطاع الخاص يسهم في تكريس البطالة الهيكلية، إذ تعاني المؤسسات الخاصة من منافسة قوية من الدولة، ومن ارتفاع تكاليف الإنتاج المرتبطة بتقدير سعر الصرف الحقيقي، فضلا عن محدودية الحوافز الاستثمارية. ونتيجة لذلك، يفشل القطاع الخاص في لعب دور محوري في خلق فرص عمل جديدة وذات جودة، مما يقلص من قدرته الاستيعابية للعمالة الوطنية.

وتتعمق هذه الاختلالات بفعل تفضيل العمالة الوطنية للقطاع العام على حساب القطاع الخاص، إذ تقدم الوظيفة الحكومية أجورا وامتيازات واستقرارا وظيفيا أعلى، ما يؤدي إلى تركيز الطلب على الوظائف العمومية وتراجع إقبال العمالة على القطاع الخاص. هذا السلوك يخلق ضغطا غير متوازن على سوق العمل ويزيد من صعوبة تعديل التخصيص الوظيفي وفقا لاحتياجات الاقتصاد¹.

وأخيرا، يسهم استيراد العمالة الأجنبية في تعميق البطالة الهيكلية، حيث تلجأ الدول النفطية إلى جلب عمالة عالية المهارة لتلبية متطلبات القطاعات التقنية، مما يقلص من فرص العمالة الوطنية ويزيد من اتساع فجوة المهارات. ويعد هذا السلوك مؤشرا على ضعف الاستثمار في تكوين رأس المال البشري المحلي، وعلى استمرار اعتماد الاقتصاد على مصادر خارجية للمهارات.

3-2 المرض الهولندي وعلاقته بالبطالة المقنعة:

تنشأ ظاهرة البطالة المقنعة في الاقتصادات النفطية غالبا كنتيجة هيكلية جانبية للمرض الهولندي. حيث نجد أحد أبرز أشكال هذه الظاهرة يتمثل في التوظيف المفرط في الجهاز الإداري الحكومي، إذ تقوم الحكومات بخلق عدد كبير من الوظائف المدنية أو تضخيم حجم البيروقراطية العامة بما يفوق الحاجة الفعلية للإدارة الفعالة. وغالبا ما يصاحب هذا التوظيف المفرط رواتب مرتفعة أو تعويضات سخية تفوق مستوى السوق، مستندة إلى عوائد النفط أكثر من كونها نتاج إنتاجية فعلية. في هذا السياق، قد يكون العديد من الموظفين عمليا لكنهم بلا فعالية أو منخفضي الإنتاجية، ومع ذلك يبقون على الرواتب، وهو ما يتوافق مع التعريف الكلاسيكي للبطالة المقنعة.

وتظهر نسخة أخرى من هذه الظاهرة في شكل الشركات الحكومية منخفضة الإنتاجية، حيث تقوم الدولة بإنشاء أو الحفاظ على شركات توظف عمالة دون زيادة مقابلة في الإنتاج أو الكفاءة. في الدول الغنية بالموارد، قد تتوسع هذه الشركات ببساطة لاستيعاب فائض العمالة، كجزء من سياسة إعادة توزيع الربح، بدلا من الاستثمار المبرر

¹ Ibrahim elbedawi . houda salim.voiding the Oil Curse in Resource-rich Arab Economies.chapitreThe Oil Curse and Labor Markets·Cambridge: Cambridge University Press 2016 p 149-186.

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

اقتصاديا. قد تنتج هذه الشركات القليل من القيمة مقارنة برواتب موظفيها، لكنها تظل قائمة لأنها توفر آلية لتوزيع الثروة النفطية، ما يخفي البطالة الفعلية تحت مسمى التوظيف الرسمي.

هذا وتمثل العوامل الأساسية التي تقود إلى البطالة المقنعة في الاقتصادات النفطية في عدة مستويات. نذكر منها:

- يصبح القطاع العام القناة الرئيسة لإعادة توزيع الريع، حيث تستخدم الحكومات العمالة كوسيلة لتوزيع عوائد النفط، بدلا من الاستثمار في أنشطة إنتاجية متنوعة.

- هناك بعد سياسي واجتماعي، إذ يساهم توظيف المواطنين بشكل جماعي، حتى في وظائف منخفضة الإنتاجية، في تفادي الاضطرابات الاجتماعية وتقليل معدل البطالة الظاهر، مما يعزز شرعية الحكومة في غياب فرص القطاع الخاص.

- هناك بعد مؤسسي وثقافي، حيث ينظر إلى الوظيفة العامة على أنها وظيفة دائمة مع أجر مضمون، وهو وضع مرغوب في الاقتصادات غير المستقرة أو التي تقل فيها فرص القطاع الخاص. تعزز هذه الثقافة ميل الحكومات لتوسيع البيروقراطية العامة وتشجع على الركود في النشاط الخاص، ما يؤدي إلى ترسيخ البطالة المقنعة.

هذا و تحدث البطالة المقنعة أعباء اقتصادية واجتماعية خطيرة في الدول الغنية بالموارد الطبيعية. فمن الناحية الاقتصادية، يؤدي الإبقاء على عمالة فائضة داخل القطاع العام والمؤسسات المملوكة للدولة منخفضة الإنتاجية إلى تضخيم كتلة الأجور العمومية وتحويل الموارد المالية النادرة بعيدا عن الاستثمارات الإنتاجية في البنية التحتية والتعليم وتطوير القطاع الخاص، وهو ما يعمق الاعتماد طويل الأجل على الريع ويقوض جهود التنويع الاقتصادي. كما تظهر الأدلة التجريبية ودراسات الحالة أن الزيادات في دخول الأسر خلال فترات الطفرات الربعية تتحقق غالبا عبر ارتفاع الأجور الحكومية أكثر من خلق فرص عمل حقيقية في القطاع الخاص؛ الأمر الذي يشير إلى أن توسع كتلة الأجور العمومية يخفي الاختلالات الهيكلية في سوق العمل بدل معالجتها. ومن الناحية الاجتماعية، تضعف هذه الممارسات الحوافز المرتبطة بالعمل، وتشرعن انخفاض الأداء المهني، وترسخ أنماط التوزيع عبر المحسوبية والولاء للريع، مما يساهم في تدهور جودة المؤسسات وتراجع الحراك الاجتماعي المبني على المنافسة وروح الابتكار والابداع. وتفسر هذه الآليات، التي تجمع بين آثار المرض الهولندي ودوافع إعادة توزيع الريع، سبب معاناة العديد من الاقتصادات النفطية من ضعف نمو القطاعات غير النفطية واستمرار الاختلالات الهيكلية في سوق العمل¹.

وعلى هذا الأساس يمكن القول، أن البطالة المقنعة في الاقتصادات النفطية، من خلال التوظيف المفرط في القطاع العام، الوظائف الوهمية ذات الأجور المرتفعة، والشركات الحكومية منخفضة الإنتاجية، ترتبط ارتباطا وثيقا بالاضطرابات الهيكلية الناتجة عن المرض الهولندي. إذ أن الاعتماد على عوائد الموارد كوسيلة لإعادة التوزيع، إلى جانب

¹ van der Ploeg, Frederick. Natural Resources: Curse or Blessing? CESifo Working Paper No. 3125, 2010p13-14

الدوافع الاجتماعية والسياسية والثقافية، يؤدي إلى إزاحة النشاط الإنتاجي الحقيقي، ويقوض النمو طويل المدى، والتنقل الاجتماعي، وتنوع الاقتصاد. معالجة هذه الظاهرة تتطلب إصلاحات مؤسسية، والحد من دور القطاع العام كصاحب العمل الرئيسي، والاستثمار في رأس المال البشري والقطاع الخاص، وتعزيز الشفافية والمساءلة في إدارة عوائد الموارد¹.

3-3 المرض الهولندي وعلاقته بالبطالة الاختيارية:

تشكل البطالة الاختيارية إحدى السمات البنيوية البارزة في الاقتصادات الريعية النفطية بالدول النامية، ولا سيما دول مجلس التعاون الخليجي. وتتمثل هذه الظاهرة في انسحاب طوعي للمواطنين من سوق العمل رغم توافر فرص وظيفية في القطاع الخاص، وذلك نتيجة تفضيلهم البقاء في حالة بطالة مفتوحة انتظارا لوظائف في القطاع العام. يرجع ذلك بالأساس إلى ارتفاع الأجر الحدي للقبول بالعمل (**reservation wage**) بشكل اصطناعي لدى القوى العاملة الوطنية، حيث تقدم الدولة - مدعومة بعوائد النفط - حزم تعويضية في القطاع العام تتفوق بصورة ملحوظة على ما يقدمه القطاع الخاص من حيث مستوى الأجور، والمزايا الاجتماعية، والأمان الوظيفي، وعدد ساعات العمل، والمكانة الاجتماعية المرتبطة بالوظيفة العمومية، مما يجعل معظم الوظائف الخاصة تقع دون هذا الحد الأدنى المقبول لدى الباحثين عن عمل من المواطنين².

إن نشأة هذه الظاهرة واستمرارها يرتبطان ارتباطا وثيقا بالعقد الاجتماعي الريعي الذي تبلور عقب الطفرات النفطية في العقد الثامن من القرن العشرين. فقد أتاحت العوائد الهيدروكربونية للدولة أن تتحول إلى جهة موزعة للثروة عبر رواتب ومزايا عمومية سخية دون الحاجة إلى جباية ضريبية مباشرة، مما رسخ توقعاً مؤسسيا وثقافيا بأن توفير وظيفة مريحة ومضمونة يعد التزاما أساسيا من الدولة تجاه مواطنيها. وتتفاعل مع هذا العامل جملة من المتغيرات الهيكلية، أبرزها: الفجوة الأجرية الكبيرة بين القطاعين، والتصور الاجتماعي السلبي للعمل في القطاع الخاص، ووفرة العمالة الوافدة منخفضة التكلفة التي تملأ الشواغر الخاصة، مما يعزز استمرار ارتفاع الأجر الحدي للقبول بالعمل ويبقي شريحة واسعة من المواطنين خارج دائرة النشاط الاقتصادي الفعلي حتى في ظروف الانتعاش³.

هذا وتؤكد الدراسات الميدانية استمرارية هذه الظاهرة رغم انخفاض معدلات البطالة الرسمية المعلنة في العديد من دول الخليج. فقد كشفت استطلاعات متكررة في المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة أن أكثر من 60% من العاطلين الوطنيين يرفضون العروض الوظيفية في القطاع الخاص بدافع مستوى الأجر، أو ساعات العمل، أو الاعتبارات الرمزية والاجتماعية. وبالتالي، لا تقتصر البطالة الاختيارية على إحداث تشوهات في كفاءة تخصيص الموارد

¹ Papp, Róbert. The Political Economy of Public Employment in Natural Resource-Rich Countries. PhD Thesis, Central European University, 2015, p20-21

² Forstenlechner, I., & Rutledge, E. J. (2011). The GCC's "demographic imbalance": Perceptions, realities and policy options. Middle East Policy, 18(4), p110.

³ Hertog, S. (2014). Arab Gulf States: An assessment of nationalisation policies. Gulf Labour Markets and Migration (GLMM) Research Paper. pp21-23.

العمالية فحسب، بل تسهم أيضا في إبطاء وتيرة التنويع الاقتصادي عبر تقليص الحافز السياسي لخلق وظائف منتجة وتنافسية في القطاع الخاص.¹

المبحث الثالث: دراسة تحليلية لمشكلة البطالة في الجزائر خلال الفترة 2001-2023

ترتبط البطالة بعدة متغيرات اقتصادية واجتماعية وديمقراطية، ففي بعض الفترات تزداد معدلاتها وفي فترات أخرى تنخفض حسب تغيرات العوامل المرتبطة بها، وهذا ما يعني أن معدلات البطالة تسمح باستنباط العوامل المسببة لها، وتسمح كذلك باستنتاج بعض النتائج الناتجة عنها، ولأجل هذا سيتم التطرق في هذا المبحث لهذه المشكلة من زوايا عدة، وهذا بتتبع وتقصي أهم التغيرات التي حدثت لها خلال الفترة 2001-2023، وربطها ببعض المتغيرات التي لها علاقة بها حسب توفر الإحصائيات، وذلك بغية الخروج في الأخير بفكرة واضحة عن مشكلة البطالة في الجزائر، وفيما يلي أهم النقاط التي قد تفيد في فهم وتوضيح مشكلة البطالة في الجزائر.

المطلب الأول: تحليل مشكلة البطالة بشكل عام من خلال معطيات سوق العمل

لفهم مشكلة البطالة بشكل جيد لا بد من تتبع أهم التغيرات التي حدثت في مكونات سوق العمل، واستنباط أهم المعدلات منها، ولأجل هذا سيتم إيراد الجدول التالي:

الجدول (1-1): أهم معطيات سوق العمل في الجزائر

الوحدة: مليون شخص

¹ Forstenlechner, I., & Rutledge, E. J. (2011). The GCC's "demographic imbalance": Perceptions, realities and policy options. Middle East Policy, 18(4), p112

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

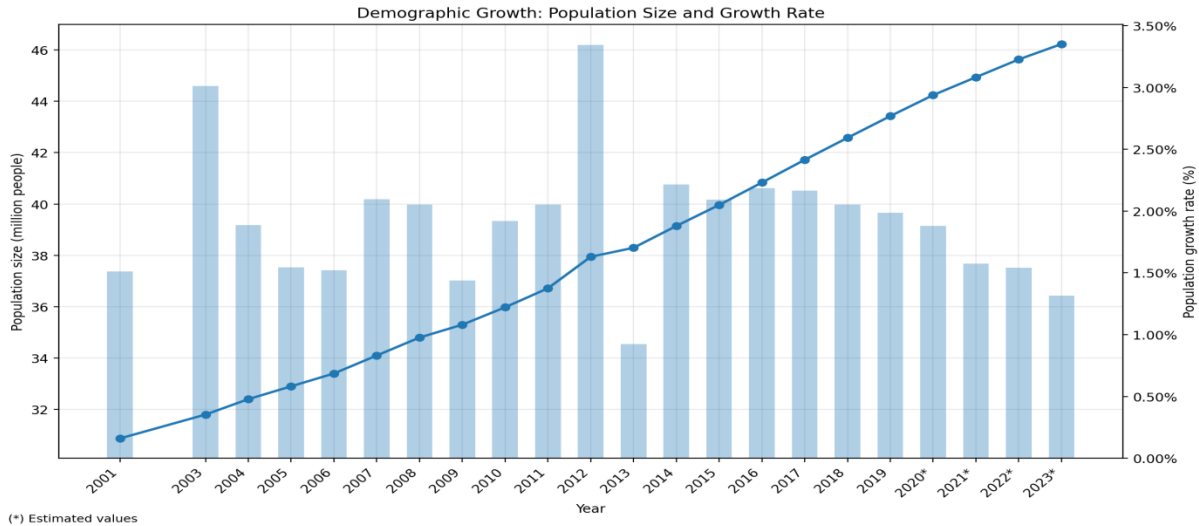
السنوات	حجم السكان الإجمالي	معدل نمو السكان	القوى العاملة	معدل نمو القوى العاملة	معدل النشاط الإجمالي %	معدل النشاط المعياري	حجم السكان المشتغلين	معدل نمو السكان المشتغلين	معدل التشغيل %	حجم العاطلين عن العمل	معدل البطالة %
2001	30,87	1,51%	8,56	4,65%	27,73%	41	6,22	8,36%	72,70	2,34	27,3
2003	31,8	3,01%	8,76	2,34%	27,55%	39,8	6,68	7,40%	76,30	2,08	23,7
2004	32,4	1,89%	9,46	7,99%	29,20%	42,1	7,79	16,62%	82,30	1,67	17,7
2005	32,9	1,54%	9,49	0,32%	28,84%	41	8,04	3,21%	84,70	1,45	15,3
2006	33,4	1,52%	10,1	6,43%	30,24%	42,5	8,86	10,20%	87,70	1,24	12,3
2007	34,1	2,10%	9,96	-1,39%	29,21%	40,9	8,59	-3,05%	86,20	1,37	13,8
2008	34,8	2,05%	10,31	3,51%	29,63%	41,7	9,14	6,40%	88,70	1,17	11,3
2009	35,3	1,44%	10,54	2,23%	29,86%	41,7	9,46	3,50%	89,80	1,072	10,2
2010	35,978	1,92%	10,81	2,56%	30,05%	41,7	9,73	2,85%	90,05	1,076	9,95
2011	36,717	2,05%	10,66	-1,39%	29,03%	40	9,59	-1,44%	90,04	1,062	9,96
2012	37,945	3,34%	11,42	7,13%	30,10%	42	10,17	6,05%	89,03	1,253	10,97
2013	38,295	0,92%	11,964	4,76%	31,24%	43,2	10,79	6,08%	90,18	1,175	9,83
2014	39,144	2,22%	11,5845	-3,17%	29,59%	41,1	10,40	-3,57%	89,79	1,1825	10,21
2015	39,963	2,09%	11,932	3,00%	29,86%	41,8	10,59	1,84%	88,79	1,337	11,21
2016	40,836	2,18%	12,1045	1,45%	29,64%	41,9	10,87	2,61%	89,80	1,235	10,2
2017	41,721	2,17%	12,2875	1,51%	29,45%	41,9	10,81	-0,52%	88,00	1,474	12
2018	42,578	2,05%	12,4445	1,28%	29,23%	41,8	11,02	1,95%	88,59	1,42	11,4
2019	43,424	1,99%	12,73	2,29%	29,32%	42,2	11,28	2,33%	88,62	1,449	11,4
2020	44,241	1,88%	12,05	-5,34%	27,24%	39,55	10,85	-3,82%	85,94	1,69423	14,06
2021	44,938	1,58%	12,32	2,24%	27,42%	39,85	11,10	2,30%	86,37	1,679216	13,63
2022	45,63	1,54%	13,02	5,68%	28,53%	41,39	11,50	3,60%	87,65	1,60797	12,35
2023	46,23	1,31%	13,17	1,15%	28,49%	41,14	11,80	2,61%	88,93	1,457919	11,07

المصدر: من إعداد الطالب بناء على إحصائيات المركز الوطني للإحصاء ONS.

أولاً : تحليل مستوى النمو الديمغرافي Population Growth

أول معلمة يجب تناولها في هذا التحليل هو معرفة الاتجاه العام للزيادة السكانية من خلال تحليل معدلات النمو الديمغرافي السنوية ومن ثم أخذ فكرة عامة لكيفية تأثير هذه الزيادة في المستقبل على سوق العمل والبطالة ولأجل هذا نورد الرسم البياني التالي:

الشكل (1-5) : تطور معدل النمو الديمغرافي في الجزائر خلال الفترة 2001-2023



المصدر: من إعداد الباحث اعتماد على معطيات الجدول السابق

شهد معدل النمو الديمغرافي في الجزائر تقلبات ملحوظة بين عامي 2001 و 2023، إلا أنه على العموم يمكن تقسيم هذا التطور إلى مرحلتين

مرحلة النمو السريع التي كانت بين سنتي 2001 و 2012 حيث ارتفع من 1.51 % إلى 3.34 % في سنة 2012 وهذا ما عكس الانفجار السكاني في هذه الفترة مدفوعا بارتفاع معدل الخصوبة وانخفاض معدل الوفيات بفضل تحسينات الرعاية الصحية ، والمثير للانتباه هنا أن هذا النمو المتزايد ترافق مع وفرة في الإيرادات النفطية حيث تبعها زيادة في توزيع تلك الإيرادات مما انعكس إيجابا في تحسن المستوى المعيشي للأفراد الذي بدوره ظهر على شكل نمو متزايد في عدد السكان.

لكن بعد أزمة الانخفاض الحاد لأسعار النفط ومن ثم تراجع الإيرادات النفطية وعدم قدرة الحكومة على الإبقاء على نفس المستوى الخدماتي بدأ معدل النمو الديمغرافي بالتراجع التدريجي ليصل في سنة 2023 إلى 1.31 %.

وعلى العموم يعتبر معدل نمو ديمغرافي بين 1 % و 1.5% في دولة مثل الجزائر مقبول اقتصاديا، إذ لا هو بالمرتفع كثيرا ما يخلق في المستقبل ضغطا على سوق العمل وخاصة ارتفاع البطالة بين فئة الشباب وهذا المتوقع حدوثه في العقد القادم كنتيجة للنمو المتزايد في المواليد بين سنتي 2003 و 2013، ولا هو بالمنخفض كثيرا كما هو في الدول الأوروبية واليابان أين يترجم ذلك مستقبلا بنقص حاد في اليد العاملة وانخفاض معدلات البطالة لكن يصبح خطر شيخوخة سكانية.

هذا ومن المتوقع أن يصل عدد السكان في سنة 2030 إلى حدود 50 مليون نسمة وهذا ما يمثل فرصة ديمغرافية إذا تم استثمارها عبر خلق اقتصاد منتج وفرص عمل حقيقية، لكنه قد يتحول إلى عبئ إضافي إن بقي الاقتصاد غير قادر على امتصاص الكتلة البشرية الصاعدة. لذا يصبح التخطيط الاستراتيجي للتشغيل، التعليم، السكن والموارد الطبيعية ضرورة وليست خيارا.

ثانيا :تحليل مستوى النشاط(LFPR) Labour force participation rate ومستوى الإعالةDependency ratio

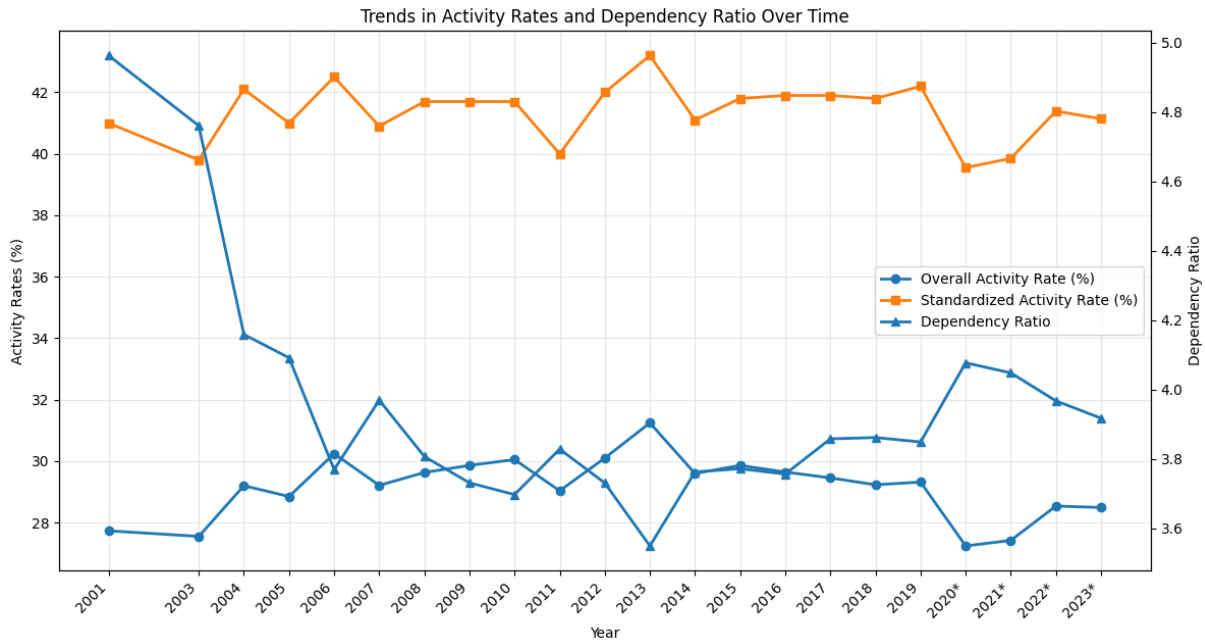
يشكل معدل النشاط الاقتصادي ومعدل الإعالة مؤشرين رئيسيين لتحليل سوق العمل وفهم أثر التركيبة السكانية على الاقتصاد. حيث يمثل معدل النشاط الاقتصادي النسبة المئوية للسكان في سن العمل الذين يشاركون فعليا في النشاط الاقتصادي، سواء من خلال العمل أو البحث عن وظيفة. ويعد هذا المؤشر مقياسا لقدرة الاقتصاد على امتصاص القوة العاملة المتاحة ويعكس مستوى مشاركة السكان في الإنتاج الوطني. أما مؤشر نسبة إجمالي السكان إلى عدد المشتغلين من المؤشرات التحليلية ذات القيمة التفسيرية العالية في دراسة العلاقة بين الديناميكيات السكانية وأداء سوق العمل. ويعرف هذا المؤشر باسم معدل الإعالة الاقتصادية الفعلية، لأنه يقيس العبء الحقيقي الذي يتحمله العمال المنتجون في الاقتصاد. وتقوم فكرة المؤشر على مقارنة حجم السكان الإجمالي بعدد الأفراد المنتجين فعلا للدخل، أي المشتغلين، دون الاكتفاء بتقدير العبء على الفئة النشيطة أو على الفئات العمرية القادرة على العمل فقط. ومن ثم فإنه يعكس عدد الأفراد الذين يقابل كل عامل واحد إعالتهم نظريا، بما يشمل الأطفال وكبار

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

السن، والراشدين غير النشطين، والباحثين عن عمل غير المساهمين في الإنتاج. ويتميز هذا المؤشر عن معدل الإعاقة الديموغرافي التقليدي بكونه أكثر واقعية، لأنه لا يفترض ضمناً أن جميع الأفراد ضمن سن العمل يشاركون في النشاط الاقتصادي أو يمتلكون عملاً مدراً للدخل. كما أنه أكثر دقة من نسبة السكان إلى قوة العمل الإجمالية، إذ يستبعد الباحثين عن عمل الذين رغم احتسابهم ضمن قوة العمل، لا يساهمون في خلق القيمة الاقتصادية. وبالتالي، فإن ارتفاع هذا المؤشر يشير إلى ضعف خلق الوظائف، وارتفاع الضغط المالي والاجتماعي على العمال والأسر والدولة، بينما يدل انخفاضه على تحسن قدرة الاقتصاد على امتصاص اليد العاملة وتحقيق التوازن بين السكان والنشاط الإنتاجي، ويستخدم هذا المؤشر عادة ضمن تحليلات سوق العمل والسياسات الاقتصادية لتشخيص الفجوة بين الإمكانيات الديموغرافية والقدرة التشغيلية للاقتصاد، ولتقييم فعالية السياسات المتعلقة بخلق مناصب العمل، التعليم والتكوين المهني، وتمكين المرأة والشباب من الاندماج في سوق العمل.

وبالتالي تحليل هذين المؤشرين في الجزائر يتيح فهماً دقيقاً لكيفية تأثير التركيبة السكانية على سوق العمل، بما في ذلك الضغوط المحتملة على التوظيف والموارد الاقتصادية. فارتفاع معدل النشاط مع انخفاض معدل الإعاقة يعكس قدرة أفضل للاقتصاد على استيعاب السكان النشطين، بينما ارتفاع معدل الإعاقة مع انخفاض النشاط يشير إلى تحديات اقتصادية واجتماعية تتطلب سياسات تشغيل فعالة وبرامج دعم اجتماعي متوازن.

الشكل (1-6) تطور معدلات النشاط والإعاقة في الجزائر في الفترة 2001-2023



المصدر: من إعداد الطالب اعتماداً على معطيات الجدول السابق.

شهدت معدلات النشاط الإجمالي* (car) crude activity rate في الجزائر تقلبات ملحوظة خلال الفترة من 2001 إلى 2023، حيث تراوحت بين أدنى قيمة قدرها 27.24% في عام 2020 (نتيجة تأثيرات جائحة كوفيد-19 التي أدت إلى انكماش الاقتصاد وتقليل المشاركة في سوق العمل) وأعلى قيمة بلغت 31.24% في عام 2013، مما يعكس ذروة النشاط الاقتصادي خلال تلك الفترة بفضل ارتفاع أسعار النفط وتحسين فرص التوظيف. أما معدل النشاط المعياري LFPR (الذي يركز عادة على الفئات العمرية المنتجة 15-64 عاما)، فقد سجل متوسطا يقارب 41.5%، مع قمة عند 43.2% في 2013 وهبوط إلى 39.55% في 2020، مشيرا إلى اتجاه عام نحو الاستقرار مع انخفاض طفيف في السنوات الأخيرة بسبب التحولات الديموغرافية مثل انخفاض معدلات الخصوبة وزيادة نسبة الشيخوخة. في المقابل، انخفض معدل الإعالة (الذي يقيس عبء المعالين غير العاملين على كل فرد عامل) من 4.96 في 2001 إلى أدنى مستوى 3.55 في 2013، ثم ارتفع قليلا إلى 3.92 في 2023، مما يدل على تحسن في الكفاءة الاقتصادية خلال العقد الأول من الألفية الجديدة بفعل النمو السكاني الشاب، لكنه يشير أيضا إلى ضغوط متزايدة في السنوات الأخيرة بسبب التباطؤ الديموغرافي.

هذا وبمقارنة هذه القيم مع ما هو موجود في دول العالم نجد أن معدل النشاط أصغر من المتوسط العالمي بنحو 20 نقطة وبفجوة أكبر مع الاقتصادات المتقدمة والدول النفطية الخليجية التي يتراوح معدل النشاط فيها بين 60-75 و 55-70 على التوالي والعكس نجده مع معدل الإعالة إذ هو أعلى بكثير من المتوسط العالمي الذي يتراوح بين 2.5 و 2.1 ومن معدل الدول المتقدمة 1.5 إلى 2 ومن معدل الاقتصادات النفطية الخليجية الذي يتراوح بين 1 و 2.

هذا وتظهر هذه المقارنة بين معدل النشاط في الجزائر والمعدلات المسجلة في الاقتصادات المتقدمة والناشئة وجود فجوة بنيوية واسعة، يمكن تفسيرها بمجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسية. فمن منظور تاريخي، أدى الاعتماد المفرط على قطاع المحروقات إلى ترسيخ نموذج اقتصادي ريعي يحد من ديناميكية خلق الوظائف المنتجة، ويقود إلى ضعف التنوع القطاعي مقارنة باقتصادات مثل كندا والنرويج حيث أثبتت الدراسات أن تنوع القاعدة الإنتاجية وتعزيز القطاعات الصناعية والخدمية يدفعان نحو رفع المشاركة في سوق العمل.

وعلى المستوى الديمغرافي، يساهم ضعف إدماج فئات واسعة من السكان، خاصة النساء والشباب، في اتساع هذه الفجوة؛ إذ نجد أن نسب المشاركة النسوية في الجزائر تبقى من الأدنى عالميا مقارنة بالدول الإسكندنافية أو دول شرق آسيا، نتيجة عوامل ثقافية ومؤسسية تحد من الانخراط في سوق العمل. كما أن جودة التعليم والتدريب المهني تلعب دورا حاسما في تشكيل الفوارق، حيث أن قصور أنظمة تكوين رأس المال البشري في الاقتصادات الريعانية يؤدي غالبا إلى تدني التشغيلية وضعف الاستجابة لاحتياجات السوق مقارنة بالاقتصادات المرنة والمتعلمة.

من جهة أخرى، تعزى الفروقات أيضا إلى خصائص السياسات الاقتصادية؛ فبينما اعتمدت الدول الصناعية إصلاحات سوق العمل، وتحرير بيئة الأعمال، ومبادرات لرفع مساهمة المرأة، فإن الجزائر شهدت لفترة طويلة سياسات

* هو نسبة إجمالي السكان النشيطين اقتصاديا (القوة العاملة) إلى مجموع السكان الكلي بغض النظر عن التركيب العمري.

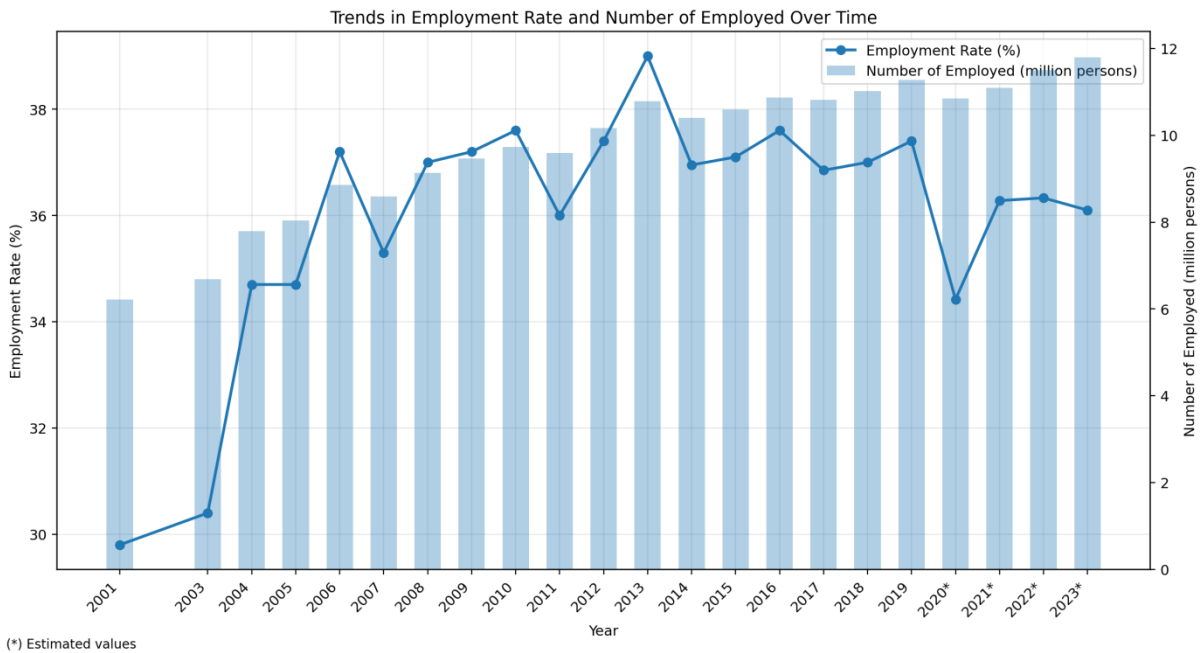
الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

إنفاق اجتماعي وتعويزات واسعة عززت السلوك الريعي وحدت من الحافز نحو العمل، وبالتالي، فإن تداخل هذه العوامل الهيكلية والمؤسسية والتاريخية يفسر الاختلاف الملحوظ بين معدلات النشاط في الجزائر ونظيراتها العالمية الأكثر ديناميكية وتنوعا.

ثالثا: تحليل حجم التشغيل Employment-to-population ratio

يمثل معدل التشغيل (Employment-to-population ratio) أحد المؤشرات المركزية في تحليل سوق العمل، لأنه لا يكتفي بإحصاء عدد المشتغلين، بل يقيس نسبة المشتغلين إلى السكان في سن العمل (وفق التعريف المعتمد في السلسلة الإحصائية محل الدراسة). وتكمن أهميته المنهجية في أنه يقدم قراءة أوسع من مؤشرات التشغيل المطلقة، إذ يسمح بتقييم مدى قدرة الاقتصاد على تحويل التوسع السكاني إلى إدماج فعلي في العمل. لذلك، فإن تحليل هذا المؤشر لا ينبغي أن ينحصر في تتبع اتجاهه الزمني فقط، بل يجب أن يمتد إلى تفكيك دلالاته الإحصائية والاقتصادية، والتميز بين ما يكشفه فعلا وما قد يخفيه من اختلالات بنيوية داخل سوق العمل. وفيما يلي الرسم البياني الذي يوضح تطوره مع حجم المشتغلين خلال فترة الدراسة:

الشكل (1-7) تطور معدل وحجم التشغيل في الجزائر في الفترة 2001-2023



المصدر: من إعداد الطالب اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

تظهر بيانات فترة الدراسة أن التشغيل في الجزائر عرف اتجاهها تصاعديا طويل الأجل، تجسد في ارتفاع حجم المشتغلين من 6.22 مليون سنة 2001 إلى 11.80 مليون سنة 2023، بالتوازي مع تحسن معدل التشغيل من

29.8% إلى 36.1% غير أن هذا التحسن لم يكن خطيا، إذ تخللته فترات تذبذب وتصحيح، لا سيما في 2007 و2011 و2014، ثم صدمة واضحة في 2020 قبل تعاف لاحق.

و يشير ذلك من الناحية الإحصائية إلى أن التشغيل لم ينم فقط من حيث العدد المطلق، بل تحسن أيضا من حيث الوزن النسبي داخل السكان المرجعيين. وهذه ملاحظة جوهرية، لأن الزيادة في عدد المشتغلين وحدها قد تكون ناتجة جزئيا عن النمو الديموغرافي، بينما ارتفاع معدل التشغيل يعني أن نمو التشغيل كان كافيا، على الأقل في اتجاهه العام، لرفع كثافة الإدماج التشغيلي. بعبارة أخرى، فإن المؤشر يعبر عن تحسن نسبي في قدرة الاقتصاد على توليد فرص العمل، وليس مجرد توسع عددي محايد.

غير أن هذا التحسن، رغم أهميته، لا ينبغي تفسيره تفسيراً خطياً. فالقراءة الدقيقة للسلسلة الزمنية تظهر أن تطور معدل التشغيل لم يكن منتظما، بل تخللته فترات تسارع، ثم تباطؤ، ثم تذبذب، ثم صدمة وتعاف، وهذه الديناميكية تكشف أن سوق العمل لم يتحرك وفق مسار تراكمي مستقر، بل ظل خاضعا لتأثيرات دورية وهيكلية متداخلة. ومن ثم، فإن الاتجاه العام الصاعد لا يلغي وجود اختلالات مرحلية قد تكون ذات دلالة اقتصادية عميقة، مثل تراجع قدرة الاقتصاد على الحفاظ على نفس وتيرة الإدماج التشغيلي، أو ضعف مرونة التشغيل أمام الصدمات.

ومن زاوية إحصائية أكثر دقة، يتيح الجمع بين تطور حجم المشتغلين وتطور معدل التشغيل فهما أعمق بكثير من الاكتفاء بأي منهما منفردا. فإذا ارتفع عدد المشتغلين بقوة بينما ارتفع المؤشر النسبي ببطء، فإن ذلك يدل على أن الاقتصاد يخلق وظائف، لكنه يفعل ذلك داخل قاعدة سكانية متوسعة، بما يقلص أثر هذا النمو على النسبة. أما إذا ارتفع المؤشر النسبي بالتوازي مع الزيادة العددية، فذلك يعني أن وتيرة خلق الوظائف كانت أعلى نسبيا من أثر التوسع السكاني. ومن ثم، فإن الاختلاف في سرعة تحرك المؤشرين لا يعد تناقضا، بل يمثل مفتاحا تفسيريا للديناميكيات العميقة لسوق العمل، وخاصة العلاقة بين خلق الوظائف، والبنية الديموغرافية، وتغيرات المشاركة الاقتصادية.

اقتصاديا، تسمح هذه المعطيات بالقول إن الاقتصاد الجزائري حقق خلال فترة الدراسة توسعا فعليا في التشغيل، غير أن هذا التوسع لم يتحول دائما إلى تحسن متساو في كثافة الإدماج داخل السكان المرجعيين. وهذه النتيجة ذات دلالة مهمة: فهي تشير إلى أن مسألة التشغيل لا تختزل في عدد فرص العمل المولدة، بل ترتبط أيضا بقدرة الاقتصاد على خلق فرص عمل بوتيرة تتناسب مع نمو السكان وتغيرات بنية العرض المحتمل للعمل. وعليه، فإن التقييم الاقتصادي لأداء التشغيل لا يصح أن يبنى على الأرقام المطلقة وحدها، بل يجب أن يقرأ معدل التشغيل بوصفه مؤشرا على الفعالية النسبية للاقتصاد في تحويل الإمكانيات البشرية إلى استخدام فعلي.

وتزداد أهمية هذا المؤشر في المراحل التي يظهر فيها تباين بين التعافي العددي للتشغيل والتعافي النسبي للمؤشر. ففي مثل هذه الحالات، قد يستعيد الاقتصاد جزءا معتبرا من الوظائف المفقودة بعد صدمة ما، فيرتفع عدد المشتغلين مجددا، لكن معدل التشغيل لا يعود بنفس السرعة إلى مستوياته الأعلى السابقة. هذا النمط يكشف أن التعافي الكمي لا يساوي بالضرورة تعافيا كاملا في كثافة التشغيل، وأن زيادة عدد المشتغلين قد تبقى دون المستوى اللازم

لتعويض أثر توسع السكان المرجعيين أو التغيرات في البنية العمرية/الاقتصادية للسكان. ومن ثم، فإن قراءة هذا التحسن اعتمادا على العدد وحده قد تعطي انطباعا أكثر تفاؤلا مما تسمح به القراءة النسبية للمؤشر.

ومن الناحية المنهجية، يتمتع معدل التشغيل بقوة تفسيرية معتبرة لأنه أقل تأثرا ببعض التبدلات التصنيفية الضيقة داخل سوق العمل مقارنة بمؤشرات أخرى، لكن رغم ذلك يبقى تكتفه بعض الملاحظات من حيث أنه مؤشر كمي إجمالي، يقيس كمية التشغيل أكثر مما يقيس نوعية التشغيل. لذلك، فإن ارتفاعه لا يعني بالضرورة تحسنا مماثلا في جودة الاندماج المهني أو في كفاءة استخدام العمل. فقد يرتفع المؤشر في ظل توسع أنماط تشغيل منخفضة الإنتاجية، أو هشّة، أو غير مستقرة، أو جزئية غير مرغوبة، أو ضعيفة الملاءمة مع التكوين والمؤهلات.

ويأخذ النقد المنهجي عمقا أكبر إذا انتقلنا من مستوى قياس التشغيل إلى مستوى قياس الاستخدام الفعال للعمل. فوجود الفرد ضمن فئة المشتغلين إحصائيا لا يعني بالضرورة أن عمله يعكس استخداما كاملا ومنتجا لقدراته. إذ قد تختبئ داخل وضعية الاشتغال حالات من التشغيل الناقص، أو انخفاض عدد ساعات العمل الفعلية، أو تدي الإنتاجية، أو عدم التناسب بين المؤهل والوظيفة، أو الهشاشة التعاقدية، وهي كلها حالات لا تظهر مباشرة في معدل التشغيل. وبذلك، فإن المؤشر قد يعطي صورة إيجابية عن توسع التشغيل، في حين تبقى بنية التشغيل نفسها محملة باختلالات تؤثر في الاستدامة، والإنتاجية، ونوعية الرفاه الاقتصادي المرتبط بالعمل.

كما أن التفسير الاقتصادي للمؤشر يقتضي الحذر من الوقوع في قراءة أحادية الجانب تعتبر أي ارتفاع فيه دليلا مباشرا على تحسن الطلب على العمل فقط. ذلك أن معدل التشغيل يتأثر كذلك بتغيرات سلوك السكان إزاء المشاركة الاقتصادية، وبالتحولات الديموغرافية، وبالتوزيع العمري، وبالظروف الاجتماعية التي تؤثر في الدخول إلى سوق العمل أو الخروج منه. وعليه، فإن تغير المؤشر يعكس حصيلة مركبة لتفاعل اقتصادي سكاني سلوكي، وليس مجرد انعكاس ميكانيكي لدورة النشاط الاقتصادي. وهذه خاصية تمنحه قيمة تفسيرية عالية، لكنها تفرض في المقابل قراءة تركيبية تربطه بمؤشرات أخرى عند الانتقال من الوصف إلى التشخيص البنوي.

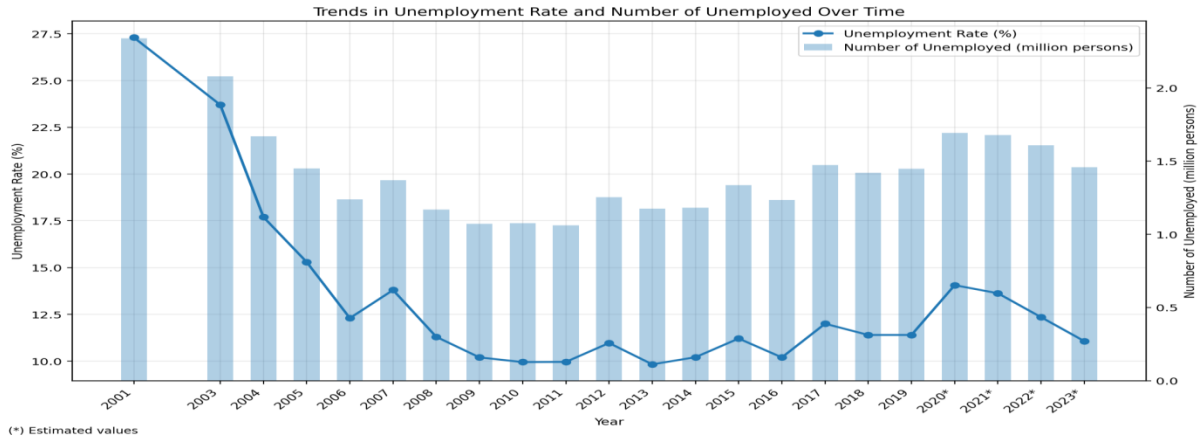
وفي ضوء ذلك، يمكن القول أن معطيات معدل التشغيل خلال فترة الدراسة تقدم دليلا معتبرا على تحسن طويل الأجل في الإدماج التشغيلي الكمي، لكنها لا تسمح وحدها بالحكم النهائي على جودة هذا التحسن أو عمقه البنوي. فالتحسن الإحصائي المسجل قد يكون حقيقيا من حيث اتساع قاعدة المشتغلين وارتفاع نسبتهم، لكنه لا يستبعد في الوقت نفسه استمرار اختلالات جوهرية في نوعية التشغيل، وكفاءة المطابقة، والإنتاجية، والاستقرار المهني. ومن ثم، فإن القراءة العلمية الرصينة لهذه المعطيات تقتضي التمييز بين التحسن في كثافة التشغيل والتحسن في جودة التشغيل، وعدم الخلط بينهما في الاستنتاجات الاقتصادية.

رابعا: تحليل إحصائيات معدل وحجم البطالة Unemployment rate

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

بعدها تناولنا أهم المؤشرات المرتبطة بسوق العمل والتي من خلالها يمكن بناء تصور مبدئي لتطور ظاهرة البطالة خلال فترة الدراسة وبالأخص من الجانب الإحصائي وفيما يلي الرسم البياني الذي يوضح أكثر التطورات السنوية لكل من معدل البطالة وحجم العاطلين عن العمل:

الشكل (1-8) تطور معدل وحجم البطالة في الجزائر في الفترة 2001-2023



المصدر: من إعداد الطالب اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

تشير معطيات فترة الدراسة إلى اتجاه نزولي واضح في معدل البطالة، حيث انتقل من 27.3% سنة 2001 إلى 11.07% سنة 2023، بما يعادل انخفاضا قدره 16.23 نقطة مئوية. غير أن هذا التحسن النسبي في المعدل لم يترافق بنفس الحدة مع تراجع حجم البطالين، الذي انخفض من 2.34 مليون إلى نحو 1.458 مليون فقط خلال الفترة نفسها. ويفسر هذا التباين بتوسع حجم القوة العاملة، ما يجعل انخفاض النسبة المئوية لا ينعكس تلقائيا بنفس الدرجة على العدد المطلق للعاطلين. كما تظهر السلسلة انتقال البطالة من مرحلة الانخفاض السريع (2001-2006) إلى مرحلة استقرار نسبي وتذبذب ضمن نطاق أدنى (2007-2019)، قبل تسجيل صدمة ارتفاع في 2020 تلتها مرحلة تعاف تدريجي حتى 2023. وتبرز هذه النتائج أهمية اعتماد قراءة مزدوجة لمؤشرات البطالة تجمع بين المعدل والحجم، حيث أشارت هذه الإحصائيات إلى انخفاض واضح في معدل البطالة، لكن في المقابل كان هناك انخفاض أبطأ وأقل حدة في حجم البطالين. وهذه النتيجة ليست تناقضا إحصائيا، بل تعكس منطقا ديموغرافيا-اقتصاديا معروفا، عندما ينمو حجم السكان في سن العمل وتتوسع القوة العاملة، قد يتحسن معدل البطالة (كنسبة) مع بقاء عدد البطالين مرتفعا نسبيا، أو انخفاضه بوتيرة أبطأ.

وتظهر القراءة المرحلية للسلسلة أن المرحلة الأولى من فترة الدراسة اتسمت بانخفاض سريع وقوي في البطالة، سواء من حيث المعدل أو العدد، وهو ما يمكن تفسيره نظريا بمرحلة تصحيح أولي لسوق العمل، حيث تكون إمكانيات امتصاص البطالة المرتفعة أكبر نسبيا إذا تزامنت مع تحسن في الطلب على العمل، أو توسع في الاستثمار، أو برامج تشغيل واسعة. ثم تنتقل السلسلة إلى مرحلة ثانية تتسم بالاستقرار النسبي والتذبذب داخل نطاق أدنى، وهي مرحلة أكثر تعقيدا من حيث التفسير؛ إذ غالبا ما تشير إلى أن البطالة المتبقية لم تعد بطالة ظرفية فقط، بل أصبحت تتضمن

مكونات هيكلية واحتكاكية (عدم تطابق المهارات، تفاوت جغرافي، صعوبات الإدماج الأول، بطالة الشباب، إلخ). وفي هذه المرحلة، يصبح خفض البطالة أكثر بطئا، لأن الاقتصاد يكون قد استنفد جزءا من التحسن السهل، وبقيت العناصر الأشد التصاقا ببنية السوق والعمل والتعليم.

كما تبرز السلسلة نقطة تحليلية مهمة تتمثل في أن استقرار معدل البطالة ضمن نطاق ضيق نسبيا لا يعني بالضرورة استقرار حجم البطالين. ففي بعض المقاطع الزمنية، يظهر أن عدد البطالين يرتفع تدريجيا رغم تحرك معدل البطالة داخل حدود متوسطة، وهو ما يعكس توسعا في القوة العاملة بوتيرة تفوق قدرة الاقتصاد على خلق وظائف صافية كافية. وهذه النتيجة ذات أهمية خاصة في الاقتصادات التي تعرف نموا ديموغرافيا قويا أو توسعا تدريجيا في المشاركة الاقتصادية، لأن ضغط الداخلين الجدد إلى سوق العمل يفرض تحديا دائما حتى في حال استمرار خلق مناصب الشغل.

وتشير سنوات نهاية السلسلة (2020-2023) إلى نمط يمكن وصفه بـ الصدمة والتعافي: ارتفاع واضح في معدل البطالة وحجم البطالين في بداية الفترة الفرعية، ثم تراجع تدريجي لاحق. هذا النمط ينسجم مع ما شهدته اقتصادات عديدة من اضطرابات في أسواق العمل خلال السنوات التي تلت جائحة كورونا، حيث ارتفعت البطالة في لحظات الصدمة ثم بدأت في الانخفاض مع عودة النشاط. غير أن الأهم من منظور تحليلي هو أن التعافي في المعدل قد يسبق التعافي الكامل في الحجم، لأن توسع القوة العاملة أثناء التعافي قد يبقي عدد العاطلين مرتفعا نسبيا حتى مع تحسن النسبة المئوية.

وبالتالي يمكن القول بأن تحليل تطور البطالة خلال فترة الدراسة، بالاعتماد على مؤشري معدل البطالة وحجم البطالين، يسمح بتكوين صورة أولية عن اتجاهات سوق العمل، لكنه لا يكفي، من منظور تحليلي عميق، لاستخلاص حكم دقيق حول التحسن الحقيقي في الأداء التشغيلي للاقتصاد. فهذه المؤشرات، رغم أهميتها وضرورتها في التحليل الكمي المقارن زمنيا، تظل مؤشرات جزئية تقيس جانبا محمدا من الظاهرة، ولا تستوعب بالقدر الكافي الأبعاد البنوية والتنوعية للبطالة، خصوصا في الاقتصادات التي تتسم بتفاوتات قطاعية، واتساع أنماط التشغيل المهش، ووجود أشكال متعددة من الاستخدام غير الكفاء للعمل.

وعليه، فإن الاتجاه النزولي المسجل في معدل البطالة خلال فترة الدراسة، وإن كان مؤشرا إيجابيا في ظاهره، لا يمكن التعامل معه بوصفه دليلا كافيا على تراجع شامل في اختلالات سوق العمل. فجزء من التحسن الظاهر قد يكون ناتجا عن تحولات في سلوك المشاركة الاقتصادية، أو انتقال أفراد من خانة العاطلين إلى خانة أخرى إحصائيا، دون أن يعني ذلك بالضرورة انتقاهم إلى تشغيل منتج ومستقر. ومن هنا تظهر أهمية القراءة النقدية للمؤشرات الرسمية، لا بهدف نفي قيمتها، بل بهدف منع إساءة تفسيرها أو تحميلها أكثر مما تسمح به من دلالة.

وتتجلى أولى حدود هذه المؤشرات في ضعف قدرتها على التقاط البطالة الهيكلية، وهي البطالة الناتجة عن عدم التوافق بين خصائص عرض العمل واحتياجات الطلب عليه. فالإحصاءات الرسمية تظهر ما إذا كان الفرد يشتغل أو

لا يشتغل، لكنها لا تظهر بدرجة كافية ما إذا كانت مهاراته، تكوينه، وخبراته تتوافق فعليا مع طبيعة الوظائف المتاحة في الاقتصاد. فقد يكون هناك انخفاض في معدل البطالة بالتزامن مع اتساع فجوة المهارات (skills mismatch)، بحيث يتم امتصاص جزء من اليد العاملة في وظائف أقل من مؤهلاتها أو خارج تخصصاتها، بينما تبقى القطاعات الأكثر إنتاجية عاجزة عن إيجاد الكفاءات المناسبة. وفي هذه الحالة، يبدو المؤشر الكمي متحسنا، لكن الاختلال البنيوي يظل قائما بل قد يتفاقم في العمق.

كما أن البطالة الهيكلية لا تتجسد فقط في عدم تطابق المهارات، بل أيضا في عدم التطابق الجغرافي والقطاعي. فقد تخلق فرص عمل في مناطق أو قطاعات لا تتوافق مع تركز الباحثين عن العمل، أو تتطلب أنماطا من التنقل والتأهيل لا تسمح بها الظروف الاقتصادية والاجتماعية للأفراد. وبما أن المؤشرات التقليدية لا تفكك البطالة بما يكفي إلى مستويات جغرافية وقطاعية دقيقة ضمن هذا النوع من التحليل الكلي، فإنها تنتج صورة إجمالية قد تخفي تفاوتات حادة بين فئات ومناطق، مما يجعل التحسن المتوسط غير معبر عن الواقع الفعلي للبطالة البنيوية.

أما القيد الثاني، وهو أكثر حساسية في سياق الاقتصادات النفطية النامية، فيتعلق بعدم قدرة المؤشرات الرسمية على استيعاب البطالة المقنعة إلا بشكل محدود جدا. فالبطالة المقنعة لا تعني غياب العمل شكليا، بل تعني وجود أفراد يصنفون كمشتغلين، في حين أن مساهمتهم الإنتاجية الفعلية ضعيفة جدا أو شبه معدومة، أو أن عدد العاملين في نشاط معين يفوق بكثير الحاجة الإنتاجية الحقيقية لذلك النشاط. في مثل هذه الحالات، لا يظهر الخلل في معدل البطالة لأنه ببساطة لا يتعلق بعدد غير العاملين، بل يتعلق بسوء تخصيص العمل، وانخفاض الإنتاجية الحدية للعمالة، وتمركز التشغيل في أنشطة منخفضة القيمة المضافة أو ضعيفة الاستدامة.

ومن ثم، قد ينخفض معدل البطالة في الظاهر نتيجة توسع التشغيل، بينما يكون جزء معتبر من هذا التشغيل ذا طابع امتصاصي لا إنتاجي، أي أنه يخفف الضغط الاجتماعي والإحصائي دون أن يعكس تحسنا فعليا في كفاءة الاقتصاد على استخدام العمل. وتزداد خطورة هذا القيد عندما يقرأ التحسن في البطالة بمعزل عن مؤشرات مرافقة مثل الإنتاجية، جودة التشغيل، عدد ساعات العمل الفعلية، الدخل من العمل، والاستقرار المهني. فالتوسع في التشغيل الهش أو الجزئي غير المرغوب فيه قد ينتج انخفاضاً إحصائياً في البطالة، لكنه لا يعني بالضرورة ارتفاعاً في التشغيل اللائق أو تحسناً في الرفاه الاقتصادي للأسر.

ويظهر القيد الثالث في ضعف المؤشرات التقليدية في تمثيل البطالة الاختيارية تمثيلاً تحليلياً صحيحاً. ذلك أن فئة من الأفراد قد تبقى خارج العمل أو خارج البحث النشط عن العمل لأسباب تتعلق بالترفضيات الفردية، أو بتقديرهم لتكلفة الفرصة البديلة، أو لعدم قبولهم بشروط العمل المتاحة من حيث الأجر، أو الموقع، أو طبيعة الوظيفة، أو المكانة الاجتماعية المرتبطة بها. هذه الفئة قد لا تسجل ضمن العاطلين إذا لم تكن تبحث بحثاً نشطاً وفق التعريف الإحصائي، لكنها في الوقت نفسه تمثل جزءاً من الطاقة البشرية غير المستخدمة اقتصادياً.

وفي السياق ذاته، ينبغي التنبيه إلى أن بعض حالات ما يصنف ظاهريا كبطالة اختيارية قد تخفي في العمق أشكالاً من الإقصاء المقنع أو الإحباط من السوق. فالفرد الذي توقف عن البحث عن عمل بعد فترة طويلة من الفشل المتكرر قد لا يكون مختاراً للبطالة بالمعنى الاقتصادي الصرف، بل قد يكون منسحباً نتيجة انخفاض احتمالات النجاح، أو رداءة العروض المتاحة، أو التكاليف النفسية والاجتماعية المرتفعة للبحث المستمر دون نتيجة. وهنا تكمن إحدى أبرز مشكلات الاعتماد الحصري على المؤشرات الرسمية: أنها قد تخرج من نطاق البطالة الرسمية فئات لا تزال تعاني عملياً من التعطل أو ضعف الاندماج في سوق العمل، لمجرد تغير سلوك البحث وليس تغيير وضعية التشغيل الحقيقية.

وبناء على ما تقدم، فإن قراءة تطور معدل البطالة وحجم البطالين خلال فترة الدراسة يجب أن تتم بحذر منهجي، عبر التمييز بين التحسن الإحصائي والتحسين البنوي. فالتحسن الإحصائي يعني تراجع المؤشر الرسمي (المعدل أو العدد)، أما التحسن البنوي فيعني تحسناً في قدرة الاقتصاد على خلق وظائف منتجة، مستقرة، وملائمة للمهارات، مع انخفاض فعلي في الهدر الكامن في العمل (سواء في شكل بطالة صريحة أو مقنعة أو انسحاب قسري من السوق). وقد يحدث الأول دون الثاني، أو يحدث الثاني جزئياً دون أن يظهر سريعاً في المؤشرات الرسمية بسبب التوسع الديموغرافي وزيادة الداخلين الجدد إلى سوق العمل.

وعلى هذا الأساس، فإن التحليل العلمي الرصين لنتائج فترة الدراسة لا ينبغي أن يقتصر على تقرير أن معدل البطالة انخفض أو أن حجم البطالين تقلص/ارتفع، بل يجب أن يطرح أسئلة نقدية موازية: ما طبيعة الوظائف التي امتصت الداخلين الجدد؟ هل التحسن المسجل يعكس تشغيلاً منتجاً أم توسعاً في أنشطة منخفضة المردودية؟ ما حجم الفجوة بين المؤهلات والوظائف المشغولة؟ ما نسبة العاملين في وضعيات هشة أو ناقصة الاستخدام؟ وما حجم الفئات التي خرجت من قوة العمل بسبب الإحباط أو عدم ملاءمة فرص العمل؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة هي التي تسمح بالانتقال من الوصف الإحصائي إلى التشخيص البنوي.

وتأسيساً على ذلك، يمكن اعتبار مؤشري معدل البطالة وحجم البطالين مدخلاً أولياً لا نهائياً لتحليل سوق العمل خلال فترة الدراسة. فهما يقدمان إشارات مهمة عن الاتجاه العام، لكنهما لا يكشفان وحدهما عن البنية الداخلية للاختلالات. ومن ثم، فإن أي استنتاج حول تحسن أو تدهور وضع التشغيل يظل ناقصاً ما لم يستكمل بمؤشرات نوعية وبنوية، تشمل على الأقل: التشغيل الناقص المرتبط بالوقت، التوزيع القطاعي للتشغيل، نوعية الوظائف، مستوى الإنتاجية، الملاءمة بين التكوين والشغل، واستمرارية الاندماج في سوق العمل.

المطلب الثاني: تحليل مشكلة البطالة الهيكلية في الجزائر

بعدما تطرقنا إلى تحليل ظاهرة البطالة بنوع من الشمولية بناءً على مؤشرات ذات طابع كمي وبعدها تبين أن هذه المؤشرات على الرغم من أهميتها أنها لم تعط تصوراً عميقاً لهذه المشكلة كان لزاماً إيراد بعض النقاط التي من خلالها معرفة الاختلالات الهيكلية لسوق العمل وبالتالي لظاهرة البطالة وهذا حسب ماتوفر من معلومات إحصائية.

أولاً: تحليل مشكلة البطالة الهيكلية من معدلات البطالة حسب الفئات العمرية Unemployment rate by age group

تكتسي دراسة البطالة حسب الفئات العمرية أهمية منهجية خاصة، لأنها لا تقتصر على قياس مستوى البطالة، بل تكشف عن ديناميكيات الإدماج المهني ومدى قدرة الاقتصاد على استيعاب الداخلين الجدد إلى سوق العمل، وعلى إعادة إدماج الفئات الأكبر سناً عند التعثر أو فقدان الوظيفة. وعليه، فإن تحليل السلسلة الزمنية 2001-2019 لا ينبغي أن يتوقف عند القول بارتفاع بطالة الشباب، بل يجب أن يتعمق في شكل المنحنى العمري، وفي تحولات مركز النقل عبر الزمن، وفي اتساع أو تقلص الفجوات بين الأعمار، باعتبارها قرائن على وجود مكونات هيكلية تتجاوز البطالة الاحتكاكية قصيرة الأجل.

وفيما يلي أهم الإحصائيات التي من الممكن أن تفسر البطالة الهيكلية من هذا الجانب

الجدول (1-2): توزيع البطالين حسب الفئات العمرية

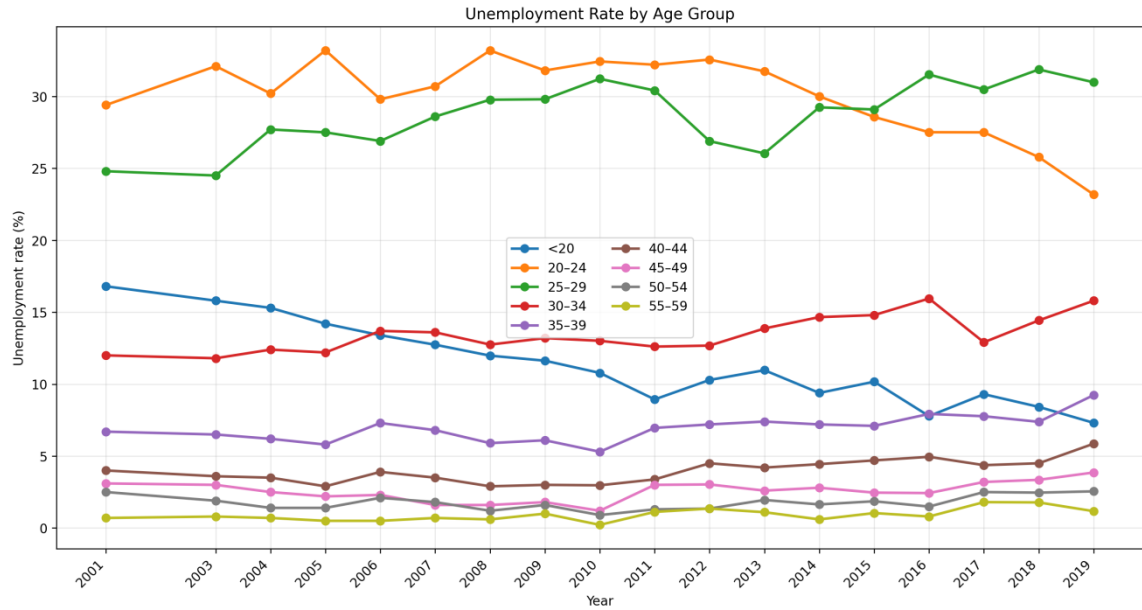
الوحدة %

فئة العمر	أقل من 20 سنة	20-24	25-29	30-34	35-39	40-44	45-49	50-54	55-59
2001	16,8	29,4	24,8	12	6,7	4	3,1	2,5	0,7
2003	15,8	32,1	24,5	11,8	6,5	3,6	3	1,9	0,8
2004	15,3	30,2	27,7	12,4	6,2	3,5	2,5	1,4	0,7
2005	14,2	33,2	27,5	12,2	5,8	2,9	2,2	1,4	0,5
2006	13,4	29,8	26,9	13,7	7,3	3,9	2,3	2,1	0,5
2007	12,74	30,7	28,6	13,6	6,8	3,5	1,6	1,8	0,7
2008	11,98	33,19	29,77	12,75	5,9	2,9	1,6	1,2	0,6
2009	11,63	31,8	29,8	13,2	6,1	3	1,8	1,6	1
2010	10,78	32,43	31,22	13,01	5,3	2,97	1,2	0,9	0,22
2011	8,94	32,2	30,41	12,61	6,96	3,38	3	1,3	1,12
2012	10,29	32,56	26,89	12,68	7,2	4,5	3,03	1,35	1,35
2013	10,97	31,74	26,04	13,87	7,4	4,2	2,6	1,95	1,1
2014	9,39	30	29,24	14,66	7,2	4,44	2,8	1,64	0,6
2015	10,17	28,57	29,09	14,8	7,1	4,7	2,46	1,86	1,04
2016	7,78	27,51	31,52	15,95	7,93	4,95	2,43	1,49	0,8
2017	9,3	27,5	30,48	12,91	7,77	4,37	3,2	2,5	1,8
2018	8,42	25,78	31,87	14,43	7,38	4,5	3,35	2,46	1,78
2019	7,31	23,18	30,98	15,8	9,24	5,86	3,86	2,55	1,17

المصدر: من إعداد الطالب بناء على إحصائيات المركز الوطني للإحصاء ONS

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

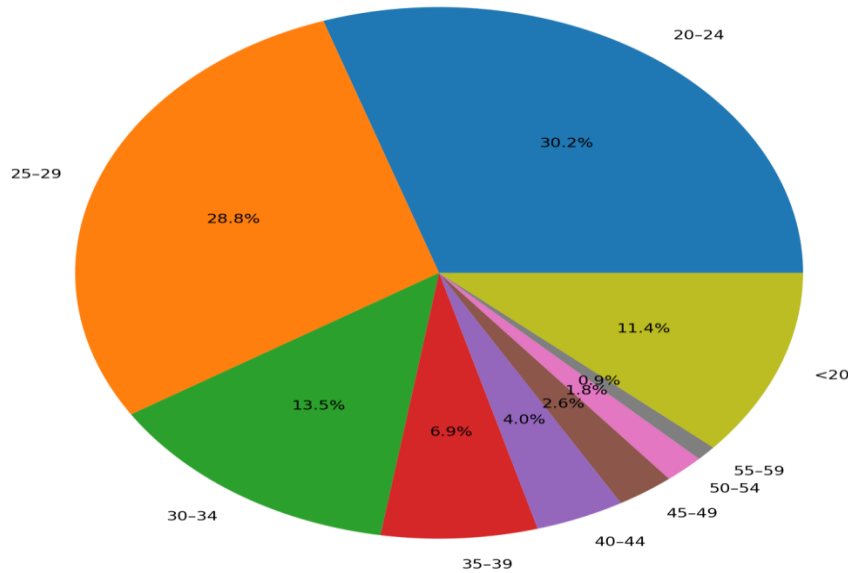
الشكل (1-9): تطور معدل البطالة حسب الفئات العمرية في الجزائر في الفترة 2001-2023



المصدر: من إعداد الطالب اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

الشكل (1-10): التوزيع النسبي لحجم البطالة بين الفئات العمرية في الجزائر في الفترة 2001-2023

Average Unemployment Rate by Age Group (Share of Total)



المصدر: من إعداد الطالب اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

تظهر المعطيات، في مجملها، أن البطالة كانت ولا تزال أعلى بشكل واضح في الأعمار الشابة، غير أن القراءة التطبيقية الدقيقة تكشف أن الظاهرة شهدت خلال الفترة المدروسة تحولا جوهريا حيث انتقلت قمة البطالة من فئة

20-24 إلى فئة 25-29. ففي بداية الفترة، ظلت فئة 20-24 تتصدر معدلات البطالة، إذ سجلت 29.4% في 2001 وبلغت ذروتها في سنة 2005 (33.2%)، قبل أن تتجه نحو الانخفاض التدريجي لتصل إلى 23.18% في سنة 2019 (انخفاض يقارب 6.22 نقاط مئوية مقارنة ببداية الفترة). وفي المقابل، اتخذت فئة 25-29 منحى معاكسا تماما إذ ارتفع معدل البطالة فيها من 24.8% في 2001 إلى 30.98% في 2019 (زيادة تقارب 6.18 نقاط)، مع بلوغ مستويات مرتفعة جدا في نهاية السلسلة، أبرزها سنة 2018 (31.87%). والأهم منهجيا أن فئة 25-29 أصبحت الأعلى بطالة ابتداء من 2015 واستمرت كذلك حتى 2019.

هذه النتيجة لا يمكن تفسيرها كتحسن بسيط في بطالة الشباب، بل تحمل دلالة بنيوية قوية مفادها أن مرحلة الانتقال من التعليم والتكوين إلى الشغل أصبحت أطول وأقل كفاءة. فبدل أن يتم امتصاص الداخلين الجدد بسرعة ضمن 20-24، يظهر أن جزءا معتبرا من "بطالة الإدماج" انتقل إلى 25-29، أي إلى عمر يفترض أن يكون أقرب إلى الاستقرار المهني. ومن ثم، فإن التحسن النسبي في 20-24 لا ينبغي أن يقرأ بمعزل عن التدهور الموازي في 25-29، لأن مجموعهما يوحي بأن صعوبة الإدماج لم تختف، بل تحولت عمريا وأصبحت أكثر امتدادا.

وتأكد الطبيعة الهيكلية لهذا التحول عند تفحص الفجوة بين بطالة الشباب وبطالة الأعمار الوسطى. ففي بداية الفترة، كانت الفجوة بين 20-24 و30-34 كبيرة جدا؛ ففي سنة 2001 مثلا بلغت بطالة 20-24 29.4% مقابل 12.0% لفئة 30-34 (فارق يقارب 17.4 نقطة)، وازدادت الفجوة أكثر في منتصف العقد الأول مع ارتفاع معدل البطالة في فئة 20-24. غير أن الفجوة تقلصت بشكل واضح في نهاية السلسلة لتصبح في 2019 نحو 7.38 نقاط فقط (23.18% مقابل 15.8%). هذا التقلص لا يفسر أساسا بانخفاض بطالة الشباب وحدها، بل أيضا بارتفاع بطالة 30-34 نفسها من 12.0% (2001) إلى 15.8% (2019) (+3.8 نقاط). وهنا تظهر قرينة هيكلية مهمة: عندما ترتفع البطالة داخل فئة 30-34، فذلك لا يشبه بطالة بحث قصيرة الأجل، بل يشير إلى ضعف الاستقرار المهني أو صعوبات مطابقة أعمق تمتد إلى فئات يفترض أنها راكمت من التعليم والخبرة ما يجعلها أكثر قابلية للتشغيل.

ولا يتوقف الأمر عند فئة 30-34؛ إذ تظهر البيانات اتجاهها تصاعديا، ولو متفاوتا، في فئات أكبر، ما يعزز فكرة أن المشكلة ليست مرحلة شباب عابرة. ففئة 35-39 ارتفعت من 6.7% إلى 9.24% (وبلغت أعلى مستوى في 2019)، وفئة 40-44 ارتفعت من 4.0% إلى 5.86%، كما سجلت فئة 45-49 ارتفاعا من 3.1% إلى 3.86%. هذا النمط يعني أن مسار البطالة لم يعد يهبط بسرعة مع التقدم في العمر كما تفترضه ديناميكية سوق عمل عالية الكفاءة؛ بل إن جزءا من البطالة أصبح يظهر على شكل تراكم تدريجي داخل الأعمار الوسطى، وهو ما يتسق مع فرضيات البطالة الهيكلية المرتبطة بضعف إعادة التأهيل، أو تحولات الطلب القطاعي على المهارات، أو هشاشة الاستقرار داخل بعض أنماط التشغيل.

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

من جهة أخرى، يلاحظ تراجع كبير في بطالة فئة أقل من 20 سنة من 16.8% في سنة 2001 إلى 7.31% في سنة 2019. غير أن التعامل العلمي مع هذه النتيجة يقتضي التحفظ، لأن هذه الفئة تتأثر بشدة بعامل التمدرس وبدرجات المشاركة الاقتصادية حيث جزء كبير منها يكون خارج قوة العمل أصلا، وأي تغير في سلوك الدخول إلى سوق العمل أو في شروط البحث النشط عن العمل قد يؤثر على المقاس الرسمي للبطالة فيها. لذلك، فإن الاستدلال البيئي الأقوى لا يجب أن يبنى على فئة أقل من 20 سنة، بل على فئات 20-24 و 25-29 و 30-34 بوصفها الفئات الأكثر دلالة على جودة الإدماج والانتقال نحو الاستقرار.

وبناء على هذا التحليل، يتضح أن شكل البطالة العمرية في الجزائر خلال 2001-2019 يتعارض مع المسار العمري المتوقع في سوق عمل قادر على الإدماج السريع. ففي الوضع الطبيعي نسبيا، تكون البطالة مرتفعة عند الدخول الأول لسوق العمل (20-24) ثم تنخفض بوضوح عند 25-29 ثم أكثر عند 30-34، بينما تظهر البيانات هنا استمرار مستويات مرتفعة جدا في 25-29 وارتفاعا ملحوظا في 30-34 وما بعده. هذه البنية العمرية لا تفسر تفسيراً مقنعا بالبطالة الاحتكاكية وحدها، بل تشير إلى وجود مكونات هيكلية مرتبطة أساسا بعدم التطابق (Mismatch) بين العرض والطلب مع عدم ملاءمة بعض المهارات أو التخصصات مع الوظائف المتاحة، تفاوت جهوي في فرص العمل، وشروط تشغيل لا تستوعب سريعا الداخلين الجدد، بما يطيل مدة الانتقال من التعليم إلى العمل ويدفع جزءا من البطالة إلى أعمار أعلى.

هذا وإن القراءة النقدية المنهجية تفرض أيضا الإشارة إلى أن هذه المعدلات رغم أهميتها قد لا تلتقط كامل حجم الاختلال. فالاقتصاد الذي يتسم بوزن معتبر للتشغيل غير الرسمي أو التشغيل الهش قد يشهد انتقالا لجزء من الشباب من بطالة رسمية إلى اشتغال منخفض الجودة لا يظهر في معدل البطالة، كما أن فئة من المحبطين قد تخرج من البحث النشط عن عمل فتستبعد من البطالة المقاسة.

ثانيا: تحليل مشكلة البطالة الهيكلية من خلال حصص البطالين حسب المنطقة والجنس

تعد إحصائيات البطالة حسب المنطقة الجغرافية (الحضر/الريف) وحسب الجنس (ذكر/أنثى) مدخلا مهما لفهم بنية سوق العمل في الجزائر، لأنها لا تكتفي بتقديم مستوى عام للبطالة، بل تكشف عن تركزها الجغرافي، وطبيعة الفجوات بين الفئات، وما إذا كانت هذه الفجوات ظرفية أم بنيوية. وتجدر الإشارة إلى أن النسب المستخدمة في هذا التحليل تمثل حصص توزيع البطالة حسب المنطقة والجنس وليس معدلات البطالة بالمعنى الإحصائي لذلك فالتركيز هنا سيكون حول تركيبة البطالة وتمركزها.

وفيما يلي الجدول الذي يبين تطور حصص البطالة حسب المنطقة الجغرافية وحسب الجنس متبوعا بالرسوم البيانية الموضحة لذلك.

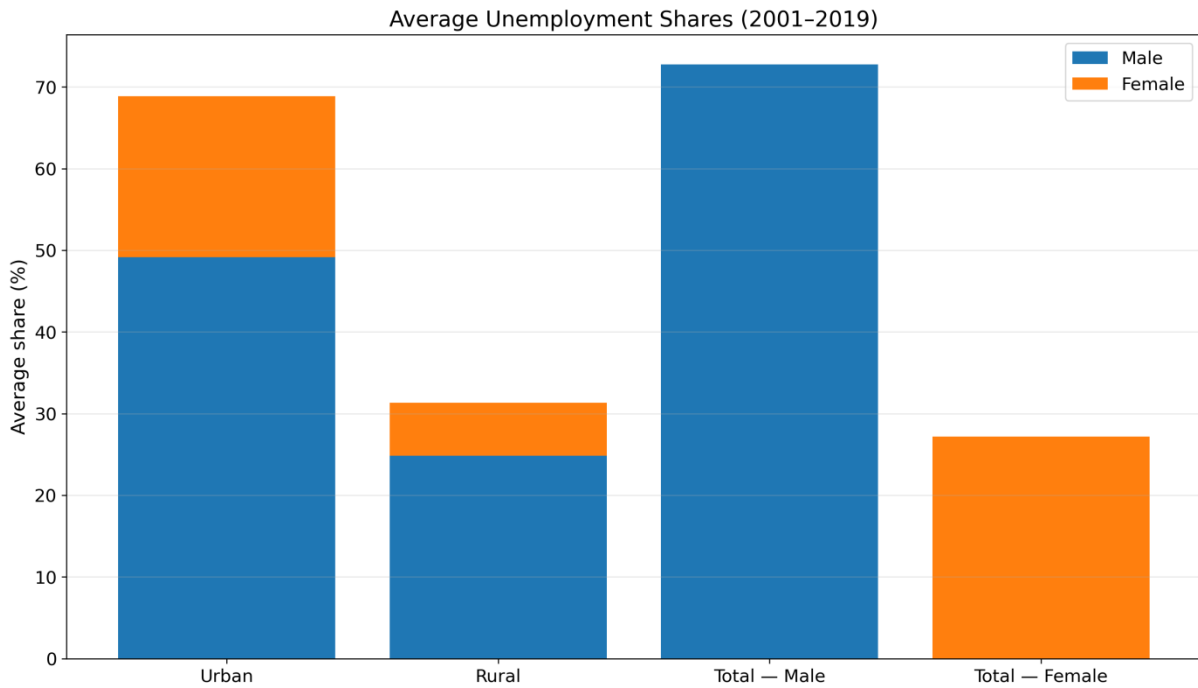
الجدول (1-3): توزيع البطالين حسب الجنس والمناطق السكنية

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

السنوات	نوع المنطقة	2001	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015	2016	2017	2018	2019	المتوسط للمجموعة السنوات
		%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%
حضرى	ذكور	77,49	81,4	83,8	78,6	75,6	74,4	73,22	68,6	65,51	65,54	68,53	66,55	69	70,2	61,11	62,67	—	—	71,39
	إناث	22,5	18,5	17,2	21,4	24,4	25,6	26,77	31,39	34,5	34,5	31,5	33,4	31	29,8	38,88	37,32	—	—	28,67
	المجموع	62,21	58,9	56,5	57,7	62,6	63,9	86,57	73,97	70	70,24	72,79	73,53	73	72,7	73,58	73,12	—	—	68,83
ريفى	ذكور	91,29	89,3	85,6	88,5	86,3	84,4	80,89	74,55	72,67	78,8	77,12	73,63	75,3	74,45	65,47	68,73	—	—	79,19
	إناث	8,7	10,6	14,39	11,5	13,6	15,6	19,1	25,4	27,3	21,2	22,58	26,4	24,7	25,55	34,5	31,3	—	—	20,78
	المجموع	37,79	41,2	40,5	48,3	37,4	36,1	13,43	26,03	30	29,8	27,21	26,5	27	27,23	26,4	26,88	—	—	31,36
المجموع	ذكور	82,7	84,7	82	82,8	79,6	78	74,25	70,14	67,65	69,5	70,8	68,48	70,7	71,35	62,26	64,3	67,5	63,5	72,79
	إناث	17,3	15,3	18	17,2	20,4	22	25,7	29,9	32,3	30,5	29,2	31,5	29,3	28,64	37,7	35,7	32,5	36,5	27,2
	المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

المصدر: من إعداد الطالب بناء على إحصائيات المركز الوطني للإحصاء ONS

الشكل (11-1): التوزيع النسبي لحجم البطالة بين الجنسين والمناطق السكنية في الجزائر في الفترة 2001-2023



المصدر: من إعداد الطالب اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

تظهر متوسطات الفترة 2001-2019 أن البطالة المرصودة وفق الجدول أعلاه تتركز بصورة واضحة في المنطقة الحضرية (في حدود 69%) مقارنة بالريف (31%) ما يعكس تمركزا حضريا مستمرا للضغط على سوق العمل ويشير إلى اختلالات إدماج هيكلية مرتبطة بالتوسع الحضري وتزايد عرض العمل في المدن بوتيرة تفوق خلق فرص العمل، كما يكشف التوزيع حسب الجنس عن هيمنة الذكور ضمن حصص البطالة المحسوبة سواء في المدينة 71% أو في الريف 79%، غير أن هذه الأرقام، بحكم كونها حصصا من مجموع البطالين لا معدلات بطالة داخل كل فئة، يجب تفسيرها بحذر؛ إذ قد تعكس فروقا في المشاركة الاقتصادية وفي شدة البحث عن عمل، فضلا عن دور التشغيل غير الرسمي والبطالة المقنعة—خاصة في الريف—ودور القيود المؤسسية والاجتماعية التي قد تترجم لدى النساء إلى انخفاض المشاركة أو الانسحاب من البحث بدل الظهور كـ“بطالة صريحة”. وعليه، فإن هذه المعطيات تستخدم كقرائن هيكلية على تمركز البطالة في المدن، وعلى احتمال اختفاء جزء من التعطل الريفي والنسوي خارج مؤشرات البطالة الرسمية.

وبالتالي عند توظيف هذه المعطيات لتفسير البطالة الهيكلية في الجزائر، تبرز ثلاث دلالات رئيسية.

- استمرار تمركز البطالة في الحضر عبر الزمن يشير إلى اختلال بنيوي في قدرة الاقتصاد الحضري على خلق وظائف منتجة وبوتيرة مناسبة لنمو العرض الحضري، وهو ما يجعل البطالة ظاهرة مستمرة لا تفسر فقط بالدورات الاقتصادية.
 - انخفاض البطالة في الريف أو ضعف وزنها في التوزيع قد يخفي بطالة مقنعة وتشغيلا ناقصا مرتبطين بالارسمية وبطبيعة النشاط الزراعي العائلي، ما يعني أن جزءا من نقص استخدام العمل لا يظهر في المؤشر الرسمي.
 - الفجوات في حصص البطالة بين الجنسين، خصوصا إذا ظلت ثابتة أو تزايدت، تمثل علامة على قيود هيكلية في الإدماج النسوي وفي المطابقة بين المؤهلات والوظائف وفي شروط الوصول إلى العمل، وغالبا ما يظهر جزء من هذا الإقصاء خارج البطالة الصريحة عبر انخفاض المشاركة أو الانسحاب من البحث.
- وبناء على ماسبق، فإن القيمة العلمية لهذه الإحصائيات تكمن في أنها تساعد على رسم خريطة للاختلالات البنوية من حيث تمركز البطالة جغرافيا، وكيفية توزيعها بين الجنسين، وما الذي يوحي به ذلك بشأن هيكل الاقتصاد وطبيعة سوق العمل.

ثالثا تحليل مشكلة البطالة الهيكلية من خلال توزيع حصص التشغيل بين القطاعات الاقتصادية:

ربما أهم عامل يمكن من خلاله معرفة مدى استفحال ظاهرة البطالة الهيكلية في الجزائر وبالخصوص تلك الناتجة عن أعراض المرض الهولندي هو تتبع نسبة مساهمة كل قطاع من القطاعات الاقتصادية الكلية في خلق وتوفير الوظائف، وتطور هذه المساهمة في كل سنة .

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

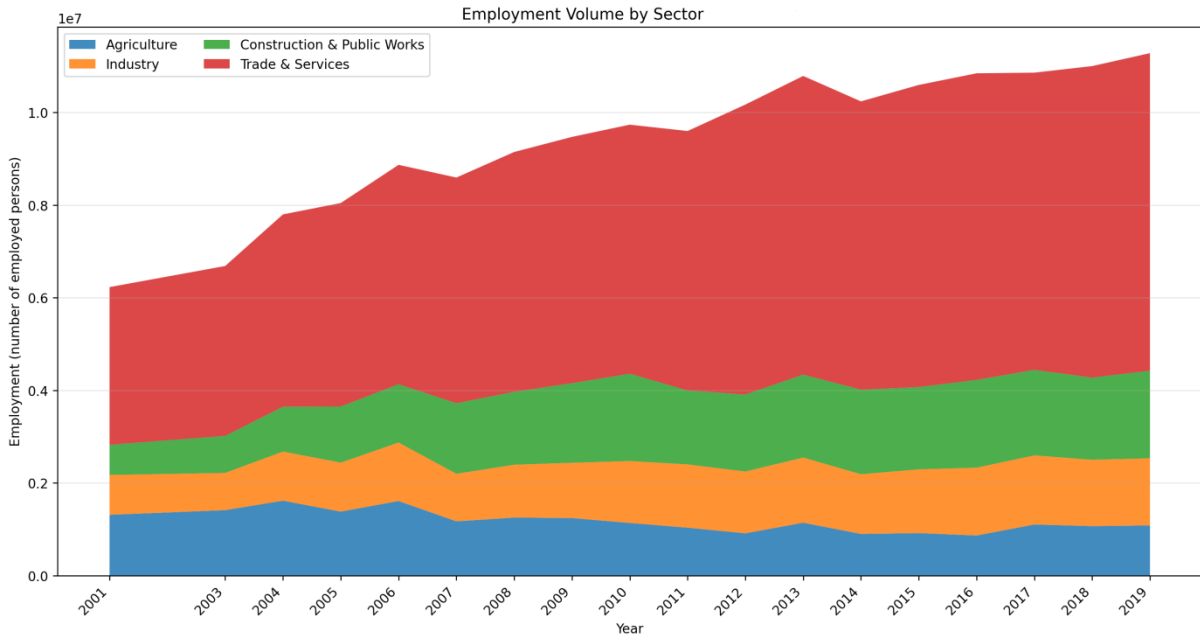
إذ يعد تحليل تطور التشغيل حسب القطاعات خلال الفترة 2001-2019 مدخلا بنويا لفهم طبيعة نموذج النمو في الجزائر، لأنه يجيب عن سؤال جوهري في التحليل من أين تخلق الوظائف فعليا؟ وهل يتجه الاقتصاد نحو انتقال هيكلية منتج تقوده الصناعة والقطاعات القابلة للتصدير، أم نحو توسع تقوده قطاعات مرتبطة بالطلب الداخلي والإنفاق والاستثمار العمومي. وتكتسب هذه المقاربة أهمية كبيرة من حيث أنها لا تقيس البطالة مباشرة، بل تقيس الوجه الآخر لها من حيث قدرة القطاعات المختلفة على امتصاص العرض من العمل مع الزمن، وهو ما يحدد في النهاية اتجاهات البطالة الهيكلية ومشكلاتها. وفيما يلي أهم الإحصائيات المتوفرة والتي من خلالها يمكن تتبع الظاهرة محل الدراسة.

الجدول (1-4) تطور توزيع حجم ونسب العمالة على القطاعات الاقتصادية في الجزائر خلال الفترة 2001-2019

القطاعات السنوات	الفلاحة		الصناعة		بناء واشغال العمومية		تجارة وخدمات	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
2001	1312069	21,06	861119	13,82	650012	10,44	3405572	54,68
2003	1412340	21,13	804152	12,03	799914	11,97	3667650	54,87
2004	1617125	20,74	1060785	13,6	967568	12,41	4152934	53,25
2005	1380520	16,17	1058835	13,16	1212022	15,07	4392843	54,61
2006	1609633	18,15	1263591	12,25	1257703	14,18	4737877	53,42
2007	1170898	13,62	1027817	11,96	1523610	17,73	4871918	56,69
2008	1252000	13,69	1141000	12,48	1575000	17,22	5178000	56,61
2009	1242000	13,11	1194000	12,61	1718000	18,14	5318000	56,14
2010	1136000	11,67	1337000	13,73	1886000	19,37	5377000	55,23
2011	1034000	10,77	1367000	14,24	1595000	16,62	5603000	58,73
2012	912000	9	1335000	13,1	1663000	16,4	6260000	61,6
2013	1141000	10,6	1407000	13	1791000	16,6	6449000	59,8
2014	899000	8,8	1290000	12,6	1826000	17,8	6224000	60,8
2015	917000	8,7	1377000	13	1776000	16,8	6524000	61,6
2016	865000	8	1465000	13,5	1895000	17,5	6620000	61
2017	1102000	10,1	1493000	13,8	1847000	17	6417000	59,1
2018	1067000	9,7	1434000	13,1	1774000	16,1	6726000	61,1
2019	1083000	9,6	1450000	12,85	1890000	16,76	6857000	60,79

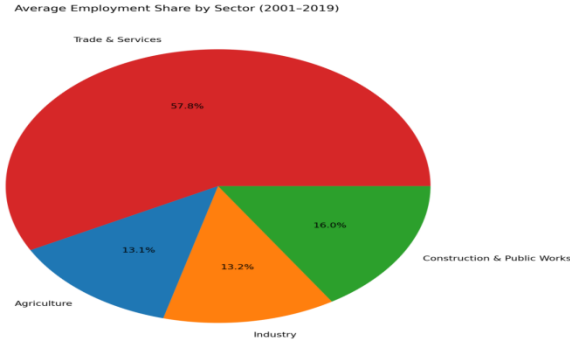
المصدر: من إعداد الطالب بناء على إحصائيات المركز الوطني للإحصاء ONS.

الشكل (1-12): تطور حجم التشغيل في الجزائر حسب القطاعات الاقتصادية خلال الفترة 2001-2019



المصدر: من إعداد الطالب اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

الشكل (1-13): التوزيع النسبي لحجم التشغيل حسب القطاعات الاقتصادية في الجزائر في الفترة 2001-2019



المصدر: من إعداد الطالب اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

تظهر المعطيات الموجودة أعلاه أن بنية التشغيل في الجزائر اتسمت خلال الفترة المدروسة بهيمنة واضحة لقطاع الخدمات والتجارة من حيث الوزن التشغيلي، يليه قطاع البناء والأشغال العمومية، بينما بقيت الصناعة ذات وزن محدود وتراجعت الفلاحة بشكل حاد من حيث حصتها من التشغيل. وتؤكد المتوسطات القطاعية أن الخدمات تشكل أكثر من نصف التشغيل في المتوسط خلال الفترة، في حين تتقاسم القطاعات الثلاثة الأخرى بقية التشغيل بنسب أقل بكثير. هذه البنية ليست مجرد توصيف إحصائي، بل هي مؤشر على اتجاهات التحول الهيكلي، فالاقتصاد أصبح يعتمد وظيفيا بصورة أكبر على قطاعات غير تبادلية أو مرتبطة بالسوق المحلية، أكثر من اعتماده على قطاعات إنتاجية تنافسية واسعة القدرة على توليد وظائف قابلة للتوسع الخارجي.

وعند الانتقال من المتوسطات إلى التحولات عبر الزمن، تكشف النتائج الكمية عن إعادة توزيع عميقة لحصص التشغيل بين 2001 و2019. فقد فقدت الفلاحة نحو 11.5 نقطة مئوية من حصتها، وهو أكبر تحول في كامل البنية، بينما ارتفعت حصة قطاع الخدمات والتجارة بحوالي 6.1 نقاط مئوية، وارتفعت حصة قطاع البناء والأشغال العمومية بحوالي 6.3 نقاط مئوية. في المقابل، تراجعت حصة الصناعة بنحو نقطة مئوية واحدة تقريبا، ما يعني أن الصناعة لم تتحول إلى قاطرة تشغيلية رغم التغيرات الكبيرة التي مست باقي القطاعات. وتدل هذه الحصيلة على انتقال تشغيلي مزدوج، خروج واسع من قطاع الفلاحة، يقابله امتصاص الوظائف في قطاعي الخدمات والبناء، مع ركود نسبي للصناعة داخل الهيكل العام للتوظيف.

الدلالة الاقتصادية لهذا التحول تتحدد في طبيعة القطاعات التي اكتسبت وزنا. فارتفاع حصة قطاع الخدمات والتجارة يوضح بأن جزءا معتبرا من خلق الوظائف كان مدفوعا بتوسع نشاط السوق المحلية، الاستهلاك المحلي، وخدمات مرتبطة بالدولة بشكل مباشر أو غير مباشر، أو بالتجارة بمختلف أشكالها. غير أن هذا التوسع، رغم قدرته على خلق وظائف كثيرة، لا يحمل نفس الدلالة الإنتاجية التي يحملها توسع الصناعة؛ لأن قطاع الخدمات واسع جدا ويضم أنشطة عالية الإنتاجية وأخرى منخفضة الإنتاجية. لذلك، فإن القراءة العلمية المتعمقة لا تعتبر ارتفاع التشغيل في الخدمات نتيجة إيجابية أو سلبية بذاتها، بل تتعامل معها كإشارة إلى أن الاقتصاد يولد وظائف

في نطاق يرتبط أكثر بالطلب الداخلي، وقد يكون أقل قدرة على رفع الإنتاجية الكلية إذا كانت الزيادة متركزة في خدمات منخفضة القيمة المضافة.

أما قطاع البناء و الأشغال العمومية، فتظهر المعطيات توسعا معتبرا في التشغيل، وهو نمط يتسق عادة مع اقتصادات يعد فيها الاستثمار العمومي قناة رئيسية لتحريك النشاط وامتصاص اليد العاملة. وتنبع الدلالة المركزية هنا من أن خلق الوظائف في هذا القطاع يبقى مرتبطا بدرجة كبيرة بالإنفاق الحكومي على المشاريع (سكن، طرق، بنى تحتية). وعليه، يفهم صعود هذا القطاع بوصفه ترجمة تشغيلية لقناة المشاريع العمومية في توزيع الربح. غير أنه لا يستنتج بالضرورة من ذلك أن القطاع يمثل قاطرة نمو طويلة الأجل، إذ قد يبقى أثره دوريا إذا لم تبذل حوله سلاسل قيمة مستدامة ترفع الإنتاجية (محتوى محلي صناعي، هندسة، تجهيزات، خدمات تقنية قابلة للتراكم والتصدير).

وفي المقابل، تبرز المعطيات أن الصناعة لم تتحول إلى قطاع يقود التشغيل بصورة حاسمة. ومن الناحية التحليلية، تعد هذه النقطة محورا لتفسير اختلالات سوق العمل، لأن الصناعة هي القطاع الذي يفترض أن يؤدي دورا مركزيا في التحول الهيكلي عبر رفع الإنتاجية، وتوليد وظائف نوعية، وفتح منافذ للتصدير. وعندما تسجل محدودية الوزن التشغيلي للصناعة مقارنة بالخدمات والبناء، يفهم ذلك بوصفه دلالة على أن قناة التصنيع التنافسي لم تفعل بما يكفي لإعادة تشكيل هيكل التشغيل. وبناءا عليه، يرجح تعمق عدم التطابق المهاري، حيث يدفع جزء من العرض الجديد من العمل، خاصة ذوي المؤهلات، نحو قطاعات لا تستوعب بالقدر الكافي مهاراتهم النوعية، أو نحو بطالة أطول، أو نحو تشغيل ناقص.

وبخصوص الفلاحة، تظهر المعطيات تراجعاً قويا في وزنها داخل التشغيل، وهو ما قد ينسجم جزئيا مع التحضر والتحول البيئي. غير أن الإشكال يظهر عندما لا يقابل هذا الخروج توسع صناعي قادر على امتصاص العمالة ورفع الإنتاجية، فيسجل انتقال وظيفي نحو الخدمات والبناء بدل انتقال تدريجي عبر قناة صناعية منتجة. وبذلك، يرجح أن يكون التحول الهيكلي قد جرى على نحو يوسع التشغيل في غير التبادليات دون تحقيق قفزة مماثلة في القطاعات القابلة للتنافس الخارجي، الأمر الذي قد يبقي مكاسب الإنتاجية محدودة ويعزز استمرار أشكال البطالة المقنعة والتشغيل الهش، خاصة في الأوساط الريفية.

وفي ضوء ما سبق، تبرز فرضية المرض الهولندي كإطار تفسيري مناسب لقراءة هذا النمط من التحول في التشغيل. إذ تبين آلية المرض الهولندي عادة من خلال أثنين: أثر الإنفاق الذي يرفع الطلب على السلع والخدمات غير التبادلية فيتوسع قطاع الخدمات والبناء، وأثر انتقال الموارد الذي يضعف نسبيا القطاعات التبادلية المتأخرة مثل الصناعة. وبإسقاط هذا المنطق على الحالة المدروسة، يلاحظ أن توسع الخدمات والبناء تشغيليا، مقترنا بضعف التحول الصناعي وتراجع الفلاحة نسبيا، يمثل قرينة على هيمنة قناة الإنفاق المرتبطة بالربح. ومن ثم، تفهم

ديناميكية التشغيل بوصفها متصلة بتوزيع الربح عبر الاستثمارات العمومية والإنفاق الجاري والدعم والاستهلاك، أكثر من كونها متصلة بتحول إنتاجي قائم على توسع صناعي تنافسي.

وبالتالي من منظور البطالة الهيكلية، تكتسب هذه الإحصاءات دلالة تفسيرية مباشرة لأنها توضح أن الاقتصاد خلق وظائف أساسا في قطاعات قد لا تمتص بالشكل الكافي العرض الجديد من المهارات والتخصصات، خصوصا لدى الداخلين الجدد والخريجين. عندما تبقى الصناعة محدودة الوزن التشغيلي، يصبح الطلب على المهارات التقنية/الصناعية والتنظيمية أقل من المتوقع، ويزداد احتمال عدم التطابق المهاري (**skills mismatch**): خريجون يواجهون سوقا لا يولد وظائف ملائمة لمؤهلاتهم، أو وظائف متاحة لكنها ليست في القطاعات التي تحقق لهم مسارات مهنية مستقرة. كما أن توسع قطاعات ذات حساسية أعلى للدورات الاستثمارية (مثل البناء) قد يؤدي إلى مسارات تشغيل أقل استقرارا، بما يعزز خطر البطالة طويلة الأمد أو العودة المتكررة إلى البطالة عند تباطؤ الطلب أو تراجع الاستثمار.

هذا وتقتضي القراءة النقدية للمعطيات التنبيه إلى أن هذه الإحصاءات رغم قوتها تظل جزئية: فهي تقيس كمية التشغيل لا جودة التشغيل، ولا تكشف التشغيل الناقص أو البطالة المقنعة داخل الوظائف منخفضة الإنتاجية. لذا فإن ارتفاع وزن الخدمات في التشغيل قد يكون في جزء منه توسعا في أنشطة تجارية وخدمائية ذات إنتاجية منخفضة، وهو ما يخفض البطالة الصريحة لكنه لا يعني بالضرورة تحسنا في كفاءة استخدام العمل.

ومن هنا تتضح الصلة بين التحول القطاعي والبطالة الهيكلية فقد ينخفض المؤشر الرسمي للبطالة أو يستقر، بينما تتراكم أشكال نقص الاستخدام (عمل هش، تشغيل ناقص، عدم ملائمة)، وهي عناصر تمثل الجانب الخفي للبطالة الهيكلية.

المطلب الثالث: تحليل مشكلة البطالة المقنعة في الجزائر

تمثل ظاهرة البطالة المقنعة أحد أكثر الاختلالات البنوية تعقيدا في أسواق العمل، لاسيما في الاقتصادات الريفية المعتمدة على الموارد الطبيعية، على غرار الجزائر. فهذه الظاهرة لا تنعكس بوضوح في المؤشرات التقليدية للبطالة، بل تتجلى في ضعف الإنتاجية للعمل وتدني مساهمة جزء معتبر من القوى العاملة في توليد القيمة المضافة، رغم اندماجهم الشكلي في النشاط الاقتصادي. ومن ثم، فإن الاقتصاد على معدلات البطالة الرسمية يفضي إلى قراءة ناقصة لواقع التشغيل، ويغفل أبعادا نوعية ترتبط بكفاءة استخدام عنصر العمل.

وتكتسب دراسة البطالة المقنعة في الاقتصادات النفطية أهمية خاصة، نظرا لارتباطها الوثيق بطبيعة النمو القائم على الربح، حيث تتيح العوائد النفطية تمويل توسع في التوظيف، خاصة في القطاع العمومي، دون أن يقابله بالضرورة تحسن مواز في الإنتاجية أو في تنوع القاعدة الاقتصادية. ويؤدي ذلك إلى ترسيخ أنماط تشغيل غير كفؤة، تتسم بتضخم العمالة في قطاعات منخفضة الإنتاجية، مقابل ضعف استيعاب القطاعات المنتجة، لا سيما خارج المحروقات.

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

وعليه، فإن تحليل هذه الظاهرة لا يقتصر على توصيف خلل في سوق العمل، بل يتعداه إلى كونه مدخلا لفهم أعمق لقيود النمو الاقتصادي، واختلالات تخصيص الموارد، وحدود السياسات العمومية في تحقيق تنمية مستدامة. كما يتيح هذا التحليل تقييما أدق لجودة النمو، من خلال الربط بين التشغيل والإنتاجية، واستجلاء الفجوة بين التوظيف الكمي والأداء الاقتصادي الفعلي. ومن هذا المنطلق، تبرز دراسة البطالة المقنعة كأداة تحليلية محورية لإعادة توجيه السياسات نحو تعزيز الكفاءة الإنتاجية، ودعم التحول الهيكلي. وفيما يلي بعض النقاط التي تساعد في تتبع وفهم ظاهرة البطالة المقنعة في الجزائر خلال فترة الدراسة:

أولاً: تحليل الإنتاجية المتوسطة الاسمية وعلاقتها بالبطالة المقنعة في الجزائر

يتضمن الجدول التالي أهم المعطيات التي من خلالها يتم حساب الإنتاجية المتوسطة في الاقتصاد علما أن هذه القيم مقاسة بالأسعار الجارية.

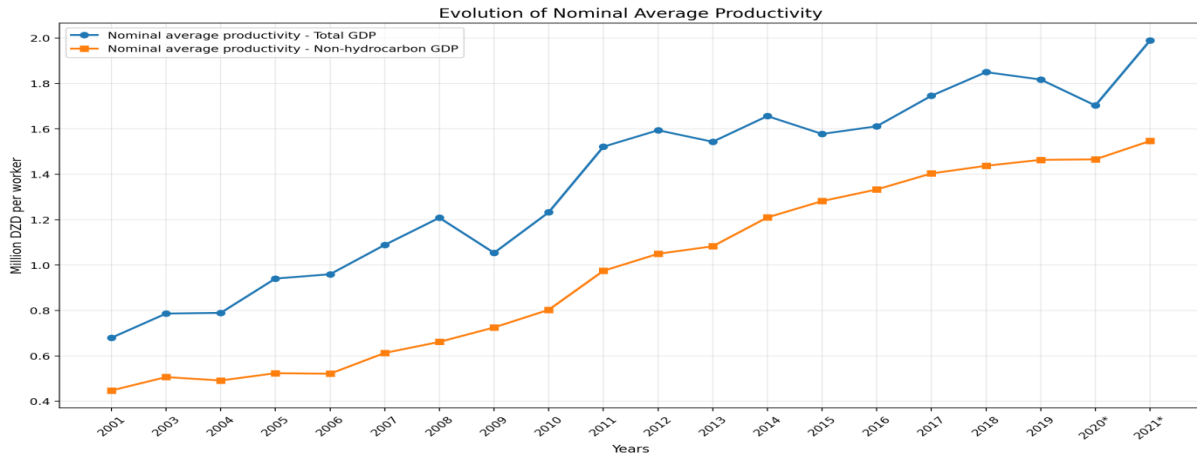
الجدول (5-1) تطور قيم الإنتاجية المتوسطة الاسمية في الجزائر خلال الفترة 2001-2021

الوحدة: دينار

السنوات year	الناتج الداخلي الإجمالي الاسمي GDP GLOBALE NOMINALE	الناتج الداخلي خارج قطاع المعروقات GDP NON HYDROCARBON	حجم التشغيل EMPLOYEMENT POPULATION	الإنتاجية المتوسطة الاسمية الإجمالية AVERAGE GLOBAL PRODUCT OF LABOR (APL)	الإنتاجية المتوسطة الاسمية خارج قطاع المعروقات APL nh
2001	4,2271E+12	2,7832E+12	6220000	679598,07	447459,81
2003	5,2523E+12	3,3834E+12	6680000	786272,46	506497,01
2004	6,1491E+12	3,8293E+12	7790000	789358,15	491566,11
2005	7,562E+12	4,2091E+12	8040000	940547,26	523519,90
2006	8,5016E+12	4,6194E+12	8860000	959548,53	521376,98
2007	9,3529E+12	5,2636E+12	8590000	1088812,57	612759,02
2008	1,10437E+13	6,0461E+12	9140000	1208282,28	661498,91
2009	9,968E+12	6,8589E+12	9460000	1053699,79	725042,28
2010	1,19916E+13	7,8112E+12	9730000	1232435,77	802795,48
2011	1,4589E+13	9,3465E+12	9590000	1521272,16	974608,97
2012	1,62096E+13	1,06732E+13	10170000	1593864,31	1049478,86
2013	1,66479E+13	1,16799E+13	10788000	1543186,87	1082675,19
2014	1,72286E+13	1,25847E+13	10402500	1656198,03	1209776,50
2015	1,67127E+13	1,35784E+13	10594000	1577562,77	1281706,63
2016	1,75146E+13	1,4489E+13	10870000	1611278,75	1332934,68
2017	1,88762E+13	1,51765E+13	10813500	1745614,28	1403477,14
2018	2,03935E+13	1,58448E+13	11024500	1849834,46	1437235,25
2019	2,05002E+13	1,65092E+13	11281000	1817232,51	1463451,82
2020*	1,84769E+13	1,59018E+13	10850000	1702940,09	1465603,69
2021*	2,20793E+13	1,71672E+13	11100000	1989126,13	1546594,59

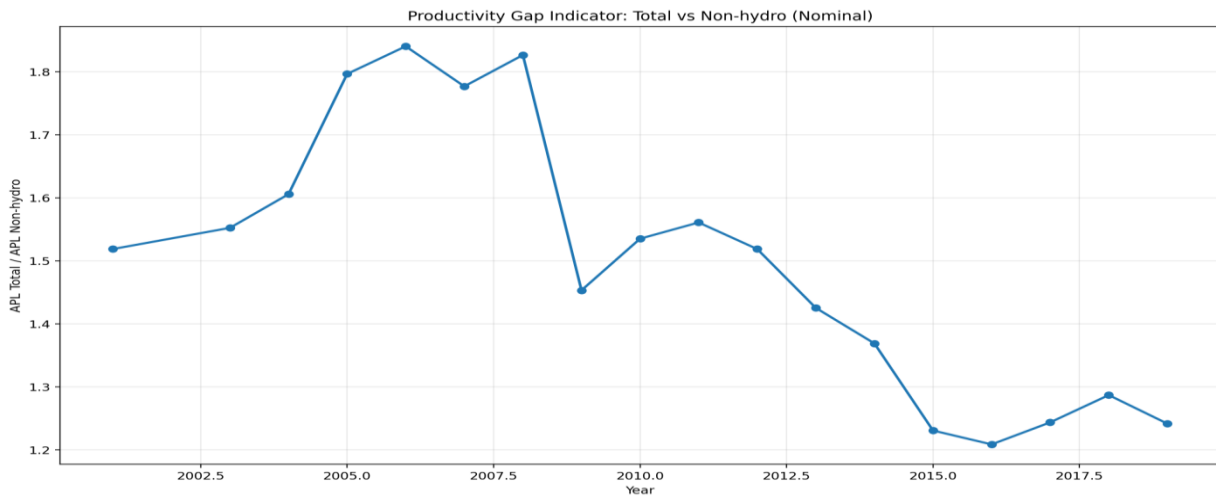
المصدر: من إعداد الطالب بناء على إحصائيات المركز الوطني للإحصاء ONS

الشكل (14-1): تطور متوسط الإنتاجية الاسمية (مليون دج/عامل)



المصدر: من إعداد الطالب اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

الشكل (15-1): تطور مؤشر فجوة الإنتاجية – نسبة APL الإجمالي إلى APL خارج المحروقات.



المصدر: من إعداد الطالب اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

تظهر السلسلة الزمنية للفترة 2001-2019 اتجاهها عاما تصاعديا في الإنتاجية الاسمية لكل عامل. فقد ارتفعت الإنتاجية الاسمية للناتج الإجمالي من حوالي 679598 دج/عامل سنة 2001 إلى حوالي 1817233 دج/عامل سنة 2019، وارتفعت الإنتاجية الاسمية للناتج خارج المحروقات من حوالي 447460 دج/عامل إلى حوالي 1463452 دج/عامل خلال نفس الفترة. غير أن القراءة العلمية لهذه الزيادات لا ينبغي أن تختزل في استنتاج مباشر حول تحسن الكفاءة الإنتاجية، لأن القيم الاسمية تتأثر بعوامل الأسعار والتضخم وتغيرات الأسعار النسبية، فضلا عن الأثر غير المتجانس لقطاع المحروقات على الناتج الإجمالي. لذلك، تفهم هذه المؤشرات أساسا كقرائن كمية على اتجاهات امتصاص التشغيل وتوليد القيمة المضافة، لا كقياس نهائي للإنتاجية الحقيقية.

ومن منظور البطالة المقنعة، تكتسب الإنتاجية المتوسطة خارج المحروقات مكانة تفسيرية أعمق من الإنتاجية الإجمالية. ذلك أن تشغيل الاقتصاد خارج المحروقات هو الذي يعكس، في الغالب، ديناميكية القطاعات كثيفة التشغيل (خدمات، بناء، تجارة، إدارة وخدمات اجتماعية)، وهي البيئة الأكثر احتمالا لظهور تشغيل منخفض الإنتاجية أو تشغيل ناقص داخل وضعية التشغيل المحسوبة في المعطيات الإحصائية. وعليه، فإن المسألة لا تتمثل في ارتفاع الإنتاجية الاسمية عبر الزمن فحسب، بل في تتبع الفترات التي يتوسع فيها التشغيل أسرع من توسع الناتج خارج المحروقات؛ ففي مثل هذه الحالات يتوقع أن تراجع الإنتاجية المتوسطة خارج المحروقات أو تترك، وهو ما يعد مؤشرا كميًا مهما على توسع تشغيل امتصاصي يقترب من مفهوم البطالة المقنعة.

وتكشف البيانات عن سنوات دالة تنخفض فيها الإنتاجية الاسمية خارج المحروقات نتيجة نمو التشغيل بوتيرة أعلى من نمو الناتج غير النفطي. فقد سجل في سنة 2004 نمو في التشغيل بنحو 16.62% مقابل نمو في الناتج خارج المحروقات بنحو 13.18%، وهو ما أدى إلى تراجع الإنتاجية غير النفطية بنحو 2.95%-. كما سجل في سنة 2006 نمو في التشغيل بنحو 10.20% مقابل نمو في الناتج خارج المحروقات بنحو 9.75%، فتراجعت الإنتاجية غير النفطية بنحو 0.41%-. وتقرأ هذه الحالات بوصفها لحظات يتسع فيها التشغيل دون أن يوازيه توسع مكافئ في القيمة المضافة غير النفطية، بما يدعم فرضية وجود تشغيل منخفض الإنتاجية في بعض الفترات، ويقدم سندا كميًا لفكرة البطالة المقنعة أو التشغيل الناقص داخل الاقتصاد الحقيقي غير النفطي.

وتكمل قراءة فجوة الإنتاجية بين الناتج الإجمالي والناتج خارج المحروقات هذا التحليل. فعند قياس نسبة الإنتاجية الإجمالية إلى الإنتاجية غير النفطية، يلاحظ تراجع هذه النسبة من حوالي 1.52 سنة 2001 إلى حوالي 1.24 سنة 2019. وتشير هذه النتيجة إلى أن الفارق النسبي بين متوسط الإنتاجية الذي يتضمن المحروقات ومتوسط الإنتاجية خارج المحروقات تقلص عبر الزمن. غير أن هذا التقليل لا يفهم بالضرورة على أنه تراجع لدور المحروقات، بل يظل مؤشرًا بنيويًا على أن تشخيص البطالة المقنعة ينبغي أن يتمحور حول الإنتاجية غير النفطية ومساها، لأنها تمثل الاقتصاد الذي يمتص فيه معظم التشغيل وتظهر فيه تفاعلات التوظيف والإنتاجية بصورة أوضح.

وبناء على ما سبق، يمكن تلخيص الاستنتاج المنهجي كما يلي: إن استعمال الإنتاجية المتوسطة الاسمية لكل عام، وخاصة خارج قطاع المحروقات يسمح بتحديد السنوات أو الفترات التي يتوسع فيها التشغيل بوتيرة لا تترجم إلى ارتفاع مكافئ في القيمة المضافة غير النفطية، بما يوفر قرينة كمية على توسع تشغيل امتصاصي يقترب من البطالة المقنعة. غير أن قوة هذا الاستنتاج تظل مشروطة بحدود البيانات الاسمية، إذ قد تضخم تغيرات الأسعار النمو الاسمي في الإنتاجية، وقد تخفي في المقابل تدهورا في الإنتاجية الحقيقية. لذلك، يستحسن التأكيد على أن هذه النتائج تمثل تشخيصًا أوليًا قائمًا على القيم الاسمية، وأن التثبيت النهائي لفرضية البطالة المقنعة يكون أقوى إذا دعم بمؤشرات مكاملة مثل الإنتاجية بالأسعار الثابتة، التشغيل الناقص، الرسمية/اللا رسمية، وتوزيع التشغيل حسب القطاعات ذات الإنتاجية المنخفضة.

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

ثانيا : تحليل الإنتاجية المتوسطة الحقيقية وعلاقتها بالبطالة المقنعة في الجزائر

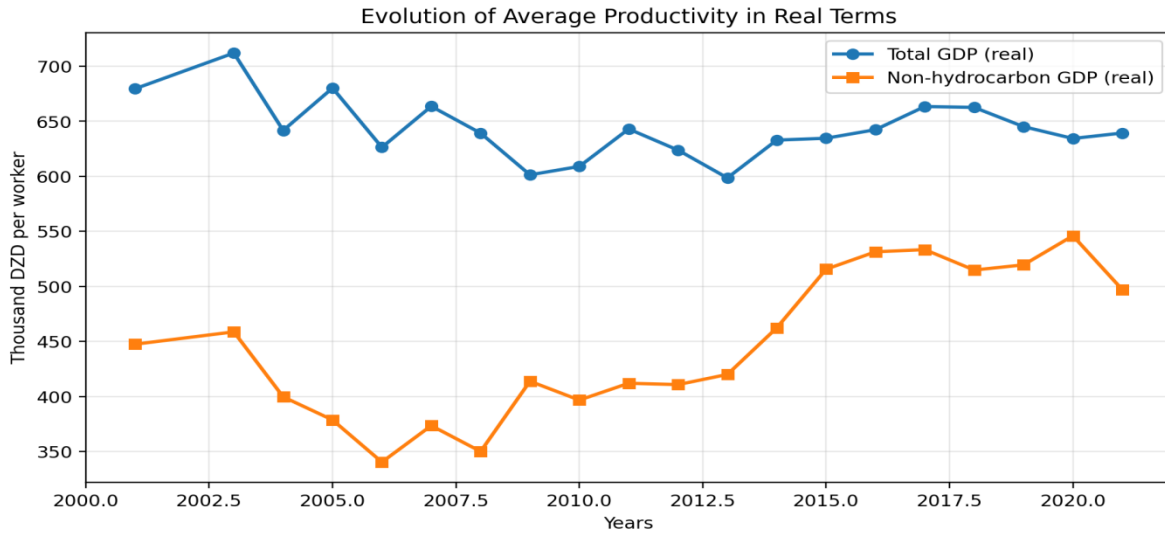
بخلاف الفقرة السابقة سنحاول في هذه الفقرة تمييز أثر تغيرات الأسعار على قيم الإنتاج من خلال الاعتماد على القيم الحقيقية في التحليل حيث يحتوي الجدول الموالي أهم المعطيات اللازمة لحساب الإنتاجية المتوسطة الحقيقية:

الجدول (1-6) تطور قيم الإنتاجية المتوسطة الحقيقية في الجزائر خلال الفترة 2001-2021

السنوات	المكمش الإجمالي	الناتج الاجمالي الحقيقي	الناتج خارج المحروقات الحقيقي	الإنتاجية المتوسطة الإجمالية الحقيقية	الإنتاجية المتوسطة الحقيقية خارج قطاع المحروقات
year	GDP DEFLATOR	GDP REAL	GDP NON HYD REAL	APL	APL nh
2001	1,00	4,2271E+12	2,7832E+12	679598,0707	447459,8071
2003	1,10	4,75646E+12	3,06399E+12	712044,6486	458681,3138
2004	1,23	4,99874E+12	3,11292E+12	641686,7512	399604,9953
2005	1,38	5,46914E+12	3,04419E+12	680241,7564	378630,7296
2006	1,53	5,54937E+12	3,01529E+12	626339,5681	340325,7035
2007	1,64	5,70033E+12	3,20801E+12	663600,2777	373459,1861
2008	1,89	5,84273E+12	3,19872E+12	639247,9703	349969,4082
2009	1,75	5,68891E+12	3,91449E+12	601364,9494	413794,3471
2010	2,02	5,92538E+12	3,85973E+12	608980,6981	396683,5142
2011	2,37	6,16666E+12	3,9507E+12	643030,6003	411960,073
2012	2,56	6,34415E+12	4,1773E+12	623809,972	410747,2481
2013	2,58	6,45757E+12	4,53053E+12	598588,4357	419960,0592
2014	2,62	6,58406E+12	4,80935E+12	632930,4981	462326,622
2015	2,49	6,72306E+12	5,46221E+12	634609,8417	515595,1028
2016	2,51	6,98279E+12	5,77653E+12	642391,3243	531419,9524
2017	2,63	7,17411E+12	5,768E+12	663440,203	533407,1604
2018	2,79	7,30516E+12	5,67577E+12	662629,8274	514832,5245
2019	2,82	7,27788E+12	5,86102E+12	645145,1672	519547,6432
2020*	2,68	6,88309E+12	5,9238E+12	634385,75	545972,2854
2021*	3,11	7,09669E+12	5,51785E+12	639341,5573	497103,8204

المصدر: من إعداد الطالب بناء على إحصائيات المركز الوطني للإحصاء ONS

الشكل (1-16) : تطور الإنتاجية المتوسطة الحقيقية للعمل على مستوى الناتج الإجمالي والناتج خارج قطاع المحروقات (ألف دج لكل عامل)



المصدر: من إعداد الطالب اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

تظهر القيم الحقيقية الواردة في البيانات أعلاه أن الاقتصاد الجزائري عرف توسعا معتبرا في حجم التشغيل، إذ ارتفع عدد المشتغلين من نحو 6.22 مليون عامل سنة 2001 إلى حوالي 11.1 مليون عامل سنة 2021، أي بزيادة تقارب 78.5%. غير أن هذا التوسع الكمي في الاستخدام لم يترافق مع تحسن مماثل في الإنتاجية الحقيقية المتوسطة للعمل. فالإنتاجية المتوسطة الحقيقية المرتبطة بالناتج الداخلي الخام الإجمالي انتقلت من نحو 679.6 ألف

دينار للعامل سنة 2001 إلى حوالي 639.3 ألف دينار سنة 2021، أي بتراجع يقارب 5.9%. وهذه النتيجة ذات دلالة عميقة، لأنها تعني أن الاقتصاد، رغم استيعابه لعدد أكبر من العمال، لم يتمكن من رفع القيمة الحقيقية المنتجة لكل عامل، بل إن متوسط العائد الحقيقي للعمل عرف ميلا إلى الانخفاض على المدى الطويل.

وتزداد دلالة هذا المعطى عندما يقارن بالإنتاجية المتوسطة الحقيقية للنتائج خارج قطاع المحروقات. فقد انتقلت هذه الأخيرة من حوالي 447.5 ألف دينار للعامل سنة 2001 إلى نحو 497.1 ألف دينار سنة 2021، أي بزيادة لا تتجاوز 11.1% خلال عشرين سنة تقريبا. ورغم أن هذا التطور يظهر أداء أفضل نسبيا مقارنة بالإنتاجية الإجمالية، إلا أنه يظل محدودا جدا إذا ما قورن بالزيادة القوية في حجم التشغيل. فالملاحظ هنا أن النشاط خارج المحروقات قد ولد وظائف إضافية، لكنه لم يرفع بالكفاية مستوى الإنتاج الحقيقي الذي يولده العامل الواحد، الأمر الذي يدل على أن جزءا من التوسع في التشغيل قد تم في إطار أنشطة منخفضة المردودية، أو داخل هياكل إنتاجية لا تستوعب اليد العاملة بكفاءة مرتفعة.

وانطلاقا من ذلك، يمكن القول إن البيانات الحقيقية تقود إلى استنتاج جوهري، مفاده أن الاقتصاد الجزائري خلال الفترة المدروسة اتسم بنمط نمو أكثر ميلا إلى التوسع في الاستخدام منه إلى تعميق الكفاءة الإنتاجية. وهذه سمة ترتبط مباشرة بظاهرة البطالة المقنعة، لأن هذه الأخيرة تنشأ تحديدا حينما يرتفع عدد العاملين بوتيرة أسرع من قدرة الاقتصاد على تمكينهم من إنتاج قيمة مضافة حقيقية متناسبة مع هذا الارتفاع. وعليه، فإن ضعف نمو الإنتاجية الحقيقية، بل وتراجعها أحيانا، لا يفهم فقط باعتباره قصورا في الأداء الاقتصادي، وإنما باعتباره أيضا مؤشرا على وجود استخدام غير كفء نسبيا لعنصر العمل.

ولتعميق هذا التحليل، يكتسب مؤشر فجوة الإنتاجية أهمية خاصة. ويمكن تعريف هذه الفجوة، في هذا السياق، على أنها الفرق بين الإنتاجية المتوسطة الحقيقية المرتبطة بالنتائج الداخلي الخام الإجمالي، والإنتاجية المتوسطة الحقيقية المرتبطة بالنتائج خارج قطاع المحروقات. وهذا المؤشر يسمح بقياس المسافة الفاصلة بين المستوى العام للإنتاجية في الاقتصاد، والمستوى الذي تعكسه الأنشطة غير النفطية، ومن ثم فهو يتيح قراءة أكثر دقة لاختلال البنية الاقتصادية وأثرها في سوق العمل.

وتكشف المعطيات أن فجوة الإنتاجية الحقيقية كانت في حدود 232.1 ألف دينار للعامل سنة 2001، ثم اتسعت في بعض السنوات الأولى من الفترة لتبلغ أقصى مستوى لها في حدود 301.6 ألف دينار للعامل سنة 2005، قبل أن تتجه تدريجيا نحو التضييق لتصل إلى حوالي 142.2 ألف دينار للعامل سنة 2021. أما إذا قيس المؤشر بصورة نسبية، فإن الإنتاجية الإجمالية الحقيقية كانت في بداية الفترة تفوق إنتاجية النشاط خارج المحروقات بنحو 51.9%، ثم ارتفعت هذه النسبة إلى مستويات شديدة الاتساع خلال منتصف العقد الأول من الألفية، إذ بلغت قرابة 84.0% سنة 2006، قبل أن تنخفض لاحقا إلى نحو 28.6% سنة 2021. ويعني

ذلك أن الاقتصاد الجزائري عرف، في المرحلة الأولى، تباعدا واضحا بين إنتاجية الأنشطة الكلية وبين إنتاجية الأنشطة غير النفطية، ثم شهد لاحقا تقاربا نسبيا، دون أن يعني ذلك زوال الاختلال بصورة كاملة.

إن اتساع فجوة الإنتاجية في السنوات الأولى يعكس بوضوح استمرار التأثير الحاسم لقطاع المحروقات في رفع متوسط الإنتاجية الإجمالية على مستوى الاقتصاد، في مقابل ضعف القدرة الإنتاجية لباقي القطاعات على امتصاص اليد العاملة بكفاءة ماثلة. وتتمثل أهمية هذه النتيجة في أن جزءا معتبرا من التشغيل خارج قطاع المحروقات كان يتم في أنشطة لا تقترب من المستوى الإنتاجي العام للاقتصاد، ما يشير إلى وجود تركيز نسبي للعمال في قطاعات ذات قيمة مضافة منخفضة أو متوسطة. وفي هذه الحالة، لا يكون الاختلال فقط في عدد الوظائف المتاحة، بل في نوعية تلك الوظائف وفي موقعها داخل البنية القطاعية، وهو ما يشكل أحد المظاهر الأساسية للبطالة المقنعة.

غير أن تراجع فجوة الإنتاجية تدريجيا خلال السنوات اللاحقة لا ينبغي تفسيره تفسيراً سطحياً باعتباره دليلاً كافياً على تجاوز هذه الظاهرة. فالتضييق النسبي للفجوة قد يدل، من جهة، على تحسن نسبي في إنتاجية القطاعات غير النفطية، وهو أمر تؤكد الزيادة المحدودة في الإنتاجية الحقيقية خارج المحروقات. لكنه قد يدل، من جهة أخرى، على ضعف ديناميكية الإنتاجية الإجمالية نفسها، وهو ما يظهر في تراجع أو ركود الإنتاجية الحقيقية على مستوى الناتج الإجمالي. وبالتالي فإن تقليص الفجوة لا يعني بالضرورة أن الاقتصاد أصبح أكثر كفاءة في استخدام العمل، بل قد يعني فقط أن أحد الطرفين تراجع أو أن الطرفين تقاربا عند مستوى غير مرتفع بالقدر الكافي.

ومن زاوية تحليل البطالة المقنعة، فإن أهم ما تكشفه هذه النتائج هو أن الاقتصاد الجزائري لم يكن يواجه فقط مشكلة خلق مناصب العمل، بل مشكلة تحويل التوظيف إلى إنتاجية حقيقية مستدامة. ففي الاقتصادات التي يكون فيها التشغيل منتجا فعلا، يؤدي ارتفاع عدد العاملين، على المدى المتوسط والطويل، إلى رفع الناتج الحقيقي بوتيرة تسمح بتحسين أو على الأقل استقرار الإنتاجية المتوسطة للعمل. أما حينما تتوسع العمالة بينما تبقى الإنتاجية الحقيقية راكدة أو متراجعة، فإن ذلك يشير إلى أن جزءا من اليد العاملة لا يستخدم في وظائف ذات مردود كاف، أو أن مساهمتها الحدية في الإنتاج محدودة، وهو ما يطابق في مضمونه الاقتصادي مفهوم البطالة المقنعة.

كما أن قراءة المسار الزمني للإنتاجية الحقيقية خارج المحروقات تدعم هذا الاستنتاج. فبرغم بعض التحسن في هذا المؤشر، إلا أن تطوره اتسم بالتذبذب وعدم الانتظام، بما يدل على أن النمو خارج قطاع المحروقات لم يكن قائما على طفرة نوعية شاملة في الكفاءة، بل على توسع متفاوت المردود بين السنوات والقطاعات. وهذا يفتح المجال للقول إن جزءا من التشغيل خارج المحروقات ظل مرتبطا بأنشطة هشّة البنية، ضعيفة المحتوى التكنولوجي، أو محدودة القدرة على تحقيق تراكم إنتاجي مستدام. وعندما يتمركز التشغيل في مثل هذه الأنشطة، فإن الاقتصاد ينجح في تخفيف البطالة الظاهرة، لكنه يبقى على بطالة مستترة داخل سوق العمل نفسه.

ومن ثم، فإن مؤشر فجوة الإنتاجية يضطلع هنا بدور تفسيري بالغ الأهمية. فهو لا يكتفي بإبراز الفرق بين مستويي الإنتاجية، بل يكشف أيضا عن الطابع غير المتجانس للبنية الاقتصادية الجزائرية. فوجود فجوة واسعة نسبيا يعني أن النشاط غير النفطي، رغم استيعابه لجزء كبير من اليد العاملة، لم يكن قادرا على بلوغ مستوى الإنتاجية الذي يسمح بجعل التشغيل فيه تشغيلًا عالي الكفاءة. أما تقلص الفجوة تدريجيا، فإنه يعكس تحسنا نسبيا في هذا الجانب، لكنه لا يلغي حقيقة أن مستوى الإنتاجية الحقيقية خارج المحروقات بقي أدنى من المستوى الإجمالي، وأن الاقتصاد ظل عاجزا عن تحويل التوسع في التشغيل إلى قفزة نوعية في إنتاجية العمل.

وخلاصة القول إن تحليل القيم الحقيقية، مدعوما بمؤشر فجوة الإنتاجية، يقود إلى نتيجة مركزية مفادها أن البطالة المقنعة في الجزائر ليست مجرد اختلال عابر أو ظاهرة هامشية، بل هي نتيجة بنيوية لعدم التناسق بين نمو التشغيل ونمو الإنتاجية الحقيقية. فقد عرف الاقتصاد توسعا واضحا في استخدام اليد العاملة، لكن هذا التوسع لم يواكبه تحسن كاف في القيمة الحقيقية المنتجة لكل عامل، سواء على المستوى الإجمالي أو على مستوى الأنشطة غير النفطية. كما أن فجوة الإنتاجية، رغم تقلصها النسبي، بقيت قائمة، وهو ما يدل على استمرار التفاوت في الكفاءة بين البنية الإنتاجية الكلية وبين النشاط خارج المحروقات. وعليه، يمكن اعتبار البطالة المقنعة في الجزائر تعبيرا عن قصور هيكلي في نمط النمو نفسه، حيث يستخدم عنصر العمل على نطاق واسع، ولكن دون تحقيق مستوى الإنتاجية الذي يجعل هذا الاستخدام منتجا بالكامل بالمعنى الاقتصادي الدقيق.

ثالثا: تحليل الإنتاجية المتوسطة الاسمية القطاعية وعلاقتها بالبطالة المقنعة في الجزائر

يعد تحليل متوسط الإنتاجية القطاعية من أهم المداخل لفهم طبيعة استخدام عنصر العمل داخل الاقتصاد، لأن هذا المؤشر يربط مباشرة بين القيمة المضافة وحجم العمالة في كل قطاع. وانطلاقا من البيانات المتاحة، يتبين أن القطاعات الاقتصادية في الجزائر لم تعرف المسار نفسه من حيث تطور الإنتاجية بين 2001 و 2019. فالتفاوتات المسجلة بين الفلاحة، والصناعة، والبناء والأشغال العمومية، والخدمات، لا تعكس فقط اختلاف مستويات الأداء الاقتصادي، بل تكشف أيضا عن اختلاف قدرة كل قطاع على استيعاب اليد العاملة بكفاءة. ومن هذه الزاوية، يصبح تحليل متوسط الإنتاجية مدخلا مناسبًا للانتقال إلى فهم البطالة المقنعة، باعتبارها وضعية تشغيل لا يقابلها مردود إنتاجي متناسب مع عدد العاملين.

وفيما يلي أهم الإحصائيات التي من خلالها يمكن تحليل ظاهرة البطالة المقنعة من خلال هذا المؤشر.

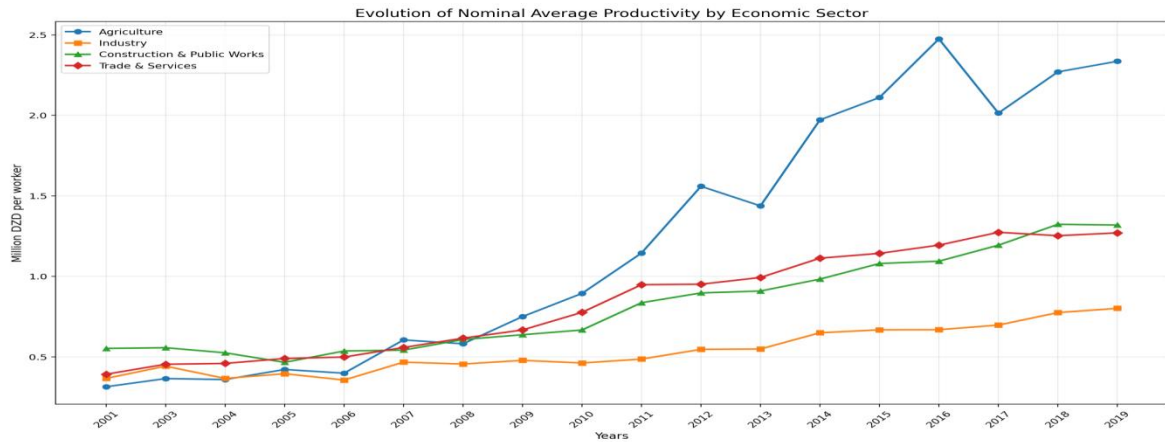
الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

الجدول (1-7) تطور قيم الإنتاجية المتوسطة الاسمية حسب القطاعات الاقتصادية في الجزائر خلال الفترة 2001-2019

القطاعات	الزراعة			الصناعة			بناء وأعمال العمومية			تجارة وخدمات		
	القيمة المضافة	حجم التشغيل	متوسط الإنتاجية	القيمة المضافة	حجم التشغيل	متوسط الإنتاجية	القيمة المضافة	حجم التشغيل	متوسط الإنتاجية	القيمة المضافة	حجم التشغيل	متوسط الإنتاجية
2001	4,121E+11	1312069	314084,092	3,152E+11	861119	366035,356	3,589E+11	650012	552143,653	1,3348E+12	3405572	391945,905
2003	5,153E+11	1412340	364855,488	3,554E+11	804152	441956,247	4,452E+11	799914	556559,83	1,6645E+12	3667650	453832,836
2004	5,805E+11	1617125	358970,395	3,882E+11	1060785	365955,401	5,08E+11	967568	525027,698	1,9065E+12	4152934	459073,031
2005	5,816E+11	1380520	421290,528	4,183E+11	1058835	395056,831	5,644E+11	1212022	465668,115	2,1507E+12	4392843	489591,82
2006	6,413E+11	1609633	398413,8	4,496E+11	1263591	355811,335	6,743E+11	1257703	536136,115	2,3626E+12	4737877	498662,165
2007	7,081E+11	1170898	604749,517	4,798E+11	1027817	466814,618	8,251E+11	1523610	541542,783	2,7182E+12	4871918	557932,215
2008	7,274E+11	1252000	580990,415	5,196E+11	1141000	455390,009	9,567E+11	1575000	607428,571	3,1885E+12	5178000	615778,293
2009	9,313E+11	1242000	749838,969	5,707E+11	1194000	477973,199	1,0948E+12	1718000	637252,619	3,5463E+12	5318000	666848,439
2010	1,0153E+12	1136000	893750	6,174E+11	1337000	461780,105	1,2574E+12	1886000	666702,015	4,1734E+12	5377000	776157,709
2011	1,1832E+12	1034000	1144294	6,642E+11	1367000	485881,492	1,3333E+12	1595000	835924,765	5,3112E+12	5603000	947920,757
2012	1,4217E+12	912000	1558881,58	7,295E+11	1335000	546441,948	1,4912E+12	1663000	896692,724	5,9532E+12	6260000	950990,415
2013	1,64E+12	11441000	1437335,67	7,718E+11	1407000	548542,999	1,6274E+12	1791000	908654,383	6,401E+12	6449000	992556,986
2014	1,7722E+12	899000	1971301,45	8,377E+11	1290000	649379,845	1,794E+12	1826000	982475,356	6,9248E+12	6224000	1112596,4
2015	1,9351E+12	917000	2110250,82	9,194E+11	1377000	667683,37	1,9172E+12	1776000	1079504,5	7,453E+12	6524000	1142397,3
2016	2,1403E+12	865000	2474335,26	9,793E+11	1465000	668464,164	2,0729E+12	1895000	1093878,63	7,9009E+12	6620000	1193489,43
2017	2,2191E+12	1102000	2013702,36	1,0408E+12	1493000	697119,893	2,2037E+12	1847000	1193123,98	8,1707E+12	6417000	1273289,7
2018	2,4216E+12	1067000	2269540,77	1,1109E+12	1434000	774686,192	2,3466E+12	1774000	1322773,39	8,4219E+12	6726000	1252140,95
2019	2,5291E+12	1083000	2335272,39	1,1617E+12	1450000	801172,414	2,492E+12	1890000	1318518,52	8,7072E+12	6857000	1269826,45

المصدر: من إعداد الطالب بناء على إحصائيات المركز الوطني للإحصاء ONS

الشكل (1-17): تطور الإنتاجية المتوسطة الاسمية حسب القطاعات الاقتصادية القيم بملايين الدينارين لكل عامل.



المصدر: من إعداد الطالب اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

تشير المعطيات أعلاه إلى أن قيم الإنتاجية المتوسطة الاسمية تختلف من قطاع إلى آخر وبالتالي دلالاتها الاقتصادية تختلف حسب خصائص كل قطاع.

حيث نجد في قطاع الزراعة، ارتفاع متوسط الإنتاجية الاسمية من نحو 314 ألف دينار للعامل سنة 2001 إلى حوالي 2.34 مليون دينار للعامل سنة 2019، أي بزيادة تقارب 643.5% وفي المقابل، تراجع حجم التشغيل الفلاحي من حوالي 1.31 مليون عامل إلى نحو 1.08 مليون عامل، أي بانخفاض يقارب 17.5%. وتوحي هذه الأرقام بأن الزراعة لم

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

تكن خلال الفترة المدروسة مجالا رئيسيا لتراكم فائض العمالة، بل إن تحسن إنتاجية العامل فيها ترافق مع انكماش نسبي في العمالة، مما يجعل فرضية البطالة المقنعة فيها أقل قوة، على الأقل مقارنة بقطاعات أخرى.

أما قطاع البناء والأشغال العمومية، فقد انتقلت فيه الإنتاجية المتوسطة الاسمية من حوالي 552 ألف دينار للعامل سنة 2001 إلى ما يقارب 1.32 مليون دينار للعامل سنة 2019، أي بزيادة في حدود 138.8%. غير أن هذا التحسن رافقه توسع كبير جدا في التشغيل، إذ ارتفع عدد العاملين من نحو 650 ألف عامل إلى حوالي 1.89 مليون عامل، أي بزيادة تقارب 190.8%. وهذه العلاقة تكشف أن القطاع استطاع رفع إنتاجية العامل، لكنه في الوقت نفسه استوعب كتلة ضخمة من اليد العاملة. لذلك لا يمكن اعتباره نموذجا واضحا للبطالة المقنعة بصورة ثابتة، بل يبدو أقرب إلى قطاع تتغير وضعيته حسب دورات الاستثمار والإنفاق العمومي، بحيث قد تظهر فيه أشكال ظرفية من الاستخدام المفرط للعمل، لكنها لا تبدو نتيجة بنوية مستقرة.

وفي قطاع الصناعة، تبدو الصورة مختلفة. فقد ارتفعت الإنتاجية المتوسطة الاسمية من نحو 366 ألف دينار للعامل سنة 2001 إلى حوالي 801 ألف دينار للعامل سنة 2019 فقط، أي بزيادة تقارب 118.9%، وهي الزيادة الأضعف بين القطاعات الأربعة. وخلال الفترة نفسها ارتفع التشغيل الصناعي من حوالي 861 ألف عامل إلى قرابة 1.45 مليون عامل، أي بنحو 68.4%. ورغم أن هذه الأرقام قد توحي بضعف واضح في مردودية العمل الصناعي، فإن تفسير هذا الضعف باعتباره بطالة مقنعة يبقى غير دقيق منهجيا. فالقطاع الصناعي يخضع بطبيعته لقيود تقنية وتنظيمية ومحاسبية صارمة نسبيا، بحيث إن ضعف الإنتاجية فيه لا يعني بالضرورة وجود عمالة زائدة بالمعنى الدقيق، بل قد يعكس محدودية الاستثمار، وضعف التجديد التكنولوجي، وتقدم التجهيزات، وضعف الكثافة الرأسمالية، وهي كلها عوامل أقرب إلى الاختلال الهيكلي في شروط الإنتاج منها إلى البطالة المقنعة.

هذا وتبرز أهمية قطاع الخدمات في هذا التحليل من حيث أنه لا يلفت الانتباه فقط بسبب مستواه الإنتاجي، بل أساسا بسبب وزنه الكبير في التشغيل وطبيعته الوظيفية الخاصة. فقد ارتفع متوسط الإنتاجية الاسمية فيه من حوالي 392 ألف دينار للعامل سنة 2001 إلى ما يقارب 1.27 مليون دينار للعامل سنة 2019، أي بزيادة تقارب 224%. وفي المقابل، ارتفع عدد المشتغلين فيه من نحو 3.41 مليون عامل إلى حوالي 6.86 مليون عامل، أي بزيادة تفوق 101%. وهذا يعني أن قطاع الخدمات وحده استوعب خلال الفترة ما يزيد عن 3.45 مليون عامل إضافي، وهو ما يجعله أكبر قطاع من حيث استقطاب اليد العاملة. وهذه النقطة بالذات جوهرية في تحليل البطالة المقنعة، لأن القطاع الذي يحتضن أكبر كتلة من العمالة ليس بالضرورة الأقل إنتاجية، لكنه يكون الأكثر عرضة لاحتواء قدر من التشغيل منخفض المردودية.

وعند الانتقال من مجرد قراءة متوسط الإنتاجية إلى تحليل البطالة المقنعة، يصبح من الضروري ألا نتوقف عند ترتيب القطاعات حسب قيمة المؤشر فقط، بل أن ننظر في الطبيعة الاقتصادية والمؤسسية لكل قطاع. ففي القطاعات السلعية، مثل الصناعة أو الفلاحة أو البناء، يكون الربط بين عدد العمال وحجم المخرجات أكثر مباشرة، ويظهر فائض العمالة بسرعة أكبر في شكل تراجع في الإنتاج أو ارتفاع في التكاليف. أما في قطاع الخدمات، وبالأخص الخدمات غير التجارية، فإن العلاقة بين عدد العاملين والمخرجات تكون أقل مباشرة وأصعب قياسا. ففي الإدارة، والخدمات العمومية، والأنشطة الاجتماعية وشبه

الفصل الأول: مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية مع التركيز على الاقتصاد الجزائري

العمومية، يمكن أن يرتفع عدد العاملين بنسب معتبرة دون أن يظهر ذلك فوراً في صورة تعطل واضح للنشاط، لأن المخرجات نفسها لا تقاس بالدقة ذاتها التي تقاس بها المخرجات الصناعية أو الفلاحية.

ومن هذا المنظور، فإن الخدمات غير التجارية تبدو المجال الأكثر ترجيحاً لاحتضان البطالة المقنعة. فليست المسألة هنا أن إنتاجية هذا القطاع هي الأدنى، بل إن بنيته تسمح بوجود عدد من العاملين يفوق الحاجة الفعلية، دون أن يكون ذلك ظاهراً مباشرة في المؤشرات التشغيلية البسيطة. وإذا كان قطاع الخدمات قد استوعب في 2019 حوالي 6.86 مليون عامل، فإن مجرد وجود نسبة محدودة من العمالة منخفضة المردودية داخله، ولنفترض 5% فقط، يعني نظرياً وجود أكثر من 340 ألف عامل في وضعية قريبة من البطالة المقنعة، وإذا ارتفعت النسبة إلى 10% فإن العدد يقترب من 686 ألف عامل. وهذه الأرقام الأخيرة ليست قياساً مباشراً من الملف، وإنما تقريب تفسيري يبرز أن ضخامة القطاع تجعل أي درجة بسيطة من الاستخدام غير الكفء للعمل ذات أثر كبير جداً من حيث الحجم المطلق.

كما أن ارتفاع الإنتاجية الاسمية في الخدمات من 392 ألف إلى 1.27 مليون دينار للعامل لا ينبغي أن يفهم تلقائياً على أنه تحسن فعلي كامل في الكفاءة، لأن القيم المعتمدة هنا اسمية وليست حقيقية. وهذا يعني أن جزءاً من هذا الارتفاع قد يكون راجعاً إلى التضخم، أو إلى ارتفاع الأجور الاسمية لأن جزء كبير من القيمة المضافة لقطاع الخدمات غير التجارية تحسب مباشرة من تكلفة إنجاز الخدمة والأجور الاسمية التي هي البند الغالب في مثل هكذا تكاليف، وليس فقط إلى تحسن فعلي في مردودية العامل. لذلك، فإن الاستنتاجات المستخلصة من هذه المؤشرات يجب فهمها بوصفها استنتاجات نسبية تسمح بتحديد الاتجاهات العامة والفوارق القطاعية، أكثر مما تسمح بإصدار أحكام قطعية ونهائية حول الحجم الحقيقي للبطالة المقنعة داخل كل قطاع.

وخلاصة الأمر أن تحليل متوسط الإنتاجية القطاعية لا يقود إلى النتيجة نفسها بالنسبة لجميع القطاعات. فالفلاحة تظهر تحسناً قوياً في إنتاجية العامل مع تراجع في العمالة، والبناء والأشغال العمومية يعكس توسعاً مزدوجاً في التشغيل والإنتاجية مع طابع ظرفي محتمل للاختلال، والصناعة تكشف أساساً عن ضعف هيكلي في شروط الإنتاج. أما الخدمات، وبالخصوص الخدمات غير التجارية، فهي القطاع الذي يبدو الأكثر اتساقاً مع منطق البطالة المقنعة، ليس لأنه الأدنى إنتاجية، بل لأنه الأكثر قدرة على استيعاب فائض من اليد العاملة دون أن ينعكس ذلك مباشرة في انخفاض واضح في النشاط. وبلغت الأرقام، فإن قطاعاً ارتفع فيه التشغيل من 3.41 مليون إلى 6.86 مليون عامل خلال أقل من عقدين يظل القطاع الأكثر وجهة لتفسير وجود جزء من العمالة في وضعية تشغيل ظاهري أو محدود المردودية، خاصة داخل الخدمات غير التجارية التي لا تخضع بالكامل لمنطق السوق والإنتاج القابل للقياس المباشر.

خلاصة الفصل الأول:

تبرز نتائج هذا الفصل أن البطالة في الاقتصادات النفطية ليست مجرد اختلال ظرفي في سوق العمل يمكن تفسيره بتذبذب الطلب الكلي أو ضعف النمو قصير الأجل، بل هي في جوهرها تعبير عن اختلالات بنيوية مرتبطة بطبيعة الاقتصاد الريعي وآليات انتقال الصدمات النفطية إلى هيكل الإنتاج والتشغيل. فاعتماد المالية العامة والميزان الخارجي على مورد ناضب ومتقلب يخلق مسار نمو غير مستقر، ويغذي دورية مالية تؤثر في الاستثمار الخاص، وفي استدامة المشاريع، وفي قدرة الاقتصاد على توليد فرص عمل منتجة. وفي ظل هذا السياق، يتضح أن معالجة البطالة في الاقتصادات النفطية تستدعي مقارنة هيكلية تتجاوز أدوات التوظيف العمومي أو التدخلات الاجتماعية قصيرة الأثر، نحو إصلاحات تعالج المحددات العميقة لخلق الوظائف.

كما يظهر الإطار النظري للبطالة بمختلف أنماطها الاحتكاكية والهيكلية والدورية أن الاقتصادات النفطية تميل إلى إنتاج بطالة ذات طابع هيكلية أكثر من كونها دورية، بسبب ضعف الديناميكية القطاعية خارج الربح، وتدني الوزن النسبي للقطاعات القابلة للتداول ذات الإنتاجية المرتفعة. وقد بين الفصل أن هذه البنية تضعف عملية امتصاص الداخلين الجدد إلى سوق العمل، وتؤدي إلى تشوهات في هيكل الأجور وتوقعات العمل، وترفع من معدلات بطالة الشباب وحملة الشهادات، ما يعكس فجوة بين منظومة التكوين وبين حاجات الاقتصاد الحقيقي.

ويعد المرض الهولندي أحد المداخل التفسيرية الأكثر أهمية لفهم هذا المسار؛ إذ يؤدي تدفق الإيرادات النفطية إلى ارتفاع سعر الصرف الحقيقي وإعادة توجيه الموارد نحو القطاعات غير القابلة للتداول، بما يضعف القدرة التنافسية للصناعة التحويلية والزراعة والأنشطة التصديرية. وتمثل النتيجة الأساسية في تراجع الاستثمار المنتج في القطاعات القابلة للتداول، وانخفاض قدرتها على خلق وظائف مستقرة وعالية القيمة المضافة، مقابل توسع أنشطة داخلية غالباً أقل إنتاجية وأكثر هشاشة من حيث نوعية التشغيل. ومن ثم، فإن المرض الهولندي لا ينعكس فقط على المؤشرات التجارية أو الإنتاجية، بل يمتد أثره مباشرة إلى سوق العمل عبر قنوات الاستثمار والتنافسية والتركيبة القطاعية للتشغيل.

وفيما يتعلق بدراسة حالة الجزائر، يبين الفصل أن الاعتماد التاريخي على المحروقات ساهم في ترسيخ نمط نمو حساس للدورات النفطية، حيث ترتفع قدرة الاقتصاد على التمويل والتوظيف في فترات الوفرة، ثم تتراجع وتتعدد في فترات الانكماش. كما أن محدودية وزن القطاعات القابلة للتداول خارج المحروقات، وضعف التصنيع الموجه للتصدير، واستمرار هيمنة الدولة على جزء معتبر من التشغيل، كلها عوامل تعزز الطبيعة الهيكلية للبطالة وتحد من قدرة القطاع الخاص على لعب دور قاطرة تشغيل كثيفة. وعليه، فإن البطالة في الجزائر تفهم بشكل أفضل عندما تقرأ ضمن علاقة ثلاثية: الربح النفطي، المرض الهولندي، ضعف القاعدة الإنتاجية القابلة للتداول، وليس فقط ضمن علاقة ثنائية بسيطة بين النمو والبطالة.

وتأسيسا على ما سبق، يخلص الفصل إلى أن تخفيض البطالة في الجزائر ضمن سياق اقتصاد نفطي يتطلب بالضرورة تفكيك آليات المرض الهولندي عبر سياسات تعيد توجيه الحوافز والموارد نحو القطاعات المنتجة القابلة للتداول، وترفع تنافسيتها، وتوسع قاعدة الاستثمار الخاص المنتج، بالتوازي مع إصلاحات سوق العمل ومنظومة التكوين لردم فجوة المهارات وتحسين قابلية التشغيل. كما يؤكد الفصل أن أي استراتيجية للحد من البطالة لا بد أن تدمج ضمن مشروع تنويع اقتصادي واضح، لأن خلق فرص العمل المستدامة يرتبط بقدرة الاقتصاد على إنتاج قيمة مضافة خارج الربح، وبناء قطاعات تصديرية قادرة على المنافسة.

وبذلك، يوفر هذا الفصل إطارا تحليليا يربط بين النظرية والخصائص البنوية للاقتصادات النفطية وتطبيقاتها على الحالة الجزائرية، ويمهد للفصول اللاحقة التي ستتناول السياسات العلاجية الممكنة، وأدوات إدارة الإيرادات النفطية، وإصلاحات بيئة الأعمال والحوكمة الاقتصادية، باعتبارها مكونات ضرورية لإعادة بناء نموذج نمو كثيف التشغيل وأكثر استدامة.

الفصل الثاني:

سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة

لتخفيض البطالة في الجزائر

تمهيد:

تعد سياسة الإنفاق العام من أبرز أدوات السياسة الاقتصادية التي تعتمد عليها الدولة للتأثير في مجمل المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية، ولا سيما في الدول التي يضطلع فيها القطاع العام بدور محوري في توجيه النشاط الاقتصادي وتحفيز الاستثمار وضبط التوازنات الكلية. وتبرز أهمية هذه السياسة بصورة أوضح في الاقتصاد الجزائري، بالنظر إلى المكانة المركزية التي شغلها الدولة تاريخيا في تمويل التنمية، وتوجيه الموارد، والتدخل لمعالجة الاختلالات الاقتصادية والاجتماعية، وفي مقدمتها ظاهرة البطالة التي تعد من أكثر الإشكالات إلحاحا وتعقيدا. ولا تقتصر أهمية الإنفاق العام على كونه أداة لتغطية الحاجات العامة وتمويل المرافق والخدمات العمومية، بل تتجاوز ذلك إلى كونه وسيلة فعالة للتأثير في الطلب الكلي، وتنشيط الاستثمار، وتوسيع البنية التحتية، ودعم رأس المال البشري، بما ينعكس في النهاية على مستويات النمو والتشغيل. غير أن أثره في تخفيض البطالة لا يتحقق بصورة تلقائية أو موحدة، بل يرتبط بمجموعة من العوامل، من بينها طبيعة الإنفاق العمومي، ومدى توجيهه نحو القطاعات المنتجة والقادرة على خلق القيمة المضافة ومناصب الشغل، فضلا عن كفاءة تسييره وفعالية المؤسسات القائمة على برمجته وتنفيذه ومتابعته. وفي الحالة الجزائرية، تتخذ دراسة سياسة التوسع في الإنفاق العام أهمية خاصة، بالنظر إلى خصوصية البنية الاقتصادية الوطنية، التي ظلت لفترات طويلة مرتبطة بعائدات المحروقات، وما ينجم عن ذلك من حساسية السياسة المالية تجاه تقلبات الموارد العامة. فقد أتاح توسع الإنفاق العمومي في بعض المراحل دعم النشاط الاقتصادي والتخفيف من حدة البطالة، غير أن محدودية التنويع الاقتصادي وضعف كفاءة تخصيص الموارد حالا دون تحقيق أثر تشغيلي مستدام بالقدر المأمول. ومن ثم، فإن تقييم دور الإنفاق العام في تخفيض البطالة يقتضي مقاربة تحليلية لا تكتفي برصد الحجم الكمي للإنفاق، بل تمتد إلى دراسة بنيته، ومجالات توجيهه، ومدى قدرته الفعلية على التأثير في سوق العمل.

وانطلاقا من ذلك، يهدف هذا الفصل إلى إبراز الإطار النظري لسياسة التوسع في الإنفاق العام، وتحليل آليات تأثيرها في البطالة، ثم دراسة واقع هذه السياسة في الجزائر وتقييم مدى نجاعتها في الحد من هذه الظاهرة. وتحقيقا لهذا الهدف، تم تقسيم الفصل إلى ثلاثة مباحث متكاملة؛ يتناول أولها الأسس النظرية للإنفاق العام وعلاقته بالتشغيل، ويعرض ثانيها ملامح سياسة الإنفاق العام في الجزائر واتجاهاتها الكبرى، في حين يخصص المبحث الثالث لتقييم أثر هذه السياسة في تخفيض البطالة، بما يسمح باستخلاص أهم النتائج وتحديد حدود الفعالية وشروط تحسينها.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

المبحث الأول : الإطار النظري لسياسة الإنفاق العام

قد يكون من المفيد قبل التطرق إلى دور سياسة التوسع في الإنفاق العام في التخفيض من البطالة إيراد بعض المفاهيم الأساسية المتعلقة به، والتي ستساعد في توضيح هذه السياسة أكثر، ومن بين هذه المفاهيم نذكر:

المطلب الأول: مفاهيم أساسية للإنفاق العام

أولاً: مفهوم الإنفاق العام

"ليس من السهل إيجاد تعريف محدد للإنفاق العام نظراً لتغير مفهومه مع التطور التاريخي لدور السلطة العامة، حيث انتقلت من دور الدولة الحارسة الحيادية إلى دور الدولة الراعية المتدخلة، ومع ذلك يمكن القول بشكل عام أن الإنفاق العام هو مبلغ يخرج من خزينة عامة تعود لجهة عامة (إدارية أو اقتصادية) في معرض ممارستها لأعمالها ومهامها الخدمية منها أو الإنتاجية، بقصد إشباع حاجة عامة"¹. والتعريف المشهور في علم المالية العامة هو الذي يخصص الإنفاق العام في أنه " مبلغ نقدي يقوم بدفعه شخص عام من أجل إشباع حاجة عامة"²، وبالتالي " فكأن الإنفاق العام بهذا التعريف يشتمل على عناصر أساسية محددة وثابتة، وهي في نفس الوقت صفات مميزة له عن غيره من أنواع النفقات التي تقوم بها الدولة"³، وتتمثل هذه العناصر بما يلي:

■ **الشكل النقدي للإنفاق العام**⁴: يتميز إنفاق الدولة في عصرنا الحاضر بأنه نقدي، فالدولة تقوم عادة وهي بصدد أداء الخدمات العامة بإنفاق مبالغ نقدية للحصول على مستلزماتها من السلع والخدمات (عمل الأفراد)، وقد نشأ هذا الركن من أركان النفقة العامة نتيجة تطور طويل، فقد كانت الدول تميل في الماضي إلى الحصول على بعض مستلزماتها في صورة عينية عن طريق مصادرة جزء من ممتلكات الأفراد أو تسخيرهم للعمل لحسابها بدون أجر، لكن مع تطور أنظمة الحكم، وطغيان الأنظمة الديمقراطية، انتهى الأمر بمعظم الدول إلى استبعاد الأسلوب العيني تماماً لعدم ملائمتها لمقتضيات العصر وإهداره أحيانا لمبادئ العدالة في توزيع الأعباء العامة. فاستخدام الدولة للنقود في الإنفاق يسهل ما يقتضيه النظام المالي الحديث من تقرير مبدأ الرقابة بصورها المتعددة على النفقات العامة ضماناً لحسن استخدامها بناءً على الضوابط والقواعد المحققة لمصالح الأفراد العامة، وقد ترتب على استخدام الدولة للأسلوب النقدي في الإنفاق أن تضخم حجم هذا الإنفاق ظاهرياً نتيجة تدهور قيمة النقود .

■ **يقوم بالإنفاق العام شخص عام**: و" يقصد بالشخص العام كل شخصية اعتبارية تقوم بالخدمة العامة وتخضع لقواعد القانون العام، وهذه تشمل على سبيل المثال الحكومة المركزية، المجالس المحلية، الهيئات العامة المستقلة، المنشآت

1 - قحطان السيوفي، السياسة المالية في سورية، أدواتها ودورها الاقتصادي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2008، ص177

2 - عبد الله الشيخ محمود الطاهر، مقدمة في اقتصاديات المالية العامة، جامعة الملك سعود، الرياض، 1992، ص109.

3 - عادل أحمد حشيش، أساسيات المالية العامة: مدخل لدراسة أصول الفن المالي للاقتصاد العام، دار النهضة العربية، بيروت، 1992، ص63.

4 - مجدي محمود شهاب، الاقتصاد المالي، نظرية مالية الدولة، السياسات المالية للنظام الرأسمالي، الدار الجامعية، القاهرة، 1988.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

العامة ذات الشخصية الإدارية و المالية المستقلة مثل الجامعات"¹، و"بصفة أساسية لكي تعد النفقة من النفقات العامة يشترط أن يكون الأمر بها شخص معنوي عام، فالطبيعة القانونية للأمر بالإنفاق عنصر أساسي في تحديد ما إذا كانت هذه النفقة عامة أو خاصة، والمقصود بالشخص المعنوي العام ذلك الشخص الذي تنظم قواعد القانون العام علاقاته بغيره من الأشخاص الطبيعيين والمعنويين"².

■ **استهداف النفقة العامة إشباع حاجة عامة:** حيث ينبغي أن يكون الهدف من النفقات العامة هو إشباع الحاجات العامة ومن ثم تحقيق النفع أو المصلحة العامة، وبالتالي لا تعتبر من قبيل النفقات العامة تلك النفقات التي تهدف إلى إشباع حاجة خاصة أي تحقيق نفع خاص³.

وتبرير هذا الشرط راجع إلى سببين هما:

● المبرر الوحيد للنفقات العامة هو وجود حاجات عامة تتولى الدولة أو الهيئات والمؤسسات العامة إشباعها بهدف تحقيق المنفعة العامة، أي تتطلب لتحقيقها تعاون وتضافر جهود المجتمع ككل بسبب عمومية هذه الحاجة، أو بسبب عدم كفاية الجهود الفردية للقيام بها، أو عدم إمكانية تجزئتها أحيانا.

● إذا كان الإنفاق يهدف إلى نفع خاص، فإنه يخرج عن إطار النفقات العامة لأنه يتعارض مع مبدأ المساواة والعدالة بين أفراد المجتمع في تحمل الأعباء كالضرائب، حيث أن جميع الأفراد يتساوون في تحمل الأعباء العامة ومن ثم يجب أن يتساووا كذلك في الانتفاع بالنفقات العامة للدولة.

و تجدر الإشارة إلى أنه " لا تتحدد الحاجات العامة فقط لاعتبارات مالية واقتصادية وإنما تتحدد على ضوء طبيعة الفلسفة أو العقيدة السياسية والاقتصادية للفئة الحاكمة، ونوعية مصالحها، ومستوى التقدم الحضاري للمجتمع"⁴.

وحتى يتم إضفاء الجانب الاقتصادي على المفهوم السابق للإنفاق العام الذي قد يغلب عليه الجانب القانوني، فإنه لا بد من توضيح معنى سياسات الإنفاق العام، حيث أنها "تعني استخدام النفقات العامة لتحقيق أهداف السياسة المالية عن طريق زيادة الإنفاق العام أو تثبيته أو تخفيضه، بحسب أنواع الأهداف المراد تحقيقها والظروف الاقتصادية السائدة"⁵، وقد برزت وظيفة الإنفاق العام باعتباره أداة من أدوات السياسة المالية على يد المدرسة الكينزية، "حيث تبين أن توازن التشغيل التام لا يتم تلقائيا، فقد يحدث التوازن عند مستوى أدنى من مستوى التشغيل التام، وعليه فقد تغيرت وظيفة الإنفاق العام من إشباع الحاجات العامة فقط، إلى استهداف أغراض اقتصادية واجتماعية حيث

1 - عبد الله الشيخ محمود الطاهر، مرجع سبق ذكره، ص110.

2 - دراوسي مسعود، السياسة المالية ودرها في تحقيق التوازن الاقتصادي : دراسة حالة الجزائر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2005، ص162.

3 - سوزي عدلي ناشد، الوجيز في المالية العامة، دار الجامعة الجديدة للنشر - الإسكندرية، 2000 ص 33.

4 - قحطان السيوي، مرجع سبق ذكره، ص179.

5 - أحمد مجدوب أحمد علي، السياسة المالية في الاقتصاد الإسلامي، دراسة مقارنة مع الاقتصاد الراسمالي، هيئة الأعمال الفكرية، أم درمان، 2003، ص297

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

تتدخل الدولة لتحقيق التشغيل التام للموارد الاقتصادية التي فشلت قوى السوق في تحقيقه تلقائياً، أو تتدخل لمحاربة التضخم حيث ثبت عجز الادخار الاختياري عن امتصاص القوة الشرائية الزائدة¹.

ثانياً: التقسيم الاقتصادي للإنفاق العام :

لقد وضع علماء المالية العامة تبويات عدة للنفقات العامة تبعا لعدة معايير، بما يخدم نوعية الدراسة و الهدف منها، والتقسيم الذي يخدم هذه الدراسة هو التقسيم الاقتصادي، ويعتمد هذا التقسيم على الطبيعة الاقتصادية للإنفاق العام، حيث إن معرفة طبيعته تساعد على معرفة آثاره الاقتصادية والاجتماعية، ومن ثم يمكن وضع سياسات مالية تؤثر الحكومة من خلالها على النشاط الاقتصادي والاجتماعي²، وفي هذا الصدد يمكن التمييز بين نوعين رئيسيين من الإنفاق العام هما:

■ **النفقات العامة الحقيقية أو الفعلية³**: وهي تلك النفقات التي تقوم بها الدولة مقابل الحصول على سلع وخدمات أو رؤوس أموال إنتاجية، فالإنفاق العام هنا يؤدي إلى حصول الدولة على مقابل فعلي للإنفاق (عمل أو خدمة أو سلعة)، هذا ويفرق في نطاق الإنفاق الحقيقي بين إنفاق استثماري وإنفاق جارٍ ويمثل الأول طلبا على السلع الإنتاجية ينعكس في زيادة وسائل الإنتاج الثابتة المسخرة للمصلحة العامة كمشروعات الإنتاج السلعي، ومشروعات البنية التحتية، أما الثاني فهو الإنفاق الذي يتصف عادة بالدورية والانتظام والتكرار ويهدف إلى ضمان سير الإدارات المختلفة للدولة ويشمل بشكل رئيسي الرواتب والأجور، والنفقات الإدارية الاستهلاكية.

■ **النفقات العامة التحويلية:** "وهي تلك النفقات التي من شأنها نقل قوة شرائية من فئة اجتماعية إلى أخرى، أو زيادة القوة الشرائية لبعض الأفراد، وبالتالي فهي تهدف إلى إحداث تغيير في نمط توزيع الدخل الوطني بحيث تؤثر بشكل غير مباشر في حجمه ونوعه تبعا لنوعية المستفيد من هذه النفقات"⁴، وتقسم النفقات التحويلية بدورها إلى ثلاثة تصنيفات⁵: النفقات التحويلية الاجتماعية وتسمى الإعانات الاجتماعية، ومن أمثلتها الإعانات المقدمة للعجزة للعجزة وكبار السن والمرضى، وإعانات البطالة، تعويضات غلاء المعيشة، إعانات الطلبة... إلخ، النفقات التحويلية الاقتصادية وتسمى الإعانات الاقتصادية والهدف الرئيسي منها هو تحقيق نمو متوازن للاقتصاد عن طريق توجيه الموارد الاقتصادية نحو أفضل الاستخدامات من وجهة نظر المجتمع، ومن أمثلتها إعانات الإنتاج الزراعي أو الحيواني، إعانات تشجيع الصادرات، إعانات تخفيض أسعار بعض السلع، النفقات التحويلية المالية، وهذه تمثل ما تدفعه الدولة مقابل تسديد التزاماتها المالية تجاه الأعوان الاقتصاديين مثل أفساط الدين العام وفوائده.

1 - أحمد مجذوب أحمد علي، نفس المرجع السابق، ص 298.

2 - عبد الله الشيخ محمود الطاهر، مرجع سبق ذكره، ص 125

3 - عادل أحمد حشيش، مرجع سبق ذكره، ص 67.

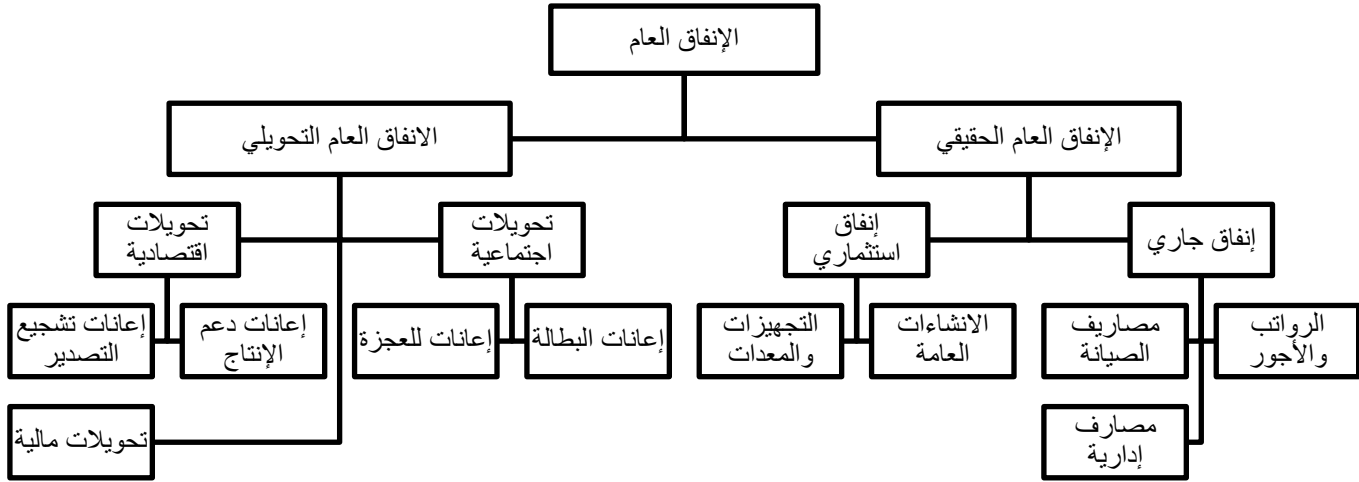
4 - قحطان السيوي، مرجع سبق ذكره، ص 198.

5 - عبد الله الشيخ محمود الطاهر، مرجع سبق ذكره، ص 127

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

و يتضمن المخطط التالي التصنيفات المختلفة للإنفاق العام

الشكل (2-1): التقسيم الاقتصادي للإنفاق العام



المصدر: محمد عفر وأحمد فريد، الاقتصاد المالي والموضوعي والإسلامي (بين النظرية والتطبيق) مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية 1999 ، ص 57-58.

وبناء على تقسيم الإنفاق العام وفق هذا النمط فإنه يمكن وضع تقسيم مماثل لسياسات الإنفاق العام، والتي يمكن أن تتخذ إحدى الأشكال التالية¹:

- **سياسات الإنفاق العام المباشر:** ونجد فيها سياسة الإنفاق العام المباشر على المشروعات، وسياسة الإنفاق العام المباشر على السلع والخدمات.
- **سياسات المدفوعات التحويلية:** وتتضمن سياسات الضمان الاجتماعي، وسياسات دعم الإنتاج، بالإضافة إلى سياسات وفاء القروض العامة وفوائدها.

ثالثا: ظاهرة ازدياد الإنفاق العام مع الزمن:

من الظواهر التي أصبحت مألوفة بالنسبة لمالية الدولة، ظاهرة اتجاه النفقات العامة إلى الزيادة والتنوع عاما بعد عام مع تطور دور الدولة وازدياد درجة تدخلها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وقد خلص الاقتصاديون اعتمادا على استقراء الإحصاءات في مختلف الدول إلى أن جعلوا هذه الظاهرة قانونا عاما من قوانين التطور الاقتصادي والاجتماعي². ويعد الاقتصادي الألماني "فاجنر" (1835-1917)، على ما هو ذائع في الكتب المالية، أول من استرعى الانتباه إلى " قانون زيادة الإنفاق العام" بعد أن درس حجمه في بعض الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر،

¹ - أحمد مجذوب أحمد علي، مرجع سبق ذكره، ص 306، 302.

² - عادل أحمد حشيش، مرجع سبق ذكره، ص 98.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

وانتهى إلى وجود اتجاه عام نحو زيادة النشاط المالي للدولة مع التطور الاقتصادي الذي يحدث بها. وقد صاغ هذا الاستنتاج في صورة قانون اقتصادي يعرف باسم قانون فاجنر والذي يشير إلى أنه كلما تحقق معدل معين من النمو الاقتصادي فإن ذلك يستتبع اتساع نشاط الدولة ومن ثم زيادة الإنفاق العام بنسبة أكبر من نسبة زيادة متوسط نصيب الفرد في الناتج الوطني¹، ولقد أثبت الاقتصاديون اللاحقون صحة منطوق هذا القانون، فمثلا قام الاقتصاديان بيكوك - وايزمان بتفسير هذا التزايد "بأن القرارات التي تتخذها الحكومة بخصوص الإنفاق العام تعتمد على عوامل كثيرة أهمها ردود أفعال الناخبين على معدلات و أنواع الضرائب اللازمة لتمويل هذا الإنفاق، وأن هناك مستوى معين من الضرائب يشكل قيда على نمو الإنفاق العام، و على هذا فإن حجم الإنفاق العام يزداد بصورة طبيعية و متناسبة مع زيادة دخول الأفراد في الأوقات العادية بالرغم من ثبات معدلات الضرائب، إلا أن هذا النمو المتزن في الإنفاق العام سوف يختل في الأوقات التي يتعرض لها المجتمع إلى أزمات طارئة تفرض على الدولة زيادة الإنفاق العام بمعدل أكبر لمواجهة مثل هذه الظروف، و يتقبل الناس عندها رفع معدلات الضرائب أو فرض ضرائب جديدة لتمويل هذا الإنفاق الاستثنائي، إلا أنه يصبح من الصعب على الحكومة أن تجري تقليصا في الموازنة في الفترة التالية"²، وبالتالي يلاحظ مع مرور الزمن أن الإنفاق العام يتجه دوما نحو الارتفاع. غير أن هذا الارتفاع قد يكون ظاهريا أو حقيقيا، فالزيادة الظاهرية هي زيادة فقط في الأرقام المعبرة عن الإنفاق العام، دون أن يقابلها زيادة في نصيب الفرد من كمية السلع والخدمات، أما الزيادة الحقيقية فهي التي تعبر عن زيادة الإنفاق العام مصحوبة بزيادة فعلية فيما يحصل عليه الفرد من استهلاك للخدمات العامة³، وفيما يلي أهم الأسباب التي أدت إلى تزايد الإنفاق العام:

1- الأسباب الظاهرية لتزايد الإنفاق العام: وتتمثل هذه الأسباب بشكل رئيسي في كل من :

■ **انخفاض قيمة النقد:** وهذا راجع أساسا إلى ارتفاع مستويات الأسعار الذي يؤدي إلى انخفاض القوة الشرائية للنقود مما يستدعي أن تدفع الحكومة مبالغ أكبر من أجل المحافظة على الكمية نفسها من الخدمات العامة التي كانت تقدمها، لذا فإن زيادة حجم النفقات العامة لا يعكس بأي حال أية زيادة في السلع والخدمات العامة المقدمة للمجتمع، وتستخدم الأرقام القياسية لمستويات الأسعار للتخلص من أثر تغيرات السعر على مستوى حجم الإنفاق العام، وبيان النمو الحقيقي من الظاهري في هذا الصدد.⁴

■ **اختلاف طرق المحاسبة الحكومية:** قد ترجع زيادة النفقات العامة إلى اختلاف طرق المحاسبة الحكومية وبصفة خاصة طريقة القيد في الحسابات بعد أن اتبع مبدأ عمومية الموازنة (الموازنة الإجمالية)، أين أصبحت

¹ - h.I Bahia, public finance, vikas publishing house, new delhi, 1993, p213.

² - عبد الله الشيخ محمود الطاهر، مرجع سبق ذكره، ص 116.

³ - نوزاد عبد الرحمن، المدخل الحديث في اقتصاديات المالية العامة، دار المناهج، عمان، 2006، ص 53.

⁴ - عبد الله الشيخ محمود الطاهر، مرجع سبق ذكره، ص 124.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

تقيد في الموازنة العامة للدولة جملة الإيرادات والنفقات دون إجراء المقاصة بينهما، ومن الواضح أن هذا النظام يؤدي إلى زيادة حجم النفقات العامة ولكن هو في الواقع زيادة ظاهرية¹.

2- الأسباب الحقيقية لتزايد الإنفاق العام:

■ **الأسباب الاجتماعية:** أدى ميل السكان في العصر الحديث إلى التركز في المدن والمراكز الصناعية إلى زيادة النفقات العامة المخصصة للخدمات التعليمية والصحية والثقافية الضرورية، ويرجع هذا إلى أن حاجات سكان المدن أكبر وأعقد من حاجات سكان الريف كما هو معلوم، كذلك أدى انتشار التعليم إلى تعزيز فكرة الوعي الاجتماعي فأصبح الأفراد يطالبون الدولة القيام بوظائف لم تعرفها فيما سبق، كتأمين الأفراد ضد البطالة والفقير والمرض والعجز والشيخوخة وغيرها من أسباب عدم الكسب، وقد نتج عن هذه الإعانات والخدمات الاجتماعية زيادة في النفقات العامة وبصفة خاصة النفقات التحويلية.²

■ **الأسباب السياسية:** وتتمثل بشكل خاص في انتشار المبادئ الديمقراطية في أنظمة الحكم لدى أغلب الدول، والذي أدى إلى أن تكون السلطان التشريعية والتنفيذية، المتحكمتان أصلاً في تسيير مالية الدولة، منتخبتين من طرف الشعب، وهذا ما يجعل من الحكومات التي تتداول على هذه السلطة تعمل على استرضاء غالبية الشعب وذلك بتحسين ظروفه المعيشية عن طريق زيادة الإنفاق العام أو التخفيض من الضرائب. كما أدى تطور العلاقات الدولية إلى ازدياد الحاجة إلى التمثيل الدبلوماسي وتزايد نفقات اشتراك الدول في المنظمات الدولية والإقليمية، أضف إلى ذلك أن واجبات التعاون الدولي تحتم على الدول في بعض الأحيان تقديم المساعدات والمنح المادية والفنية للدول الأجنبية أو رعاياها، وهذا كله يعمل على تضخيم حجم الإنفاق العام³، كما لا ننسى حجم الإنفاق العسكري الذي صار من الضروري على الدول أن تخصصه كل سنة للمحافظة على الجاهزية التامة لمختلف قواتها، وتوفير لهم مختلف التجهيزات العسكرية الحديثة التي تتصف بازدياد تنوعها مع الزمن وارتفاع تكاليفها.

■ **الأسباب الاقتصادية والمالية:** توجد عدة عوامل اقتصادية ومالية تساهم بشكل كبير في زيادة مقدار النفقات العامة، من أهمها :

- غالباً ما تؤدي زيادة الدخل القومي إلى تمكين الدولة من الزيادة في مقدار ما يمكن أن تقتطعه منه في صورة تكاليف أو أعباء عامة، حتى ولو لم تزداد أنواع الضرائب المقررة، وهذا ما يشجع الدولة على زيادة إنفاقها على مختلف الأوجه⁴.

1 - دراوسي مسعود، مرجع سبق ذكره، ص 170.

2 - عادل أحمد حشيش، مرجع سبق ذكره، ص 100.

3 - مجدي محمود شهاب، مرجع سبق ذكره، ص 71، 72.

4 - عادل أحمد حشيش، مرجع سبق ذكره، ص 100.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

- إن زيادة حدة المنافسة بين الدول المختلفة على إنتاج السلع بأقل تكلفة فرض على الحكومات تقديم إعانات إنتاجية أو تقديم إعانات تصدير أو تقديم خدمات تسويق مجانية بهدف مساعدة المنتجين على التصدير أو لتمكين المشروعات الوطنية من الصمود في وجه المنافسة الأجنبية في الأسواق الوطنية¹.
- يعد توسع الدور الاقتصادي للدولة سببا رئيسيا لزيادة الإنفاق العام بصورة حقيقية و المتمثل في التوسع في إقامة المشاريع الاقتصادية العامة، و الهدف من وراء إنشاء المشاريع العامة إما الحصول على موارد مالية لحزنة الدولة أو الإسراع في زيادة معدل النمو، أو لعلاج تقلبات اقتصادية، خصوصا في حالة الركود الاقتصادي الذي له انعكاساته السلبية التي تفرض على الدولة القيام بالمزيد من الإنفاق من أجل زيادة معدلات الطلب الفعلي إلى المستوى الذي يحقق الاستخدام الكامل ضمن إطار الطاقة الإنتاجية للاقتصاد الوطني².
- أدى تطور الأنظمة المالية لمختلف الدول إلى تسهيل عملية الاقتراض، مما أدى إلى كثرة التجاء الدولة إلى عقد القروض العامة للحصول على موارد للحزنة العامة تسمح بزيادة الإنفاق العام، والأكثر من هذا أنه ينجم عن هذه القروض التزامات مالية مستقبلية تجاه خدمة الدين التي تعمل على زيادة النفقات العامة.
- كذلك قد يؤدي وجود فائض في الإيرادات أو مال احتياطي غير مخصص لغرض معين إلى إغراء الحكومة بإنفاقه في أوجه غير ضرورية، وبذلك تزداد النفقات العامة³، مع العلم أنه من النادر أن تنجح الحكومة في إعادة مستوى الإنفاق إلى نفس المستوى السابق.

المطلب الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام وآثارها على البطالة:

تختلف آثار سياسة الإنفاق العام على البطالة من بلد إلى آخر تبعا لعوامل عدة، منها درجة الانفتاح الاقتصادي، مرونة القطاع الإنتاجي، طريقة التمويل،... إلخ، غير أنه يمكن إجمال هذه التأثيرات فيما يلي:

أولا: التأثيرات المباشرة للإنفاق العام على البطالة: إن مساهمة الإنفاق العام في تخفيض البطالة هي نفسها مساهمته في رفع مستوى التشغيل وإيجاد فرص عمل جديدة، حيث أن كل منصب شغل جديد ينتج بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن سياسة التوسع في الإنفاق العام هو في الغالب معناه تأمين فرصة عمل لمتعطل ما، "ويقصد بآثر الإنفاق العام على مستوى التشغيل بالمعنى الموسع مدى مساهمة هذا الإنفاق في الإفادة من الموارد الاقتصادية المتاحة (سواء تعلق الأمر بالموارد الطبيعية، البشرية، الطاقة الإنتاجية أم الموارد المالية) أقصى استفادة ممكنة بحيث تتحقق معها اقتراب الاقتصاد من حالة التشغيل الكامل لجميع عوامل الإنتاج (أرض - عمل - رأس المال - تنظيم)"⁴.

1 - علي كنعان، الاقتصاد المالي، جامعة دمشق، 2009، ص 258.

2 - نوزاد عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره، ص 26.

3 - عادل أحمد حشيش، مرجع سبق ذكره، ص 102.

4 - محمد عبد المنعم عفر، أحمد فريد مصطفى، الاقتصاد المالي الوضعي والإسلامي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999، ص 78.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

و يساهم الإنفاق العام بشكل مباشر في خلق مناصب عمل دائمة في قطاع الخدمات العامة الذي يشمل جميع القطاعات المسيرة من طرف الدولة والتي لا تهدف إلى الربح وإنما هدفها بالأساس ضمان توفير الخدمات الضرورية المختلفة للمواطنين مجانا أو بسعر أقل من سعر التكلفة، وفي غالب الأحيان ما تتمثل هذه القطاعات قى كل من : قطاع التربية والتعليم، قطاع الصحة، قطاع التعليم العالي، قطاع العدالة، الإدارات والجماعات المحلية،...، إلخ. حيث تعمل هذه القطاعات على امتصاص نسبة كبيرة من العمالة، لأن سيرها أساسا مبني على كثافة العنصر البشري، وأنه ضعيف التأثير بالتطورات التكنولوجية، لذلك تعمل بعض الحكومات في حالة ما إذا استفحلت ظاهرة البطالة فيها إلى التوسع في تقديم هذا النوع من الخدمات العامة وبالأخص إذا ترافق ذلك مع وفرة مالية في الخزينة العامة. كما يمكن أن تساهم الزيادة في الإنفاق العام في مجالات البنية الأساسية (رأس المال الاجتماعي) في تشجيع المنتجين والمنظمين على تنفيذ مشروعاتهم وزيادة إنتاجهم للإفادة من تلك الخدمات المجانية والتي تسهل عمليات الإنتاج والنقل والتوزيع أيضا. كما أن زيادة النفقات العامة في صورة نفقات تحويلية (إعانات اقتصادية للمنتجين أو لقطاعات صناعية معينة) تكون سببا هاما من أسباب استمرار تلك الأنشطة حيث أن هذه الإعانات من شأنها مساعدة تلك المشروعات على تخطي أزماتها ومن ثم تعدل عن التوقف عن النشاط أو طرد جزء من الأيدي العاملة لديها. " كما يمكن أن يكون إحدى نتائج الإعانات الاقتصادية للمنتجين هو إقامة خطوط إنتاجية جديدة لإنتاج نوع معين من السلع الضرورية بأقل تكلفة ممكنة عن طريق وفورات الإنتاج الكبير وهذا يضمن توافر هذه السلع بالنسبة للمستهلكين بأسعار معقولة تتناسب مع دخولهم، وفي هذه الحالة يكون الإنفاق العام قد ساهم في زيادة تشغيل الموارد المتاحة (بشرية- طبيعية - فنية ومالية)"¹. وقد يؤدي الإنفاق العام أيضا إلى زيادة المنافع المكانية للمناطق النائية وهذا يؤدي إلى زيادة فرص استغلال مواردها المعطلة، مما يسمح بتوفير فرص عمل جديدة . و"يمكن أن تكون النفقات التحويلية الخاصة بالمعاشات والتأمينات عامل مهم في زيادة اطمئنان الأفراد على مستقبلهم إذا أصابهم العجز أو الشيخوخة مما يكون له الأثر الأكبر على زيادة إنتاجيتهم وإقبالهم على العمل أكثر مما يزيد إنتاجية عناصر الإنتاج المختلفة"².

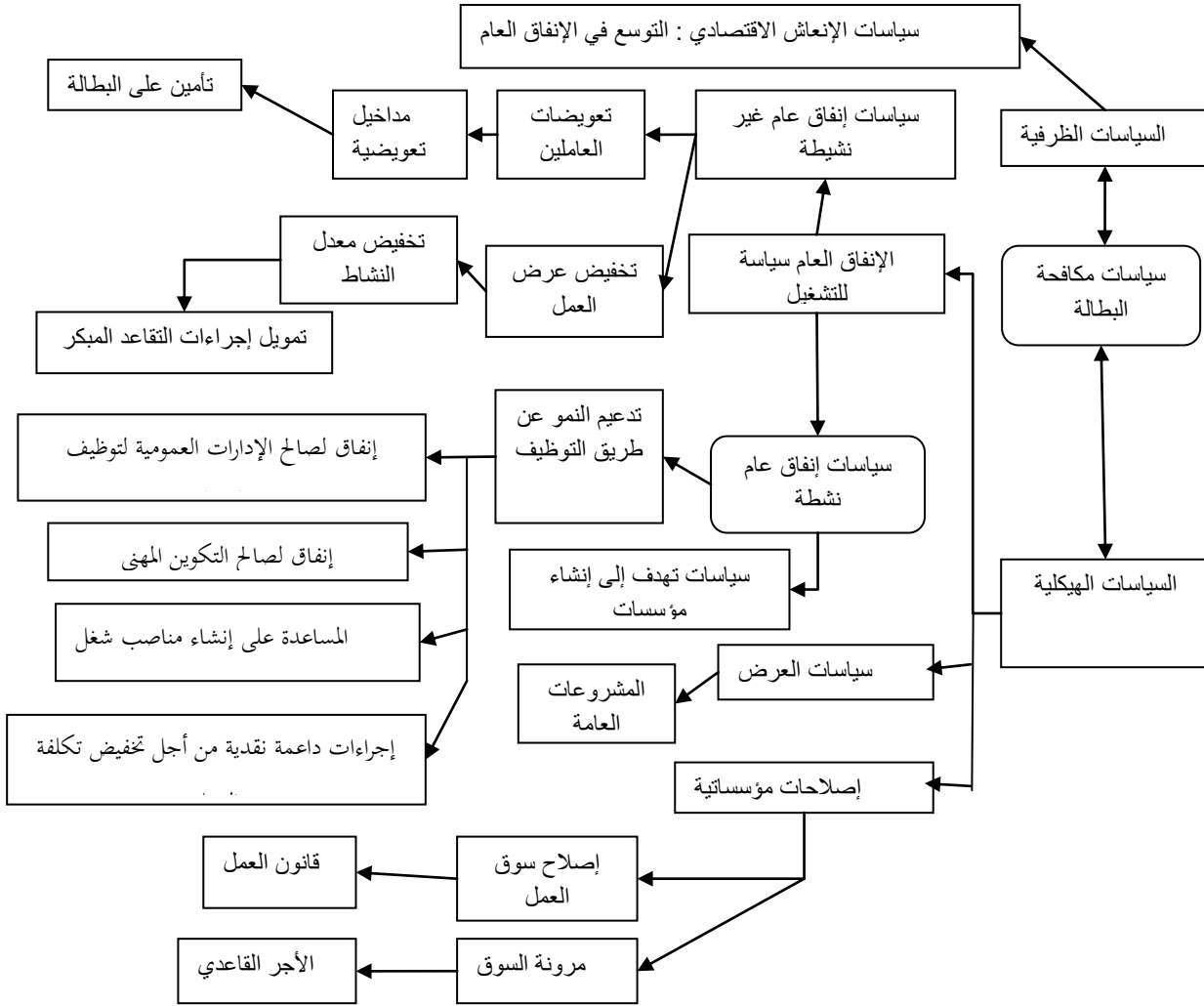
و بإمكان المخطط التالي أن يعطي فكرة واضحة عن مدى أهمية سياسة الإنفاق العام ضمن سياسات مكافحة البطالة، والآليات التي يعمل بها ضمن هذا الاتجاه.

1 - محمد عبد المنعم عفر، أحمد فريد مصطفى ، نفس المرجع السابق، ص79

2 - أحمد فريد مصطفى ، سهير محمد السيد حسن، الاقتصاد المالي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، 1989، ص91.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

الشكل (2-2) : سياسة التوسع في الإنفاق العام ودورها في تخفيض البطالة



Source: C. biales, 'les politiques de lutte contre le chômage', publication de l'université de Lyon; 2005.

وبالتالي يمكن القول أن الإنفاق العام له تأثيرات حقيقية مباشرة على البطالة، وتختلف درجة فعالية هذه التأثيرات على حسب نوع الإنفاق العام، لأنه ليس بالضرورة أن تكون كل بنود الإنفاق العام موجهة حصراً لعلاج مشكلة البطالة، بل إن الإنفاق العام له أهداف عدة تكون أصلاً هي السبب المباشر في إيجاد ذلك النوع من النفقات العامة التي تحقق ذلك الهدف، بيد أنه في جميع الأحوال يمكن أن توضع مسألة تخفيض البطالة كهدف ثان يمكن تحقيقه بالموازاة مع الهدف الرئيسي، وهذا إذا تم تكييف النفقة العامة على الطريقة التي تسمح بإيجاد فرص عمل جديدة دون أن تؤدي إلى إلغاء الهدف الأساسي الذي وجدت لأجله.

ثانياً: التأثيرات غير المباشرة للإنفاق العام على البطالة من خلال مفهوم المضاعف:

إن أهمية الإنفاق العام في تخفيضه للبطالة لا تكمن فقط في الأثر الأولي الذي يحدثه عند أول تنفيذ له، بل فيما يترتب على هذا الإنفاق من عمليات متتالية داخل الدورة الاقتصادية، تسمح بتوليد دخول جديدة، ومن خلال

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

إعادة إنفاق هذه الدخول سوف تتولد سلسلة من الزيادات في حجم الإنفاق الاستهلاكي أو الاستثماري تؤدي بدورها لأثار هامة على الطلب والإنتاج ومن ثم التشغيل، وهذا يعمل على تحريك الاقتصاد بسرعة أكبر نحو مستوى التشغيل الكامل، ويعبر عن هذا المعنى في النظرية الاقتصادية بمفهوم المضاعف.

وتجدر الإشارة إلى أن فكرة المضاعف أول ما أدخلت في النظرية الاقتصادية كانت بواسطة ر. ف. كاهن (R.F.KAHN)، في مقال له سنة 1931، ولكن يرجع الدور الكبير إلى كينز في غرس هذه الفكرة بحزم في النظرية الاقتصادية، والملفت للانتباه أن المضاعف الذي أتى به كاهن سمي بمضاعف التوظيف، حيث بين أن الحكومة في أوقات الكساد عند محاولتها القيام بالاستثمارات العامة فإن التوظيف سوف يزداد عدة مرات أكثر من التوظيف الابتدائي والذي يحدث مباشرة من الاستثمار الحكومي، وعلى هذا فإن مضاعف التوظيف إنما هو عبارة عن المعامل الذي يضرب فيه أي تغيير في التوظيف الابتدائي وذلك للوصول إلى الزيادة النهائية في التوظيف الكلي¹. وقد قام كينز بإسقاط نفس الفكرة على التغيرات التي تحدث في الدخل القومي نتيجة تغير في أحد مكونات الطلب الفعال، حيث بين كينز أن مضاعف التوظيف لكاهن لا يساوي بالضرورة لمضاعفه، إلا أنه في أغلب الأحوال سينتج عن زيادة الدخل القومي زيادة في التوظيف إلا إذا كان الاقتصاد في حالة التشغيل الكامل.

وبما أن الإنفاق العام هو أحد المكونات الأساسية للطلب الفعال، فإنه يمكن وضع مضاعف الإنفاق العام الذي يقيس التغيرات الكلية التي تحدث في الدخل القومي نتيجة لضخ كمية ما من النقود كنفقات عامة أولية داخل الدورة الاقتصادية من طرف الحكومة، لأن هذه النفقات ستصبح مباشرة مداخيل لفئة معينة، وأن هذه الفئة حتما ستقوم باستهلاك نسبة من هذه المداخيل (على حسب قيمة ميلها الحدي للاستهلاك) ليصبح هذا الاستهلاك دخلا لفئة أخرى، تقوم هي كذلك باستعمال جزء منه في الاستهلاك، وتستمر سلسلة دخل-استهلاك- دخل حتى تنعدم قيمة الإنفاق العام التي تتناقص في كل عملية، ويساوي هذا المضاعف في اقتصاد بسيط مغلق مقلوب الميل الحدي للدخار، أو مقلوب القيمة (1- الميل الحدي للاستهلاك)²، وفكرة كينز الخاصة بالمضاعف مبنية أساسا على مقدار الميل الحدي للاستهلاك فكلما كان هذا الميل كبيرا كلما كان المضاعف كبيرا والعكس بالعكس، وتشتترط فكرة المضاعف مجموعة من الشروط أهمها³:

(1)- وجود البطالة الإجبارية

(2)- مجتمع اقتصادي صناعي تكون فيه مرونة عرض السلع عالية حتى يمكن أن يواجه الزيادة في الطلب الفعال.

1 - سامي خليل، النظريات والسياسات النقدية والمالية، شركة كاظمة للنشر والتوزيع، الكويت، 1982، ص 317، 318.

2 - محمد دويدار، مبادئ الاقتصاد السياسي، الجزء الرابع (الاقتصاد المالي)، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2001، ص 171.

3 - سامي خليل، مرجع سبق ذكره، ص 488.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

(3) - وجود طاقة فائضة من الصناعات التي تنتج السلع الاستهلاكية حتى يمكن زيادة الإنتاج استجابة لزيادة الطلب الفعال.

(4) - عرض مرن نسبيا لرأس المال العامل مثل مواد الخام، وذلك حتى يمكن زيادة الإنتاج.

كما توجد عوامل عدة في الحياة الاقتصادية تعمل على تخفيض أثر المضاعف للإنفاقات العامة الجديدة على الدخل وعلى التوظيف وفي الغالب ما تكون هذه العوامل عبارة عن تسربات والتي قد تتمثل في¹:

- ادخار: حيث كلما كان الميل الحدي للإدخار مرتفعا كلما كانت الأجزاء التي تتسرب من الإضافات في الدخل خارج تيار الدخل كبيرة، وعليه فكلما كان حجم المضاعف صغيرا كلما كان الأثر التراكمي للتغير الأولي في الإنفاق العام صغيرا.

- وفاء الديون: لو أن الأفراد استخدموا جزءا من الزيادة في الدخل لسداد ديون مصرفية قديمة، بدلا من إنفاقها على الاستهلاك، فإن ذلك الجزء من الدخل سوف يختفي من تيار الدخل.

- شراء الأسهم والسندات القديمة: لو أن جزءا من الدخل المولد جديدا أنفق على شراء الأسهم والسندات القديمة أو أي استثمارات مالية أخرى فإن الاستهلاك سوف يكون أقل وبالتالي فإن المضاعف في هذه الحالة سيكون منخفضا.

- صافي الواردات: يحدث التسرب من التيار المحلي للدخل وذلك عندما يكون هناك فائض في الواردات على الصادرات مما يترتب عليه تدفق في صافي الأرصدة إلى الخارج.

- التضخم: عندما يكون هناك ارتفاع في أسعار السلع الاستهلاكية فإن جزءا هاما من الزيادة في الإنفاق النقدي المأخوذ من الزيادة في الدخل سوف يبدد في ارتفاع الأسعار بدلا من الزيادة في الاستهلاك وزيادة الدخل والتوظيف.

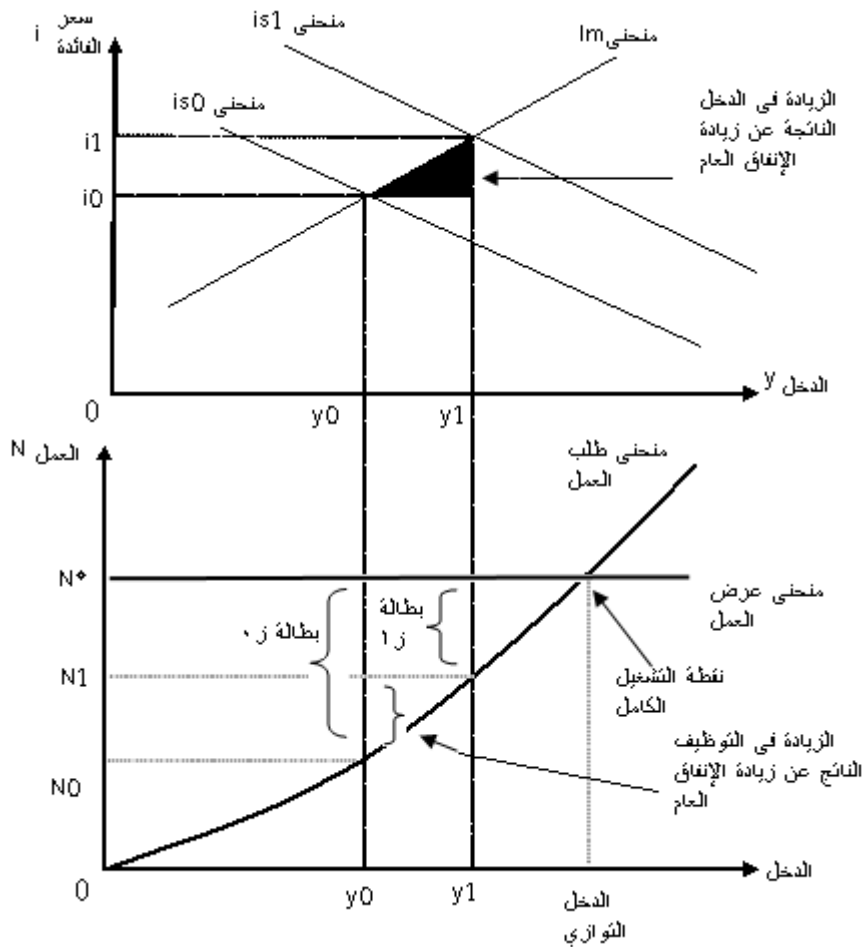
والشكل رقم (2-3) يبين الكيفية التي بها تتحدد الزيادة في الدخل والتوظيف نتيجة لزيادة الإنفاق العام من خلال نموذج التوازن العام (IS\ LM)، حيث يلاحظ في اللحظة Z_0 أن التوازن كان في نقطة تقاطع المنحنيين (IS\LM) عند كل من التوليفتين (i_0, Y_0) ، وكانت قيمة البطالة مساوية ل $(N^* - N_0)$ ، وعند ضخ كمية من الإنفاق العام من طرف الحكومة فإن منحنى IS سينتقل إلى الأعلى ليصبح التوازن في نقطة تقاطع منحنى IS_1 مع منحنى LM عند كل من التوليفتين (i_1, Y_1) و (N_1, Y_1) ، وعند هذه النقطة ستخفص قيمة البطالة إلى القيمة $(N^* - N_1)$ ، وأن التغير في الدخل الناتج عن التغير في الإنفاق العام هو القيمة $(Y_1 - Y_0)$ وكذلك زيادة التوظيف بالقيمة $(N_1 - N_0)$ ، غير أنه في هذا النموذج لا تصل الزيادة في الدخل إلى نفس مستوى زيادته في

¹ - سامي خليل ، نفس المرجع السابق: ص 319,321.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

النموذج البسيط، وهذا راجع إلى أن الزيادة في الدخل تؤدي إلى زيادة الطلب على النقود الذي بدوره يؤدي إلى ارتفاع أسعار الفائدة الذي يعمل على تخفيض قيمة الاستثمارات، وهذا ما يعمل على تخفيض قيمة الدخل الذي كان من المفروض توليده، بيد أنه في جميع الأحوال حسب هذا النموذج تؤدي زيادة الإنفاق العام إلى زيادة أكبر في الدخل والتوظيف، ومن ثم التخفيض من البطالة.

الشكل (2-3): تأثير الزيادة في الإنفاق العام على التخفيض من البطالة من خلال نموذج التوازن العام



Source: Ménéndian Claude. « Fiches de macroéconomie » op.cit page 132.

انظر أيضا: علي كنعان، الاقتصاد المالي، جامعة دمشق، 2009، ص 348.

إن عمل المضاعف كما هو موضح في الأعلى، إنما يوضح الحالة المثالية، ففكرة المضاعف كما سبق عرضها إنما هي مبنية على أساس بقاء الأشياء الأخرى ثابتة، وهي حالة قلما توجد في الحياة العملية، وعليه فإن هناك حدودا كبيرة على تطبيق فكرة المضاعف في الحياة الواقعية منها:

■ تفترض نظرية المضاعف وجود علاقة فورية بين الدخل والاستهلاك والاستثمار وهذا ما يعني أن المضاعف يعمل على أساس أنه ظاهرة توثق أثرها فوراً ولا تتطلب أي وقت، ولكن حقيقة الأمر أن هناك فترة تأخير بين استلام

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

الدخل وبين الإنفاق على الاستهلاك من هذا الدخل، وعليه فإن الاقتصاديين المحدثين أشاروا إلى أن أثر المضاعف يتطلب بعض الوقت حتى يظهر.

■ يرتكز تحليل كينز للمضاعف على فكرة الميل الحدي للاستهلاك للجماعة بأكملها، وهو ما يمثل تبسيطا يتجاهل اختلاف الميل الحدي للاستهلاك من مجموعة اجتماعية إلى أخرى والذي يعكس اختلاف في السلوك فيما يتعلق بتوزيع الدخل بين الادخار والاستهلاك نظرا لاختلاف العادات الاستهلاكية من مجموعة اجتماعية إلى أخرى¹.

■ إن صيغة مضاعف الإنفاق العام هي صيغة ساكنة وغير ملائمة لخطوات التغير في العالم الحركي ففي ظل فروض ساكنة معينة فإن نظرية المضاعف تشرح خطوات تولد الدخل من نقطة توازن إلى نقطة توازن أخرى .

■ تستند نظرية المضاعف إلى فرض أن هناك علاقة خطية بين الدخل والاستهلاك وأن الميل الحدي للاستهلاك محصور بين الصفر والواحد، ولكن الدراسات الميدانية الخاصة لسلوك الاستهلاك الكلي فيما يتعلق بعلاقته بالدخل الكلي أوضحت أن الاتجاهات الفعلية للإنفاق إنما لها علاقة أكثر تعقيدا والتي قد تجعلها غير خطية هذا بالإضافة إلى أن الاستهلاك في حقيقة الأمر ليس بدالة في الدخل فقط، وإن الميل الحدي للاستهلاك ليس بثابت².

وتجدر الإشارة إلى أن الحدود والنقائص التي وجهت لفكرة المضاعف لا يجب أن يخلص منها إلى أن فكرة المضاعف فكرة خاطئة ولا فائدة منها، بل على العكس يجب أن تبقى هذه الفكرة ذات أهمية بالغة، لأنها بلا شك تتضمن عنصرا من الحقيقة ذا أهمية كبيرة لفهم الدورات الاقتصادية، حيث تحاول هذه الفكرة أن توضح، وبتعبير كمي أن التقلبات في معدلات الطلب الفعلي إنما ينتج عنها تقلبات في الدخل والتوظيف بمعدلات أكبر، وعليه فإن مبدأ المضاعف إنما يعتبر من المسلمات التي لا يمكن الاستغناء عنها في شرح النظريات الحديثة للدورات الاقتصادية، لذا فإنه من الأهمية بمكان توفير البيئة الاقتصادية المناسبة التي من خلالها تكون السياسة الاقتصادية المبنية على فكرة المضاعف ذات فعالية قصوى وهذا ما يؤدي حتما إلى ظهور نتائج إيجابية، من أهمها توجيه الاقتصاد إلى حالة التشغيل الكامل.

ثالثا: الإنفاق العام وأثره على البطالة والتضخم من خلال نموذج فيليبس: تعتمد النظرية الكينزية القائمة على مبدأ تدخل الدولة في الاقتصاد إلى حد كبير على الدور الذي يلعبه الطلب الكلي الفعال في تحديد مستوى الإنتاج والدخل والاستخدام، وذلك إلى الحد الذي أعطى للحكومة دورا مركزيا ومباشرا في إدارة هذا الطلب وتوجيهه لناحية الوصول بالإنتاج إلى المستوى الذي يحقق العمالة الكاملة، إلا أن التزام الحكومة بتحقيق هذا الهدف قد أثار الخوف لدى الكينزيين لما قد يترتب عن العمالة الكاملة من نتائج تضخمية على صعيد المستوى العام للأسعار، وقد خلت المعالجة الكينزية في أصولها وأعمالها الأولى من أي تحليل مباشر للعوامل المحددة للمستوى العام للأسعار أو التضخم،

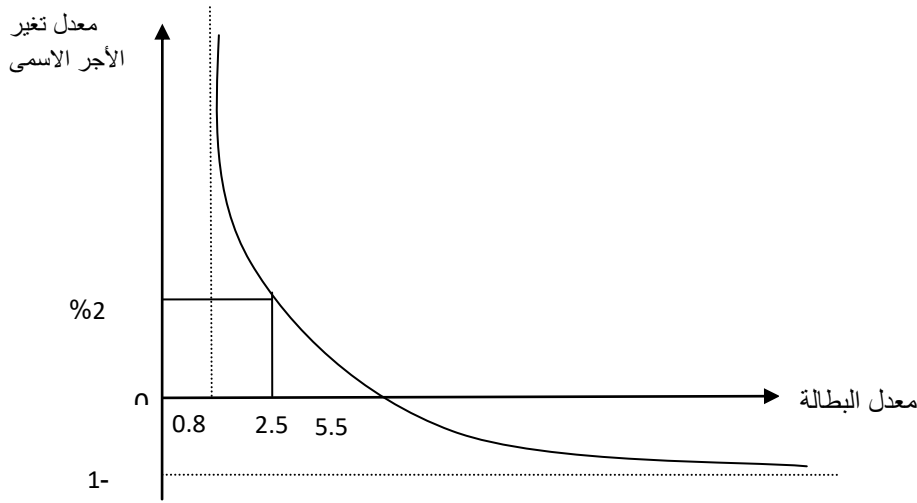
¹ - محمد دويدار، مرجع سبق ذكره، ص 175.

² - سامي خليل، مرجع سبق ذكره، ص 323.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

وبقي النموذج الكينزي على هذا الحال يعاني من افتقاده لنظرية واضحة يتحدد من خلالها سلوك المتغير السعري أو معدل التضخم، إلى أن قام الاقتصادي النيوزيلندي ألبان فيليبس (A.W.PHILLIPS) سنة 1958، بدراسة إحصائية كمية أجراها على المملكة المتحدة للفترة 1861-1957، "حيث بينت بوضوح أن هنالك علاقة دالية مستقرة وثابتة تربط ما بين معدل التغير في الأجور النقدية وبين معدل البطالة، وهي العلاقة التي أصبحت تعرف فيما بعد " بمنحنى فيليبس " نسبة إلى مكتشفها، ويقدم لنا الشكل (2-4) صورة توضيحية لتلك العلاقة العكسية وغير الخطية التي تربط بين هذين المتغيرين، وقد لوحظ أن تلك العلاقة غير الخطية تقع ضمن خطي مقارنة: الأول يوضح أن معدل التغير في الأجور النقدية يبلغ قيمة لا نهائية، وذلك عندما ينخفض معدل البطالة إلى المستوى (0.8%) والثاني يوضح أن معدل التغير في الأجور النقدية يبلغ حده الأدنى (1-%)، وذلك عندما يرتفع معدل البطالة ليشمل جميع المعروض من العمال في سوق العمل، أي ما نسبته (100%)، وكما هو ظاهر في الشكل فإن منحنى فيليبس يقطع المحور الأفقي عند معدل البطالة البالغ (5.5%)، وقد قدر فيليبس على هذا الأساس وعلى أساس من تقديره لمعدل نمو الإنتاجية أن معدل البطالة الذي لا يرافقه زيادة في معدل الأجور هو (2.5%)¹.

الشكل (2-4): منحنى فيليبس



المصدر: أسامة بشير الدباغ، مرجع سبق ذكره، ص196

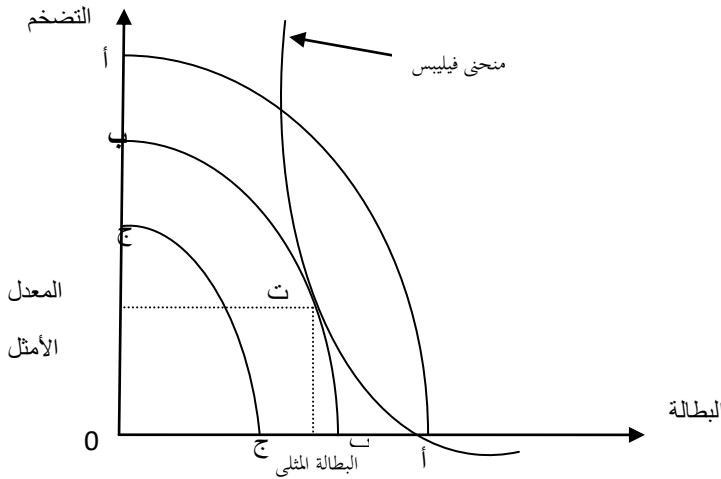
وإزدادت أهمية منحنى فيليبس اقتصاديا عندما قام كل من سامويلسون وسولو باستبدال معدل تغير الأجر النقدي بمعدل التضخم وذلك بالاعتماد على أن (معدل التضخم = معدل نمو الأجر الاسمي - معدل نمو الإنتاجية) ومن ثم صار بالإمكان إيجاد علاقة تبادلية تربط بين التضخم والبطالة وهي علاقة عكسية غير خطية، وهذا ما لفت الانتباه إلى النتائج التضخمية التي يمكن أن تنتج عن اتباع الحكومة سياسات توسعية تؤدي إلى زيادة الإنفاق الكلي، وهذا يعني أن للتوسع في الإنفاق العام وبالتالي الزيادة في الإنتاج والتوظيف تكلفة على الاقتصاد عليه أن يتحملها على شكل ارتفاع في الأسعار، وبالعكس اتباع الحكومة لسياسة انكماشية وبالتالي تراجع الإنتاج وزيادة البطالة سيؤدي إلى

¹ - أسامة بشير الدباغ، مرجع سبق ذكره، ص196.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

انخفاض في معدل التضخم، ومن هنا كان على الحكومة أن تختار بين أحد الشرين : إما زيادة في التضخم أو ارتفاع في مستوى البطالة مما جعل من منحى فيليبس قيّدا على السياسة الاقتصادية لا تستطيع الحكومة أن تتجاهله أو أن تنفك من أسره¹. وبعدها أصبح على الاقتصاديين البحث عن السياسة الاقتصادية التي من خلالها يتم إزاحة منحى فيليبس نحو اليسار وهذا من أجل تحقيق أدنى المعدلات الممكنة لكلا المتغيرين في نفس الوقت، حيث قام ليبسي lipsey سنة 1960 بتطوير منحى فيليبس ليأخذ بالاعتبار تفضيلات المجتمع بالنسبة لهذين المتغيرين، فالعلاقة التبادلية التي رأى كل من سامويلسون وسولو أنها تقوم بين التضخم والبطالة تعني ضمنا وجود دالة هدف من هذين المتغيرين، تمثل الرفاه الاقتصادي للمجتمع، وهذا يعني بعبارة أخرى أن دالة الهدف هذه تعكس وجود عدد من منحنيات السواء الاجتماعية ذات الشكل المحدب، إذا نظر إليها عند تمثيلها بيانيا من نقطة الأصل، فكلما اقتربت هذه المنحنيات من نقطة الأصل كلما زاد مستوى الرفاه الاقتصادي الذي يحققه المجتمع على اعتبار أن هذا الاقتراب سيعني في آن واحد تدنيا في مستوى البطالة وتدنيا في معدلات التضخم وهو ما يصوره لنا الشكل التالي:

الشكل(2-5): آلية اختيار التوليفة المثلى لكل من التضخم والبطالة



المصدر: من إعداد الطالب، بناء على مصادر مختلفة

و"على هذا النحو فإن المفهوم الذي يقوم عليه (منحى فيليبس) لن يتعد كثيرا في دلالاته عن المفهوم الذي يحمله (قيد الميزانية) في تحليل السلوك الاستهلاكي الفردي، فهو يمثل في هذه الحالة (القيد) الذي يجب أن تأخذه الحكومة في الاعتبار عند سعيها لتعظيم دالة الهدف القائمة على المفاضلة بين التضخم والبطالة"²، وبهذا أصبح منحى فيليبس أحد أهم أدوات السياسة الاقتصادية التي تعتمد عليها الحكومات في تحديد درجة التوسع أو الانكماش اللازم تحقيقه للمحافظة على معدلي البطالة والتضخم عند الحدود المقبولة.

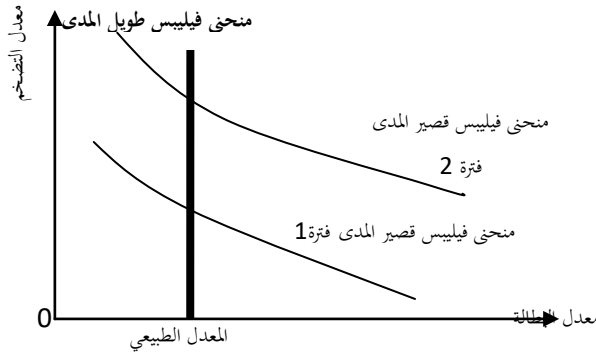
1 - أسامة بشير الدباغ ، نفس المرجع السابق، ص210..

2 - أسامة بشير الدباغ ، نفس المرجع السابق، ص212.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

ومع نهاية الستينات وبداية السبعينات بدأت اقتصاديات الدول المتقدمة تعاني من ظاهرة جديدة عرفت بظاهرة الركود التضخمي، أي ارتفاع متزامن لكل من البطالة والتضخم، وهذا يعني أن العلاقة العكسية والمستقرة التي ربطت فيما سبق بين التضخم والبطالة قد تعطلت نهائيا ليحل محلها نوع من العلاقة الموجبة التي يترافق فيها المزيد من التضخم مع المزيد من البطالة، وبهذا أصبح منحني فيليبس التقليدي عاجزا عن تفسير هذه الظاهرة الجديدة، ليتوصل الاقتصاديون عندها إلى حقيقة مفادها أن منحني فيليبس التقليدي يصح فقط في التحليل قصير المدى، وأن هذا المنحني ينتقل إلى الأعلى أو إلى الأسفل نتيجة تعرض الاقتصاد إلى صدمات في العرض أو في الطلب، ولذلك فعلى المدى الطويل يجب أن يأخذ منحني فيليبس الشكل العمودي حيث، يرتفع قائما عند المعدل الطبيعي للبطالة¹، كما هو موضح في الشكل المقابل:

الشكل (2-6): منحني فيليبس طويل المدى



المصدر : من إعداد الطالب بناء على مصادر مختلفة

ومنه وفق هذا المفهوم الجديد تصبح سياسة التوسع في الإنفاق العام سياسة فعالة فقط إذا كان معدل البطالة أكبر من المعدل الطبيعي، ففي هذه الحالة يستجيب الاقتصاد للإنعاش الذي تحدته الدولة عن طريق زيادة النفقات دون أن يرافق ذلك زيادة تضخمية، أما في الحالة التي تسعى فيها الدولة إلى المحافظة على معدل البطالة أقل من معدله الطبيعي فإن ذلك سيؤدي حتما إلى إحداث تضخم في الاقتصاد، " وبذلك لا يمكن للدولة دفع البطالة إلى ما دون المعدل الطبيعي لفترة طويلة دون أن يؤدي ذلك إلى تصاعد تضخم الأجور والأسعار، وتختلف قيمة المعدل الطبيعي للبطالة من فترة إلى أخرى، ومن دولة إلى أخرى، فمثلا في الدول المتقدمة قدر هذا المعدل في الستينات عند حدود 4%، و 6% في عقد الثمانينات، وهو غالبا ما يتحدد بثلاثة عوامل أساسية هي: التغيرات الديمغرافية، سياسة الحكومة داخل سوق العمل (وجود تعويضات التعتل)، التغير الهيكلي في سوق العمل (البطالة الهيكلية)². وبذلك يصبح لزاما على الدولة إدماج سياسات إصلاحية لسوق العمل مرافقة لسياسة التوسع في الإنفاق العام من أجل تخفيض معدلات البطالة إلى حدودها الدنيا حتى لا يرافق ذلك موجات تضخمية حادة.

¹ - سامويلسون، نورد هاوس، مرجع سبق ذكره، ص ص 622,623.

² - سامويلسون، نورد هاوس، نفس المرجع السابق، ص 224.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

المبحث الثاني: دراسة تحليلية لتطور مستويات الإنفاق العام في الجزائر وتأثيراتها المختلفة على البطالة

مما لا شك فيه أن هدف الإنفاق العام لأي دولة لا ينحصر فقط في محاربة ومكافحة البطالة، وإنما هناك أهداف جمة تسعى الحكومات إلى تحقيقها من خلال هذه السياسة، ولكن بالرغم من ذلك غالباً ما تتأثر البطالة بسياسة الإنفاق العام بشكل مباشر أو غير مباشر، سلبي أو إيجابي، تبعاً لنوع سياسة الإنفاق العام، فهي انكماشية أم توسعية، وتبعاً كذلك للعديد من العوامل التي تدخل في كيفية تنفيذ هذه السياسة، والجزائر - كباقي الدول - تستعمل هذه السياسة لتحقيق وتنفيذ بعض الأهداف والأولويات، وربما قد تكون هذه السياسة الأكثر استعمالاً دون غيرها من السياسات، باعتبار أن الجزائر دولة نفطية حيث بإمكانها أن تستعمل العوائد النفطية لتحقيق هذا الغرض، ولهذا سنحاول في هذا المبحث دراسة سياسة الإنفاق العام في الجزائر وأثرها على البطالة من خلال التطرق إلى بعض النقاط التي لها ارتباط بهذه العلاقة.

المطلب الأول: تحليل تطور الإنفاق العام ومكوناته خلال الفترة 2001-2023 :

ولأجل هذا يتم إيراد الجدول التالي:

الجدول (1-2): تطور مؤشرات الإنفاق العام للفترة 2001-2023

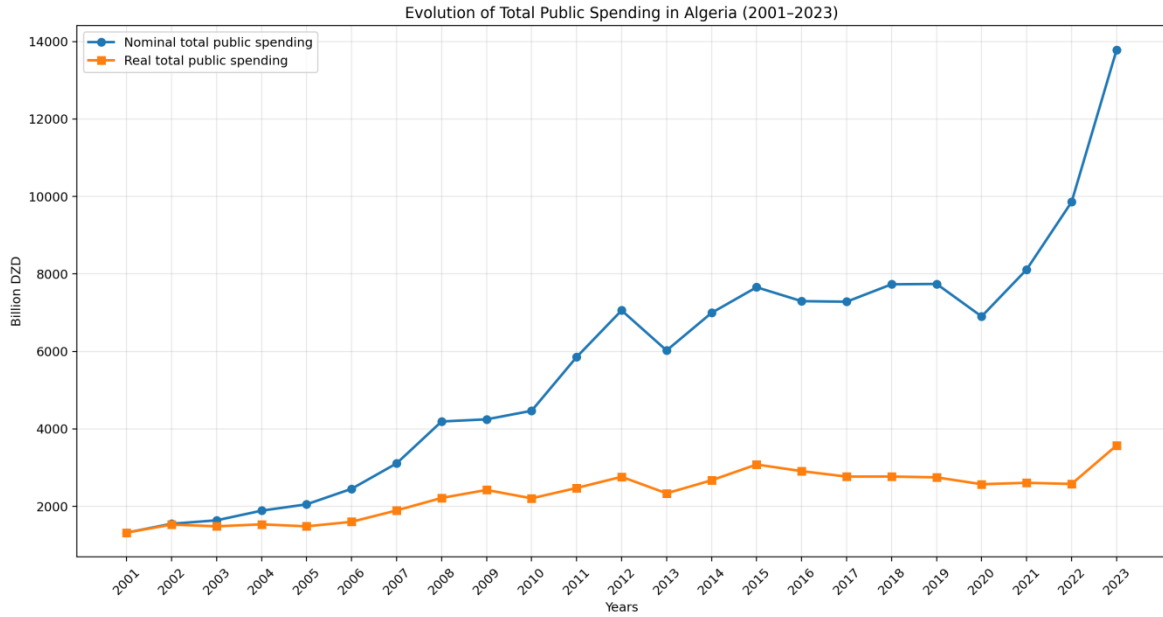
الوحدة: مليار دج

السنة	الإنفاق العام الكلي بالقيم الاسمية	نفقات التجهيز بالقيم الاسمية	نفقات التسيير بالقيم الاسمية	المكمش الاجمالي	الإنفاق العام الكلي بالقيم الحقيقية	نفقات التجهيز بالقيم الحقيقية	نفقات التسيير بالقيم الحقيقية
2001	1 321	357	964	1,00	1 321	357	964
2002	1 551	453	1 098	1,01	1 529	447	1 083
2003	1 639	517	1 123	1,10	1 485	468	1 017
2004	1 889	638	1 251	1,23	1 536	519	1 017
2005	2 052	807	1 245	1,38	1 484	584	901
2006	2 453	1 015	1 438	1,53	1 601	663	939
2007	3 109	1 435	1 674	1,64	1 895	874	1 020
2008	4 191	1 973	2 218	1,89	2 217	1 044	1 173
2009	4 246	1 946	2 300	1,75	2 423	1 111	1 313
2010	4 467	1 808	2 659	2,02	2 207	893	1 314
2011	5 854	1 974	3 879	2,37	2 474	835	1 640
2012	7 058	2 276	4 783	2,56	2 762	891	1 872
2013	6 024	1 893	4 132	2,58	2 337	734	1 603
2014	6 996	2 501	4 494	2,62	2 673	956	1 718
2015	7 656	3 039	4 617	2,49	3 080	1 223	1 857
2016	7 297	2 712	4 586	2,51	2 909	1 081	1 828
2017	7 283	2 605	4 677	2,63	2 768	990	1 778
2018	7 732	2 918	4 814	2,79	2 770	1 045	1 724
2019	7 741	2 846	4 895	2,82	2 748	1 010	1 738
2020	6 903	1 894	5 009	2,68	2 571	705	1 866
2021	8 113	2 799	5 315	3,11	2 608	899	1 708
2022	9 858	3 547	6 312	3,82	2 578	928	1 651
2023	13 787	4 019	9 768	3,86	3 573	1 042	2 532

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على إحصائيات ons وأعداد مختلفة من قوانين المالية لمختلف السنوات.

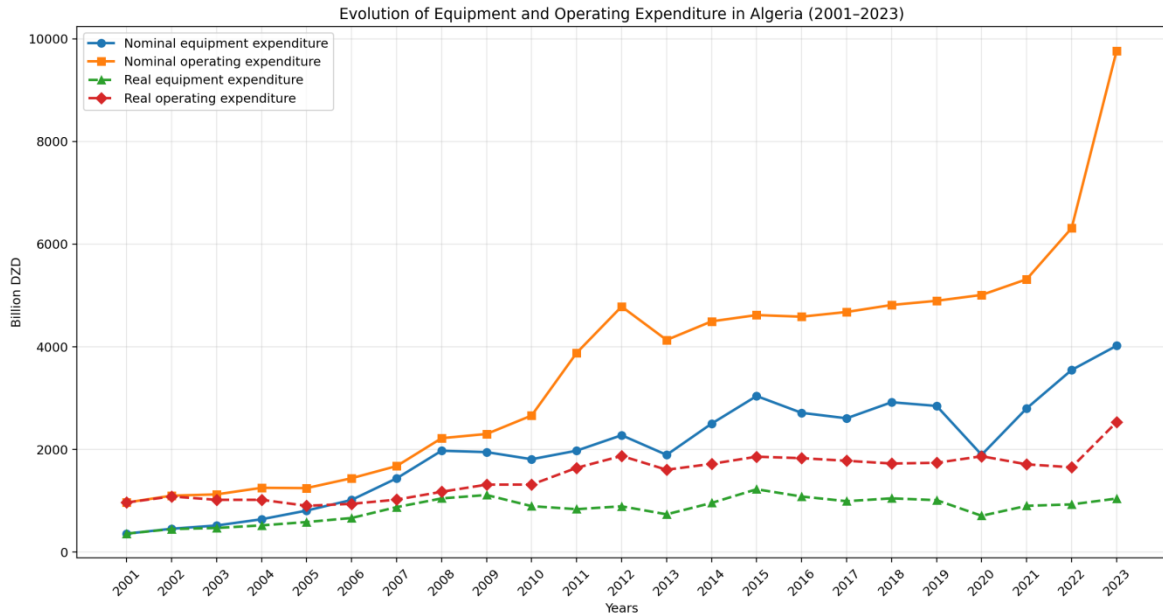
الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

الشكل (2-7): تطور الإنفاق العام الكلي بالقيم الاسمية والحقيقية مليار دج.



المصدر: من إعداد الطالب بناء على معطيات الجدول أعلاه.

الشكل (2-8): تطور نفقات التجهيز ونفقات التسيير بالقيم الاسمية والحقيقية مليار دج.



المصدر: من إعداد الطالب بناء على معطيات الجدول أعلاه.

سوف يعتمد التحليل الاقتصادي لهذا الجدول على تتبع تطور الإنفاق العام الكلي، ثم تفكيكه إلى نفقات تجهيز ونفقات تسيير، أولاً بالقيم الاسمية ثم بالقيم الحقيقية، مع ربط التحولات الأساسية بسياق الاقتصاد الجزائري وبإشكالية المرض الهولندي عبر قناة الإنفاق كما تم التطرق إلى ظاهرة المرض الهولندي في شقها النظري.

أولاً: تطور الإنفاق العام بالقيم الاسمية

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

في ضوء الجدول الإحصائي المعتمد، يتبين أن الإنفاق العام في الجزائر عرف مسارا تصاعديا قويا بالقيم الاسمية خلال الفترة 2001-2023، بما يعكس في آن واحد توسع الدور المالي للدولة وتأثير الارتفاعات السعرية والدورات النفطية. فقد ارتفع الإنفاق العام الكلي من 1321.0 مليار دج سنة 2001 إلى 13786.8 مليار دج سنة 2023، أي بزيادة إجمالية تقارب 943.6%، وبمعدل نمو سنوي مركب يقارب 11.25%. غير أن هذا التوسع لم يكن متجانسا من حيث البنية؛ ففي بداية الفترة كانت نفقات التسيير تمثل نحو 72.9% من الإنفاق الكلي مقابل 27.1% فقط لنفقات التجهيز، ما يعكس هيمنة الإنفاق الجاري في مطلع الألفية.

وخلال المرحلة الممتدة تقريبا من 2001 إلى 2008، ارتبط تطور الإنفاق العام بطفرة أسعار النفط وتحسن وضعية المالية العمومية، فارتفع الإنفاق الكلي الاسمي من 1321.0 مليار دج إلى 4192.4 مليار دج، أي بنحو 217.3%. غير أن الارتفاع الأبرز مس نفقات التجهيز التي قفزت من 358.1 مليار دج إلى 1977.1 مليار دج، أي بحوالي 452.1%، بينما ارتفعت نفقات التسيير من 962.9 مليار دج إلى 2215.3 مليار دج، أي بنحو 130.1%. ويعكس هذا التحول توجه الدولة إلى تمويل برامج كبرى للبنية التحتية والسكن والمرافق، بحيث أصبحت قناة الإنفاق المرتبطة بالريع النفطي تعمل أساسا عبر الاستثمار العمومي واسع النطاق. ومن منظور المرض الهولندي، فإن هذه المرحلة تمثل انتقالا للريع الخارجي إلى طلب داخلي كثيف ينعش البناء والخدمات والأنشطة غير القابلة للمبادلة، بدل أن يدفع مباشرة نحو تنويع إنتاجي تنافسي.

ابتداء من 2009 بدأ تركيب الإنفاق الاسمي يتغير بصورة واضحة. فبين 2009 و2014 ارتفع الإنفاق الكلي من 4246.3 مليار دج إلى 6995.8 مليار دج، أي بنحو 64.7%، غير أن نفقات التجهيز لم ترتفع خلال الفترة نفسها إلا من 1943.3 مليار دج إلى 2496.5 مليار دج، أي بحوالي 28.5%، في حين قفزت نفقات التسيير من 2303.0 مليار دج إلى 4499.3 مليار دج، أي بنحو 95.4%. وبهذا ارتفعت حصة التسيير إلى 64.2% سنة 2014. اقتصاديا، يدل ذلك على أن قناة الإنفاق لم تتوقف، لكنها انتقلت من منطلق الاستثمار العمومي المكثف إلى منطلق الإنفاق الجاري: أجور، تحويلات، دعم، وتكاليف تسيير. وهذه الصيغة أكثر التصاقا بمنطق المرض الهولندي، لأنها توسع الطلب المحلي والاستهلاك والخدمات أكثر مما توسع الطاقة الإنتاجية المستقبلية.

أما بعد صدمة أسعار النفط في 2014، فقد دخلت المالية العمومية مرحلة تعديل غير متناظر. فمن 2015 إلى 2019 بقي الإنفاق الكلي الاسمي شبه راكدا، إذ انتقل من 7681.6 مليار دج إلى 7767.7 مليار دج فقط، أي بزيادة لا تتجاوز 1.1%. إلا أن هذا الركود الظاهري أخفى إعادة توزيع داخلية مهمة: فقد انخفضت نفقات التجهيز من 3015.8 مليار دج إلى 2824.9 مليار دج، أي بنحو 6.4%، بينما ارتفعت نفقات التسيير من 4665.8 مليار دج إلى 4942.8 مليار دج، أي بنحو 6.0%. وهذا يعني أن أول متغير جرى ضغطه في مرحلة التعديل كان الاستثمار العمومي، بينما بقي الإنفاق الجاري أكثر صلابة. وفي سنة 2020، مع الصدمة المزدوجة لكوفيد-19 وتراجع أسعار النفط، انخفض الإنفاق الكلي إلى 6902.9 مليار دج، أي بتراجع 10.8% عن

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

2019، لكن نفقات التجهيز هبطت بنحو 33.5% دفعة واحدة، مقابل ارتفاع نفقات التسيير بنحو 2.3%. وهكذا عادت بنية الإنفاق إلى هيمنة واضحة للتسيير بنسبة 72.6% من الإجمالي.

خلال 2021-2023 عاد الإنفاق العام الاسمي إلى الارتفاع بقوة مدفوعا بتحسّن أسعار المحروقات وتوسع المجال المالي. فقد ارتفع الإنفاق الكلي من 8113.0 مليار دج سنة 2021 إلى 13786.8 مليار دج سنة 2023، أي بزيادة 69.9% خلال عامين فقط. غير أن نفقات التسيير كانت المستفيد الأكبر نسبيا؛ إذ ارتفعت من 5314.5 إلى 9767.5 مليار دج، أي بنحو 83.8%، مقابل ارتفاع نفقات التجهيز من 2798.5 إلى 4019.3 مليار دج، أي 43.6%. وفي 2023 بلغت حصة التسيير 70.8% من الإنفاق الكلي مقابل 29.2% فقط للتجهيز. وعليه، فإن القراءة الاسمية تكشف بوضوح أن نمو الإنفاق العام في الجزائر لم يكن مجرد زيادة كمية، بل انتقالا تدريجيا من هيمنة نسبية للتجهيز في سنوات الطفرة الأولى إلى هيمنة متجددة للتسيير، وهو ما يعمق أثر قناة الإنفاق ويجعل الطلب الداخلي والاستهلاك العمومي أكبر من أثر التراكم الاستثماري طويل الأجل.

ثانيا: تطور الإنفاق العام بالقيم الحقيقية

عند الانتقال إلى القيم الحقيقية، تتضح الصورة العميقة لمسار الإنفاق العام بعيدا عن التشوه الذي تحدثه الأسعار. فالإنفاق العام الكلي ارتفع من 1321.0 مليار دج حقيقي سنة 2001 إلى 3573.5 مليار دج حقيقي سنة 2023، أي بزيادة 170.5% فقط، وبمعدل نمو سنوي مركب يقارب 4.63%. وهذا فارق شاسع عن الزيادة الاسمية البالغة 943.6%، ما يعني أن جزءا معتبرا من التوسع الظاهر في المالية العمومية كان في الواقع تعبيرا عن تضخم الأسعار أكثر من كونه توسعا موازيا في الجهد المالي الحقيقي.

وتظهر هذه النتيجة بوضوح أكبر عند تفكيك الإنفاق إلى مكوناته الرئيسيين. فقد ارتفعت نفقات التجهيز الحقيقية من 358.1 مليار دج سنة 2001 إلى 1043.9 مليار دج سنة 2023، أي بزيادة تقارب 191.5%، في حين ارتفعت نفقات التسيير الحقيقية من 962.9 مليار دج إلى 2529.6 مليار دج، أي بنحو 162.7%. وعلى الرغم من أن الزيادة التراكمية للتجهيز الحقيقي كانت أعلى من التسيير الحقيقي، إلا أن التحليل المرحلي يكشف أن التفوق النسبي للتجهيز كان مركزا أساسا في المرحلة الأولى من الدراسة، قبل أن يتراجع لاحقا لصالح التسيير.

في الفترة 2001-2008، ارتفع الإنفاق العام الحقيقي بنحو 67.8%، لكن نفقات التجهيز الحقيقية قفزت بنسبة 192.1%، مقابل 21.8% فقط لنفقات التسيير. وهذا يدل على أن مرحلة الطفرة النفطية الأولى لم تكن مجرد تضخم اسمي، بل شهدت بالفعل توسعا حقيقيا قويا في الاستثمار العمومي. غير أن هذا التوسع ظل قائما على الربح النفطي لا على تنامي قاعدة إنتاجية تنافسية، ولذلك مثل هو الآخر صورة من صور المرض الهولندي عبر قناة

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

الإنفاق: زيادة حقيقية في الطلب على البناء والخدمات والبنية الأساسية، لكن من خارج منطق التنوع القائم على الإنتاجية والتصدير.

أما في الفترة 2009-2014، فقد أصبح التوسع الحقيقي أكثر ميلا نحو التسيير. فالإنفاق الكلي الحقيقي ارتفع بنحو 10.3% فقط، بينما انخفضت نفقات التجهيز الحقيقية بنحو 13.9%، في حين ارتفعت نفقات التسيير الحقيقية بنحو 30.8%. وهذا التحول يكشف أن الدولة واصلت دعم الطلب الداخلي، لكن عبر الإنفاق الجاري أكثر من الإنفاق الاستثماري. ومن منظور المرض الهولندي، فإن هذه المرحلة تمثل الصيغة الأكثر وضوحا لقناة الإنفاق، لأن الموارد الربعية لم تعد تتجه أساسا إلى خلق أصول عامة جديدة، بل إلى تغذية الاستهلاك والإنفاق الجاري، بما يعزز الأنشطة غير القابلة للتبادل التجاري أكثر من تعزيزه لقطاعات الإنتاج القابلة للمنافسة.

خلال 2015-2019، دخل الإنفاق العام الحقيقي مرحلة انكماش فعلي. فقد انخفض الإنفاق الكلي الحقيقي بنحو 10.8%، وتراجعت نفقات التجهيز الحقيقية بنحو 17.4%، كما انخفضت نفقات التسيير الحقيقية بنحو 6.4%. لكن الأثر الأشد وقع مرة أخرى على التجهيز، ما يثبت أن التعديل المالي بعد صدمة أسعار النفط كان غير متناظر: فعندما تضيق الموارد، يتم الضغط على الاستثمار العمومي قبل الضغط على التسيير. وفي 2020 تعمقت هذه السمة، إذ انخفض الإنفاق الكلي الحقيقي بنحو 6.4%، لكن نفقات التجهيز الحقيقية هبطت بنحو 30.2%، مقابل ارتفاع نفقات التسيير الحقيقية بنحو 7.4%. وهذا يعني أن الدولة فضلت الحفاظ على الطلب الاجتماعي والإداري، حتى ولو تم ذلك على حساب التراكم الرأسمالي.

أما في الفترة 2021-2023، فقد عاد الإنفاق الحقيقي إلى الارتفاع مع تحسن أسعار المحروقات، فارتفع الإنفاق الكلي الحقيقي من 2607.7 مليار دج إلى 3573.5 مليار دج، أي بنحو 37.0% خلال عامين. غير أن التسيير بقي المكون الأكبر بوضوح؛ ففي 2023 بلغت نفقات التسيير الحقيقية 2529.6 مليار دج مقابل 1043.9 مليار دج فقط للتجهيز. وحتى مع تعافي هذا الأخير بعد صدمة 2020، فإن وزنه النسبي لم يعد إلى المستوى الذي بلغه في 2008. ومن ثم، فإن الانتعاش الأخير أكد من جديد أن قناة الإنفاق في الجزائر لا تعمل اليوم عبر الاستثمار العمومي بالدرجة نفسها التي اشتغلت بها خلال طفرة الألفية الأولى، بل عبر إنفاق جارٍ أوسع وأسرع نموا.

ثالثا: قراءة تركيبية في النمو النسبي للإنفاق العام وعلاقته بالمرض الهولندي

يكشف التحليل النسبي للنمو في الإنفاق العام عن ثلاث حركات أساسية. الأولى هي مرحلة طفرة تقودها نفقات التجهيز، حيث كان النمو النسبي للتجهيز الاسمي والحقيقي أعلى بكثير من التسيير، وهو ما يعكس توجيه الربيع نحو الاستثمار العمومي. والثانية هي مرحلة انتقال هيكلية أصبح فيها التسيير ينمو أسرع من التجهيز، سواء اسميا أو حقيقيا، بما يدل على انتقال أثر الربيع من تكوين الأصول إلى تمويل الطلب الجاري. أما الحركة الثالثة فهي مرحلة

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

التكيف مع الصدمات النفطية، حيث تبين أن الإنفاق الاستثماري العمومي هو المتغير الأكثر قابلية للضغط عند التراجع، في حين يتم الحفاظ على الإنفاق الجاري بدرجة أكبر.

ومن زاوية المرض الهولندي، فإن هذه الحركات الثلاث لا تنفي وجود المشكلة، بل تكشف تطورها عبر الزمن. ففي المرحلة الأولى ظهرت قناة الإنفاق في شكلها الاستثماري، إذ أدى تدفق الربح إلى توسيع المشاريع العمومية والبنية التحتية ورفع الطلب على القطاعات غير المتبادلة المرتبطة بقطاع الأشغال العمومية. وفي المرحلة الثانية تحولت القناة إلى صيغة أكثر استهلاكية، حيث صار التسيير، بما يحمله من أجور وتحويلات ودعم، هو الأداة الأهم لإعادة ضخ الربح في الاقتصاد. أما عند وقوع الصدمات، فإن هشاشة هذا النمط تظهر بوضوح، لأن التعديل يقع أساسا على التجهيز، ما يضعف التراكم الرأسمالي ويحد من فرص التنويع في المستقبل.

وعليه، فإن المشكلة الأساسية في الاقتصاد الجزائري ليست فقط في اتساع حجم الإنفاق العام، بل في طبيعته الربعية والدورية وتركيبته الداخلية. فالاعتماد الكبير على المحروقات يجعل المالية العمومية تنقل الصدمات الخارجية إلى الاقتصاد الداخلي عبر التوسع أو الانكماش في الإنفاق. وحين يكون الجزء الأكبر من هذا الإنفاق متجها نحو التسيير، فإن قناة الإنفاق تغذي الاستهلاك والخدمات والأنشطة غير المتاجرة أكثر مما تغذي تراكم القدرات الإنتاجية القابلة للمنافسة. وبهذا المعنى، فإن تطور الإنفاق العام في الجزائر خلال الفترة 2001-2023 يقدم مثالا واضحا على كيفية اشتغال المرض الهولندي عبر قناة الإنفاق: ربح خارجي يمول توسعا ماليا كبيرا، لكنه لا يترجم بالقدر الكافي إلى تنويع إنتاجي مستدام، بل يعيد إنتاج الاعتماد على الطلب العمومي وعلى القطاعات غير القابلة للمبادلة.

رابعا: تحليل تطور مكونات نفقات التسيير وعلاقتها في تفاقم ظاهرة المرض الهولندي

بعدها رأينا في الفقرة أعلاه كيف ساهمت نفقات التسيير في ترسيخ مشكلة المرض الهولندي وبالتالي تفاقم الاختلالات الهيكلية بين القطاعات الاقتصادية وهو ما يعني فعالية نسبية للسياسة التوسعية للإنفاق العام في خلق فرص عمل مستدامة كان لزاما إجراء تحليل معمق أكثر لهذه النفقات من خلال دراسة تطور مكونات نفقات التسيير مع الزمن ولأجل هذا نور الجدول التالي:

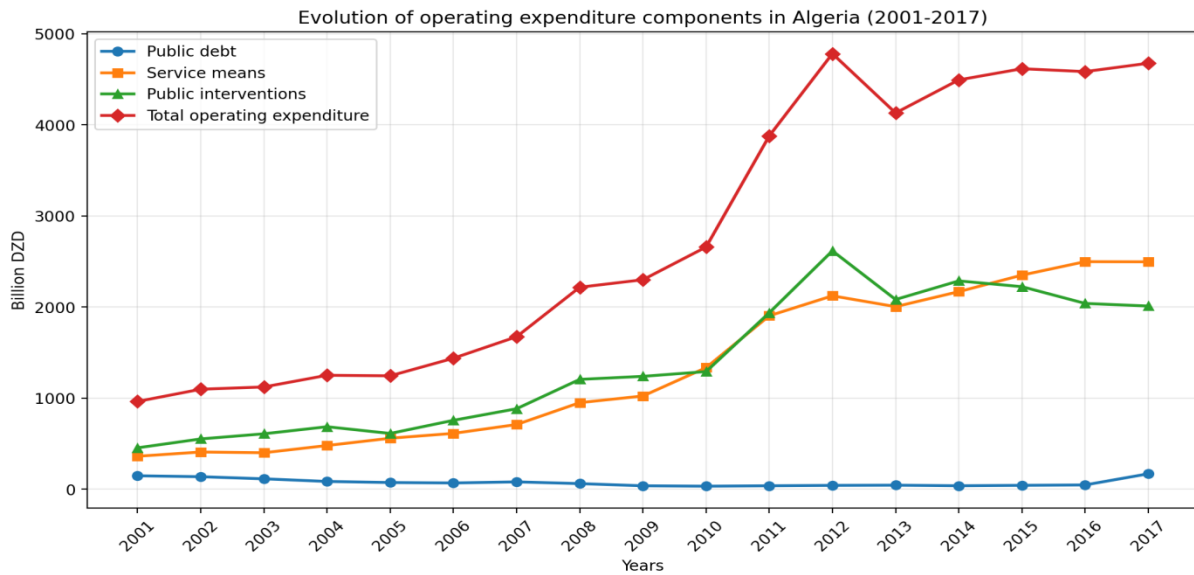
الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

الجدول(2-2): تطور مكونات نفقات التسيير للفترة 2001-2017

السنة	الديون العامة	وسائل الخدمات	التدخلات العمومية	المجموع العام
2001	147,536	361,738	454,359	963,633
2002	137,200	408,470	552,046	1097,716
2003	113,971	400,399	608,391	1122,761
2004	85,244	479,617	686,033	1250,894
2005	73,232	559,826	612,074	1245,132
2006	68,552	612,960	756,358	1437,870
2007	80,497	710,100	883,434	1674,031
2008	61,437	950,405	1205,933	2217,775
2009	37,432	1023,426	1239,165	2300,023
2010	33,206	1334,334	1291,538	2659,078
2011	37,687	1904,386	1937,133	3879,206
2012	42,024	2123,579	2617,031	4782,634
2013	44,208	2004,386	2082,942	4131,536
2014	37,798	2169,175	2287,354	4494,327
2015	42,554	2350,606	2223,849	4617,009
2016	46,833	2498,571	2040,160	4585,564
2017	169,076	2496,907	2011,199	4677,182

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على إحصائيات ONS

الشكل(2-9): تطور مكونات نفقات التسيير في الجزائر(2001-2017)



المصدر: من إعداد الطالب بناء على معطيات الجدول أعلاه.

يظهر تطور مكونات نفقات التسيير في الجزائر خلال الفترة 2001-2017 أن الدولة لم تكن فقط ترفع إنفاقها الجاري من حيث الحجم، بل كانت تعيد تشكيل بنية هذا الإنفاق بطريقة جعلته أكثر التصاقا بقناة الإنفاق في تفسير المرض الهولندي . فقد ارتفع المجموع العام لنفقات التسيير من 963 مليار دج سنة 2001 إلى 4677 مليار دج سنة 2017 ، أي بزيادة تراكمية تقارب 385.4% . ومن الناحية الاقتصادية، لا تعبر هذه الزيادة عن توسع محاسبي فحسب، بل عن توسيع مستمر للطلب الداخلي الجاري عبر الأجور، ولوازم تشغيل الجهاز العمومي، والتحويلات، والإعانات . وهذا النوع من الإنفاق لا يرفع الطاقة الإنتاجية القابلة للمنافسة بنفس الدرجة التي يرفع بها الطلب على الخدمات المحلية والسلع المستوردة، ولذلك فهو يمثل القناة الأكثر مباشرة التي ينتقل عبرها الربيع النفطي إلى الاقتصاد غير المتاجر .

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

فإذا نظرنا إلى بند الديون العامة، نجد أنه لم يكن المكون الحاسم في دفع هذا التطور. فقد انخفض من 147 مليار دج سنة 2001 إلى 33 مليار دج سنة 2010، قبل أن يرتفع مجدداً إلى 169 مليار دج سنة 2017 ورغم أن هذا الارتفاع الأخير مهم، فإن الوزن النسبي للديون العامة ظل ضعيفاً مقارنة ببقية البنود خلال معظم الفترة. وعليه، فإن هذا السند لا يفسر وحده الطابع التوسعي لنفقات التسيير، بل يكشف أساساً أن تضخم الإنفاق الجاري في الجزائر لم يكن نتيجة عبء خدمة الدين بقدر ما كان نتيجة اتساع النفقات المرتبطة بتشغيل الدولة وتمويل تدخلاتها الاقتصادية والاجتماعية.

أما بند وسائل الخدمات، فهو المكون الأكثر تعبيراً عن التحول البنوي داخل نفقات التسيير. فهذا السند يشمل اقتصادياً كتلة الأجور والتكاليف التشغيلية واللوازم والصيانة، أي كل ما يسمح باستمرار عمل الجهاز الإداري والخدمات العمومي. وقد ارتفع من 361 مليار دج سنة 2001 إلى 2496 مليار دج سنة 2017، أي بزيادة تقارب 590.3%. كما ارتفعت حصته من مجموع نفقات التسيير من 37.5% إلى 53.4% خلال الفترة نفسها. وهذه النتيجة شديدة الدلالة، لأنها تعني أن الدولة أصبحت تضخ كتلة متزايدة من الدخل الجاري مباشرة داخل الاقتصاد، وهو ما يعزز الاستهلاك النهائي ويرفع الطلب على الأنشطة غير القابلة للتبادل التجاري، مثل الإدارة، والخدمات، والبناء، والتجارة الداخلية. وبهذا المعنى، فإن وسائل الخدمات تمثل القلب الصلب لقناة الإنفاق، لأنها تنقل الربح إلى صورة دخول جارية متكررة وليست استثمارات منتجة للتنافسية.

ويتأكد هذا الاستنتاج أكثر عند تحليل المسار الزمني لهذا البند. ففي المرحلة 2001-2008 ارتفع من 361 إلى 950 مليار دج، ثم قفز إلى 2123 مليار دج سنة 2012، قبل أن يواصل الصعود إلى 2498 مليار دج سنة 2016 ويستقر تقريباً عند 2496 مليار دج سنة 2017. أي إن الارتفاع لم يكن مؤقتاً ولا ظرفياً، بل تحول إلى التزام إنفاقي هيكلية. ومن منظور المرض الهولندي، فإن أخطر ما في هذا التطور هو أن الربح النفطي لا يمол فقط زيادة عابرة في الطلب، بل يخلق هيكلًا ماليًا دائماً يجعل الاقتصاد أكثر اعتماداً على الإنفاق الجاري وأقل قدرة على التكيف عند انعكاس الدورة النفطية.

أما التدخلات العمومية، فهي ثاني أهم مكون من حيث الوزن والدلالة الاقتصادية. ويشمل هذا السند، في جوهره، التحويلات والإعانات ومختلف أشكال التدخل التي تلجأ إليها الدولة لدعم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي وتمويل بعض الهيئات والقطاعات. وقد ارتفع من 454 مليار دج سنة 2001 إلى 2011 مليار دج سنة 2017، أي بزيادة تناهز 342.6%. وبلغ ذروته عند 2617 مليار دج سنة 2012 قبل أن يتراجع نسبياً بعد ذلك. اقتصادياً، يعني هذا أن الدولة استخدمت جانباً معتبراً من مواردها الربعية لتوسيع الطلب عبر التحويلات والدعم، لا عبر التراكم الإنتاجي. وعندما تستخدم الإعانات والتحويلات بهذا الحجم، فإنها تسند الاستهلاك والطلب المحلي بصورة قوية، لكنها لا تخلق بالضرورة قدرة إنتاجية قابلة للمنافسة، بل قد تغذي الواردات وتدفع الموارد نحو القطاعات المحمية داخلياً.

وعند جمع بندي وسائل الخدمات والتدخلات العمومية معاً، تتضح الصورة بشكل حاسم. فقد مثل هذان البنودان 84.7% من مجموع نفقات التسيير سنة 2001، ثم ارتفعت مساهمتهما إلى 96.4% سنة 2017. وهذا يعني أن نفقات التسيير في الجزائر لم تكن في جوهرها نفقات مالية محايدة، بل كانت أداة ضخمة لإعادة توزيع الربح وتغذية الطلب الداخلي الجاري. ومن ثم، فإن التوسع في نفقات التسيير لم يكن مجرد زيادة في كلفة عمل الدولة، بل أصبح آلية أساسية لإبقاء النمو معتمداً على الإنفاق العمومي والطلب المحلي، بدل أن يعتمد على قاعدة إنتاجية قابلة للتصدير والمنافسة.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

ومن المفيد تقسيم المسار إلى ثلاث مراحل. في المرحلة الأولى، من 2001 إلى 2005، ارتفعت نفقات التسيير من 963 إلى 1245 مليار دج، أي بنحو 29.2%، وكان النمو موزعا بين وسائل الخدمات والتدخلات العمومية. في المرحلة الثانية، من 2006 إلى 2012، حدث الانفجار الحقيقي، إذ ارتفع المجموع من 1437 إلى 4782 مليار دج، أي بنحو 232.6%. وخلال هذه المرحلة ارتفعت وسائل الخدمات من 612 إلى 2123 مليار دج، وارتفعت التدخلات العمومية من 756 إلى 2617 مليار دج. وهذه هي الفترة التي تظهر فيها قناة الإنفاق بأوضح صورة: تدفق ريعي مرتفع، توسع كبير في الأجور والدعم والتحويلات، ثم انتقال هذا التوسع إلى طلب داخلي كثيف. أما المرحلة الثالثة، من 2013 إلى 2017، فقد اتسمت بتباطؤ نسبي في المجموع، لكنه كان مصحوبا باستمرار ارتفاع وسائل الخدمات مقابل تراجع نسبي في التدخلات العمومية بعد ذروتها، بما يكشف بداية إعادة تركيب داخلية تحت ضغط تراجع أسعار النفط، دون أن يعني ذلك تراجعا فعليا في الطابع الريعي للإنفاق الجاري.

وعليه، فإن الإحصائيات أعلاه تدعم بقوة فرضية أن قناة الإنفاق لعبت دورا أساسيا في تفاقم المرض الهولندي في الجزائر، وبالخصوص عبر نفقات التسيير. فبدل أن يذهب الجزء الأكبر من الوفرة الربعية إلى الاستثمار المنتج وتنويع القاعدة الاقتصادية، ذهب جانب كبير منه إلى الأجور، والتسيير، والتحويلات، والإعانات. وبلغت الأرقام، فإن وسائل الخدمات زادت بنحو 590.3%، والتدخلات العمومية بنحو 342.6%، بينما تضاعف المجموع العام لنفقات التسيير بأكثر من 4.8 مرات. وهذه النتيجة تعني أن الربيع النفطي لم يكتفِ بتمويل الدولة، بل أعاد تشكيل بنية الطلب في الاقتصاد لصالح القطاعات غير المتبادلة، بما أضعف الحوافز الموجهة نحو الإنتاجية والتنافسية والتصدير. ومن ثم، فإن نفقات التسيير، أكثر من غيرها، كانت إحدى القنوات الجوهرية التي غذت تعمق المرض الهولندي في الحالة الجزائرية خلال الفترة المدروسة.

المطلب الثاني: اعتماد سياسة الإنفاق العام في الجزائر على الجباية النفطية وأثره في تعميق المرض الهولندي

من الأهمية بمكان عند دراسة سياسة الإنفاق العام التطرق بشكل مفصل إلى مصادر تمويل هذه السياسة وفي الاقتصادات الربعية وبالخصوص النفطية تبرز الإيرادات النفطية كعامل مهم في تحديد مدى قدرة الحكومات في تنفيذ السياسات التوسعية للإنفاق على الوجه الذي يحقق الأهداف التي من أجلها تم وضعها وتجنّب الاقتصاد السلبيات التي قد تظهر كنتيجة لمثل هذه السياسات وبالخصوص في الأجل الطويل، ولتحليل هذه المسألة في الاقتصاد الجزائري نورد الجدول التالي:

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

الجدول (2-3): تطور أدوات تمويل الإنفاق العام في الجزائر للفترة 2001-2020

الوحدة:مليار دج

السنة	حجم الإنفاق العام	الجباية النفطية	وزن الجباية النفطية من إجمالي الإيرادات	الجباية غير النفطية	وزن الجباية غير النفطية من إجمالي الإيرادات	إجمالي الإيرادات	رصيد الميزانية
2001	1321,03	956,39	64%	549,14	36%	1505,53	184,50
2002	1550,65	942,90	59%	660,28	41%	1603,19	52,54
2003	1639,27	1284,98	65%	689,49	35%	1974,47	335,20
2004	1888,93	1485,70	67%	744,20	33%	2229,90	340,97
2005	2052,04	2267,84	74%	814,99	26%	3082,83	1030,79
2006	2453,01	2714,00	75%	925,93	25%	3639,93	1186,91
2007	3108,67	2711,85	74%	976,05	26%	3687,90	579,23
2008	4191,05	1715,40	59%	1187,05	41%	2902,45	-1288,61
2009	4246,33	1927,00	59%	1348,36	41%	3275,36	-970,97
2010	4466,94	1501,70	49%	1572,94	51%	3074,64	-1392,30
2011	5853,57	1529,40	44%	1960,41	56%	3489,81	-2363,76
2012	7058,17	1519,04	40%	2284,99	60%	3804,03	-3254,14
2013	6024,13	1615,90	41%	2279,42	59%	3895,32	-2128,82
2014	6995,77	1577,73	40%	2350,02	60%	3927,75	-3068,02
2015	7656,33	1722,94	38%	2829,60	62%	4552,54	-3103,79
2016	7297,49	1682,55	34%	3329,03	66%	5011,58	-2285,91
2017	7282,63	2126,99	35%	3920,90	65%	6047,89	-1234,75
2018	7732,07	2319,69	36%	4069,78	64%	6389,47	-1342,60
2019	7741,35	2518,49	38%	4083,09	62%	6601,58	-1139,77
2020	6902,89	1394,71	27%	3719,38	73%	5114,09	-1788,80

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على إحصائيات ONS

تظهر البيانات المالية للجزائر خلال الفترة 2001-2020 أن العلاقة بين الإنفاق العام والجباية النفطية ليست علاقة ظرفية أو هامشية، بل علاقة بنيوية تحدد إلى حد بعيد حجم الحيز المالي، واتجاه السياسة المالية، وطبيعة انتقال الأثر النفطي إلى الاقتصاد الكلي. فالإيرادات النفطية لا تمثل مجرد مورد من بين موارد الدولة، بل تمثل مصدر التمويل الذي يسمح، في فترات الوفرة، برفع الإنفاق العام إلى مستويات أعلى بكثير مما تستطيع القاعدة الإيرادية غير النفطية تمويله بصورة مستقلة. وعندما تنخفض هذه الجباية، لا ينخفض الإنفاق بالمرونة نفسها، فينشأ العجز وتتراكم الضغوط على المالية العمومية والتوازنات النقدية.

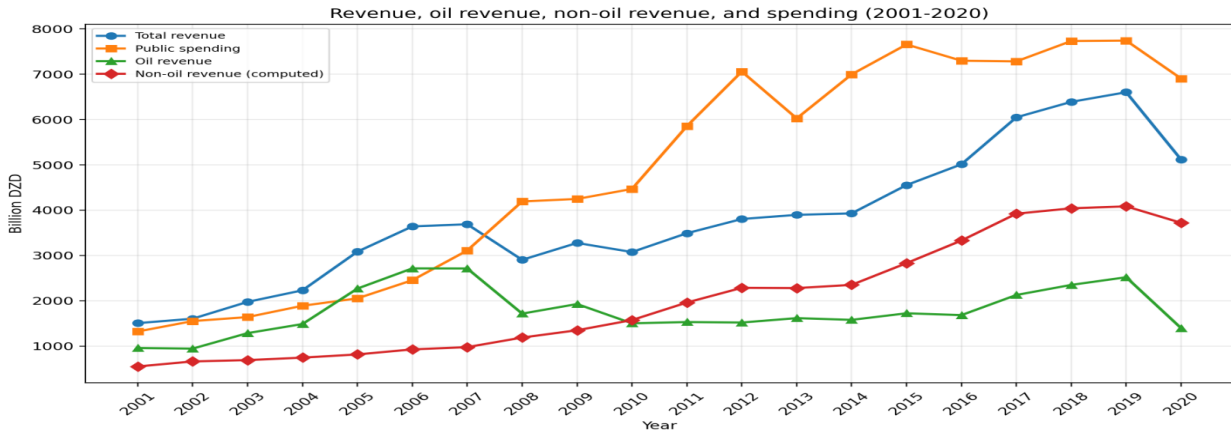
تتضح هذه الفكرة مباشرة من السلسلة الرقمية. ففي سنوات 2001-2007 حققت الميزانية فوائض سنوية متصلة تقريبا، بلغ مجموعها التراكمي نحو 3710.1 مليار دج. غير أن الوضع انقلب ابتداء من 2008، إذ دخلت المالية العمومية في مرحلة عجز سنوي متواصل استمر حتى 2020، وبلغ العجز التراكمي خلالها نحو 25362.2 مليار دج. ولا يكمن مغزى هذا التحول في مجرد انتقال الحساب من الفائض إلى العجز، بل في أنه يكشف أن مستوى الإنفاق الذي تأسس في سنوات الوفرة أصبح أعلى من القدرة التمويلية المستقرة للاقتصاد عندما فقدت الجباية النفطية زخمها السابق.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

من الناحية النظرية، يسمح هذا المسار بقراءة الحالة الجزائرية من خلال آيتين متكاملتين في تفسير المرض الهولندي . الأولى هي قناة الإنفاق، حيث يتحول الربح الخارجي إلى إنفاق عام وطلب داخلي مرتفع، فتتفخ القطاعات غير القابلة للتبادل التجاري. والثانية هي قناة قيمة العملة أو سعر الصرف الحقيقي، حيث يؤدي تحويل الإيرادات النفطية الأجنبية إلى إنفاق محلي بالدينار، مع إدارة مشددة لسعر الصرف الاسمي، إلى ضغوط نقدية وسعرية قد تضعف القدرة التنافسية الحقيقية للقطاعات القابلة للتبادل. وفيما يلي بعض النقاط التي تسمح بفهم هذه المسألة في منظور متداخل بين الإيرادات النفطية، الإنفاق العام، العجز التراكمي، سعر الصرف أو قيمة العملة والمريض الهولندي.

أولا: تطور الإيرادات الإجمالية بشقيها النفطي وغير النفطي مقارنة بالنفقات العامة

الشكل (2-10): تطور الإيرادات العامة والنفقات العامة والجبابة النفطية وغير النفطية 2001-2020



المصدر: من إعداد الطالب بناء على معطيات الجدول أعلاه.

ارتفعت الإيرادات الإجمالية من 1505.5 مليار دج سنة 2001 إلى 3639.9 مليار دج سنة 2006 ، ثم إلى 6601.6 مليار دج سنة 2019 ، قبل أن تنخفض إلى 5114.1 مليار دج في 2020 . لكن هذا المسار الصاعد ظاهريا لا يعني أن الدولة حققت استقلالا إيراديا متزايدا عن النفط، فمساهمة الجبابة النفطية في إجمالي الإيرادات بلغت في المتوسط 67.96% خلال فترة 2001-2007، ثم تراجعت إلى متوسط 41.61% خلال فترة 2008-2020، لكنها بقيت المكون الأكثر حساسية في تحديد اتجاه المالية العامة. وهذا يعني أن تراجع الوزن النسبي للجبابة النفطية لم يكن نتيجة انفصال الميزانية عن النفط، بل نتيجة نمو مركب لعناصر أخرى في الوقت الذي بقي فيه الإنفاق العام مرتفعا ومتزايدا.

بلغة الأرقام، ارتفعت الجبابة النفطية من 956.4 مليار دج سنة 2001 إلى 2714.0 مليار دج سنة 2006 ، ثم بقيت عند 2711.9 مليار دج سنة 2007. غير أنها تراجعت بعد ذلك إلى 1715.4 مليار دج سنة 2008 ، و 1501.7 مليار دج سنة 2010 ، و 1519.0 مليار دج سنة 2012 ، و 1394.7 مليار دج سنة 2020. في المقابل، استمرت النفقات العامة في الارتفاع من 1321.0 مليار دج سنة 2001 إلى 2453.0 مليار دج سنة 2006 ، ثم إلى 4191.1 مليار دج سنة 2008 ، و 7058.2 مليار دج سنة 2012 ، و 7741.3 مليار دج

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

سنة 2019. هذا الفارق بين مسار الإيراد النفطي ومسار الإنفاق العام هو المؤشر الأكثر دلالة على أن سياسة الإنفاق لم تعد تتكيف مع الإيراد النفطي بقدر ما أصبحت تبنى على افتراض ضمني باستمراره.

أما الإيرادات غير النفطية المحسوبة، فقد ارتفعت من 549.1 مليار دج سنة 2001 إلى 976.1 مليار دج سنة 2007، ثم إلى 2285.0 مليار دج سنة 2012، و 4083.1 مليار دج سنة 2019، و 3719.4 مليار دج سنة 2020. ورغم هذا التحسن المهم، فإنها لم تكن كافية لاحتواء التوسع القوي في النفقات. فحتى في 2019، حين بلغت الإيرادات غير النفطية 4083.1 مليار دج، بقيت دون مستوى النفقات العامة البالغ 7741.3 مليار دج. وهذا يعني أن نمو الإيرادات غير النفطية لم يتحول إلى قاعدة تمويلية بديلة قادرة على تحييد صدمة النفط، بل ظل يعمل داخل هيكل مالي صمم أساسا في ظل الربع.

ثانيا: العجز التراكمي: كيف يتحول تراجع الجباية النفطية إلى عجز مزمن؟

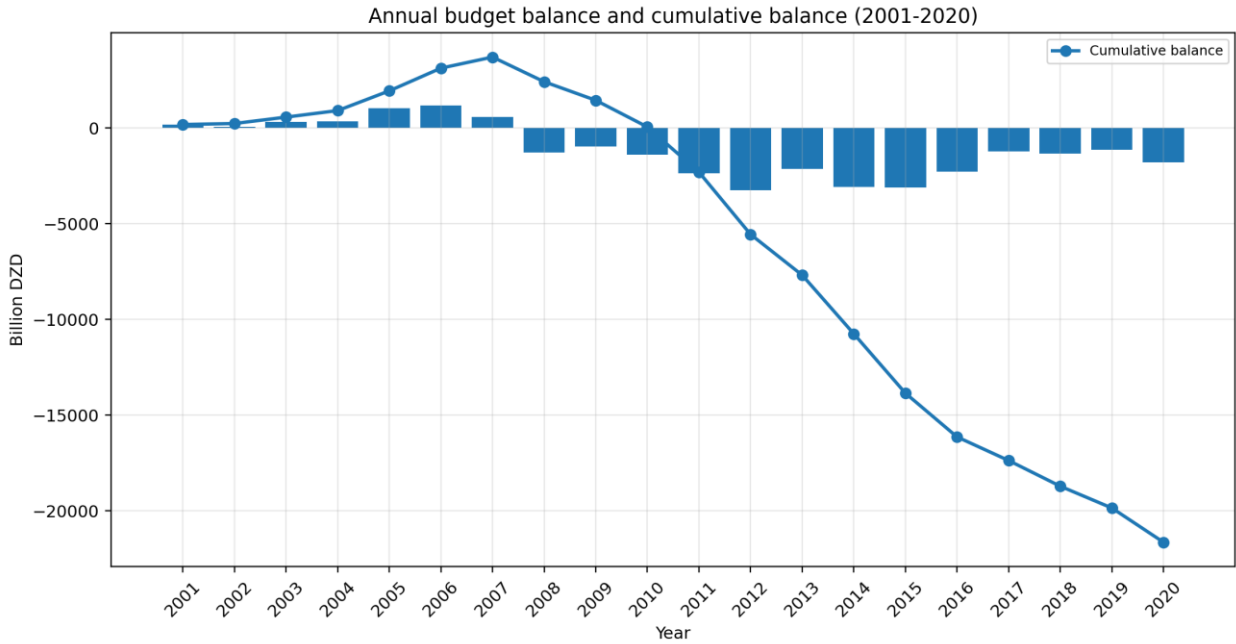
توضح السلسلة أن المشكلة لا تكمن فقط في تذبذب الجباية النفطية، بل في أن النفقات العامة، وخاصة الجارية منها، اكتسبت صلابة جعلت تخفيضها سريعا أمرا شديدا الكلفة اقتصاديا واجتماعيا. فعندما تراجع الجباية النفطية بعد 2008، كان من المفترض منطقيا أن يحدث تصحيح مماثل في النفقات، غير أن ذلك لم يحدث. وبدلا من ذلك، استمرت النفقات في الارتفاع أو بقيت عند مستويات مرتفعة، فتحوّلت الصدمة الإيرادية إلى عجز مالي واسع. ففي 2012 بلغ العجز 3254.1 مليار دج، وفي 2014 بلغ 3068.0 مليار دج، وفي 2015 بلغ 3103.8 مليار دج، وفي 2020 بلغ 1788.8 مليار دج.

هذا النمط يعكس ما يمكن تسميته بتأثير القفل المالي للربع النفطي. فخلال سنوات الوفرة ترفع الأجور، وتتوسع التحويلات، وتزداد التزامات التسيير والدعم، ثم تصبح هذه البنود أكثر صعوبة في التخفيض لاحقا عند انحسار المورد النفطي. وهكذا تتحول الإيرادات النفطية من مورد دوري إلى قاعدة لالتزامات إنفاقية شبه دائمة. وحين يهبط النفط، لا يحتفي التمويل فقط، بل تظهر الفجوة بين هيكل نفقات مترفع وهيكل إيرادات أقل مرونة، فتدخل الميزانية في عجز متكرر يتراكم سنة بعد أخرى.

وتؤكد معطيات نفقات التسيير هذه الصلابة بوضوح. فقد ارتفعت نفقات التسيير من 963.6 مليار دج سنة 2001 إلى 4677.2 مليار دج سنة 2017، كما ارتفعت وسائل الخدمات من 361.7 إلى 2496.9 مليار دج، والتدخلات العمومية من 454.4 إلى 2011.2 مليار دج. وهذه البنود تمثل أجورا، وتحويلات، ودعما، ومصاريف تشغيل، أي نفقات يصعب خفضها سريعا دون آثار اجتماعية وسياسية واقتصادية واسعة. لذلك فإن انخفاض الجباية النفطية لا يتحول إلى تقليص متناسب للإنفاق، بل إلى عجز مالي متراكم.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

الشكل (2-11): الرصيد السنوي للميزانية والرصد التراكمي للفائض/العجز، 2001-2020



المصدر: من إعداد الطالب بناء على معطيات الجدول أعلاه.

هذا وقد يثار اعتراض مفاده أن العجز في الموازنة العامة لا ينبغي تفسيره مباشرة باعتباره نتيجة لانخفاض الجباية النفطية، ما دام جزء من هذا العجز يمكن تغطيته من خلال الفارق بين الإيرادات النفطية الفعلية والإيرادات النفطية المحتسبة على أساس السعر المرجعي المعتمد في قانون المالية، والذي كان يوجه إلى صندوق ضبط الإيرادات. وهذا الاعتراض صحيح جزئياً من الناحية المؤسسية، لأن آلية الصندوق سمحت فعلاً خلال سنوات الوفرة بادخار جزء من الفوائض النفطية واستعماله لاحقاً لتخفيف أثر التراجع في الإيرادات الجارية. غير أن هذه الحقيقة لا تنقض جوهر التحليل، بل تؤكد بصورة أدق، لأن الصندوق لا يحرق المالية العمومية من التبعة للريع النفطي، وإنما يؤجل زمنياً ظهور هذه التبعة.

فمن الناحية الاقتصادية، لا يهم كثيراً ما إذا كان تمويل العجز يتم مباشرة من الجباية النفطية الجارية أو من فوائض نفطية سابقة أودعت في صندوق ضبط الإيرادات، لأن المصدر النهائي في الحالتين يظل هو الريع النفطي نفسه. وعليه، فإن استعمال الصندوق لتغطية العجز لا يعني وجود استقلال حقيقي للإنفاق العام عن النفط، بل يعني فقط أن هذا الاعتماد يتخذ شكلاً غير مباشر أو مؤجلاً. فحين تبنى الميزانية على سعر مرجعي منخفض نسبياً للنفط، ثم تتحقق أسعار فعلية أعلى، يحول الفرق إلى الصندوق في سنوات الرخاء. لكن إذا استمر مستوى الإنفاق، وخاصة الجاري منه، في التوسع أو الثبات عند مستويات مرتفعة، فإن الصندوق يتحول من أداة احترازية لتحقيق الاستقرار إلى وسيلة لتمويل إنفاق لم يعد متوافقاً مع قدرة الموارد العادية على تغطيته.

وتكمن المشكلة في أن هذه الآلية تصلح لامتناع الصدمات المؤقتة، لكنها لا تصلح لتمويل اختلال هيكلية دائم بين الإيرادات والنفقات. فإذا كانت النفقات العامة، ولا سيما نفقات التسيير، قد بنيت في سنوات الوفرة على

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

افتراض ضمني باستمرار الموارد النفطية المرتفعة، فإن انخفاض الجباية النفطية لا يؤدي فقط إلى تراجع الإيرادات الجارية، بل يكشف أيضا أن مستوى الإنفاق نفسه أصبح أعلى من المستوى الذي يمكن دعمه بصورة مستدامة. وفي هذه الحالة، يبدأ السحب من الصندوق سنة بعد أخرى إلى أن تتآكل أرصده، وعندما يظهر العجز في صورته الكاملة. لذلك فإن صندوق ضبط الإيرادات لا يلغي العجز البنوي، بل يؤخر انكشافه إلى أن تستنزف الوسادة المالية التي وفرتها سنوات الطفرة.

ومن ثم، فإن وجود صندوق ضبط الإيرادات لا يغير الاستنتاج الأساسي القائل بأن سياسة الإنفاق العام في الجزائر ظلت شديدة الارتباط بالجباية النفطية. بل يمكن القول إن الصندوق يثبت هذه العلاقة أكثر مما ينفقها، لأنه يمثل في جوهره قناة مؤسسية لإعادة توزيع الربح النفطي عبر الزمن: ادخار مؤقت في سنوات الارتفاع، ثم إعادة ضخ في سنوات التراجع. وعندما تستخدم هذه الفوائض النفطية السابقة للحفاظ على مستوى إنفاق مرتفع، وخاصة في بنوده الجارية الصلبة، فإن ذلك يعني أن منطق قناة الإنفاق يظل فاعلا حتى خارج سنة الوفرة نفسها. وهكذا، لا يختفي أثر النفط في تمويل الميزانية، بل ينتقل من التمويل الجاري المباشر إلى التمويل المؤجل عبر المدخرات النفطية المتراكمة.

وعليه، فإن الأدق منهجيا هو القول إن الصندوق يسمح بامتصاص مؤقت للفجوة بين الإيرادات والنفقات، لكنه لا يغير الطبيعة الربعية لتمويل الموازنة، ولا يمنع تحول انخفاض الجباية النفطية إلى عجز عندما يصبح الإنفاق العام، وخاصة الجاري منه، غير قابل للتخفيض بالسرعة نفسها، أو عندما تستنزف أرصدة الصندوق. وبهذا المعنى، فإن الصندوق لا يمثل خروجاً من منطق المرض الهولندي، بل يمثل أحد الأشكال التي يمكن عبرها تأجيل الأثر المالي لهذا المرض قبل أن يظهر مجدداً في صورة عجز وتمويل نقدي وضغوط على التوازنات الكلية.

ثالثاً: الجباية النفطية المقومة بالعملة الصعبة ودورها في نقل التأثير من قناة الإنفاق إلى قناة قيمة العملة أو سعر الصرف

الإيرادات النفطية لا تنشأ أصلاً بالدينار، بل تنشأ من صادرات المحروقات بالعملة الصعبة، ومن ثم فإن تمويل الإنفاق العام الداخلي يفترض وجود عملية مؤسسية ونقدية لتحويل هذه الموارد الأجنبية إلى سيولة محلية. عملياً، تدخل حصيلة الصادرات الهيدروكربونية إلى القناة الرسمية التي يهيمن عليها بنك الجزائر، فتسجل ضمن الأصول الخارجية أو ضمن التدفقات الخارجية المرتبطة بالنظام المالي الرسمي، ثم يتاح مقابلها بالدينار لوزارة المالية والخزينة حتى تتمكن الدولة من الإنفاق على الأجور والتحويلات والتجهيز والتسيير.

هذه العملية تعني أن الأصل الأولي الخارجي يستبدل بدينار محلي داخل الاقتصاد. وإذا كانت الدولة توسع إنفاقها بقوة في ظل هذه التدفقات، فإن تحويل الموارد الأجنبية إلى دينار لا يبقى مجرد إجراء محاسبي، بل يصبح مصدراً لزيادة السيولة المحلية. ومع اتساع الإنفاق الجاري، وخصوصاً نفقات التسيير، ينتقل الأثر من مجرد اتساع الموارد المالية إلى

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

اتساع الطلب النقدي المحلي. وإذا لم يقابل ذلك بتوسع مماثل في العرض المحلي المنتج، فإن جزءا من الأثر يظهر في ارتفاع الواردات، وجزء آخر يظهر في الضغوط التضخمية الداخلية.

وتنسجم هذه القراءة مع ما تبرزه تقارير صندوق النقد الدولي حول الجزائر، إذ تشير إلى أن فائض السيولة البنكية كان لفترات طويلة مرتبطا بعائدات الصادرات الهيدروكربونية وبالطريقة التي انتقلت بها هذه العائدات إلى الاقتصاد المحلي، كما تشير إلى أن المرونة المحدودة لسعر الصرف تضعف قدرة الاقتصاد على امتصاص صدمات أسعار النفط وتزيد أهمية القنوات البديلة للتكيف.

فقناة الإنفاق في تأثيرها الأولي المباشر تعني أن الربيع النفطي، بعد انتقاله إلى الموازنة، يولد طلبا داخليا مرتفعا عبر الإنفاق العام. لكن عندما تكون الإيرادات الأصلية بالعملة الصعبة، فإن تحويلها إلى دينار ثم ضخها في الاقتصاد المحلي يربط تلقائيا بين السياسة المالية والسياسة النقدية. وإذا كان سعر الصرف الاسمي مرنا بدرجة كافية، فإن جزءا من الصدمة النفطية قد يمتص عبر تعديل اسمي في العملة. غير أن الحالة الجزائرية تختلف، لأن نظام الصرف أقرب إلى التعويم المدار ذي السمات شبه المثبتة إداريا، وهو ما أكده صندوق النقد الدولي عندما وصف النظام الفعلي لسعر الصرف بأنه نظام الزحف التدريجي **crawling arrangement** مع تدخل قوي لبنك الجزائر في السوق¹.

ففي هذا السياق، فإن ارتفاع الإيرادات النفطية وتحويلها إلى دينار، بالتزامن مع توسع الإنفاق العام، يمكن أن يؤدي إلى تقدير حقيقي للعملة حتى من دون ارتفاع اسمي واضح في سعرها. فالنتيجة تظهر عبر ارتفاع الأسعار المحلية نسبيا، أو عبر تضخم الطلب على السلع غير المتبادلة، أو عبر استمرار إنفاق عام يرفع الكلفة الداخلية ويضعف القدرة التنافسية للقطاعات القابلة للتبادل. وهكذا ينتقل التأثير من قناة الإنفاق إلى قناة قيمة العملة: الأولى توسع الطلب وتحفز القطاعات غير المتبادلة، والثانية تضعف التنافسية الحقيقية للقطاعات المنتجة القابلة للتصدير.

هذا ومن باب التنبيه فقد أشارت تقارير البنك الدولي إلى أن تحسن الإيرادات الهيدروكربونية المقومة بالدينار في بعض السنوات كان مدفوعا أيضا بانخفاض قيمة الدينار الاسمية أمام الدولار، فهي كانت تلمح إلى أن سعر الصرف نفسه يدخل في تضخم الإيرادات المقومة محليا². وهذا يعني أن قناة قيمة العملة لا تعمل فقط من خلال التنافسية الخارجية، بل أيضا من خلال الأثر المحاسبي والمالي لتحويل الربيع الأجنبي إلى دينار.

رابعا: التركيب المشترك للقناتين في تفسير المرض الهولندي

إذا جمعنا ما سبق، فإن الحالة الجزائرية تقدم مثلا واضحا على تفاعل قناتين في آن واحد. فمن جهة أولى، قادت الجباية النفطية إلى توسيع الإنفاق العام، وخصوصا الجاري منه، بما رفع الطلب الداخلي ورسخ وزن الخدمات والإدارة والبناء والتجارة الداخلية. هذه هي قناة الإنفاق. ومن جهة ثانية، أدى تحويل الإيرادات النفطية الأجنبية إلى دينار، في

¹ International monetary fund(IMF) ; algeria : 2025 article IV consultation – staff report washington; dc;2025;p31.

² World bank ; algeria economic update ; may2024 ; Washington,DC,pp.1-9.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

ظل إدارة قوية لسعر الصرف، إلى ضغوط نقدية وسعوية وإلى إمكانية تدهور التنافسية الحقيقية عبر التقدير الحقيقي للعملة. هذه هي قناة قيمة العملة. وعندما تعمل القنوات معاً، يصبح المرض الهولندي أكثر عمقا: الموارد تنتقل إلى القطاعات غير المتبادلة، والقطاعات القابلة للتبادل تواجه بيئة أقل تنافسية.

وبالتالي إن أبرز ما تكشفه الأرقام هو أن المشكلة ليست فقط في كون النفط يمول الميزانية، بل في أن هذا التمويل يعاد ضحه في الاقتصاد بطريقة تعزز الطلب الجاري وتخلق التزامات يصعب التراجع عنها لاحقا. لذلك فإن انخفاض الجباية النفطية لا يؤدي إلى تصحيح سلس، بل إلى عجز تراكمي وتمويل ضاغط على التوازنات النقدية، في وقت يكون فيه سعر الصرف أقل مرونة من أن يمتص الصدمة بكفاءة. ومن ثم، فإن الاعتماد على النفط في الجزائر لا يفسر هشاشة المالية العامة وحدها، بل يفسر أيضا جزءا مهما من اختلال بنية الاقتصاد وتباطؤ التنويع وضعف مرونة التكيف الكلي.

المطلب الثالث : تحليل فعالية السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر في ضوء مضاعف الإنفاق ومضاعف التشغيل

يعد الإنفاق العام أحد أهم أدوات السياسة الاقتصادية التي تلجأ إليها الدولة للتأثير في مستوى النشاط الاقتصادي، سواء من خلال تنشيط الطلب الكلي، أو دعم الاستثمار، أو امتصاص الاختلالات الاجتماعية والاقتصادية، وفي مقدمتها البطالة وضعف النمو. غير أن الحكم على فعالية السياسة التوسعية للإنفاق العام لا يمكن أن يقتصر على ملاحظة الزيادة في حجمه فقط، بل يقتضي البحث في مدى قدرته الفعلية على توليد زيادة في الناتج وخلق فرص العمل. ومن هنا تبرز أهمية الاستعانة بمفهوم مضاعف الإنفاق ومضاعف التشغيل بوصفهما من أهم المؤشرات التي تسمح بقياس الأثر الحقيقي للإنفاق العام على الاقتصاد. فمضاعف الإنفاق يعبر عن حجم الزيادة التي يحدثها الإنفاق العام في الناتج، بما يسمح بتقييم مدى قدرة السياسة المالية التوسعية على تحريك النشاط الاقتصادي وتوسيع القاعدة الإنتاجية. أما مضاعف التشغيل، فيبرز مدى قدرة هذا الإنفاق على خلق فرص العمل، سواء بصورة مباشرة عبر التوظيف المرتبط بالإنفاق العمومي ذاته، أو بصورة غير مباشرة عبر ما يخلقه من طلب إضافي على السلع والخدمات. وبذلك، فإن الجمع بين هذين المؤشرين يتيح قراءة أكثر شمولاً لفعالية السياسة التوسعية، لأنه لا يكفي بقياس أثرها على النمو، بل يمتد أيضا إلى تقييم مردودها الاجتماعي والتشغيلي.

وعليه، يهدف هذا المطلب إلى تحليل فعالية السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر من خلال دراسة مضاعف الإنفاق ومضاعف التشغيل، باعتبارهما أداتين تسمحان بتقييم أثر الإنفاق العمومي على كل من الناتج والتشغيل. كما يسعى إلى إبراز ما إذا كان الإنفاق العام قد أدى إلى آثار اقتصادية وتشغيلية مرتفعة وفعالة، أم أن مردوده بقي محدودا بفعل الخصائص الهيكلية التي تميز الاقتصاد الجزائري.

أولا : تحليل فعالية السياسة التوسعية في ضوء مضاعف الإنفاق

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

$$أ- \text{ قيم مضاعف الإنفاق بالصيغة النظرية: } k = \frac{1}{\text{الميل الحدي للتسرب}}$$

تسمى هذه الفقرة إلى تقدير مضاعف الإنفاق العام بالاستناد إلى الصيغة النظرية، وذلك من خلال قياس حجم التسربات التي تحد من انتقال الأثر التوسعي للإنفاق داخل الدورة الاقتصادية. فوفقا للتحليل الكينزي، لا يتحدد حجم المضاعف بحجم الزيادة الأولية في الإنفاق فحسب، بل يتوقف أساسا على مقدار ما يتسرب من هذه الزيادة خارج الدائرة الداخلية لتوليد الدخل. وكلما ارتفعت هذه التسربات، انخفضت قدرة الإنفاق العام على إحداث زيادات متتابة في الناتج والدخل، والعكس صحيح.

وانطلاقا من هذا الأساس النظري، تم احتساب الميل الحدي للتسرب باعتباره مجموع كل من الميل الحدي للاادخار الوطني والميل الحدي للاستيراد. وقد استند حساب الميل الحدي للاادخار إلى استخدام الدخل الوطني المتاح الحقيقي والادخار الوطني الحقيقي، في حين تم احتساب الميل الحدي للاستيراد بالاعتماد على الواردات الحقيقية والناتج الحقيقي. وبهذه الطريقة أمكن التوصل إلى قيم مضاعف الإنفاق السنوي، ثم الانتقال إلى حساب المضاعف التراكمي بوصفه مؤشرا أكثر قدرة على استيعاب التأخر الزمني الذي يطبع انتقال أثر السياسة التوسعية للإنفاق العام في الاقتصاد الجزائري.

الجدول(2-4) : قيم مضاعف الإنفاق السنوي والتراكمي بالصيغة النظرية

الوحدة: مليار دج

السنة	الناتج الحقيقي	الدخل الوطني الحقيقي	الادخار الحقيقي	الواردات الحقيقية	الميل الحدي للاادخار	الميل الحدي للاستيراد	الميل الحدي للتسرب	مضاعف الإنفاق السنوي	المضاعف التراكمي
2001	4587,61	4569,90	1960,30	936,26					
2002	4835,06	4797,83	1999,21	1121,61	0,17	0,75	0,92	1,09	1,09
2003	5148,42	5148,13	2349,02	1180,10	1	0,19	1,19	0,84	0,9
2004	5383,60	5370,49	2585,66	1318,54	1,06	0,59	1,65	0,61	0,79
2005	5672,91	5594,63	2932,67	1401,23	1,55	0,29	1,83	0,55	0,73
2006	5835,86	5734,42	3164,83	1373,10	1,66	-0,17	1,49	0,67	0,72
2007	6019,62	6066,37	3386,65	1520,29	0,67	0,8	1,47	0,68	0,73
2008	6164,86	6240,95	3516,89	1744,19	0,75	1,54	2,29	0,44	0,69
2009	6282,19	6321,72	3015,73	1929,54	-6,2	1,58	-4,62	-0,22	0,84
2010	6532,43	6651,21	3368,96	2032,25	1,07	0,41	1,48	0,67	0,81
2011	6730,26	6786,67	3388,05	1931,41	0,14	-0,51	-0,37	-2,71	0,9
2012	6894,98	6945,31	3380,99	2191,46	-0,04	1,58	1,53	0,65	0,88
2013	7071,95	7057,33	3311,47	2406,37	-0,62	1,21	0,59	1,68	0,88
2014	7360,62	7346,47	3315,30	2605,17	0,01	0,69	0,7	1,42	0,92
2015	7590,64	7569,96	2985,26	2783,91	-1,48	0,78	-0,7	-1,43	1,05
2016	7889,44	7989,31	3166,55	2699,03	0,43	-0,28	0,15	6,75	1,13
2017	8007,49	8080,71	3204,64	2502,85	0,42	-1,66	-1,25	-0,8	1,23
2018	8123,83	8131,02	3326,13	2403,05	2,41	-0,86	1,56	0,64	1,25
2019	8201,37	8184,59	3179,20	2233,18	-2,74	-2,19	-4,93	-0,2	1,44
2020	7786,04	7794,17	2626,26	1875,69	1,42	0,86	2,28	0,44	2
2021	8082,82	8038,86	3123,16	1791,42	2,03	-0,28	1,75	0,57	1,72
2022	8377,56	8282,55	3716,27	1788,00	2,43	-0,01	2,42	0,41	1,43
2023	8718,95	8684,43	3564,77	2107,41	-0,38	0,94	0,56	1,79	1,48

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على إحصائيات ONS

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

وتبرز نتائج الجدول المتعلق بالمضاعف النظري عدة ملاحظات ذات دلالة تحليلية عميقة، فأول ما يلفت الانتباه هو أن القيم السنوية لمضاعف الإنفاق اتسمت بضعف نسبي وتذبذب واضح من سنة إلى أخرى، وهو ما يعكس محدودية الفعالية الفورية للسياسة التوسعية للإنفاق العام في الاقتصاد الجزائري، ولا يبدو هذا الضعف عرضيا أو مرتبطا بسنوات معزولة بل يكشف عن سمة بنيوية تتمثل في ارتفاع التسريبات من الدورة الاقتصادية ولا سيما التسرب نحو الخارج عبر الواردات.

فخلال السنوات التي شهدت ارتفاعا معتبرا في أسعار النفط، خاصة في الفترة الممتدة بين 2005 و2014، استفاد الاقتصاد الجزائري من تحسن ملحوظ في احتياطات الصرف نتيجة الارتفاع الاستثنائي في عوائد المحروقات، غير أن هذا التحسن لم يترجم بالقدر الكافي إلى توسع مواز في القدرة الإنتاجية المحلية بل صاحبه توسع كبير في الواردات. ونتيجة لذلك، امتص جزء معتبر من الزيادة في الطلب الكلي الناجمة عن التوسع في الإنفاق العام عبر السلع والخدمات المستوردة بدل أن يتحول إلى زيادة في الإنتاج المحلي، ويعكس هذا الوضع هشاشة البنية الإنتاجية الوطنية وضعف الترابطات القطاعية الداخلية فضلا عن أن جزءا واسعا من الاستثمارات العمومية المنجزة خلال تلك المرحلة كان موجها إلى مشاريع بنية تحتية ذات عائد إنتاجي مؤجل بحيث لم يكن أثرها مباشرا أو فوريا على الناتج.

ومن هذا المنطلق فإن انخفاض قيم المضاعف السنوي لا ينبغي فهمه باعتباره دليلا على عدم وجود أثر للإنفاق العام بل باعتباره مؤشرا على أن هذا الأثر كان مقيدا بقوة التسريبات، وخاصة التسرب نحو الواردات، فكلما كان الاقتصاد أقل قدرة على إشباع الطلب الإضافي من خلال إنتاجه المحلي كلما تراجع الأثر المضاعف للإنفاق وتحولت السياسة التوسعية إلى أداة لدعم الطلب أكثر من كونها أداة لرفع الناتج بنفس الدرجة.

غير أن الجدول يكشف أيضا عن ظاهرة أكثر تعقيدا تتمثل في ظهور قيم سالبة أو غير منسجمة نظريا لبعض الميول الحدية وما ترتب عليها من قيم سالبة أو مضطربة للمضاعف السنوية ومن الناحية النظرية البحتة، فإن ظهور مضاعف سالب لا ينسجم مع التوقعات الأساسية للنموذج الكينزي البسيط، الذي يفترض أن الزيادة الأولية في الإنفاق تفضي، بدرجات متفاوتة، إلى زيادة موجبة في الدخل. ومع ذلك، فإن هذه النتيجة لا ينبغي التعامل معها على أنها نقض لمفهوم المضاعف نفسه، بل بوصفها تعبيرا عن حدود التطبيق المباشر للصيغة النظرية على سلسلة سنوية قصيرة الأجل في اقتصاد شديد التعرض للصدمات والاختلالات الهيكلية.

ففي بعض السنوات، أدى تشديد القيود على الاستيراد أو تراجع التجارة الخارجية، كما حدث بعد انهيار أسعار النفط ابتداء من 2015 أو خلال فترة جائحة كوفيد، إلى انخفاض الواردات رغم أن الدخل لم يتحرك في الاتجاه نفسه أو بنفس السرعة، وهو ما أفرز ميلا حديا للاستيراد بقيم سالبة، وعلى نحو مماثل، فإن القيم السالبة للميل الحدي للدخار يمكن تفسيرها بوجود فترات تراجع فيها الادخار الحقيقي رغم ارتفاع الدخل أو استقراره، بسبب تآكل القدرة الشرائية، أو اللجوء إلى السحب من المدخرات السابقة للحفاظ على مستوى الاستهلاك، أو بسبب توسع الإنفاق العام على الأجور والتحويلات بما عزز الطلب الاستهلاكي بوتيرة فاقت نمو الدخل الحقيقي.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

وبالتالي، فإن هذه النتائج لا تدل فقط على اضطراب المؤشر، بل تكشف أيضا أن الاقتصاد الجزائري لا يستجيب بطريقة منتظمة أو خطية لمنطق المضاعف السنوي، لأن أثر السياسة التوسعية للإنفاق العام يتداخل فيه عدد من العوامل الظرفية والهيكلية، مثل صدمات أسعار النفط، والتحويلات في السياسة التجارية، وتذبذب التجارة الخارجية، والتغيرات في مستويات التضخم، وضعف استجابة العرض المحلي، وهذا ما يجعل من المضاعف السنوي مؤشرا مفيدا من حيث الدلالة الاتجاهية، لكنه غير كافٍ، بمفرده، لتفسير الأثر الحقيقي للإنفاق العام على المدى المتوسط والطويل. ومن هنا تبرز أهمية الانتقال إلى المضاعف التراكمي، الذي يعد أكثر ملاءمة لتحليل السياسة التوسعية للإنفاق العام في سياق اقتصاد مثل الاقتصاد الجزائري، فهذه السياسة لا تصاغ عادة في صورة تدخلات ظرفية قصيرة جدا، بل في شكل برامج وسياسات تمتد آثارها على عدة سنوات، وتكون نتائجها عرضة للتأخر الزمني وعدم التحقق الفوري، ولذلك فإن المضاعف التراكمي يسمح بتجاوز التشويش الذي تحدثه التذبذبات السنوية، ويعكس بصورة أدق الأثر المندمج للإنفاق العام عبر الزمن.

وتؤكد النتائج أن المضاعف التراكمي قدم قراءة أكثر منطقية واتساقا من القيم السنوية، فعلى الرغم من أن مستوياته لم تكن مرتفعة جدا، فإنه اتخذ اتجاهها تصاعديا نسبيا عبر الزمن، ما يعني أن أثر الإنفاق العام لم يكن منعزلا، بل كان بطيئا ومتدرجا، ويحتاج إلى فترة أطول حتى يتجسد بصورة أوضح في الناتج، ويعكس هذا الأمر طبيعة الاقتصاد الجزائري نفسه، حيث لا ينتقل أثر الإنفاق العمومي بسرعة إلى النشاط الإنتاجي بسبب ضعف القاعدة الصناعية، وارتفاع الميل إلى الاستيراد، وتأخر العائد الإنتاجي للاستثمارات العمومية، وضعف القدرة على تحويل الطلب الإضافي إلى إنتاج داخلي مباشر.

وتزداد أهمية هذا الاستنتاج عند ملاحظة أن القيمة القصوى للمضاعف التراكمي سجلت سنة 2020 عند مستوى يقارب 2، في حين لم يتجاوز المضاعف السنوي في السنة نفسها 0,4، وتوحي هذه المفارقة بأن أثر السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر لا يمكن اختزاله في الاستجابة اللحظية، لأن جزءا معتبرا من نتائجه يتراكم عبر الزمن، كما يمكن تفسير هذا التحسن النسبي، جزئيا، بالسياسات التجارية التي تم تبنيها منذ 2015 بهدف الحد من الاستيراد، سواء عبر تقليص رخص الاستيراد لبعض السلع غير الضرورية، أو من خلال توسيع قائمة المنتجات الممنوع استيرادها سنة 2018، ثم الانتقال لاحقا إلى الرسوم الوقائية الإضافية سنة 2019، وقد أسهمت هذه الإجراءات، على الأرجح، في تقليص التسرب الخارجي تدريجيا ما أتاح للاقتصاد الوطني الاحتفاظ بجزء أكبر من أثر الإنفاق العام داخل دائرته الداخلية.

ومن ثم، فإن النتائج التي أفرزها المضاعف التراكمي تؤكد بصورة أوضح من القيم السنوية أن فعالية السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر كانت رهينة بمدى التحكم في التسربات، وخاصة التسرب عبر الاستيراد، فضعف المضاعف لا يرجع فقط إلى طبيعة الإنفاق أو حجمه، بل إلى البيئة الاقتصادية التي يتحرك داخلها هذا الإنفاق، أي إلى بنية اقتصاد يتميز بضعف قدرته على الإشباع المحلي وباعتماده الكبير على الخارج في تلبية الطلب الداخلي. وعليه، فإن أي سياسة

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

توسعية للإنفاق العام، مهما كان حجمها، تظل محدودة الأثر إذا لم تتوافق مع تقوية القاعدة الإنتاجية المحلية وتقليص الميل إلى الاستيراد.

وخلاصة القول إن تحليل مضاعف الإنفاق بالصيغة النظرية يكشف أن محدودية فعالية الإنفاق العام في الجزائر ترتبط ارتباطا وثيقا بارتفاع الميل الحدي للتسرب، وخاصة الميل الحدي للاستيراد، وإذا كانت القيم السنوية قد بدت مضطربة وغير مستقرة، فإن القيم التراكمية قدمت تفسيراً أكثر انسجاماً مع الواقع الاقتصادي، وأظهرت أن أثر الإنفاق العام ليس منعزلاً، لكنه يتسم بالتدرج والتأخر، ويظل مقيداً بالبنية الربعية للاقتصاد الوطني وبضعف قدرته على احتواء الطلب الإضافي داخل الدورة الإنتاجية المحلية.

$$\text{ب- قيم مضاعف الإنفاق بالصيغة التطبيقية: } k = \frac{\delta y}{\delta G}$$

تظهر نتائج مضاعف الإنفاق التطبيقي المحسوب على أساس العلاقة بين التغير في الناتج الحقيقي والتغير في الإنفاق العام الحقيقي. أن فعالية السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر لا يمكن الحكم عليها من خلال قراءة القيم السنوية المجردة فقط لأن هذا المؤشر يتسم بدرجة عالية من الحساسية تجاه التقلبات السنوية في كل من الناتج والإنفاق، وفي حين يكون التغير في الإنفاق العام الحقيقي محدوداً جداً أو سالباً في بعض السنوات. فإن قيمة المضاعف السنوي تصبح شديدة التأثير حسابياً. وقد تأخذ قيمة سالبة أو مرتفعة بصورة لا تعكس بالضرورة حقيقة الأثر الاقتصادي للإنفاق العام. بقدر ما تعكس هشاشة المؤشر نفسه عند تطبيقه على سلسلة زمنية تتخللها صدمات ظرفية واختلالات هيكلية.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

الجدول (2-5): قيم مضاعف الإنفاق السنوي والتراكمي بالصيغة التطبيقية

الوحدة: مليار دج

السنة	الناتج الحقيقي	الإنفاق العام الحقيقي	ΔY	ΔG	مضاعف الإنفاق السنوي	التراكمي ΔY منذ 2001	التراكمي ΔG منذ 2001	مضاعف الإنفاق التراكمي
2001	4 587,607	1 321,028				-	-	
2002	4 835,061	1 529,237	247,454	208,209	1,188	247,454	208,209	1,188
2003	5 148,424	1 484,511	313,363	(44,726)	-7,006	560,817	163,483	3,430
2004	5 383,599	1 535,553	235,175	51,042	4,607	795,992	214,525	3,710
2005	5 672,915	1 484,116	289,316	(51,437)	-5,625	1 085,308	163,088	6,655
2006	5 835,865	1 601,190	162,950	117,074	1,392	1 248,258	280,162	4,455
2007	6 019,616	1 894,645	183,751	293,455	0,626	1 432,009	573,617	2,496
2008	6 164,859	2 217,298	145,243	322,653	0,450	1 577,252	896,270	1,760
2009	6 282,191	2 423,457	117,332	206,159	0,569	1 694,584	1 102,429	1,537
2010	6 532,430	2 207,239	250,239	(216,218)	-1,157	1 944,823	886,211	2,195
2011	6 730,261	2 474,261	197,831	267,022	0,741	2 142,654	1 153,233	1,858
2012	6 894,983	2 762,443	164,722	288,182	0,572	2 307,376	1 441,415	1,601
2013	7 071,949	2 336,707	176,967	(425,736)	-0,416	2 484,342	1 015,679	2,446
2014	7 360,622	2 673,494	288,673	336,787	0,857	2 773,015	1 352,466	2,050
2015	7 590,637	3 079,930	230,014	406,436	0,566	3 003,030	1 758,902	1,707
2016	7 889,444	2 909,395	298,808	(170,535)	-1,752	3 301,837	1 588,367	2,079
2017	8 007,490	2 767,845	118,046	(141,550)	-0,834	3 419,883	1 446,817	2,364
2018	8 123,826	2 769,707	116,336	1,863	62,461	3 536,219	1 448,679	2,441
2019	8 201,372	2 748,295	77,546	(21,412)	-3,622	3 613,765	1 427,267	2,532
2020	7 786,038	2 571,490	(415,334)	(176,805)	2,349	3 198,431	1 250,462	2,558
2021	8 082,821	2 607,676	296,782	36,187	8,201	3 495,214	1 286,648	2,717
2022	8 377,562	2 578,259	294,742	(29,417)	-10,019	3 789,955	1 257,231	3,015
2023	8 718,949	3 573,485	341,386	995,225	0,343	4 131,342	2 252,457	1,834
وسط الفترة	6 839,066	2 328,316	187,788	102,384	2,477	2 251,459	1 007,288	2,574

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على إحصائيات ONS

ومن هذا المنطلق، فإن أول ما يستخلص من الجدول هو أن المضاعف السنوي لا يقدم صورة مستقرة عن مردودية السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر، فالقيم المسجلة لا تتبع مساراً منتظماً، بل تتسم بتذبذب واضح من سنة إلى أخرى، وهو ما يدل على أن الأثر الفوري للإنفاق العام على الناتج الحقيقي لم يكن أثراً ثابتاً أو قابلاً للتنبؤ بسهولة، ولا يعود ذلك فقط إلى طريقة الحساب، بل يرتبط أيضاً بطبيعة الاقتصاد الجزائري نفسه، الذي يتسم بحساسية قوية تجاه الصدمات الخارجية، ولا سيما صدمات أسعار النفط وبعتماده الواسع على الإنفاق العمومي كأداة رئيسية لتنشيط الطلب، في ظل قاعدة إنتاجية محدودة القدرة على الاستجابة السريعة لهذا الطلب.

كما أن قراءة القيم السنوية تكشف أن الإنفاق العام في الجزائر لم يكن ينتقل إلى الناتج الحقيقي بطريقة آنية ومنتظمة، ففي عدد من السنوات، ارتفع الناتج الحقيقي رغم تراجع الإنفاق العام الحقيقي أو ضعف نموه، وفي سنوات أخرى اتسع الإنفاق الحقيقي دون أن يظهر أثر متناسب له على الناتج في الفترة نفسها، ويعني ذلك أن العلاقة بين المتغيرين

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

ليست علاقة خطية بسيطة، بل علاقة تتداخل فيها عوامل عديدة، من بينها طبيعة الإنفاق نفسه، ودرجة تأخر أثره، وحجم التسربات من الدورة الاقتصادية، إضافة إلى قدرة الجهاز الإنتاجي المحلي على تحويل الطلب الإضافي إلى إنتاج فعلي.

وفي هذا الإطار، فإن ضعف المضاعف السنوي أو اضطرابه لا ينبغي تفسيره باعتباره دليلاً على انعدام أثر الإنفاق العام، بل ينبغي فهمه في ضوء البنية الاقتصادية الجزائرية التي تجعل جانبا معتبرا من الإنفاق الإضافي يتسرب نحو الاستيراد أو يظل موجهاً إلى بنود ذات مردودية متأخرة، مثل بعض مشاريع البنية التحتية أو نفقات التسيير والتحويلات. وبالتالي، فإن الأثر الفوري للإنفاق العام يبقى محدوداً نسبياً، لأن جزءاً من الزيادة في الطلب لا يتحول مباشرة إلى زيادة في الناتج الحقيقي المحلي، بل يمتص عبر قنوات أخرى لا تعزز الإنتاج بالسرعة نفسها.

ومن هنا تبرز أهمية المضاعف التراكمي باعتباره مؤشراً أكثر ملاءمة لتحليل فعالية السياسة التوسعية للإنفاق العام في حالة الجزائر، فهذه السياسة لم تمارس في شكل تدخلات قصيرة ومعزولة، بل اتخذت طابعاً ممتداً عبر الزمن، في إطار برامج ومخططات إنفاق تعاقبت آثارها على عدة سنوات. ولهذا فإن الاقتصار على المضاعف السنوي قد يؤدي إلى التقليل من أثر السياسة أو إلى تشويبه، بينما يسمح المضاعف التراكمي بالتقاط الأثر المندمج للإنفاق العام، بعيداً عن الاضطرابات الظرفية التي تشوه القراءة السنوية.

وتشير القيم التراكمية، بخلاف القيم السنوية، إلى وجود أثر إيجابي أكثر اتساقاً للإنفاق العام على الناتج الحقيقي، وإن ظل هذا الأثر محدوداً نسبياً مقارنة بحجم الموارد العمومية التي جرى تعبئتها، وهذا يعني أن السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر لم تكن عديمة المردود، لكنها لم تبلغ أيضاً مستوى الكفاءة الذي يجعلها أداة عالية الفعالية في توليد نمو حقيقي مستدام. وبعبارة أخرى، فإن الإنفاق العام ساهم في دعم الناتج الحقيقي على المدى الأطول، لكنه لم يفعل ذلك بدرجة تعكس فعالية قوية ومستمرة، وهو ما ينسجم مع طبيعة الاقتصاد الجزائري بوصفه اقتصاداً يتسم بارتفاع التسربات وضعف الترابطات الإنتاجية الداخلية.

ويزداد هذا الاستنتاج وجاهة إذا ما قورن حجم الإنفاق العام الحقيقي بالتطور الفعلي للناتج الحقيقي، فالمعطيات لا توحي بأن كل زيادة معتبرة في الإنفاق العام كانت تقود بالضرورة إلى زيادة مماثلة في الناتج، بل على العكس، تكشف أن مردودية هذا الإنفاق ظلت محدودة نسبياً، ويعود ذلك إلى أن السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر كانت تعمل داخل بيئة اقتصادية تتسم بضعف التنوع، وبسيطرة الواردات على جانب معتبر من تلبية الطلب الداخلي، وببطء انتقال أثر الاستثمار العمومي إلى النشاط الإنتاجي، ولهذا فإن جزءاً من الإنفاق الإضافي كان يترجم إلى دعم الطلب أكثر من ترجمته إلى توسيع فعلي للطاقة الإنتاجية المحلية.

ومن هذا المنظر، يمكن القول إن المؤشر التطبيقي لمضاعف الإنفاق يؤكد وجود فعالية جزئية للسياسة التوسعية للإنفاق العام، لكنه يكشف في الوقت نفسه حدود هذه الفعالية. فهي فعالية قائمة من حيث المبدأ، لأن الإنفاق العام لم يكن

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

عديم الأثر على الناتج الحقيقي، لكنها فعالية محدودة من حيث الحجم والاستقرار، لأن هذا الأثر لم يكن قويا بما يكفي، ولا ثابتا بما يسمح باعتبار السياسة التوسعية أداة ذات كفاءة مرتفعة في تحفيز النمو الحقيقي.

وعليه، فإن الاستنتاج الأكثر دقة هو أن السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر أظهرت فعالية اقتصادية نسبية، لكنها بقيت محكومة بقيود هيكلية حدثت من مردودها الحقيقي. فالتذبذب الكبير في المضاعف السنوي من جهة، واعتدال المضاعف التراكمي من جهة ثانية، يدلان على أن أثر الإنفاق العام ظل أقل من المستوى المأمول، لا بسبب غياب الإنفاق، بل بسبب محدودية قدرة الاقتصاد الوطني على الاحتفاظ بأثر هذا الإنفاق داخل دائرته الإنتاجية. وبهذا المعنى، فإن ضعف فعالية السياسة التوسعية لا يفسر فقط بحجم الإنفاق أو بتقلباته، بل يفسر أساسا بطبيعة البنية الاقتصادية التي لم تسمح بتحويل هذا الإنفاق إلى نمو حقيقي مرتفع ومستقر.

وخلاصة القول، فإن تحليل مضاعف الإنفاق التطبيقي، في بعديه السنوي والتراكمي، يبين أن السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر كانت ذات أثر إيجابي، ولكنها لم تكن ذات فعالية عالية أو مستقرة، فالمضاعف السنوي عكس هشاشة الاستجابة قصيرة الأجل، في حين كشف المضاعف التراكمي عن أثر أكثر اتساقا على المدى الطويل، لكنه ظل دون مستوى يعكس قدرة قوية للإنفاق العام على توليد نمو حقيقي مستدام. ومن ثم، فإن هذا المؤشر يقود إلى نتيجة مفادها أن السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر كانت محدودة الفعالية، لا لضعف الإنفاق في حد ذاته، بل لأن البيئة الاقتصادية التي اشتغل داخلها هذا الإنفاق كانت تعاني من اختلالات بنيوية قلصت من قدرته على إحداث أثر مضاعف مرتفع ومستقر.

ثانيا: تحليل فعالية السياسة التوسعية للإنفاق في ضوء مضاعف التشغيل وتكلفة خلق فرص العمل بالقيم الاسمية والحقيقية

يكشف الجمع بين مضاعف التشغيل وتكلفة خلق فرصة العمل. في صيغتهما الاسمية والحقيقية. أن تقييم فعالية السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر لا ينبغي أن يقتصر على قياس عدد الوظائف التي ارتبطت بزيادة الإنفاق العمومي. بل يجب أن يمتد أيضا إلى تقدير الكلفة الاقتصادية والمالية التي تحملتها الدولة لإحداث تلك الزيادة في التشغيل. فمضاعف التشغيل يبين عدد العمال الإضافيين الذين ارتبطوا بكل زيادة في الإنفاق العام. أما تكلفة خلق فرصة العمل. بوصفها المقلوب الاقتصادي لهذا المؤشر. فتكشف مقدار الإنفاق المطلوب لخلق عامل إضافي واحد. وبذلك. فإن المؤشرين معا يقدمان قراءة أكثر اكتمالا: الأول يجيب عن سؤال كم وظيفة أوجدها الإنفاق العام؟ والثاني يجيب عن سؤال بأي تكلفة تم ذلك؟

أ- التحليل بالقيم الاسمية:

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

الجدول (2-6): قيم مضاعف التشغيل بالقيم الاسمية

السنة	حجم التشغيل (عامل)	الإنفاق العام الاسمي (مليار دج)	ΔL	ΔG	مضاعف التشغيل السنوي	تكلفة خلق فرصة العمل السنوية (دج/عامل)	التراكمي ΔL	التراكمي ΔG	مضاعف التشغيل التراكمي	تكلفة خلق فرصة العمل التراكمية (دج/عامل)
2001	6 220 000	1321,03					-	-		
2003	6 680 000	1639,27	460000,00	318,24	1445,46	691820	460000,00	318,24	1445,46	691820
2004	7 790 000	1888,93	1110000,00	249,67	4445,96	224923	1570000,00	567,90	2764,56	361721
2005	8 040 000	2052,04	250000,00	163,11	1532,74	652428	1820000,00	731,01	2489,71	401653
2006	8 860 000	2453,01	820000,00	400,98	2045,01	488996	2640000,00	1131,99	2332,18	428783
2007	8 590 000	3108,67	-270000,00	655,66	-411,80	-2428352	2370000,00	1787,64	1325,77	754279
2008	9 140 000	4191,05	550000,00	1082,38	508,14	1967971	2920000,00	2870,03	1017,41	982885
2009	9 460 000	4246,33	320000,00	55,28	5788,61	172753	3240000,00	2925,31	1107,58	902872
2010	9 730 000	4466,94	270000,00	220,61	1223,90	817059	3510000,00	3145,91	1115,73	896271
2011	9 590 000	5853,57	-140000,00	1386,63	-100,96	-9904493	3370000,00	4532,54	743,51	1344968
2012	10 170 000	7058,17	580000,00	1204,60	481,49	2076903	3950000,00	5737,15	688,50	1452442
2013	10 788 000	6024,13	618000,00	-1034,04	-597,65	-1673207	4568000,00	4703,10	971,27	1029576
2014	10 402 500	6995,77	-385500,00	971,64	-396,75	-2520462	4182500,00	5674,74	737,04	1356782
2015	10 594 000	7656,33	191500,00	660,56	289,90	3449410	4374000,00	6335,30	690,42	1448400
2016	10 870 000	7297,49	276000,00	-358,84	-769,15	-1300134	4650000,00	5976,47	778,05	1285262
2017	10 813 500	7282,63	-56500,00	-14,86	3801,13	263080	4593500,00	5961,60	770,51	1297834
2018	11 024 500	7732,07	211000,00	449,44	469,47	2130047	4804500,00	6411,04	749,41	1334383
2019	11 281 000	7741,35	256500,00	9,28	27654,99	36160	5061000,00	6420,32	788,28	1268587
2020	10 850 000	6902,89	-431000,00	-838,46	514,04	1945378	4630000,00	5581,86	829,47	1205585
2021	11 100 000	8113,03	250000,00	1210,14	206,59	4840572	4880000,00	6792,00	718,49	1391804
2022	11 500 000	9858,43	400000,00	1745,40	229,17	4363505	5280000,00	8537,40	618,45	1616933
2023	11 800 000	13786,83	300000,00	3928,40	76,37	13094653	5580000,00	12465,80	447,62	2234014

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على إحصائيات ONS

تبين القيم الاسمية، في المقام الأول، أن السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر ساهمت في دعم التشغيل كميًا، سواء عبر التشغيل المباشر الناتج عن توسع الدولة نفسها في التوظيف والإنفاق الجاري، أو عبر التشغيل غير المباشر الذي تولده زيادة الطلب على قطاعات مرتبطة بالإنفاق العمومي، مثل البناء والخدمات والنقل وبعض الأنشطة التجارية. غير أن هذه القراءة الاسمية، رغم فائدتها في إبراز العبء المالي الظاهر الذي تتحمله الدولة، تبقى معرضة لتأثير التضخم وارتفاع القيم النقدية، فالزيادة في الإنفاق الاسمي لا تعني بالضرورة زيادة فعلية في الجهد الاقتصادي المبذول لخلق الوظائف، لأن جزءًا من هذه الزيادة قد يكون مجرد انعكاس لارتفاع الأسعار والأجور وتكاليف التسيير وليس لتوسع حقيقي في الاستثمار أو في القدرة على خلق العمل.

ومن هذه الزاوية، تسمح القيم الاسمية بفهم تكلفة خلق فرصة العمل من منظور مالي مباشر، فإذا كان مضاعف التشغيل الاسمي ضعيفًا، فهذا يعني أن زيادة معتبرة في الإنفاق العام لم تولد إلا أعدادًا محدودة من الوظائف، أي أن تكلفة خلق الوظيفة الواحدة كانت مرتفعة. أما إذا ارتفع المضاعف، فإن عدد العاملين الإضافيين يكون أكبر نسبيًا مقارنة بالزيادة في الإنفاق، فتتخفف التكلفة الاسمية لخلق الوظيفة، إلا أن النتائج العامة لا توحى بوجود فعالية مرتفعة أو مستقرة؛ إذ يبدو أن الدولة احتاجت في كثير من الأحيان إلى زيادات معتبرة في الإنفاق الاسمي حتى تحقق مكاسب تشغيلية محدودة نسبيًا، وهذا ما يدل على أن السياسة التوسعية كانت تدعم التشغيل، ولكن بتكلفة مالية مرتفعة نسبيًا، وهو ما يضعف كفاءتها إذا نظر إليها من زاوية الاستخدام الأمثل للموارد العمومية.

كما تكشف القراءة الاسمية أن جزءًا من أثر الإنفاق على التشغيل كان يتركز في وظائف مرتبطة بالقطاع العام نفسه أو بالأنشطة التي يغذيها الطلب العمومي، أكثر من تركزه في قطاعات إنتاجية قادرة على توليد فرص عمل ذات

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

مردودية أعلى واستدامة أكبر. ومن ثم، فإن زيادة التشغيل الاسمي المرتبطة بارتفاع الإنفاق لا ينبغي تفسيرها بوصفها دليلا على فعالية اقتصادية مرتفعة، بل قد تعكس في جزء منها توسعا في تشغيل منخفض الإنتاجية أو محدود الأثر من حيث القيمة المضافة. وهذا الاستنتاج مهم لأنه يعني أن ارتفاع عدد المشتغلين، في حد ذاته، لا يكفي للحكم على نجاح السياسة التوسعية ما لم يقترن أيضا بانخفاض معقول في تكلفة خلق الوظيفة وتحسن في جودة التشغيل نفسه.

ب- القيم الحقيقية:

الجدول (2-7): قيم مضاعف التشغيل بالقيم الحقيقية

السنة	حجم التشغيل (عامل)	الإنفاق العام الحقيقي (مليار دج)	ΔL	ΔG	مضاعف التشغيل السنوي	تكلفة خلق فرصة العمل السنوية (دج/عامل)	التراكمي ΔL	التراكمي ΔG	مضاعف التشغيل التراكمي	تكلفة خلق فرصة العمل التراكمية (دج/عامل)
2001	6220000,00	1321,03					0,00	0,00		
2003	6680000,00	1484,51	460000,00	163,48	2813,75	355397,17	460000,00	163,48	2813,75	355397,17
2004	7790000	1535,55	1110000,00	51,04	21746,63	45984,14	1570000,00	214,53	7318,49	136640,19
2005	8040000	1484,12	250000,00	-51,44	-4860,31	-205748,35	1820000,00	163,09	11159,62	89608,80
2006	8860000	1601,19	820000,00	117,07	7004,10	142773,43	2640000,00	280,16	9423,11	106122,05
2007	8590000	1894,65	-270000,00	293,46	-920,07	-1086870,61	2370000,00	573,62	4131,67	242032,61
2008	9140000	2217,30	550000,00	322,65	1704,62	586641,67	2920000,00	896,27	3257,95	306941,85
2009	9460000	2423,46	320000,00	206,16	1552,20	644247,13	3240000,00	1102,43	2938,96	340255,95
2010	9730000	2207,24	270000,00	-216,22	-1248,74	-800808,61	3510000,00	886,21	3960,68	252481,76
2011	9590000	2474,26	-140000,00	267,02	-524,30	-1907298,47	3370000,00	1153,23	2922,22	342205,56
2012	10170000	2762,44	580000,00	288,18	2012,62	496865,31	3950000,00	1441,41	2740,36	364915,10
2013	10788000	2336,71	618000,00	-425,74	-1451,60	-688893,04	4568000,00	1015,68	4497,49	222346,48
2014	10402500	2673,49	-385500,00	336,79	-1144,64	-873637,64	4182500,00	1352,47	3092,50	323363,07
2015	10594000	3079,93	1915000,00	406,44	471,17	2122381,32	4374000,00	1758,90	2486,78	402126,67
2016	10870000	2909,40	276000,00	-170,53	-1618,44	-617879,53	4650000,00	1588,37	2927,53	341584,37
2017	10813500	2767,84	-56500,00	-141,55	399,15	2505317,52	4593500,00	1446,82	3174,90	314970,47
2018	11024500	2769,71	211000,00	1,86	113286,17	8827,20	4804500,00	1448,68	3316,47	301525,53
2019	11281000	2748,30	256500,00	-21,41	-11979,12	-83478,58	5061000,00	1427,27	3545,94	282012,87
2020	10850000	2571,49	-431000,00	-176,81	2437,71	410221,14	4630000,00	1250,46	3702,63	270078,15
2021	11100000	2607,68	250000,00	36,19	6908,64	144746,19	4880000,00	1286,65	3792,80	263657,46
2022	11500000	2578,26	400000,00	-29,42	-13597,49	-73542,99	5280000,00	1257,23	4199,70	238111,97
2023	11800000	3573,48	300000,00	995,23	301,44	3317418,20	5580000,00	2252,46	2477,30	403666,07

المصدر: من إعداد الطالب على إحصائيات ONS

أما عند الانتقال إلى القيم الحقيقية، فهو يمنح التحليل طابعا أكثر صرامة، لأنه يسمح بتحديد أثر التضخم واستخلاص الكلفة الحقيقية لخلق الوظائف. فعندما نقيس مضاعف التشغيل على أساس الإنفاق العام الحقيقي، فإننا لا نسأل فقط عن عدد الوظائف التي ارتبطت بالإنفاق، بل نسأل عن عدد الوظائف التي تولدت عن زيادة فعلية في الإنفاق العام، أي عن جهد إنفاقي حقيقي لا اسمي. ومن هذا المنظور، تبدو النتائج أكثر دلالة اقتصاديا، لأنها تكشف أن أثر الإنفاق العام على التشغيل كان موجودا لكنه ظل محدودا وغير مستقر.

فالمضاعف الحقيقي لا يعكس قدرة مرتفعة ومستمرة للإنفاق العام على توليد التشغيل بل يشير إلى أن خلق الوظيفة في الجزائر كان يتطلب زيادات معتبرة في الإنفاق الحقيقي، وهو ما يعني أن تكلفة خلق فرصة العمل الحقيقية كانت مرتفعة نسبيا، وهذه النتيجة أكثر أهمية من القراءة الاسمية، لأنها تدل على أن جزءا معتبرا من الإنفاق العمومي لم يتحول بكفاءة إلى وظائف جديدة، حتى بعد استبعاد أثر التضخم. وبذلك، فإن القراءة الحقيقية تؤكد أن السياسة التوسعية للإنفاق العام لم تكن عديمة الجدوى، لكنها لم تكن أيضا ذات كفاءة عالية في تحويل الموارد المنفقة إلى مكاسب تشغيلية واسعة ومستدامة.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

ويعود هذا الوضع إلى جملة من الأسباب البنوية، أولها أن جزءا معتبرا من الإنفاق العام في الجزائر كان يمر عبر نفقات التسيير والتحويلات، وهي بنود تدعم التشغيل المباشر أو تحافظ على التشغيل القائم، لكنها لا تخلق دائما توسعا قويا في التشغيل الإنتاجي طويل الأجل. وثانيها أن البنية الاقتصادية الوطنية ظلت تعاني من ضعف التنوع ومحدودية قدرة القطاعات المنتجة على استيعاب الطلب الإضافي الذي يخلقه الإنفاق العام. وثالثها أن التسرب نحو الواردات ظل مرتفعا نسبيا، بما يعني أن جزءا من الأثر التوسعي للإنفاق كان يتسرب خارج الدورة الاقتصادية المحلية بدل أن يتحول إلى تشغيل داخلي مباشر أو غير مباشر.

ومن هنا، فإن التمييز بين التشغيل المباشر والتشغيل غير المباشر يصبح ضروريا لفهم المؤشر، فالدولة كانت قادرة، إلى حد ما، على خلق وظائف مباشرة من خلال التوظيف العمومي أو من خلال الإنفاق على المشاريع والبرامج، لكن قدرتها على توليد تشغيل غير مباشر واسع وعالي الكفاءة كانت أضعف، لأن ذلك يتطلب وجود جهاز إنتاجي مرن ومتنوع وقادر على التفاعل مع الطلب العمومي. وحين تغيب هذه الشروط، فإن أثر الإنفاق على التشغيل يبقى محصورا نسبيا، وتصبح تكلفة خلق الوظيفة أعلى، لأن الاقتصاد لا ينجح في تعظيم الأثر غير المباشر للإنفاق كما تفترضه النماذج النظرية في الاقتصادات الأكثر تكاملا.

كما أن التمييز بين المؤشرات السنوية والمؤشرات التراكمية يظل أساسيا هنا، فالقيم السنوية، سواء لمضاعف التشغيل أو لتكلفة خلق الوظيفة، تتأثر بقوة بالتقلبات القصيرة الأجل، وقد تبدو أحيانا سالبة أو مرتفعة جدا عندما يكون التغير في الإنفاق أو التشغيل ضعيفا أو في اتجاه معاكس، أما القيم التراكمية، فهي أكثر قدرة على التقاط الأثر الممتد للسياسة التوسعية عبر الزمن، ولذلك تقدم صورة أكثر اتساقا، ومن هذه الزاوية، فإن الأثر التراكمي للإنفاق العام على التشغيل يبدو أوضح من الأثر السنوي، لكنه مع ذلك لا يصل إلى مستوى يعكس فعالية مرتفعة أو تكلفة منخفضة لخلق الوظائف. فحتى حين يظهر أثر إيجابي على التشغيل في المدى الأطول، فإن التكلفة التراكمية لخلق فرصة العمل تظل مرتفعة نسبيا، بما يعكس محدودية مردود الإنفاق العمومي في تحويل الموارد المالية إلى تشغيل فعلي واسع ومستدام.

وعليه، فإن التحليل المقارن بين القيم الاسمية والحقيقية يقود إلى نتيجة مركبة، فمن جهة أولى، يتبين أن الإنفاق العام في الجزائر لعب دورا مهما في دعم التشغيل وامتصاص جزء من الضغوط التي عرفها سوق العمل، سواء عبر الوظائف المباشرة أو عبر الأثر غير المباشر للطلب العمومي. ومن جهة ثانية، يتضح أن هذا الدور كان مرتفع الكلفة نسبيا، وأن فعاليته كانت أقل مما قد توحي به الكتلة الكبيرة للإنفاق العمومي، فالقراءة الاسمية تكشف العبء المالي الظاهر لخلق الوظائف، لكنها قد تضخم الأثر بسبب الأسعار. أما القراءة الحقيقية، فهي تؤكد أن الإنفاق العام كان يخلق وظائف فعلا، لكن بكفاءة أقل واستقرار أضعف، ما يعني أن التكلفة الحقيقية لخلق الوظيفة بقيت مرتفعة.

وخلاصة القول، فإن دمج تحليل مضاعف التشغيل مع تحليل تكلفة خلق فرصة العمل يبين أن السياسة التوسعية للإنفاق العام في الجزائر أسهمت في خلق فرص عمل مباشرة وغير مباشرة، لكنها لم تفعل ذلك بدرجة عالية من الفعالية، فالمضاعف يعكس وجود أثر موجب، لكنه أثر متذبذب وغير مستقر، في حين تكشف تكلفة خلق الوظيفة

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

أن هذا الأثر تحقق مقابل إنفاق مرتفع نسبيا، ومن ثم، فإن الحكم الاقتصادي السليم هو أن الإنفاق العام كان أداة مهمة لدعم التشغيل، لكنه لم يكن أداة عالية الكفاءة في خلق فرص عمل مستدامة ومنخفضة التكلفة الحقيقية، بسبب القيود البنوية التي حدثت من قدرة الاقتصاد الوطني على تحويل التوسع في الإنفاق إلى توسع مماثل في التشغيل المنتج.

المطلب الرابع: بعض البرامج المباشرة المقدمة من طرف الحكومة للتخفيف من حدة البطالة:

بعدما تفاقمت البطالة في الجزائر وتجاوزت معدلاتها المعقولة. وخصوصا في فترة التسعينات. كان لزاما على الحكومة الجزائرية أن تتدخل بطرق شتى وبتخاذ إجراءات وترتيبات مباشرة استعجالية للحد من زيادة نفشي الظاهرة أكثر. ولتقلل من آثارها السلبية. وفيما يلي بعض البرامج التي أطلقتها الدولة بغية تحقيق هذا الهدف:

أولا: الأشغال ذات المنفعة العامة وذات الاستعمال المكثف لليد العاملة

أنشأ هذا الجهاز سنة 1997 ويهدف إلى المعالجة الاقتصادية للبطالة خاصة بطالة الشباب والمساعدة الاجتماعية لفئات المجتمع الضعيف وفي هذا الإطار تهدف برامج الأشغال ذات المنفعة العامة الاستعمال المكثف لليد العاملة إلى إنشاء عدد كبير من مناصب شغل المؤقتة، ومن خلال تنظيم ورشات عمل تخصص العناية بشبكات الطرق والري والمحافظة على البيئة والطرق، وتتميز هذه الأشغال بنشاطات بسيطة لا تستدعي مستوى عال من التقنية ولا معدات ضخمة، وتبلغ القيمة القصوى لهذه الأشغال ثلاثة ملايين دينار. تنفذ عن طريق ورشات مقترحة من خلال مصالح تقنية وزارية غير مركزية والمعنية بهذا الأشغال. ويأخذ التقسيم الجغرافي بعين الاعتبار المناطق التي تكون البطالة فيها هامة، وتم تطبيق برنامج الأشغال ذات المنفعة العامة وذات الاستعمال المكثف لليد العاملة على مرحلتين:

المرحلة الأولى:

أو المرحلة النموذجية التي تم الشروع فيها سنة 1997 وانتهت سنة 2000. وقام البنك الدولي لإعادة الإنشاء والتعمير بتمويل هذا البرنامج من خلال قرض خارجي قيمته 50 مليون دولار، أي ما يعادل 4.13 مليار دينار، ل: 3846 ورشة ما يعادل 1075958 دينار جزائري لكل ورشة، أي ما يعادل ثلث المسموح به، وتخصص المشاريع الميادين الكبيرة المستعملة لليد العاملة: الأشغال العمومية (الطرق) 42.2%، الزراعة والري 30%، منشآت الري الصغرى 24.3%، أشغال التهيئة العمرانية 3.5%، وخلال هذه المرحلة أدت الأشغال ذات المنفعة العامة وذات الاستعمال المكثف لليد العاملة إلى تشغيل 140 ألف شخص (حوالي 36 شخص لكل ورشة)، حيث تم إنشاء 42 ألف منصب شغل دائم، وقدرت تكلفة منصب شغل حوالي 99 ألف دج.

المرحلة الثانية:

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

وتوافقت هذه المرحلة مع إطلاق مخطط الإنعاش الاقتصادي الممتد من سنة 2000 إلى سنة 2004. وفي هذا الصدد استفادت وكالة التنمية الاجتماعية من غلاف مالي تكميلي قدره 9 مليار دينار لإنشاء حوالي 22 ألف منصب شغل ثابت سنويا باعتبارها الوكالة المسيرة لهذا البرنامج. ولهذا الغرض خصص غلاف مالي قدره 2.8 مليار دينار سنة 2001 قامت وكالة التنمية الاجتماعية بمنح 1.8 مليار دينار. ومنح برنامج دعم الإنعاش الاقتصادي مليار دينار. ويقدر متوسط تكلفة إنشاء منصب شغل 188406 د ج سنويا.

وفيما يخص مواصفات الأشخاص الذين تم إدراجهم في هذا الجهاز نذكر ما يلي:

- ثلثي الأشخاص الموظفين تتراوح أعمارهم ما بين 18 و 30 سنة.
- 60% من الأشخاص الموظفين يعانون من البطالة منذ أكثر من سنة و عملوا في قطاع البناء والأشغال العمومية. الذي عانى من تسريح العمال. أما الباقي فهم يبحثون عن العمل لأول مرة. و 50% منهم يبحثون عن العمل منذ أكثر من سنتين.
- أما المتقبلين للعمل فهم صغار السن حيث نجد أن 70% منهم لم يبلغ سن الأربعين. وأكثر من ذلك تبلغ نسبة الأشخاص الذين شغلوا تلك الوظائف من قبل حوالي 55% ومن بين المتقبلين للعمل في الورشات 20% منهم بحوزتهم شهادة جامعية.

ومنه يمكن القول بأن هذا الجهاز قد نجح نسبيا في توفير مناصب شغل مؤقتة. بتكلفة زهيدة بفضل استخدام نسبة ضئيلة للمواد والمعدات. وكثافة عالية لليد العاملة.

ثانيا: إنشاء الصندوق الوطني للتأمين عن البطالة:

أنشأ الصندوق الوطني للتأمين عن البطالة سنة 1994 وقد كانت مهمته الرئيسية هي التكفل بالأشخاص المسرحين من العمل لأسباب اقتصادية، فهو يعمل على إعادة إدماجهم في العمل، وذلك من خلال المنحة المقدمة للبطالين مع البحث عن الشغل الذي يتكفل به مركز البحث عن الشغل التابع للصندوق، وقد سمح هذا الجهاز بالاحتفاظ ب 1837 منصب شغل، و بموجب المرسوم التنفيذي رقم 04-01 المؤرخ في 03 جانفي 2004 المتمم للمرسوم التنفيذي رقم 94-188 المؤرخ في 06 جويلية 1994 تم إدخال تدابير جديدة حول مهام الصندوق منها إمكانية المشاركة في تمويل إنشاء نشاطات السلع والخدمات من طرف المستثمرين العاطلين عن العمل الذين تتراوح أعمارهم بين 35 إلى 50 سنة من أجل إنشاء مؤسسات مصغرة وخلق مناصب عمل¹، وتبلغ القيمة القصوى للاستثمارات المتوقعة ضمن هذا النص 5 مليون دج، ومن مزايا هذا الصندوق أنه يمنح الإعفاء من الضريبة على القيمة المضافة بالنسبة للتجهيزات والخدمات الداخلة في إنجاز الاستثمارات. الإعفاء من الضريبة عن الدخل الإجمالي بعد 3 سنوات من الاستغلال، الإعفاء من الرسم على النشاط المهني.

¹ - تقرير CNES، التقرير التمهيدي حول الطرف الاقتصادي والاجتماعي للسداسي الأول من سنة 2004، ديسمبر 2004، ص 118.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

ثالثا: برنامج عقود ما قبل التشغيل¹: وهو برنامج يهدف إلى تعزيز الإدماج المهني للشباب الطالبين للوظائف لأول مرة والحاملين لشهادات جامعية. يقوم الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب بتمويل جهاز عقد ما قبل التشغيل باعتباره جهاز الإدماج المهني للشباب. وتقوم الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب بتسيير هذا الجهاز. ويخص برنامج عقد ما قبل التشغيل الشباب الذين تفوق أعمارهم 19 سنة والحائزين على شهادة التعليم العالي أو شهادة تقني سامي محصلة من المعاهد الوطنية للتكوين ويتم تمويل عقود ما قبل التشغيل من طرف حساب الخزينة الخاص الذي يهدف إلى دعم تشغيل الشباب. ويغطي قيمة الأجور الخام المحددة كما يلي:

يتقاضى الحائزون على شهادات جامعية 6000 د ج شهريا بالنسبة لـ 12 شهرا الأولى و 4500 د ج عند تمديد الفترة التي لا تتجاوز 6 أشهر. وتم رفع المنحة إلى مستوى 8000 د ج شهريا.

يتقاضى التقنيون السامون 4500 د ج شهريا خلا 12 شهرا الأولى و 3000 د ج عند تمديد الفترة. وتم رفعها إلى مستوى 6000 د ج شهريا.

وقد أظهر هذا البرنامج النتائج التالية:

- نسبة التثبيت ضعيفة للمستفيدين عند انتهاء مدة العقد. إذ أن 90 % من المستفيدين بعد استكمال حقوقهم يسجلون أنفسهم في وكالات التشغيل كباحثين عن عمل وفي النهاية يكون برنامج عقود ما قبل التشغيل كبرنامج تأجيلي لا كبرنامج يمنح إمكانيات حقيقية للإدماج الدائم.
- تشكل إجبارية تأدية الخدمة الوطنية عائقا كبيرا لتوظيف الحائزين على شهادات من الذكور مما يفسر تفوق العنصر النسوي في عدد المسجلين والموظفين.
- يقصى من الجهاز الحائزين على شهادات تكوين رغم عددهم الكبير.
- التمرکز القوي للمستفيدين في الإدارة على حساب القطاعات الأخرى. وهذا ما يعني إمكانية تحولهم من البطالة الصريحة إلى البطالة المقنعة وخصوصا في الإدارات العامة.

رابعا: جهاز المساعدة على الإدماج المهني²: إن جهاز المساعدة على الإدماج المهني مسير بأحكام المرسوم التنفيذي رقم 08-126 المؤرخ في 19 أفريل 2008. تسيير ومتابعة وتقييم ومراقبة هذا الجهاز تتكفل به الوكالة الوطنية للتشغيل بالتعاون مع المديرية الولائية للتشغيل، وتمثل أهداف هذا الجهاز في تشجيع الإدماج المهني للشباب طالبي العمل المبتدئين سواء كانوا من فئة الشباب حاملي شهادات التعليم العالي أم الشباب خريجي التعليم الثانوي ومراكز التكوين المهني، وحتى الشباب بدون تكوين ولا تأهيل.

¹ - التقرير الوطني حول التنمية البشرية، المجلس الاقتصادي والاجتماعي الجزائري، الجزائر، 2006، ص 80.

² - الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 22، 30-04-2008، ص 19، 20.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

ويعمل هذا الجهاز على تشجيع كافة أشكال النشاط والتدابير الرامية إلى ترقية الشباب لاسيما عبر برامج تكوين- تشغيل - توظيف. وبالتالي يمكن القول بأن برامج هذا الجهاز هي شبيهة ببرامج عقود ما قبل التشغيل التي استبدلت بهذا البرنامج، غير أنها أكثر توافقا مع متطلبات سوق العمل. ويحوي هذا الجهاز ثلاثة عقود تخص ثلاث فئات: عقد إدماج حاملي الشهادات بالنسبة لفئة أصحاب الشهادات العليا والتقنيين السامين. عقد إدماج مهني بالنسبة لخريجي التعليم الثانوي ومراكز التكوين المهني. عقد تكوين إدماج بالنسبة للشباب بدون تكوين ولا تأهيل. وبموجب هذا الإجراء فإن أصحاب المؤسسات المشغلة لليد العاملة ستستفيد من مساهمة الدولة في الأجر الأصلي للشباب الذي يتم تشغيله لمدة ثلاث سنوات من 12 ألف دج في السنة الأولى كما ستغطي وزارة العمل والتشغيل والضمان الاجتماعي هذا الأجر بـ: 10000 دج. في السنة الثانية وبـ: 8000 دج في السنة الثالثة من عقد العمل الذي يجوزه الشباب حاملي الشهادات.

خامسا: منحة البطالة

تشكل منحة البطالة في الجزائر إحدى أدوات السياسة الاجتماعية النشطة، إذ تجمع بين وظيفة الحماية المؤقتة للشباب الباحثين عن العمل ووظيفة التوجيه نحو الاندماج المهني عبر عروض التوظيف والتدريب. وسوف ينطلق هذا التحليل من خمسة محاور مترابطة: تحديد مفهوم المنحة من منظور اقتصادي، تفسير سياق إدراجها ضمن السياسة الاقتصادية الجزائرية، عرض أهم التطورات القانونية والعملية التي عرفتها خلال السنوات الأخيرة، تقديم قراءة أولية لآثارها المتوقعة ومخاطرها المحتملة، ثم صياغة توصية بشأن الاستمرار أو الإيقاف مدعومة بإجراءات تصحيحية لتحسين الفعالية وتقليل الكلفة والآثار الجانبية¹. هذا وتعد البطالة إشكالية اقتصادية-اجتماعية متعددة الأبعاد، لأنها لا تعني فقط غياب منصب العمل، بل ترتبط بمخسارة في القدرة الإنتاجية وبانخفاض الدخل، وما يترتب على ذلك من تراجع الاستهلاك والادخار وتآكل رأس المال البشري وارتفاع مخاطر الهشاشة الاجتماعية. لذلك تلجأ الدول عادة إلى المزج بين سياسات سوق العمل النشطة، مثل التدريب والوساطة والحوافز الموجهة للتوظيف، وبين سياسات الحماية الاجتماعية التي تعتمد التحويلات النقدية أو التعويضات المؤقتة. وتتموضع منحة البطالة في هذا التقاطع تحديدا، إذ تقدم دعما نقديا مؤقتا يخفف ضغوط الفقر المرحلي ويوفر زمنا منظما للبحث عن عمل على أن تصمم بما يمنع تحولها إلى اعتماد دائم.

اقتصاديا: تعرف منحة البطالة بوصفها تحويلا نقديا مشروطا بمنح للعاطل خلال فترة بحثه عن وظيفة لتحقيق ثلاث غايات رئيسية، تتمثل الغاية الأولى في تدعيم الإنفاق الاستهلاكي عبر الحد من الانخفاض الحاد في الطلب الذي ينجم عن فقدان الدخل، وهو أمر مهم خصوصا لدى الفئات ذات الميل الحدي المرتفع للإنفاق، بما يقلل تقلبات الطلب الكلي، أما الغاية الثانية فتتعلق بتقليص الفقر والهشاشة عبر توفير شبكة أمان تمنع الانزلاق السريع

¹ - International Labour Organization (ILO), Employment support? A conceptual and empirical review of unemployment assistance and related active labour market measures, ILO.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

نحو الفقر، خاصة لدى الشباب الذين لا يملكون دخلا ثابتا أو دعما أسريا كافيا، وتمثل الغاية الثالثة في تحسين مطابقة العمل لأن المنحة تمنح المستفيد وقتا أكبر للبحث عن فرصة تتلاءم مع مهاراته بما يرفع جودة التوافق بين العرض والطلب بشرط وجود وساطة فعالة وتكوين مناسب.

غير أن هذه المنافع تصاحبها مخاطر معروفة: فقد تضعف المنحة الحوافز إذا كانت غير مشروطة بالقدر الكافي ما يرفع الأجر الاحتياطي ويطيل مدة البطالة، كما قد تخلق عبئا ماليا متزايدا على الميزانية إذا ارتفع عدد المستفيدين أو قيمة التحويل، إضافة إلى مخاطر سوء الاستهداف والغش في حال غياب قواعد بيانات متكاملة قادرة على كشف الدخل غير المعلنة أو الاستفادة غير المستحقة¹.

هذا وقد أدرجت منحة البطالة في الجزائر رسميا ضمن إطار تنظيمي يحدد شروط الاستفادة وقيمتها والتزامات المستفيدين، وقد جرى الإعلان في فبراير 2022 عن المرسوم التنفيذي (22-70) الذي حدد قيمة المنحة بـ13000 دينار جزائري، وربط الاستفادة بشروط تتعلق بالسن (19-40 عاما)، وبأن يكون المعني باحثا عن عمل لأول مرة، ومسجلا لمدة لا تقل عن ستة أشهر لدى الوكالة الوطنية للتشغيل، مع اشتراط عدم امتلاك دخل للمستفيد أو لزوجته/زوجته، وعدم كونه مسجلا في التعليم العالي أو التكوين المهني، وعدم استفادته من دعم حكومي آخر.

ومن زاوية السياسة الاقتصادية، يمكن تفسير إدراج المنحة ضمن ثلاثة اعتبارات متداخلة: تعزيز الطابع الاجتماعي للدولة عبر تحويلات مباشرة للفئات البطالة، تخفيف ضغط البطالة الشبابية بمنح مرحلة انتقالية منظمة بين التخرج وسوق العمل، ثم تفعيل سياسات سوق العمل من خلال ربط الدعم بالتسجيل والمتابعة والاستجابة لعروض التوظيف والتدريب، بما يجعلها منحة نشطة وليست إعانة سلبية².

هذا وقد عرفت المنحة منذ إطلاقها تطورات متتالية على مستوى القيمة والإلزاميات، ففي يناير 2023 تم رفع قيمتها من 13000 إلى 15000 دينار شهريا، وهو ما يعكس توجهها لتعزيز الأثر الاجتماعي للبرنامج³، ثم شهدت المنحة تعديلا نوعيا في يناير 2026 عبر المرسوم التنفيذي (26-87) المنشور في الجريدة الرسمية (العدد 06)، حيث رفعت قيمتها إلى 18000 دينار، مع إدراج تغطية صحية مرتبطة بالتأمين ضد المرض، وتكفل الدولة بحصة اشتراك اجتماعي محددة، وتحديد مدة الاستفادة في سنة واحدة قابلة للتجديد مرة واحدة فقط. كما جرى تشديد التزامات التفعيل عبر فرض تجديد التسجيل كل ستة أشهر رقميا أو حضوريا، ووجوب الاستجابة

¹ Jonathan Gruber, "The Consumption Smoothing Benefits of Unemployment Insurance," NBER Working Paper, No. 4750, 1994.

² Journal officiel de la République algérienne démocratique et populaire, Décret exécutif n° 22-70 du 10 février 2022 fixant les conditions, les modalités et le montant de l'allocation chômage ainsi que les engagements des bénéficiaires.

³ Journal officiel de la République algérienne démocratique et populaire, Décret exécutif modifiant l'article 7 du décret n° 22-70, janvier 2023, portant revalorisation de l'allocation chômage à 15,000 DA.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

لاستدعاءات الوكالة، وعدم رفض عرض عمل مناسب واحد، والقيام ببحث نشط عن تدريب تأهيلي أو شهادي، وأقر التعديل سريان هذه الأحكام ابتداء من 1 جانفي 2026، مع إضافة مادة تتيح سنة إضافية لفئة محددة من المستفيدين النشطين ذوي الأقدمية الطويلة وفق شروط معينة، وهو ما يشير إلى محاولة ضبط التدرج بين الاستمرارية الاجتماعية والحد من الاعتماد طويل الأجل¹.

اقتصاديا، يمكن تقديم تقييم أولي للمنحة عبر أربعة مسارات تحليلية، المسار الأول يتعلق بالأثر على الطلب الكلي والرفاه الاجتماعي؛ إذ يفترض أن غالبية المستفيدين من فئات منخفضة الدخل، ما يعني أن الجزء الأكبر من التحويل يتجه إلى الاستهلاك الأساسي، وهو ما يدعم الطلب الداخلي في الأجل القصير ويخفف هشاشة مرحلة ما بعد الدراسة وقبل العمل. غير أن هذا الأثر يظل ذا طبيعة اجتماعية-استهلاكية ولا يمكن أن يعد بديلا عن الاستثمار المنتج أو عن سياسات خلق الوظائف. المسار الثاني يتعلق بالحوافز وسلوك البحث عن العمل؛ فالتعديل لسنة 2026 اتجه نحو تقوية الحوافز عبر التجديد الدوري وعدم رفض عرض عمل مناسب والبحث عن تدريب، وهي أدوات تقلل خطر فسخ الإعانة، لكنها تظل رهينة توفر عروض واقعية للتوظيف والتكوين؛ فحين تكون العروض ضعيفة أو غير ملائمة، تتحول المشروطة إلى إجراء شكلي محدود الأثر، المسار الثالث يتمثل في العبء المالي؛ فإذا افترضنا 2 مليون مستفيد بقيمة 18000 دينار شهريا، فإن الكلفة الشهرية للتحويل وحده تقارب 36 مليار دينار، أي نحو 430 مليار دينار سنويا، دون احتساب تكاليف الإدارة ونظم المعلومات والتكوين، إضافة إلى العبء المرتبط بحصة الاشتراكات الاجتماعية والتغطية الصحية، أما المسار الرابع فيخص مخاطر التطبيق العملي مثل ضعف الاستهداف في اقتصاد غير رسمي واسع، والتفاوت الإقليمي في فرص التوظيف والتدريب، ومحدودية جودة بعض برامج التكوين، واحتمال تغذية ضغوط الأسعار إذا لم يواكب التحويل توسع في العرض.

وفي ضوء ذلك، فإن المفاضلة بين الاستمرار والإيقاف تبنى على توازن اقتصادي-اجتماعي واقعي، الإيقاف المفاجئ قد يحدث صدمة اجتماعية ويعيد مستويات أعلى من الهشاشة لدى فئات واسعة في سياق سوق عمل يعاني اختلالات هيكلية، بينما الاستمرار دون إصلاح يوسع العبء المالي ويضعف الحوافز ويزيد مخاطر الاعتماد، وعليه يبدو خيار الاستمرار أكثر منطقية اقتصاديا بشرط أن تستكمل التعديلات نحو التفعيل وأن تتحول المنحة عمليا إلى أداة انتقالية مرتبطة بمسار إدماج قابل للقياس. ولتحقيق ذلك تبرز حزمة إجراءات تصحيحية ذات أولوية، يبدأ الإصلاح بتحسين الاستهداف عبر ربط قواعد البيانات (الضرائب، الضمان الاجتماعي، السجل التجاري، والمعطيات البنكية حين يسمح القانون) وإجراء تقييم أهلية دوري بدل الاعتماد على التصريحات؛ كما ينبغي تصميم مسار خروج واضح لكل مستفيد ضمن خطة إدماج فردية تتضمن تدريبا محددًا وأجالا زمنية وأهدافا قابلة للقياس، مع نشر مؤشرات نتائج مثل نسب التوظيف ومدة البقاء على المنحة ونسب التوجيه إلى التكوين، ومن المهم توجيه

¹ Journal officiel de la République algérienne démocratique et populaire, Décret exécutif n° 26-87 du 21 janvier 2026 modifiant et complétant le décret exécutif n° 22-70.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

التدريب وفق الطلب الحقيقي في السوق من خلال إشراك أرباب العمل وتحديث البرامج نحو مهارات قابلة للتشغيل، خاصة المهارات التقنية والرقمية والمهن المطلوبة محليا، ويمكن دعم ذلك بجوائز للمؤسسات لتوظيف المستفيدين بعقود رسمية عبر إعفاءات اشتراكية مؤقتة أو دعم أجور لفترة محدودة، بما يحول جزءا من كلفة التحويل إلى أداة مباشرة لخلق وظائف رسمية، كما يستحسن ضبط المدة وتدرج المنفعة عبر تشديد التزامات التفعيل مع مرور الوقت وربط التجديد بمخرجات ملموسة مع تعزيز الشفافية بنشر بيانات فصلية حول عدد المستفيدين والموجهين إلى عروض عمل والمندمجين فعليا في وظائف أو تكوين.

المبحث الثالث : الإجراءات الكفيلة برفع فعالية السياسات الاقتصادية والاجتماعية المكتملة لسياسة الإنفاق العام في التخفيف من مشكلة البطالة في الجزائر

لا يكفي توسيع الإنفاق العام وحده لضمان تخفيف البطالة، لأن فعالية هذه السياسة تبقى رهينة بوجود بيئة اقتصادية واجتماعية قادرة على تحويل الإنفاق إلى نمو منتج وفرص عمل مستدامة، فحين يعاني سوق العمل من ضعف المطابقة بين العرض والطلب ويعجز نظام التكوين عن مواكبة التحولات المتسارعة في المهارات وتظل الحوكمة الاقتصادية محدودة الكفاءة فإن أثر الإنفاق العام على التشغيل يبقى دون المستوى المأمول،

ومن هذا المنطلق فإن تحسين مردودية سياسة الإنفاق العام في التخفيف من البطالة يقتضي تدعيمها بجملة من السياسات الاقتصادية والاجتماعية المكتملة التي تشمل إصلاح سوق العمل وتطوير آليات الوساطة والتشغيل وعصرنة رأس المال البشري وتحسين جودة إعداد وتنفيذ الإنفاق إلى جانب تهيئة بيئة اقتصادية كلية أكثر دعما للنشاط المنتج، وعليه يهدف هذا المبحث إلى إبراز أهم الإجراءات الكفيلة برفع فعالية هذه السياسات المكتملة، بما يعزز قدرة الإنفاق العام على الإسهام الفعلي في الحد من البطالة في الجزائر.

المطلب الأول: الإجراءات المرتبطة بظاهرة البطالة وسوق العمل

إن رفع فعالية السياسات الاقتصادية والاجتماعية المكتملة لسياسة الإنفاق العام في التخفيف من البطالة يقتضي في المقام الأول تحسين أداء سوق العمل نفسه لأن ضعف نتائج الإنفاق العمومي لا يرتبط دائما بحجم الموارد المعبأة بل قد يكون ناتجا عن اختلالات هيكلية تحول دون انتقال الأثر إلى التشغيل. ومن هذا المنطلق تبرز الحاجة إلى إصلاحات متكاملة تشمل الإطار القانوني للعمل وآليات الوساطة والتشغيل ومنظومة التكوين وتنمية رأس المال البشري حتى تصبح سوق العمل أكثر قدرة على امتصاص فائض عرض العمل وتحويل الطلب الاقتصادي إلى فرص عمل فعلية¹

أولا: تعزيز المرونة في قوانين العمل

تقوم فكرة تعزيز المرونة في قوانين العمل على إعادة ضبط التوازن بين حماية العامل من جهة وتمكين المؤسسة من التكيف مع تغيرات النشاط الاقتصادي من جهة أخرى. فالمقصود ليس إضعاف الحماية الاجتماعية وإنما بناء ما

¹ International Labour Office, Combining flexibility with security for decent work, Geneva, ILO, 2009

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

يعرف في الأدبيات الحديثة بالمرونة المحمية أي مرونة تسمح بتعدد صيغ التوظيف وتنوع العقود مع الحفاظ في الوقت نفسه على حد أدنى من الحقوق الأساسية للعامل. وعليه فإن مراجعة الإطار القانوني المنظم لعلاقات العمل في الجزائر تكتسي أهمية بالغة. خاصة في القطاعات التي تتسم بتقلب الطلب أو الطابع الموسمي أو المؤقت للنشاط. حيث تؤدي الصرامة التعاقدية المفرطة في كثير من الأحيان إلى تجميد التوظيف الرسمي أو الدفع نحو التشغيل غير الرسمي.

ومن الناحية التطبيقية: تبرز الحاجة إلى توسيع الاستخدام القانوني للعقود محددة المدة وتنظيم الانتقال بين العقود بصورة واضحة وشفافة بما يسمح للمؤسسات بالتكيف مع واقع السوق دون المساس بحقوق العمال في الإشعار والحماية الاجتماعية. كما يفرض التحول الرقمي إدراج العمل عن بعد ضمن الإطار القانوني بشكل أكثر وضوحاً من خلال تحديد حقوق وواجبات الطرفين وضبط شروط المتابعة الرقمية والخصوصية والسلامة المهنية. وفي هذا السياق يصبح تطوير الأشكال الجديدة من التشغيل جزءاً من إصلاح أوسع يهدف إلى جعل سوق العمل أكثر استجابة وأقل جموداً¹.

ثانياً: تعزيز آليات الوساطة والتشغيل في سوق العمل²

يعد تحسين آليات الوساطة في سوق العمل من الشروط الأساسية لتقليص البطالة لأن جزءاً معتبراً منها لا يعود فقط إلى نقص مناصب العمل بل إلى ضعف المطابقة بين الباحثين عن العمل والمؤسسات وارتفاع تكاليف البحث وعدم تماثل المعلومات بين طرفي السوق. ولذلك فإن تحديث خدمات التشغيل العمومية لا ينبغي أن يقتصر على رقمنة التسجيل بل يجب أن يشمل إعادة هندسة مسار الوساطة بكامله من التسجيل وتصنيف المهارات إلى توجيه الباحثين عن العمل ومتابعة الإدماج.

وفي هذا الإطار تمثل رقمنة خدمات الوكالة الوطنية للتشغيل واستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في المطابقة بين العروض والطلبات تطوراً مهماً يمكن أن يرفع فعالية الوساطة ويقلل البطالة الاحتكاكية فالذكاء الاصطناعي يسمح بتحليل السير الذاتية والمهارات والخبرة وموقع الباحث عن العمل ثم اقتراح فرص أكثر ملاءمة بما يخفف زمن البحث ويحسن جودة الترشيح كما أن فعالية الوساطة الرقمية تزداد حين تدمج مع قواعد بيانات التكوين المهني والتعليم العالي. لأن الربط بين التشغيل والتكوين يسمح بتوجيه الباحثين عن العمل نحو مسارات تأهيل مرتبطة فعلاً بحاجات السوق. ومن ثم فإن تطوير المنصات الرقمية وربطها بتحليلات البيانات الكبيرة وأدوات استشراف المهارات يمكن أن يحول الوساطة من وظيفة إدارية بطيئة إلى وظيفة اقتصادية نشطة قائمة على البيانات تقلل الاحتكاك وتسرع الإدماج غير أن

¹ Wilthagen, T. & Tros, F., "The Concept of 'Flexicurity': A New Approach to Regulating Employment and Labour Markets", Transfer: European Review of Labour and Research, Vol. 10, No. 2, 2004, pp. 166–186

² - Brioscú, A., Lauringson, A., Saint-Martin, A., & Xenogiani, T., A New Dawn for Public Employment Services: Service Delivery in the Age of Artificial Intelligence, OECD Artificial Intelligence Papers, No. 19, Paris, OECD Publishing, 2024, pp. 9–12, 44–48.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

نجاح هذا المسار يبقى مشروطا بجاهزية نظم المعلومات وجودة البيانات ووجود مؤشرات أداء قابلة للقياس. مثل مدة البحث عن عمل ونسب الإدماج بعد التكوين ونسب التوظيف الرسمي عبر المنصات.

ثالثا: عصرنة رأس المال البشري لمواكبة التغيرات المتسارعة في سوق العمل

في ظل التحولات الرقمية، وتوسع تطبيقات الذكاء الاصطناعي، والانتقال التدريجي نحو الاقتصاد الأخضر، أصبح رأس المال البشري عنصرا حاسما في تحديد القدرة على خلق فرص العمل وتحسين الإنتاجية، فلم تعد الشهادة وحدها كافية لضمان الإدماج المهني، بل أصبح الطلب يتجه بصورة متزايدة نحو المهارات الرقمية والتقنية والمهارات العليا، مثل حل المشكلات، والتواصل، والقدرة على التكيف والتعلم المستمر، ولهذا تتجه السياسات الحديثة إلى التركيز على رفع المهارات (Upskilling) وإعادة التأهيل (Reskilling) باعتبارهما أداتين ضروريتين لمواكبة تغير الطلب على العمل¹.

وفي الحالة الجزائرية، تكتسب هذه المسألة أهمية خاصة في ظل استمرار البطالة، ولا سيما بطالة الشباب، واتساع فجوة الملاءمة بين التكوين واحتياجات السوق، لذلك فإن توسيع العرض التكويني لا يكفي وحده ما لم يربط بجودة التخصصات، وبالطلب الحقيقي في السوق، ومؤشرات واضحة لقياس الإدماج بعد التخرج، ومن هنا تظهر أهمية التعلم القائم على العمل، والتمهين، والتكوين المزدوج، لأن هذه الصيغ تتيح تقليص الفجوة بين المعرفة النظرية والمتطلبات التطبيقية للمؤسسات.

كما أن تطوير رأس المال البشري يقتضي الانتقال من منطلق عرض تكوين إلى منطلق طلب مهارات، أي بناء البرامج التكوينية على أساس المعطيات الفعلية لسوق العمل، بدل الاستمرار في توسيع تخصصات لا يطلبها السوق أصلا. وفي هذا السياق، تمثل المنصات الرقمية الخاصة بالتكوين وتكامل البيانات بين التكوين والتشغيل، وإدراج الجزائر ضمن آليات المتابعة والتقييم القائمة على الأدلة، مثلما هو معمول به ضمن عملية تورينو*، أدوات مهمة لتحسين الحوكمة ورفع مردودية الإنفاق العمومي الموجه للتكوين².

وعليه، فإن رفع فعالية السياسات الاقتصادية والاجتماعية المكتملة لسياسة الإنفاق العام في التخفيف من البطالة يمر، في جوهره، عبر ثلاث ركائز مترابطة: مرونة قانونية محمية تسمح بتوسيع فرص التوظيف الرسمي، ووساطة رقمية ذكية تقلل اختلالات المعلومات وتسرع المطابقة، ورأس مال بشري عصري قادر على مواكبة التحولات المتسارعة في بنية الطلب على العمل، ومن دون هذه الركائز، يبقى أثر الإنفاق العام على التشغيل محدودا، مهما ارتفع حجمه، لأن

¹ OECD, *Readying Adult Learners for Innovation: Reskilling and Upskilling in Higher Education*, OECD Education Spotlights, No. 13, Paris, OECD Publishing, 2024, pp. 1–3.

* هي مبادرة دولية أطلقتها المؤسسة الدولية للتدريب تسعى إلى تحليل وتقييم دوري لأنظمة التعليم والتكوين المهني في الدول بهدف تحسين توافقها مع متطلبات سوق العمل.

² - European Training Foundation (ETF), *Work-based Learning in Algeria – An Assessment per EU Quality Standards*, Turin, ETF, 2025, pp. 6–7, 27–30.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

الخلل لا يكون في التمويل وحده، بل في البيئة المؤسسية والبشرية التي يفترض أن تنقل هذا التمويل إلى فرص عمل فعلية ومستدامة.

المطلب الثاني: الإجراءات المرتبطة بسياسة الإنفاق العام

إن فعالية سياسة الإنفاق العام في التخفيف من البطالة لا تتحدد بحجم الموارد التي تعبئها الدولة فحسب، بل تتوقف بدرجة أكبر على جودة إعداد هذه السياسة وتنفيذها وتوجيهها داخل إطار مالي منضبط وقابل للاستدامة. وفي الاقتصادات النفطية على وجه الخصوص، لا يكمن الخطر فقط في محدودية الموارد، بل كذلك في تقلبها الشديد بما يجعل سوء الإعداد المسبق للإنفاق سببا مباشرا في تضخيم الدورية الاقتصادية، وفي إضعاف الأثر الحقيقي للسياسة المالية على الاستثمار والتشغيل. ولهذا، فإن رفع فعالية الإنفاق العام في الجزائر يقتضي المرور من منطق التوسع الكمي الظرفي إلى منطق التحضير العقلاني، والانضباط المالي، والتخصيص الكفء، والمرونة المخطط لها داخل أفق متوسط الأجل، وقد بين صندوق النقد الدولي أن الإطار المالي متوسط الأجل يهدف تحديدا إلى تعزيز الانضباط والاستدامة والشفافية، من خلال ربط الإيرادات والنفقات والأرصدة والمديونية ضمن أفق يمتد عادة من ثلاث إلى خمس سنوات¹.

أولا: الإعداد والتنفيذ العقلانيان لسياسة الإنفاق العام

ينطلق الإعداد السليم لسياسة الإنفاق العام من ضرورة وجود إطار استراتيجي متوسط الأجل يربط القرارات السنوية بأهداف كلية واضحة، مثل دعم النمو، وتحسين التشغيل، وتنويع الاقتصاد، وحماية التوازنات المالية، فوجود هذا الإطار لا يمثل مجرد عنصر تنظيمي، بل يشكل قاعدة ضرورية لتفادي الارتجال المالي، ولجعل الإنفاق السنوي جزءا من مسار مالي متماسك بدل أن يكون مجرد استجابة ظرفية لتقلبات الموارد. وفي هذا السياق، يؤكد صندوق النقد الدولي أن الإطار المالي متوسط الأجل يوفر مقارنة منظمة لإدارة المالية العامة، من خلال مواءمة القرارات الميزانية مع الأهداف الاقتصادية الأوسع، مع تعزيز القدرة على إدراك المخاطر والمفاضلات المرتبطة باختيارات السياسة العامة².

ويتطلب هذا الإطار، في المقام الثاني، الاعتماد على فرضيات ماكرو-اقتصادية واقعية ومتحفظة، خاصة في اقتصاد يعتمد بدرجة معتبرة على الإيرادات النفطية، فكل خطأ في تقدير النمو أو التضخم أو أسعار النفط أو الإيرادات غير النفطية ينعكس مباشرة على حجم الإنفاق الممكن، ثم على العجز والمديونية عند التنفيذ، ولهذا تشدد الأدبيات الحديثة المتعلقة بالبلدان الغنية بالموارد الطبيعية على ضرورة أن تكون الأطر المالية فيها مبنية على منطق التحوط ضد الصدمات، لا على التفاؤل المفرط بشأن الموارد المستقبلية، لأن الهدف ليس تعظيم الإنفاق في لحظة الوفرة، بل بناء قدرة مالية قادرة على امتصاص التقلبات.

¹ International Monetary Fund (IMF), How to Develop and Implement a Medium-Term Fiscal Framework, IMF How to Notes, Note/2024/005, Washington, DC, 2024, pp. 1–4.

² David Beaton, Valentina Flamini, and Andrew Jewell, How to Design and Implement Rules-Based Fiscal Frameworks Based on Debt Anchors, Inter-American Development Bank, 2024, pp. 3–5

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

ومن هنا تبرز أهمية اعتماد سقف إنفاق كلي مسبق، يحدد منذ بداية التحضير حدود الموارد التي يمكن توزيعها، قبل الدخول في مفاوضات تفصيلية مع القطاعات. فالسقف الكلي يمثل أداة انضباط محورية، لأنه يمنع تضخم الطلبات القطاعية، ويحول دون تحول الميزانية إلى تجميع غير منضبط لرغبات الإنفاق، وتؤكد منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية أن الميزنة متوسطة الأجل والميزنة من أعلى إلى أسفل يجب أن تطبق معا، لأن تحديد سقف الإنفاق لا يكون فعالا إلا عندما يستند إلى قيود مالية واضحة ناتجة عن الأهداف المالية والتوقعات الاقتصادية والتقديرات الأساسية للإنفاق، كما أن دور هذه السقف ليس فرض قيود اعتباطية، بل منع الإفراط في الإنفاق بعد تحديد القيود الفعلية وتحليلها.¹

وبناء على ذلك، يصبح من الضروري أن ينتقل إعداد الإنفاق العام من منطق التوسع التلقائي إلى منطق ترتيب الأولويات الاقتصادية والاجتماعية، فليس كل إنفاق يحمل الأثر نفسه على التشغيل أو النمو. لذلك ينبغي التمييز بين النفقات الإلزامية، كالأجور وخدمة الدين والالتزامات الاجتماعية القانونية، وبين النفقات التقديرية التي يمكن إعادة ترتيبها أو تأجيلها، كما يجب أن تخضع المشاريع الاستثمارية لمعايير اقتصادية واضحة، مثل تحليل التكلفة-المنفعة، أو الميزانية الموجهة بالأداء، مع إعطاء الأفضلية للإنفاق القادر على توسيع الطاقة الإنتاجية وخلق وظائف مستدامة. وتشير مراجعات البنك الدولي لأطر الإنفاق متوسطة الأجل إلى أن هذه الأطر تكون أكثر فعالية عندما تستخدم كأداة فعلية لتحسين تخصيص الموارد والسياسات العامة، لا كمجرد وثيقة شكلية موازية للميزانية السنوية.²

ولا يكتمل هذا المسار دون تحسين تقدير الإيرادات، ففعالية الإنفاق لا ترتبط فقط بجانب النفقات، بل أيضا بمدى واقعية الموارد التي تموله، وفي الجزائر، يكتسي هذا البعد أهمية خاصة بسبب التبعية النسبية للمحروقات؛ إذ لا يمكن بناء سياسة إنفاق فعالة إذا كانت الميزانية تستند إلى إيرادات غير مستقرة أو مبالغ في تقديرها. ومن ثم، فإن الإعداد العقلاني يفترض تفكيك الإيرادات إلى مكوناتها النفطية وغير النفطية، مع العمل تدريجيا على جعل الإيرادات غير النفطية هدفا ماليا قابلا للقياس داخل الإطار متوسط الأجل، بما يخفف حساسية الإنفاق تجاه الصدمات الخارجية،

كما يفترض الإعداد الجيد تنظيم مشاركة القطاعات في عملية إعداد الميزانية داخل حدود مسبقة ومعلنة، بدل ترك العملية تتحول إلى تفاوض مفتوح يرفع الإنفاق خارج قدرات التمويل المستدام، فحين تتقدم القطاعات بمذكرات إنفاق داخل سقف قطاعية واضحة، يصبح من الممكن ترشيد المفاضلات وترتيب الأولويات داخل كل قطاع، بدل اللجوء إلى منطق التوسع الأفقي غير المنضبط، وتشير أدلة PEFA* وأدبيات الموازنة الحديثة إلى أن وجود رزمة ميزانية

¹ OECD, Medium-term and Top-down Budgeting in OECD Countries, GOV/SBO(2023)10/REV1, Paris, 2023, pp. 5–6, 17.

² World Bank, Medium-Term Expenditure Frameworks Revisited, Washington, DC, 2023, pp. 2–3.

* هو اختصار لـ public expenditure financial accountability وهو برنامج دولي أنشئ بدعم من صندوق النقد الدولي والبنك العالمي والمفوضية الأوروبية وهو نظام تقييم دولي شامل لقياس جودة إعداد وتنفيذ ومراقبة الموازنة العامة.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

واضحة واحترامها، إلى جانب منظور متوسط الأجل في إعداد الإنفاق، يمثلان من بين المؤشرات الأساسية على جودة إدارة المالية العامة.¹

ثانيا: الانضباط والشفافية وإدارة المخاطر في الاقتصادات النفطية

في الاقتصادات النفطية، لا يمكن الحديث عن فعالية للإنفاق العام دون وجود قواعد واضحة لإدارة الإيرادات النفطية والصناديق الخاصة والاحتياطيات، فهذه الأدوات لا ينبغي أن تتحول إلى آليات لتمويل عجز هيكلي دائم، بل يجب أن تؤدي وظيفة استقرارية واضحة، أي امتصاص الصدمات المالية والحفاظ على استمرارية الأولويات الأساسية دون تغذية التوسع غير المستدام في النفقات، وتؤكد الأدبيات الحديثة حول القواعد المالية في البلدان المعرضة للصدمات أن نجاح الإطار المالي يتطلب إدراج آليات تصحيح، وهوامش احتياط، وشروط واضحة للتعامل مع الانحرافات المؤقتة الناتجة عن الصدمات الخارجية.

ويكتسب هذا المبدأ أهمية خاصة في الحالة الجزائرية، لأن مشكلة الإنفاق العام لا ترتبط فقط بحجمه، بل أيضا بإمكانية أن يتحول إلى التزام دائم يستند إلى مورد دوري ومتقلب، ولذلك فإن الإصلاح الحقيقي يقتضي أن تدار الفوائض النفطية أو الاحتياطيات وفق قواعد منضبطة، لا وفق الحاجات اللحظية، فالصندوق أو الاحتياطي يجب أن يكون جزءا من الإطار المالي، لا بديلا عنه.

وإلى جانب الانضباط، تبقى الشفافية المالية عنصرا مفضليا في تحسين فعالية الإنفاق العام، لأن الإنفاق لا يكون كفوفا في غياب المساءلة، فكلما كانت الفرضيات والأولويات والمخاطر معلنة بوضوح في وثائق ما قبل الميزانية، كلما أصبحت النقاشات البرلمانية والقطاعية أكثر واقعية، وازدادت قدرة الحكومة على مقاومة الضغوط التي تدفع نحو التوسع غير المنتج، ويؤكد صندوق النقد الدولي أن الشفافية في عرض الأهداف المالية متوسطة الأجل، والسياسات، والنتائج المالية، تسهم في تعزيز الثقة في قدرة الحكومة على إدارة مآلتها العامة بحكمة وكفاءة.²

ثالثا: الرزنامة، القدرات التقنية، والمرونة المخطط لها

لا تكفي جودة الإطار النظري إذا لم تدعم برزنامة منظمة وقدرات تقنية وإدارية كافية، فالتسرع في إعداد الميزانية، أو ضعف قواعد البيانات، أو محدودية القدرة على التنبؤ والتحليل المالي، كلها عوامل تؤدي إلى إنفاق مبرمج بصورة ضعيفة، وإلى مشاريع غير ناضجة، وإلى فجوات واسعة بين البرمجة والتنفيذ. ولهذا، فإن رفع فعالية الإنفاق العام في الجزائر يقتضي الاستثمار في القدرات المؤسسية لوزارات المالية والقطاعات، خاصة في مجالات التنبؤ الماكرو-اقتصادي،

¹ PEFA Secretariat, PEFA Framework for Assessing Public Financial Management, Washington, DC, 2016, section PI-16

² International Monetary Fund (IMF), Fiscal Transparency Code, 2019, pp. 18–19.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

وتقييم المشاريع، وتحليل المخاطر، وتطبيق الميزانية الموجهة بالأداء، إضافة إلى تطوير نظم المعلومات المالية القادرة على تجميع البيانات بسرعة ودقة.

وفي السياق النفطي تحديداً، تظل المرونة المخطط لها شرطاً أساسياً من شروط الإعداد الرشيد، فالموازنة الفعالة ليست تلك التي تبني على سيناريو واحد، بل التي تتضمن منذ البداية سيناريوهات بديلة وآليات عملية للتكيف إذا انخفضت أسعار النفط أو تراجعت الإيرادات بصورة فجائية، ويشمل ذلك إنشاء احتياطات للطوارئ، أو تحديد مشاريع قابلة للتأجيل دون أثر جوهري على النشاط، أو وضع قواعد تصحيح تدريجي تحمي الإنفاق الاجتماعي الضروري وتعيد ترتيب الإنفاق الاستثماري بدل اللجوء إلى خفض عشوائي، وقد شددت الأدبيات الحديثة على أن نجاح الإطار المالي لا يقوم فقط على الانضباط، بل أيضاً على قدرته على استيعاب الصدمات دون التخلي عن الأهداف الأساسية للسياسة العامة.

رابعا: تفعيل آليات محاربة الفساد الاقتصادي لرفع فعالية الإنفاق العام

لا تقتصر فعالية سياسة الإنفاق العام على جودة الإعداد المسبق وحسن توزيع الموارد، بل تتوقف كذلك على نزاهة مسار التنفيذ ومدى قدرة الدولة على الحد من مختلف أشكال الفساد الاقتصادي التي تضعف مردودية الإنفاق العمومي، فحتى في حال توافر إطار مالي متوسط الأجل، وفرضيات ماكرو-اقتصادية واقعية، وسقوف إنفاق منضبطة، فإن الأثر الاقتصادي والاجتماعي للإنفاق قد يظل محدوداً إذا تعرضت الموارد العمومية للتسرب بفعل تضخم التكاليف، وضعف المنافسة في الصفقات، وسوء اختيار المشاريع، وتأخر الإنجاز، أو انخفاض الجودة الفعلية للخدمات والبني المنجزة، وقد بين صندوق النقد الدولي أن اختيار المشاريع الاستثمارية العمومية ومرحلة اقتنائها وتنفيذها تعد من أكثر المراحل عرضة لمخاطر الفساد بسبب اتساع هامش السلطة التقديرية وخصوصية المشاريع وتعقدها¹.

ومن هذا المنطلق، فإن محاربة الفساد الاقتصادي لا ينبغي أن تفهم باعتبارها إجراء أخلاقياً أو قانونياً فحسب، بل باعتبارها شرطاً اقتصادياً مباشراً لرفع كفاءة الإنفاق العام، فالفساد يؤدي إلى إعادة توجيه الموارد نحو مشاريع أقل أولوية أو أعلى قابلية للاستغلال الربحي، كما يرفع الكلفة النهائية للمشاريع ويضعف جودة مخرجاتها، وهو ما يقلل من أثر الإنفاق على النمو والتشغيل، كما أن ضعف الشفافية في تنفيذ الصفقات العمومية، وغياب التتبع الدقيق للكلفة والآجال، يفرغان جزءاً معتبراً من الجهد المالي للدولة من أثره الحقيقي، وتشير الأدبيات الحديثة إلى أن الصفقات العمومية تعد من أكثر المجالات عرضة للفساد، وأن تحسين الشفافية والرقابة والرقمنة في المشتريات العمومية يرفع كفاءة الإنفاق ويحد من مخاطر سوء استخدامه.

وعليه، فإن رفع فعالية سياسة الإنفاق العام في الجزائر يقتضي تفعيل حزمة مترابطة من الآليات المضادة للفساد الاقتصادي، في مقدمتها تعزيز شفافية الصفقات العمومية عبر النشر المنتظم لمعطيات المناقصات والإسناد والتنفيذ،

¹ - International Monetary Fund (IMF), Fiscal Monitor, October 2020, Chapter 2: Public Investment for the Recovery, Washington, DC, 2020, pp. 6–7.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

وتوسيع الرقمنة لتقليص الاحتكاك الإداري والسلطة التقديرية غير المبررة، وتقوية أجهزة الرقابة القبلية والبعديّة، وربط المسؤولية بالمحاسبة على أساس مؤشرات واضحة تتعلق بالكلفة، والجودة، والآجال، ونسب الإنجاز الفعلية، كما تبرز أهمية توظيف تحليلات البيانات في رصد الأنماط غير الطبيعية في المشتريات العمومية، بما يسمح بالكشف المبكر عن التجزئة المصطنعة، أو التركيز غير المبرر في الإسناد، أو فروقات الأسعار غير العادية بين المشاريع المتشابهة.

وبذلك، فإن تفعيل آليات محاربة الفساد الاقتصادي يمثل حلقة أساسية في سلسلة الإصلاحات المرتبطة بسياسة الإنفاق العام، لأنه يضمن أن تتحول الموارد المعبأة إلى نتائج اقتصادية واجتماعية فعلية بدل أن تستنزف في مسارات غير منتجة، فكل تحسن في نزاهة المشتريات، وجودة المتابعة، وشفافية التنفيذ، ينعكس مباشرة في خفض الكلفة غير الضرورية، وتحسين نوعية المشاريع، ورفع قدرة الإنفاق العام على دعم النمو وخلق فرص العمل. ومن ثم، فإن محاربة الفساد الاقتصادي ليست إجراءً مكتملاً فحسب، بل هي أحد الشروط الجوهرية لتحويل الإنفاق العام من مجرد كتلة مالية كبيرة إلى أداة أكثر كفاءة وفعالية في التخفيف من البطالة.

خامساً: تفعيل دور الصناديق السيادية

يعد تفعيل دور الصناديق السيادية من أهم الإجراءات المرتبطة بسياسة الإنفاق العام في الاقتصادات النفطية، بالنظر إلى دورها في إعادة تنظيم العلاقة بين الإيرادات الربعية والإنفاق العمومي على نحو يحد من الهشاشة المالية ويعزز الاستقرار الاقتصادي، فالإيرادات النفطية تتسم بطابعها الدوري وتقلبها الشديد، وهو ما يجعل الإنفاق العام عرضة للتوسع المفرط في فترات الوفرة ثم الانكماش القسري عند تراجع الأسعار. ومن ثم، تبرز الصناديق السيادية بوصفها آلية مؤسسية تسمح بتحويل جزء من الفوائض النفطية إلى أصول مالية منتجة للعائد، بما يضمن استدامة التمويل العمومي ويخفف من أثر الصدمات الخارجية على النشاط الاقتصادي والتشغيل.

ولا تقتصر وظيفة الصندوق السيادي على الادخار، بل تمتد إلى تحقيق الاستقرار المالي، ودعم العدالة بين الأجيال، والمساهمة في تنويع الاقتصاد، فضلاً عن تعزيز الانضباط المالي والحد من النزعة الدورية للسياسة الإنفاقية، فوجود قواعد واضحة لتحويل الفوائض إلى الصندوق، وربط السحب منه بضوابط موضوعية ومستدامة، يسمح بزيادة فعالية الإنفاق العمومي عبر الزمن، ويمنع ارتهانه المباشر لتقلبات السوق النفطية، كما أن توجيه جزء معتبر من استثمارات هذه الصناديق نحو الخارج يساهم في تقليل مخاطر التركيز، والحد من الضغوط التضخمية، والتخفيف من آثار المرض الهولندي على القطاعات المنتجة القابلة للتبادل.¹

غير أن فعالية الصناديق السيادية لا تتوقف على حجم أصولها، بل ترتبط أساساً بصلاية بنيتها المؤسسية وجودة حوكمتها، فالتجارب الدولية الناجحة تؤكد أن الصندوق السيادي لا يؤدي وظائفه الاستقرارية والتنموية إلا إذا تأسس

¹ Udaibir S. Das, Yinqiu Lu, Christian Mulder, and Amadou Sy, Setting Up a Sovereign Wealth Fund: Some Policy and Operational Considerations, IMF Working Paper No. 09/179, Washington, DC: International Monetary Fund, 2009, pp. 9-10, 13.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

على تفويض قانوني واضح، وهيكل حوكمة مستقل، وسياسات استثمارية معلنة، وآليات دقيقة لإدارة المخاطر والإفصاح والتدقيق. وفي هذا السياق، تمثل مبادئ سانتياغو إطارا مرجعيا مهما، لأنها تؤكد ضرورة الفصل بين الأهداف الاقتصادية للصندوق وبين الضغوط السياسية قصيرة الأجل، مع إخضاع أدائه لقواعد الشفافية والمساءلة.

وتبرز أهمية هذه الضوابط بصورة أكبر في الاقتصادات النفطية، لأن غيابها يحول الصندوق من أداة استقرار وادخار إلى مجرد حساب ظرفي لتمويل العجز. فحين تستنزف موارده لتغطية اختلالات مالية هيكلية، دون إصلاح جذور العجز أو ضبط الإنفاق الجاري، يفقد الصندوق وظيفته الأساسية، وتعود المالية العامة إلى الحلقة نفسها من التوسع والانكماش المرتبطين بالدورات النفطية. ومن هنا، فإن نجاح الصناديق السيادية لا ينفصل عن وجود إطار مالي متوسط الأجل يحدد بوضوح قواعد الإنفاق، ويربط استخدام الموارد النفطية بأهداف الاستقرار والاستدامة، لا بضرورات التمويل العاجل فقط¹.

وفي الحالة الجزائرية، تكشف تجربة صندوق ضبط الإيرادات عن محدودية الانتقال من منطق حساب الضبط إلى منطق المؤسسة السيادية المكتملة الوظائف، فعلى الرغم من أن الصندوق أنشئ بغرض امتصاص أثر تقلبات الإيرادات النفطية على الميزانية، إلا أن غياب قواعد صارمة للإيداع والسحب، إلى جانب استمرار العجز المالي وضعف التنوع الاقتصادي، جعل دوره أقرب إلى أداة استقرار ظرفية منه إلى صندوق سيادي طويل الأجل، وبذلك، لم يتحول إلى وعاء استثماري قادر على تكوين أصول منتجة للعائد، بل ظل رهينا بمنطق تعبئة الموارد عند الحاجة لتمويل العجز، وهو ما قلص إسهامه في دعم استدامة الإنفاق العام².

وعليه، فإن رفع فعالية سياسة الإنفاق العام في الجزائر يقتضي إعادة تصميم هذا الإطار في اتجاه إنشاء أو تطوير صندوق سيادي ذي وظائف واضحة ومتكاملة، يجمع بين الاستقرار قصير الأجل، والادخار الجزئي طويل الأجل، ودعم التنوع الاقتصادي، ويستلزم ذلك اعتماد قواعد تلقائية لتحويل الفوائض وفق سعر نفط مرجعي محافظ، ووضع سقف منضبط للسحب يرتبط بعائد مستدام أو بنسبة محددة من قيمة الأصول، فضلا عن تدعيم الحوكمة من خلال مجلس إدارة مستقل، وتقارير دورية مدققة، وربط الصندوق بالإطار المالي متوسط الأجل، غير أن نجاح هذا التوجه يظل مشروطا بإصلاحات مرافقة تشمل تعبئة الإيرادات غير النفطية، وتحسين مردودية الإنفاق العمومي، وترشيد النفقات الجارية، وتقوية مناخ الاستثمار المنتج، حتى لا يتحول الصندوق إلى مجرد أداة تمويل اضطراري في ظل عجز مزمن.

وعلى هذا الأساس، يمكن اعتبار الصناديق السيادية إحدى الآليات الجوهرية الكفيلة برفع فعالية سياسة الإنفاق العام في الاقتصادات النفطية، لأنها تتيح تحويل جزء من الربح النفطي من مصدر للهشاشة الدورية إلى رصيد سيادي داعم

¹ International Working Group of Sovereign Wealth Funds, Sovereign Wealth Funds: Generally Accepted Principles and Practices (Santiago Principles), Washington, DC, October 2008, pp. 3-4.

² International Monetary Fund, Algeria: 2023 Article IV Consultation - Staff Report, IMF Country Report No. 24/88, Washington, DC: International Monetary Fund, 2024, pp. 10-12, 51.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

للاستقرار المالي، والاستثمار طويل الأجل، والتنويع الاقتصادي. وفي الجزائر، فإن تفعيل هذا الدور لا يعني استنساخ النماذج الدولية بصورة آلية، بل يقتضي بناء نموذج مؤسسي ملائم للخصوصيات الوطنية، يربط إدارة الفوائض النفطية بأهداف الاستقرار والتشغيل والتنمية المستدامة.

هذا ويتضح من كل ما سبق أن رفع فعالية سياسة الإنفاق العام في التخفيف من البطالة لا يتحقق من خلال زيادة الإنفاق وحدها، بل من خلال تحسين جودة إعداده وتنفيذه وتوجيهه، فالإطار متوسط الأجل، والفرضيات الواقعية والمتحفظة، وسقوف الإنفاق المبكرة، وترتيب الأولويات، وشفافية إدارة الإيرادات النفطية، والانضباط في تشغيل الاحتياطات، والقدرات التقنية، والمرونة المخطط لها، ومحاربة الفساد الاقتصادي، تمثل كلها شروطا ضرورية لتحويل الإنفاق العام من مجرد أداة مالية توسعية إلى أداة أكثر قدرة على دعم النمو المنتج وخلق فرص العمل المستدامة، وبهذا المعنى، فإن فعالية الإنفاق في الاقتصاد النفطي لا تقاس بحجمه فقط، بل بجودة الحوكمة التي تحكمه، وهي الحوكمة التي تحدد في النهاية ما إذا كان هذا الإنفاق سيتحول إلى رافعة للتشغيل، أم إلى عبء مالي متكرر محدود الأثر الاقتصادي.

المطلب الثالث: السياسات الكلية الضرورية المكملة لعمل السياسة التوسعية في الإنفاق العام

من خلال هذا المطلب، سنستعرض أبرز السياسات المكملة لسياسة الإنفاق العام وبالخصوص السياسات التي من الممكن أن تساعد في تقليص سلبيات المرض الهولندي.

أولا: سبل تفعيل السياسات الاستثمارية بما يتلاءم مع متطلبات السياسة التوسعية في الإنفاق العام

يقصد بالسياسة الاستثمارية، على المستوى الكلي، مجموع القواعد والتوجيهات والإجراءات التي تعتمدها الدولة لتوجيه الاستثمار من حيث حجمه، وأولوياته القطاعية والإقليمية، ومصادر تمويله، وطبيعة ملكيته، بما يحقق زيادة مستدامة في الطاقة الإنتاجية للاقتصاد الوطني ويرفع معدلات النمو والتشغيل. ولا تنحصر أهمية هذه السياسة في مجرد رفع حجم الاستثمارات، بل في كيفية توجيهها ومدى قدرتها على تحويل الموارد المالية، ولا سيما تلك الناتجة عن التوسع في الإنفاق العام، إلى طاقات إنتاجية حقيقية قابلة للاستمرار والتوسع. ومن ثم، فإن نجاح السياسة الاستثمارية لا يقاس بعدد المشاريع المسجلة أو بحجم الاعتمادات المرصودة فقط، بل بقدرتها على خلق قيمة مضافة، وتوسيع القاعدة الإنتاجية، ورفع التشغيل، وتقليص التبعية للواردات¹.

وفي هذا الإطار، يشترط في السياسة الاستثمارية الفعالة أن تتسم بالوضوح والاستقرار وقابلية التنبؤ، وأن ترتبط بأهداف اقتصادية محددة ومعايير دقيقة لتقييم النتائج، وأن تكون ذات طابع تحفيزي يوجه المستثمرين والمدخرين نحو المجالات ذات الأولوية. كما أن فعاليتها تظل مرهونة بمدى انسجامها مع طبيعة البيئة الاقتصادية والمؤسسية التي تطبق فيها. لأن السياسات الاستثمارية لا تحقق نتائجها بالصيغة نفسها في جميع البلدان، بل تتحدد نجاحاتها تبعاً

¹ - عبد المطلب عبد الحميد، السياسات الاقتصادية، زهراء الشرق، القاهرة، 1997، ص 380، 381.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

لهيكل الاقتصاد، ودرجة تطوره، ونوعية مؤسساته، وحجم موارده، ومدى جاهزية سوقه المحلية والخارجية. ومن هذا المنطلق، فإن البحث في سبل تفعيل السياسة الاستثمارية في الجزائر ينبغي ألا ينفصل عن متطلبات السياسة التوسعية في الإنفاق العام، لأن هذه الأخيرة لا تحقق آثارا دائمة على النمو والتشغيل إلا إذا تحولت إلى استثمارات منتجة بدل أن تبقى مجرد توسع في الطلب أو في الإنفاق الاستهلاكي.

هذا وقد تختلف السياسات الاستثمارية عن بعضها البعض في مجموعة من الأمور المتعلقة بكيفية التنفيذ والقطاعات التي يجب التركيز عليها، وأساليب الدعم، إلى غير ذلك من مكونات السياسة الاستثمارية. وهذا ما يجعل نجاح السياسة الاستثمارية في تحقيق الأهداف مرهون بمدى توافق السياسة مع البيئة المراد تطبيقها فيها، وفيما يلي أهم أنواع السياسات الاستثمارية وعلاقتها المباشرة وغير المباشرة بالتشغيل.

أ- أنماط السياسات الاستثمارية الكلية وعلاقتها بالتشغيل

يمكن التمييز في الأدبيات التنموية بين نمطين رئيسيين من السياسات الاستثمارية من حيث أسلوب توزيع الاستثمارات وآثارها القطاعية، هما: السياسة الاستثمارية المتوازنة والسياسة الاستثمارية المختلة التوازن، وتقوم السياسة الاستثمارية المتوازنة على فكرة توجيه الاستثمارات إلى جبهة واسعة من الأنشطة والمشروعات بصورة متكاملة، بحيث يدعم كل مشروع مشاريع أخرى ضمن شبكة مترابطة من الطلب المتبادل، وصولا إلى الصناعات الموجهة للاستهلاك النهائي، ويفترض هذا النمط أن نمو القطاعات بصورة منسجمة يجد من الاختناقات ويعزز الترابطات الأفقية فيما بينها، بما يسمح بتوسع الاستثمار بصورة تدريجية ومستمرة. غير أن هذا التوازن لا يعني نمو جميع القطاعات بالمعدل نفسه، بل نموها وفق ما يتلاءم مع مرونة الطلب على منتجاتها وموقعها داخل البنية الاقتصادية، وقد ارتبط هذا التصور في الأدبيات الكلاسيكية بأعمال راغنار نوركس حول النمو المتوازن وتكوين رأس المال في البلدان المتخلفة.¹

أما السياسة الاستثمارية المختلة التوازن، فتنتقل من منطق مختلف، يقوم على تركيز الاستثمارات في عدد محدود من القطاعات القائمة التي يفترض أن تمتلك قدرة قوية على دفع بقية القطاعات إلى الأمام أو إلى الخلف، فاختلال التوازن هنا لا ينظر إليه بوصفه خللا ينبغي تفاديه دائما، بل بوصفه آلية ديناميكية لتحفيز استثمارات جديدة تعالج الاختناقات التي يولدها نمو القطاع القائد أو تستفيد من الفوائض التي يفرزها، وتمثل قوة الدفع إلى الأمام في قدرة النشاط القائد على خلق فرص استثمار في المراحل اللاحقة من العملية الإنتاجية، أما قوة الدفع إلى الخلف فتتمثل في قدرته على خلق طلب جديد على المدخلات والأنشطة المغذية له. ويرتبط هذا المنظور بصورة مباشرة بأطروحات ألبرت هيرشمان حول التنمية غير المتوازنة والروابط الخلفية والأمامية.²

¹ عمرو محي الدين، التخلف والتنمية، دار النهضة العربية، 1975، ص 275

² - عمرو محي الدين، نفس المرجع السابق، ص 306.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

وفيما يتعلق بعلاقة هذين النمطين بالتشغيل، فإن أثرهما على البطالة لا يتحدد بشكل آلي، بل يتوقف على مدى نجاحهما في استمرار توليد الفرص الاستثمارية المرجحة التي تشجع على مزيد من التوسع، فالسياسة المتوازنة قد تكون أبطأ نسبيا في توليد فرص العمل في بدايتها، لكنها تتيح، إذا استمر نجاحها، نموا متدرجا ومستداما في الطلب على اليد العاملة. أما السياسة المختلة التوازن، فقد تسرع خلق بعض فرص العمل في القطاعات القائمة أو المرتبطة بها، لكنها قد ترافقها اختلالات مؤقتة بين عرض العمل والطلب عليه في بعض القطاعات أو المهن. ولذلك، فإن نجاح أي من النمطين يظل مرهونا بقدرة الاقتصاد على توسيع الاستثمار الفعلي، وبمدى توافق تطور سوق العمل كما وكيفما مع حاجات المشاريع الاستثمارية الناشئة.

ب- السياسات الاستثمارية التصنيعية ودورها في دعم السياسة التوسعية

نظرا لما يتميز به القطاع الصناعي من قدرة على خلق القيمة المضافة، وتوليد الروابط مع الأنشطة الإنتاجية والخدمية الأخرى، واستيعاب نسبة معتبرة من القوى العاملة مباشرة وغير مباشرة، فإن السياسات الاستثمارية الموجهة نحو التصنيع تكتسب أهمية خاصة في الدول النامية. فالتصنيع لا يعني فقط ارتفاع مساهمة الصناعة في الناتج، بل يعني أيضا ازدياد الأهمية النسبية للموارد الاستثمارية الموجهة إلى هذا القطاع، بما يرفع طاقته الإنتاجية ويعزز قدرته على استيعاب اليد العاملة وتخفيف باقي القطاعات. كما تؤكد الأدبيات الحديثة أن التصنيع يظل مهما للنمو والإنتاجية حتى في الاقتصادات التي توسع فيها قطاع الخدمات، بسبب أثره في التعلم التكنولوجي والروابط الإنتاجية¹.

1- السياسة التصنيعية القائمة على الصناعة المصنعة

يقوم هذا النمط على تركيز الاستثمار في الصناعات التي تحدث تغييرا بنويا في منظومة العلاقات بين الصناعات عبر توفير الآلات والتجهيزات ووسائل الإنتاج التي تحتاجها القطاعات الأخرى، وغالبا ما تندرج ضمن هذا التصور الصناعات الثقيلة أو صناعات التجهيز والسلع الإنتاجية، التي تتطلب رؤوس أموال كبيرة وتكنولوجيا متقدمة، لكنها تؤدي دورا محوريا في رفع إنتاجية الاقتصاد ككل. غير أن هذا النمط، على الرغم من أهميته الهيكلية، لا يحقق عادة أثرا كبيرا وسريعا على التشغيل في المراحل الأولى، خاصة في الدول النامية، لأنه يتسم بكثافة رأسمالية مرتفعة وحاجة قوية إلى اليد العاملة الماهرة والفنية. ومع ذلك، فإنه قد يكون أكثر فعالية على المدى البعيد، بالنظر إلى ما يولده من موجات استثمار لاحقة في قطاعات تستخدم عنصر العمل بكثافة أكبر².

2- السياسة التصنيعية عن طريق إحلال الواردات

تعتمد هذه السياسة على إنتاج السلع التي كانت تستورد أو التي يتوقع استمرار استيرادها مستقبلا، وذلك عبر خلق حماية للصناعة المحلية الناشئة من خلال الرسوم الجمركية أو الحصص أو الرقابة على الاستيراد أو الصرف، وتقوم

¹ - عمرو محي الدين، نفس المرجع السابق، ص 240.

² - محمود ولد سيدي محمود، المشاكل الهيكلية للتنمية، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص 214.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

فكرتها الأساسية على رفع ربحية الاستثمار في الصناعات المحلية البديلة للواردات، بما يدفع الموارد إلى التوجه نحوها ويعزز تدريجيا الأهمية النسبية للصناعة في الناتج والتشغيل، وقد كانت هذه الاستراتيجية محورية في كثير من بلدان العالم النامي في منتصف القرن العشرين، غير أن الأدبيات الحديثة تشير إلى أن نجاحها كان مرتبطا دوما بمدى قدرتها على الانتقال من الحماية إلى التنافسية، لا بالبقاء في إطار الحماية الدائمة¹.

وعليه، فإن فعالية هذه السياسة لا تتوقف عند مجرد إقامة صناعات بديلة للواردات، بل على قدرة هذه الصناعات على استغلال الحماية المؤقتة لتطوير إنتاجيتها وكفاءتها تمهيدا للانتقال إلى المنافسة الداخلية والخارجية، فإذا تحولت الحماية إلى وضع دائم، ولم تستثمر الشركات في تحسين الجودة وخفض التكاليف، فإن الصناعة المحمية قد تنتهي إلى فقدان قدرتها على الصمود بمجرد تخفيف الحواجز، وهو ما يعيد الاقتصاد إلى نقطة البداية ويهدد التشغيل الذي تولد عنها. لذلك، فإن تبني هذه السياسة في سياق السياسة التوسعية في الإنفاق العام يقتضي ربط الحماية بخطة زمنية واضحة وبمؤشرات أداء، حتى تتحول الاستثمارات المحمية إلى قاعدة صناعية قابلة للاستمرار².

3- السياسة التصنيعية من أجل التصدير

تهدف هذه السياسة إلى توجيه الاستثمار الصناعي نحو القطاعات التي تمتلك ميزة نسبية أو قدرة كامنة على المنافسة في الأسواق الخارجية، مع العمل على تطوير تجارة التصدير كما ونوعا، ولا يكفي هنا الاعتماد على تصدير المواد الأولية الخام حتى في البلدان الغنية بالموارد الطبيعية، بل ينبغي نقل هذه المزايا إلى أنشطة صناعية تحويلية ذات قيمة مضافة أعلى، وتكمن أهمية هذا النمط في أنه يسمح بتجاوز ضيق السوق المحلية، والتخفيف من قيد ميزان المدفوعات، وفرض انضباط تنافسي على الصناعة الوطنية عبر تعريضها للمنافسة الدولية، وتفيد خبرات بلدان شرق آسيا، كما تعكسها بعض الأدبيات المقارنة، بأن التصنيع من أجل التصدير غالبا ما ترافق مع مراحل من الإحلال المدروس للواردات وتحسين الحوافز التنافسية وليس مع قطيعة تامة مع السياسات الحمائية³.

غير أن هذا التوجه يظل بدوره مرتبطا بقدرة الاقتصاد على الصمود أمام تقلبات الطلب الخارجي والدورات العالمية، لأن ربط القطاعات الإنتاجية المعدة للتصدير بالأسواق الدولية قد يجعلها عرضة لآثار الركود أو الأزمات الخارجية. لذلك، فإن نجاح هذه السياسة يقتضي ألا تفهم كمجرد توجيه للصناعات نحو الخارج، بل كجزء من استراتيجية أوسع لبناء القدرات الإنتاجية وتحسين الجودة وتوسيع الاندماج المحلي.

ت- تطور السياسة الاستثمارية في الجزائر بين التحفيز وإعادة الضبط

1 - عمرو محي الدين، مرجع سبق ذكره، ص 344.

2 - محمد محروس إسماعيل، اقتصاديات الصناعة والتصنيع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1992، ص 44.

3 - هوشيار معروف، دراسات في التنمية الاقتصادية، استراتيجيات التصنيع والتحول الهيكلي، دار صفاء، عمان، 2005، ص 47.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

حاولت الحكومات الجزائرية، خاصة منذ مطلع الألفية، بناء إطار قانوني ومؤسسي يهدف إلى تشجيع الاستثمار وتحسين مناخ الأعمال، غير أن هذا المسار عرف تحولات متتابعة عكست ترددا بين منطق الانفتاح التحفيزي ومنطق الضبط التنظيمي. ففي سنة 2001 جاء الأمر 01-03 المؤرخ في 20 أغسطس 2001 المتعلق بتطوير الاستثمار ليؤسس مقاربة أكثر وضوحا في دعم الاستثمار، من خلال تكريس المساواة بين المستثمر الوطني والأجنبي، وإلغاء التمييز بين الاستثمار العام والخاص، وإحداث الشباك الوحيد، وإنشاء أجهزة مرافقة وتحفيز مخصصة للاستثمار.¹

وفي سنة 2006، جاء الأمر 06-08 المؤرخ في 15 يوليو 2006 المعدل والمتمم للأمر 01-03 ليضيف عناصر مرونة وتسريع في معالجة بعض الملفات، ويعيد إبراز دور المجلس الوطني للاستثمار في صياغة التوجهات الكبرى وترقية الاستثمار، مع استمرار المرجعية التحفيزية مع بعض التعديلات التنظيمية.²

أما المنعطف الأوضح فقد ظهر مع الأمر 09-01 المؤرخ في 22 يوليو 2009 المتضمن قانون المالية التكميلي لسنة 2009، الذي مثل انتقالا من منطق التحفيز الواسع إلى منطق إعادة الضبط والرقابة، لا سيما عبر إدخال شروط إضافية على الاستثمار الأجنبي، وربط بعض الامتيازات بإعادة الاستثمار والمقتنيات المحلية، وتعزيز آليات الرقابة والتقييد، وقد تضمنت هذه المرحلة تعديلات مست مباشرة منظومة امتيازات الاستثمار والأحكام المرتبطة بالمشاريع الكبرى والاستثمار الأجنبي.³

وعليه، يمكن تلخيص تطور قوانين الاستثمار في الجزائر في مسار مزدوج: مرحلة أولى اتسمت بانفتاح تحفيزي يهدف إلى جذب رأس المال المحلي والأجنبي عبر الضمانات والامتيازات وتبسيط الإجراءات، تلتها مرحلة إعادة ضبط أكثر تحفظا، خصوصا تجاه الاستثمار الأجنبي، عبر شروط شراكة ومراقبة وتحويل جزء من التحفيزات نحو دعم الاستثمار المحلي وتقليص ما اعتبر اختلالات أو نتائج غير مرضية للسياسة السابقة.

ث- نحو إطار قانوني ومؤسسي يوجه الاستثمار نحو الإنتاج الحقيقي

في ضوء هذا التطور التشريعي والمؤسسي، لا تبدو المشكلة الأساسية في الجزائر مرتبطة فقط بغياب النصوص أو المؤسسات، بل بطبيعة الحوافز، وتداخل الأدوار، وضعف الاستقرار التشريعي، وعدم كفاية الربط بين الامتيازات والنتائج الاقتصادية الفعلية. ومن ثم، فإن تفعيل السياسة الاستثمارية بما يتلاءم مع متطلبات السياسة التوسعية في الإنفاق العام يقتضي إطارا قانونيا ومؤسسيا متكاملا، هدفه الرئيس ليس مجرد رفع عدد المشاريع، بل توجيه الاستثمار نحو الإنتاج الحقيقي في الصناعة والزراعة، بما يسمح بتحويل الإنفاق العام إلى طاقة إنتاجية دائمة، ويقوم هذا الإطار

¹ الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، الأمر رقم 01-03 المؤرخ في 20 أغسطس 2001، المتعلق بتطوير الاستثمار، العدد 47، 22 أغسطس 2001.

² الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، الأمر رقم 06-08 المؤرخ في 15 يوليو 2006، المعدل والمتمم للأمر رقم 01-03 المتعلق بتطوير الاستثمار، العدد 47، 19 يوليو 2006.

³ الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، الأمر رقم 09-01 المؤرخ في 22 يوليو 2009، المتضمن قانون المالية التكميلي لسنة 2009، العدد 44، 26 يوليو 2009.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

على أربع ركائز مترابطة: قانون واضح ومستقر، مؤسسات تنفيذية فعالة، حوافز موجهة للقطاعات المنتجة، وآليات شفافة للرقابة والتقييم تقلل منطق الربح.

فعلى المستوى القانوني، تحتاج الجزائر إلى قانون استثمار موحد ومستقر يحد من التغيير المتكرر للقواعد، ويضمن وضوح الإطار القانوني وقابليته للتنبؤ، وينبغي أن يقوم هذا القانون على مبدأي حرية الاستثمار مع حصر الاستثناءات في القطاعات السيادية، والمساواة في المعاملة مع إخضاع منح الامتيازات لضوابط شفافة ومعلنة. وفي المقابل، يجب الانتقال من منطق الحوافز العامة أو الأفقية إلى منطق الحوافز العمودية الموجهة للقطاعات المنتجة، وعلى رأسها الصناعة التحويلية والزراعة، وفق مؤشرات أداء محددة مثل نسبة الإدماج المحلي، وعدد مناصب الشغل الدائمة، وحجم الإنتاج الفعلي، وقدرة المشروع على الإحلال محل الواردات أو التصدير. وبهذا المعنى، لا تمنح الامتيازات بوصفها إعفاءات عامة، بل بوصفها عقد أداء بين الدولة والمستثمر.

أما على المستوى المؤسسي، فإن فعالية المنظومة تتطلب إعادة ترتيب الأدوار لتجنب التداخل وتحويل الهيئات القائمة إلى أدوات تسهيل لا تعطيل، مع شبك موحد رقمي حقيقي، وآجال قانونية ملزمة، ومرافقة بعد الإطلاق، وآليات سريعة للطعن وحل النزاعات الإدارية. كما يقتضي نجاح التوجيه نحو الإنتاج الحقيقي إصلاح ملف العقار الصناعي والفلاحي على أساس الشفافية والرقمنة وربط الامتياز بالإنجاز الفعلي، إلى جانب إنشاء مرصد وطني للإنتاجية والأثر الاستثماري تكون مهمته تقييم نتائج الحوافز والامتيازات على أساس مؤشرات فعلية، مثل المشاريع التي دخلت الإنتاج، والوظائف الدائمة، والإدماج المحلي، والإحلال محل الواردات، والتصدير، وبدون مثل هذا الجهاز التقييمي، تظل الامتيازات معرضة للتحويل إلى تحويلات ريعية غير مرتبطة بأثر اقتصادي ملموس.

وبهذا يتضح مما سبق أن تفعيل السياسة الاستثمارية بما يتلاءم مع متطلبات السياسة التوسعية في الإنفاق العام لا يتحقق بمجرد رفع حجم الاعتمادات أو توسيع الحوافز، بل يتطلب إعادة توجيه الاستثمار نحو القطاعات المنتجة، وربط الامتيازات بعقود أداء، وتبسيط القواعد القانونية، وإعادة بناء المؤسسات على أساس الفعالية والشفافية والمساءلة. فالسياسة التوسعية في الإنفاق العام لا تولد أثرا دائما على النمو والتشغيل إلا إذا تحولت إلى استثمارات حقيقية في الصناعة والزراعة والبنية التحتية الإنتاجية، بدل أن تبقى في حدود الطلب الظرفي أو التوزيع الريعي. ومن ثم، فإن الجزائر لا تحتاج إلى مزيد من النصوص بقدر ما تحتاج إلى قواعد أبسط وأكثر استقرارا، ومؤسسات أقل تداخلا وأكثر إلزاما، وحوافز مرتبطة بالنتائج لا بالوضع القانوني للمشروع فقط، وعندئذ فقط يمكن تحويل الاستثمار من نشاط إداري أو امتيازي إلى محرك فعلي للإنتاج، ورافعة لتقليص التبعية للواردات، ووسيلة حقيقية لخلق الوظائف ضمن مسار تنموي أكثر توازنا واستدامة.

ثانيا: ضرورة حماية ثمار السياسة التوسعية من الآثار السلبية للتجارة الدولية وذلك بتفعيل آليات الحماية المعاصرة

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

تمثل حماية آثار السياسة التوسعية للإنفاق العام من التسرب إلى الخارج أحد الشروط الأساسية لنجاحها في دعم النشاط الاقتصادي والتشغيل، ولا سيما في الاقتصادات النفطية النامية التي تعاني هشاشة في القاعدة الإنتاجية وضعفا في القطاعات القابلة للتداول. ففي هذه الاقتصادات، قد تؤدي الزيادة في الإنفاق العام إلى ارتفاع الطلب الكلي، لكن جزءا معتبرا من هذا الطلب يتسرب نحو الخارج في صورة واردات، بدل أن يتحول إلى قيمة مضافة داخلية وفرص عمل محلية، وهو ما يضعف الأثر المضاعف للإنفاق والتشغيل ويحد من قدرته على تقليص البطالة، وتزداد هذه الإشكالية حدة في البلدان التي تعاني أعراض المرض الهولندي، حيث يؤدي تدفق الربح أو العملات الأجنبية إلى إضعاف القدرة التنافسية للأنشطة القابلة للتداول خارج القطاع الربحي، مع بقاء تشخيص هذه الظاهرة وتقدير آثارها رهينا بخصوصيات كل اقتصاد على حدة¹.

غير أن معالجة هذا الوضع لا تعني العودة إلى الحماية التقليدية القائمة على المنع الواسع أو الرسوم المرتفعة بصورة عمياء، لأن هذا النوع من الحماية قد يفضي بدوره إلى تشوهات سعرية وارتفاع في التكاليف وتراجع في المنافسة. لذلك، أصبح الأنسب الحديث عن الحماية المعاصرة بوصفها انتقالا من أدوات الحماية المباشرة إلى أدوات أكثر انتقائية ومؤسسية، تدار عبر المشتريات العمومية، وسلاسل القيمة، والمعايير الفنية، وآليات الدفاع التجاري. وفي هذا المعنى، لا تستهدف الحماية المعاصرة إغلاق الاقتصاد، بل توفير حماية مؤقتة ومشروطة بالأداء، بما يسمح للأنشطة المحلية بتحسين الإنتاجية والجودة والاندماج في النسيج الاقتصادي بصورة أكثر استدامة².

وتبرز المشتريات العمومية في هذا السياق باعتبارها من أهم أدوات الحماية التنموية الحديثة، لأن الدولة تستطيع من خلالها توجيه جزء معتبر من طلبها نحو المنتج المحلي، من دون اللجوء إلى الحظر التجاري المباشر، فحين تدرج أفضلية للمنتج الوطني في الصفقات العمومية، فإنها تحمى من تسرب أثر الإنفاق العام إلى الخارج، وتخلق في الوقت نفسه طلبا مستقرا يسمح للمؤسسات المحلية بالتوسع والاستثمار، غير أن فعالية هذه الأداة تظل رهينة بشرطين أساسيين: أولهما أن يكون التفضيل المحلي مقترنا بمؤشرات أداء واضحة، مثل نسبة الإدماج المحلي ونقل المعرفة واحترام الجودة والآجال؛ وثانيهما أن يدار في إطار من الشفافية والرقمنة والنشر الدوري للنتائج، حتى لا يتحول إلى ريع حمائي جديد أو إلى قناة للمحاباة³.

ويرتبط بذلك المحتوى المحلي باعتباره من صميم الحماية المعاصرة، لأن منطق لا يقوم على مجرد تقليص الواردات، بل على توطين المدخلات والأنشطة داخل سلاسل القيمة الوطنية، فالبرامج الاستثمارية الكبرى قد تتحول إلى مجرد قنوات لاستيراد المعدات والخدمات من الخارج إذا لم تصمم بما يسمح ببناء قاعدة موردين محليين. ومن ثم، يصبح المحتوى المحلي وسيلة لتقليص تسرب الإنفاق نحو الخارج، شرط ألا يحتزل في نسب شكلية أو التزامات عامة غير قابلة

¹ Naoko C. Kojo, Demystifying Dutch Disease, World Bank Policy Research Working Paper No. 6981, Washington, DC, 2014, p. 3; pp. 11-13.

² OECD, Local Content Requirements, OECD Trade Policy Brief, Paris, February 2019, p. 1.

³ Ibid., p. 2.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

للقياس، فالأدبيات الحديثة تشير إلى أن متطلبات المحتوى المحلي قد تساعد على بناء قدرات إنتاجية داخلية، لكنها قد تؤدي أيضا إلى رفع الأسعار وتقليص المنافسة إذا لم تكن انتقائية، محددة زمنيا، ومقترنة بإصلاحات تعزز الإنتاجية والكفاءة¹.

أما الأدوات غير الجمركية، وفي مقدمتها المتطلبات الفنية والصحية، فتشكل إحدى الأدوات المشروعة للحماية المعاصرة حين تستخدم لحماية السوق من السلع الرديئة أو غير المطابقة، لا كوسيلة تعسفية لتعطيل التجارة، فوفقا لاتفاقية الحواجز الفنية أمام التجارة، يجب أن تكون اللوائح الفنية والمعايير وإجراءات تقييم المطابقة غير تمييزية وألا تنشئ عقبات غير ضرورية أمام التجارة، مع الاعتراف في الوقت ذاته بحق الدول في تبني تدابير تحقق أهدافا مشروعة مثل حماية صحة الإنسان وسلامته أو حماية البيئة، كما تقرر اتفاقية التدابير الصحية والصحة النباتية بحق الدول في اعتماد إجراءات لحماية صحة الإنسان والحيوان والنبات، شريطة أن تكون قائمة على أسس علمية وألا تتحول إلى قيود تعسفية أو مقنعة على التجارة الدولية².

وانطلاقا من ذلك، فإن القيمة الاقتصادية لهذه الأدوات في الاقتصادات النامية لا تتمثل في تعقيد الاستيراد في حد ذاته، بل في رفع معيار السوق الوطنية حتى لا تقوم المنافسة على السعر وحده، خاصة عندما تكون السلع المستوردة منخفضة المواصفات وتزيج المنتج المحلي من السوق رغم ضعف جودتها. لكن استعمال هذه الأدوات لا يكون فعالا إلا إذا رافقه تحديث للمخابر وهيئات الاعتماد، وتبسيط ورقمنة إجراءات المطابقة، والتمييز بوضوح بين السلع النهائية الاستهلاكية ومدخلات الإنتاج، لأن تعطيل هذه الأخيرة باسم المطابقة قد يخنق الصناعة المحلية بدل أن يحميها.

ومن جهة أخرى، تمثل أدوات الدفاع التجاري، مثل مكافحة الإغراق والتدابير التعويضية والإجراءات الوقائية، إحدى أكثر أدوات الحماية قبولا في النظام التجاري الدولي، لأنها لا تقوم على قرارات اعتباطية بل على تحقيقات فنية وإثبات الضرر اللاحق بالصناعة الوطنية، وتكمن أهميتها في أنها تتيح حماية بعض القطاعات من موجات واردات ضارة دون اللجوء إلى غلق السوق بصفة عامة، غير أن فعاليتها الاقتصادية مرتبطة كذلك بطابعها الانتقائي والمؤقت؛ فإذا توسع استعمالها من دون تقييم دقيق للقطاعات المستهدفة، فقد تتحول سريعا إلى مصدر لارتفاع الأسعار وحماية غير منتجة³.

كما أن تنظيم الاستيراد يمكن أن يشكل أداة مكتملة لحماية أثر السياسة التوسعية، إذا استخدم بصورة عقلانية تستهدف السلع النهائية غير الضرورية أو التي توجد لها بدائل محلية قابلة للنمو، دون المساس بمدخلات الإنتاج والآلات والمستلزمات الوسيطة، فالاقتصادات النفطية تواجه عادة ضغوطا على العملة الأجنبية عند توسع الإنفاق وارتفاع الواردات، وقد يكون من المشروع تنظيم تدفقات الاستيراد بما يحد من الاستهلاك غير المنتج للعملة الصعبة،

¹ Ibid., p. 2.

² World Trade Organization, The WTO Agreements Series: Technical Barriers to Trade, Geneva, 2021, pp. 4, 11-12.

³ World Trade Organization, The WTO Agreements Series: Technical Barriers to Trade, op. cit., p. 39

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

لكن هذا التنظيم يفقد مبرره الاقتصادي إذا تحول إلى بيروقراطية عامة تعطل حصول المنتجين على المواد الأولية والتجهيزات الضرورية، لأن النتيجة في هذه الحالة تكون إضعاف الإنتاج المحلي نفسه.

وفي السياق الدولي الراهن، لم تعد الحماية المعاصرة مقتصرة على حماية السوق الوطنية من الواردات، بل امتدت أيضا إلى حماية القدرة التصديرية للمنتج المحلي من القيود التنظيمية الجديدة في الأسواق الخارجية، وهو ما يتجلى بوضوح في آلية تعديل حدود الكربون الأوروبية (CBAM). فهذه الآلية، التي انتقلت من المرحلة الانتقالية إلى النظام النهائي ابتداء من سنة 2026، تهدف إلى فرض سعر كربوني على الواردات كثيفة الانبعاثات بما يحقق نوعا من التكافؤ مع المنتج الأوروبي الخاضع لتكاليف الكربون، وتشمل في نطاقها الأولي الكهرباء والهيدروجين ومنتجات مختارة في قطاعات الأسمنت والأسمدة والألمنيوم والحديد والصلب¹.

ورغم الطابع البيئي المعلن لهذه الآلية، فإن أثرها الاقتصادي يجعلها في نظر كثير من البلدان النامية شكلا من الحماية الخضراء، لأنها لا تفرض فقط عبئا ماليا محتملا على الواردات، بل تفرض أيضا تكلفة امتثال تقنية ومؤسسية تتعلق بقياس الانبعاثات والتحقق منها والإبلاغ عنها، وهذا يضع الاقتصادات النامية أمام تحد مزدوج: فمن جهة، قد تتأثر تنافسية صادراتها إلى السوق الأوروبية إذا كانت كثيفة الانبعاثات؛ ومن جهة أخرى، قد تعاني المؤسسات الوطنية من ضعف القدرة التقنية على إثبات البصمة الكربونية وفق المعايير المطلوبة. لذلك، فإن الاستجابة الرشيدة لهذا التحول لا تكون بالاعتراض الخطابي فقط، بل ببناء منظومة وطنية للقياس والتحقق، وتحديث التكنولوجيا الصناعية، وتحسين كفاءة الطاقة، حتى لا يتحول البعد البيئي في التجارة الدولية إلى قيد إضافي على مسار التنوع الاقتصادي.

وخلاصة القول، إن حماية ثمار السياسة التوسعية من الآثار السلبية للتجارة الدولية لا تتحقق بأداة منفردة، ولا بسياسة حمائية عمياء، بل عبر حزمة متكاملة تجمع بين توجيه الطلب العمومي نحو المنتج المحلي، وبناء محتوى محلي واقعي داخل سلاسل القيمة، ورفع معايير السوق الوطنية، واستخدام أدوات الدفاع التجاري بصورة قانونية وانتقائية، وتنظيم الاستيراد بما يحمي العملة الصعبة دون خنق الإنتاج، والاستعداد في الوقت نفسه للتحويلات الجديدة في النظام التجاري الدولي، غير أن هذه الحزمة لا تكون مجدية إلا إذا ارتبطت ببرنامج فعلي لرفع الإنتاجية والتكنولوجيا والجودة، لأن الحماية غير المرتبطة بالكفاءة لا تنتج سوى ريع جديد وتضخم أعلى، أما الحماية المرتبطة بالإنتاجية والحوكمة والشفافية فهي وحدها القادرة على تحويل الإنفاق العام من مصدر لتوسيع الواردات إلى رافعة حقيقية للتشغيل والتنوع الاقتصادي².

ثالثا: سياسة سعر الصرف المصححة للاختلالات الهيكلية بين القطاعات التبادلية والقطاعات غير التبادلية

¹ OECD, What to Expect from the EU Carbon Border Adjustment Mechanism?, Paris, 13 March 2025, pp. 1-2.

² OECD, Local Content Requirements, op. cit., pp. 1-2

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

تعد العلاقة بين سياسة سعر الصرف والبنية القطاعية للاقتصاد من القضايا المركزية في تحليل الاقتصادات النفطية، لأن سعر الصرف لا يؤدي وظيفة نقدية محضة، بل يشكل سعرا نسبيا يحدد اتجاهات تخصيص الموارد بين القطاعات المختلفة. ففي الاقتصادات الريعية، تتولد اختلالات هيكلية مزمنة بين القطاعات التبادلية القابلة للمنافسة الخارجية، مثل الصناعة التحويلية والزراعة القابلة للتصدير وبعض الخدمات القابلة للتدويل، وبين القطاعات غير التبادلية التي تستهلك محليا ولا تتعرض للمنافسة الخارجية بالقدر نفسه، مثل الإنشاءات والعقار والخدمات المحلية، ويعد المرض الهولندي إطارا تفسيريا مناسباً لهذه الاختلالات، إذ تؤدي تدفقات الربح النفطي وما يصاحبها من توسع إنفاقي إلى ضغوط نحو ارتفاع سعر الصرف الحقيقي، فتضعف تنافسية القطاعات التبادلية وتتوسع القطاعات غير التبادلية المدفوعة بالطلب الداخلي.¹

وفي الحالة الجزائرية، تظهر ملامح هذا الاختلال بصورة ملموسة، بحكم استمرار الاعتماد المرتفع على المحروقات في توليد النقد الأجنبي والإيرادات الخارجية، الأمر الذي يحد من نمو الصادرات غير النفطية ويجعل قدرة القطاعات التبادلية على التوسع محدودة، كما أن تحسن أسعار الصادرات النفطية قد ينعكس في صورة ارتفاع للأجور وأسعار غير التبادلي، ومن ثم في صورة تقدير أعلى لسعر الصرف الحقيقي، بما يضعف تنافسية الأنشطة القابلة للتداول خارج المحروقات، ولهذا لا يمكن النظر إلى سياسة سعر الصرف في الجزائر بوصفها أداة نقدية فحسب، بل باعتبارها متغيراً يؤثر مباشرة في التوازنات القطاعية وفي فرص التنويع الاقتصادي.²

ويزداد فهم طبيعة هذه الاختلالات دقة عندما ينظر إلى تطور سعر الصرف الحقيقي الفعال عبر دورات النفط، ففي فترات تحسن شروط التبادل النفطية، تميل الاقتصادات الريعية إلى تسجيل ضغوط تقديرية على سعر الصرف الحقيقي، سواء عبر تدفقات النقد الأجنبي أو عبر ارتفاع أسعار غير التبادلي بوتيرة أسرع من أسعار التبادلي، ويترتب عن ذلك اتساع الفجوة في الأسعار النسبية، فيصبح الاستثمار في القطاعات التبادلية أقل جاذبية مقارنة بقطاعات الخدمات والإنشاءات، ويتعزز الميل نحو الأنشطة المرتبطة بالطلب الداخلي بدل الأنشطة القابلة للتصدير، ومن ثم، فإن رصد تطور سعر الصرف الحقيقي الفعال * REER وعلاقته ببنية الصادرات وحصص الصناعة التحويلية يوفر مدخلا علميا لتفسير استمرار ضعف التنويع الإنتاجي في الاقتصادات النفطية.

وتتصل صورة الاختلال أيضا بواقع السياسة الحالية لسعر الصرف في الجزائر، حيث يغلب طابع الإدارة والتدخل من أجل تحقيق قدر من الاستقرار الاسمي والحد من تقلبات الأسعار المستوردة. غير أن الاستقرار الاسمي، على أهميته في سياق السيطرة على التضخم، قد يفرز آثارا جانبية إذا كان على حساب التنافسية الحقيقية للقطاعات التبادلية،

¹ Kareem Ismail, The Structural Manifestation of the "Dutch Disease": The Case of Oil Exporting Countries, IMF Working Paper No. 10/103, International Monetary Fund, Washington, D.C., 2010, pp. 4-5.

² Taline Koranchelian, The Equilibrium Real Exchange Rate in a Commodity Exporting Country: Algeria's Experience, IMF Working Paper No. 05/135, International Monetary Fund, Washington, D.C., 2005, p. 8

* هو مؤشر مركب يقيس القيمة الحقيقية للعملة الوطنية مقابل عملات الشركاء التجاريين بعد تعديلها بفوارق الأسعار أو التضخم.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

خاصة عندما يتزامن مع طلب داخلي قوي أو توسع إنفاقي ممول بصورة غير مباشرة من الربيع، وعندما يتزامن ذلك مع قيود على سوق الصرف وظهور أسعار موازية، تصبح الإشارة السعرية مزدوجة: قطاع واسع يسعر وفق سعر ضمني أعلى، وقطاعات أخرى تعمل وفق السعر الرسمي، وهو ما يفاقم اختلالات الحوافز ويشجع أممات من التحايل ويضعف كفاءة تخصيص الموارد¹.

ولكي يأخذ البحث طابعا تحليليا دقيقا، ينبغي بناء منظومة تشخيص تعتمد مؤشرات عملية تقيس الفجوة بين التبادلي وغير التبادلي، ويأتي في مقدمة هذه المؤشرات تطور REER وعلاقته بالصدمة النفطية، ومساهمة الصناعة التحويلية والصادرات غير النفطية في الناتج والصادرات، وتطور الأسعار النسبية للخدمات والعقار مقارنة بأسعار السلع القابلة للتداول، إضافة إلى الميزان التجاري غير النفطي والحساب الجاري بوصفهما مرآة للاعتماد على الواردات وتراجع القدرة التنافسية الخارجية، كما تعد فروق الإنتاجية والأجور بين القطاعات ذات دلالة كبيرة، لأنها تكشف مدى انتقال الموارد نحو أنشطة منخفضة الإنتاجية لكنها تستفيد من الطلب الريعي، وأخيرا، فإن قياس حجم السوق الموازية أو علاوة السعر الموازي يعد مؤشرا بالغ الأهمية على تشوهات سوق الصرف وفقدان الاتساق بين السعر الرسمي وتوازنات العرض والطلب.

غير أن تصحيح سعر الصرف، ولو تم بدقة، لا يمثل حلا كافيا بمفرده لتصحيح الاختلالات الهيكلية، فتخفيض العملة اسميا قد يمنح القطاعات التبادلية دفعة تنافسية مؤقتة، لكنه قد يتبدد سريعا إذا أدى إلى تضخم مرتفع يمتص مكسب التنافسية الحقيقية، أو إذا كانت الاستجابة العرضية محدودة بسبب ضعف الطاقة الإنتاجية والقيود المؤسسية واللوجستية والتمويلية، وتزداد المشكلة تعقيدا عندما تكون سلاسل الإنتاج المحلية معتمدة على مدخلات مستوردة، إذ يرفع التخفيض كلفة هذه المدخلات، فتتآكل القدرة التنافسية بدل أن تتحسن، لذلك ينبغي تناول السياسة على أساس حزمة مترابطة تشمل سعر الصرف والسياسة المالية والسياسة النقدية وإصلاحات هيكلية تستهدف رفع الإنتاجية وتعزيز الاستجابة الإيجابية لسياسة تخفيض العملة.

ومن هذا المنطلق، فإن المقصود بسياسة سعر صرف مصححة لا ينحصر في اختيار مستوى اسمي جديد للعملة، بل يتمثل في إدارة مسار REER بما يدعم التبادلي ويحد من تضخم غير التبادلي، ويتطلب ذلك تحديد نظام صرف ملائم لاقتصاد نفطي، غالبا ضمن صيغة مرنة أو تعويم مدار، مع اعتماد قاعدة تدخل واضحة للبنك المركزي تحدد أهداف التدخل وحدوده، سواء كان الهدف تقليل التقلبات أو تجنب انحرافات كبيرة عن أهداف واضحة وصریحة مستهدفة.

ويظل التنسيق بين سياسة الصرف والسياسة المالية شرطا حاكما لنجاح أي مسار تصحيحي في الاقتصادات النفطية، لأن مصدر تقدير REER غالبا لا يأتي من سوق الصرف وحدها، بل من قناة الإنفاق العام والدورات الربعية

¹ Simon T. Gray, Official and Parallel Exchange Rates—Recognizing Reality, IMF Working Paper No. 21/25, International Monetary Fund, Washington, D.C., 2021, pp. 1, 6.

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

التي تغذي الطلب على غير التبادلي وترفع أسعاره. لذلك تكتسب قواعد المالية العامة، مثل فصل الإنفاق عن دورة النفط عبر سقف إنفاق أو مرجعيات سريعة للنفط أو أطر متوسطة الأجل، أهمية مباشرة في تخفيف الضغوط التقديرية على REER، كما يبرز دور صناديق الاستقرار أو آليات الادخار السيادي في امتصاص الفوائض بدل ضخها فوراً في الاقتصاد الداخلي، بما يحد من انتقال الطفرة النفطية إلى تضخم داخلي وبالتالي رفع أكثر ل REER وإلى توسع القطاعات غير التبادلية على حساب القطاعات المنتجة والقابلة للتصدير¹.

وفي الإطار نفسه، لا يمكن التعويل على سعر الصرف كرافعة تنافسية ما لم تدعم بسياسات صناعية وتجارية مكاملة تستهدف رفع القدرة التصديرية والبدائل المحلية للواردات، فتعزيز القطاع التبادلي يتطلب تحسين اللوجستيك وخفض كلفة المعاملات، وتيسير التمويل الإنتاجي وتمويل التصدير، والارتقاء بمعايير الجودة والاعتماد، وتبسيط الإجراءات الجمركية، فضلاً عن اعتماد حماية ذكية ومؤقتة للقطاعات الواعدة بشرط ألا تتحول إلى ريع دائم، والغاية من هذه السياسات هي تحويل الحافز السعري الذي يولده سعر الصرف إلى توسع فعلي في الإنتاج والصادرات، لا إلى ارتفاع عام في الأسعار².

وتقتضي خصوصية الجزائر إبراز عاملين يضحمان أثر الاختلالات: أولهما استمرار الاعتماد الكبير على المحروقات بما يجعل الاقتصاد حساساً لصدمات شروط التبادل، وثانيهما اتساع السوق الموازية وتعدد الأسعار الفعلية، وهو ما يضعف انتقال السياسة ويشوه الإشارات التي يفترض أن توجه الاستثمار والعمل نحو التبادلي، كما أن هيكل الواردات، الذي يتضمن وزناً كبيراً للغذاء والمواد الوسيطة والتجهيزات، يجعل أي تعديل غير مدروس في سعر الصرف ذا أثر تضخمي سريع، ما يفرض معالجة دقيقة للتوازن بين استعادة التنافسية وحماية الاستقرار السعري والقدرة الشرائية³.

وبمثل إصلاح سعر الصرف في الجزائر خياراً اقتصادياً شديداً الحساسية، لأن أثره لا يقتصر على تعديل قيمة العملة اسمياً، بل يمتد إلى إعادة تشكيل الأسعار النسبية، وتوجيه الموارد بين القطاعات، والتأثير في القدرة الشرائية وفي توازنات الاقتصاد الكلي. ولهذا فإن أي تغيير كبير أو صدمة في سياسة سعر الصرف يحمل مخاطر جمة، تتمثل إحدى أبرز هذه المخاطر في قوة انتقال تغيير سعر الصرف إلى التضخم، فارتفاع كلفة الواردات، سواء تعلق الأمر بالسلع النهائية أو بالمدخلات الوسيطة ومواد الإنتاج، ينعكس سريعاً على أسعار المستهلك وعلى تكاليف الإنتاج المحلية، وبسبب محدودية البدائل المحلية في كثير من السلع الاستراتيجية، قد يكون هذا الأثر التضخمي مرتفعاً بما يمتص مكسب التنافسية المتوقع من تخفيض العملة، ويقود ذلك مباشرة إلى أثر اجتماعي وسياسي لا يقل أهمية، يتمثل في تآكل الأجور

¹ . Alberto Behar and Armand Fouejjieu, op. cit., pp. 28–30; Luc Eyraud et al., A New Fiscal Framework for Resource-Rich Countries, IMF Working Paper No. 23/230, 2023.

² Ruy Lama and Juan Pablo Medina, Is Exchange Rate Stabilization an Appropriate Cure for the Dutch Disease?, IMF Working Paper No. 10/182, 2010 pp. 3–5

³ Laurent Kemoe ;moustapha mbohous, hamza mighri; and saad quayyoum, Effect of Exchange Rate Movements on Inflation in Sub-Saharan Africa, IMF Working Paper No. 24/59, 2024, pp. 1, 5–7

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

الحقيقية وتراجع القدرة الشرائية، خصوصا لدى الفئات ذات الدخل الثابت، إذ أن التضخم الناتج عن تعديل سعر الصرف قد يفرض على السلطات ضغوطا لرفع الأجور أو توسيع التحويلات الاجتماعية، وهو ما ينطوي على كلفة مالية وقد يعيد تغذية التضخم عبر تنشيط الطلب أو توسيع العجز. وفي هذا السياق، يصبح مسار الإصلاح مقيدا بما يمكن تسميته حد التحمل الاجتماعي، حيث قد تتراجع قابلية الاستمرار في الإصلاح إذا لم تدمج معه آليات حماية مؤقتة وموجهة للفئات الهشة.

ومن المخاطر الماكرواقتصادية الجوهرية احتمال الانزلاق إلى حلقة مفرغة من التخفيض والتضخم، فإذا جرى تخفيض الدينار دون إطار نقدي قادر على تثبيت التوقعات، أو في ظل تمويل توسعي للعجز، فإن التضخم يرتفع، وتتناقص التنافسية الحقيقية التي استهدف تعزيزها. ثم يعاد اللجوء إلى تخفيض جديد لتعويض التناقص، بما يحول الإصلاح إلى سلسلة متتالية تضعف الثقة وتزيد عدم اليقين وتقلص الأفق الاستثماري للقطاع الخاص.

وتزداد حساسية إصلاح سوق الصرف في الجزائر بسبب اتساع السوق الموازية وتجزؤ سوق الصرف، فوجود فجوة بين السعر الرسمي والسعر الموازي يعني أن جزءا من النشاط الاقتصادي يعتمد فعليا على سعر صرف ضمني مختلف، وأن الإشارة السعرية الرسمية لا تعمل بكفاءة كاملة. وفي حال تنفيذ إصلاح غير واضح أو غير موثوق، قد يتزايد الطلب على العملة الأجنبية في السوق الموازية بدلا من انحساره، ما يوسع الفجوة ويعزز ظواهر الدولار أو اليورورو، ويقوض قدرة السياسة النقدية على التحكم في السيولة والتضخم، ويجعل تصحيح السعر الرسمي وحده غير كاف لتوحيد الإشارات الاقتصادية، كما يرتبط نجاح هذا الإصلاح بقدرة السلطات على إدارة مرحلة الانتقال دون استنزاف الاحتياطات، فالإصلاح يحتاج غالبا إلى تدخلات لتخفيف التقلبات أو لضمان تمويل الاستيراد الحيوي خلال فترة الضبط، غير أن التدخل المكثف قد يستنزف الاحتياطي إذا لم ترافقه تعديلات حقيقية في ميزان المدفوعات، سواء عبر تقليص الواردات غير الضرورية أو رفع الصادرات غير النفطية أو تحسين تدفقات الاستثمار، وعليه، تصبح الاحتياطات الأجنبية قيدا صلبا على سرعة الإصلاح ومداه، خصوصا إذا تزامن مع تقلبات غير مواتية في أسعار النفط.

وفي جانب العرض الحقيقي، قد تظهر آثار سلبية قصيرة الأجل على المؤسسات المحلية التي تعتمد على مدخلات مستوردة. فمن الناحية النظرية، يفترض أن يؤدي تخفيض العملة إلى تعزيز القدرة التنافسية للمنتج المحلي، غير أن ضعف الإدماج المحلي في كثير من السلاسل الإنتاجية يجعل ارتفاع سعر المدخلات المستوردة يرفع كلفة الإنتاج ويضغط على الهوامش، وقد يؤدي إلى تقليص الإنتاج أو تعطله إن لم تتوفر حلول تمويلية ولوجستية لتأمين هذه المدخلات، لذلك قد يتحول إصلاح الصرف إلى عامل يزيد كلفة الإنتاج بدل أن يوسع القاعدة التبادلية، ما لم يصمم ضمن إطار يدعم مدخلات الإنتاج ويخفض كلفة المعاملات.

وتتعد الصورة أكثر بفعل وجود الدعم والتسعير الإداري في عدد من الأسواق، إذ يؤدي تعديل سعر الصرف إلى رفع الكلفة الضمنية للدعم، سواء بشكل مباشر عبر السلع المستوردة المدعومة أو بشكل غير مباشر عبر سلاسل إنتاج تعتمد على عناصر مستوردة أو على أسعار مرجعية دولية. وإذا استمر الدعم بالآليات نفسها ترتفع الأعباء المالية، وإذا

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

تم تعديل الأسعار الإدارية بسرعة تتعمق الصدمة التضخمية، كما أن التسعير الإداري قد يؤجل جزءا من الأثر ثم يظهر دفعة واحدة عند أي تعديل، ما يجعل التحكم في التضخم أكثر صعوبة ويزيد عدم اليقين لدى الفاعلين الاقتصاديين. ولا يمكن إغفال القيود المؤسسية والتنفيذية التي قد تحول دون نجاح الإصلاح حتى لو كان تصميمه سليما نظريا، فالإصلاح يتطلب بيانات دقيقة عن تدفقات العملة، وتعهدات الاستيراد، والالتزامات الخارجية، وقنوات تغذية السوق الموازية، كما يتطلب تنسيقا فعالا بين السياسة المالية والسياسة النقدية والسياسة التجارية، وفي غياب هذا التنسيق قد تعمل السياسات في اتجاهات متعارضة: توسع مالي يرفع الطلب، وتعديل في الصرف يسعى لاستعادة التنافسية، وإجراءات تجارية تقيد الاستيراد بطريقة تولد ندرة وارتفاعا للأسعار، فتكون النتيجة تضخما أعلى دون تحسن هيكلي في التبادلي¹.

وبالتالي يمكن القول إن أهمية سياسة سعر الصرف في تصحيح الاختلالات الهيكلية في الجزائر تتأني من كونها أداة لتعديل الأسعار النسبية وتوجيه الموارد نحو القطاعات التبادلية، عبر استهداف تنافسية REER والحد من أعراض المرض الهولندي، غير أن هذا الدور لا يتحقق إلا ضمن اتساق شامل: ضبط مالي يفصل الإنفاق عن دورة النفط، وسياسة نقدية تسيطر على التضخم وتمتص السيولة الزائدة، وإصلاحات إنتاجية وتجارية ترفع الاستجابة العرضية للتبادلي، إلى جانب تقليص تشوهات السوق عبر معالجة ازدواجية أسعار الصرف وتطوير الحوكمة، عندئذ فقط يمكن لسياسة الصرف أن تتحول من إجراء قصير الأجل إلى رافعة تحول هيكلي مستدام.

¹ . Alberto Behar and Armand Fouejieu, op. cit., pp. 28–30

الفصل الثاني: سياسة التوسع في الإنفاق العام كأداة لتخفيض البطالة في الجزائر

خلاصة الفصل:

خلص هذا الفصل إلى أن سياسة التوسع في الإنفاق العام تمثل إحدى الأدوات الأساسية التي يمكن للدولة توظيفها للتأثير في مستويات التشغيل والحد من البطالة، سواء من خلال أثرها المباشر في خلق مناصب العمل داخل القطاع العام والمشروعات العمومية، أو من خلال أثرها غير المباشر في تنشيط الطلب الكلي وتخفيض الاستثمار وتحسين البنية التحتية وتوسيع الخدمات الاجتماعية. وقد أظهر التحليل النظري أن فعالية هذه السياسة لا ترتبط فقط بحجم الإنفاق العمومي، وإنما تتحدد أساسا بطبيعته الاقتصادية، وبمدى توجيهه نحو الاستخدامات الأكثر إنتاجية وقدرة على توليد فرص عمل دائمة ومستقرة.

كما بين الفصل أن العلاقة بين الإنفاق العام والبطالة ليست علاقة آلية أو مطلقة، بل تحكمها جملة من المحددات الاقتصادية والمؤسسية، من بينها مرونة الجهاز الإنتاجي، ودرجة الانفتاح الاقتصادي، ونوعية تمويل الإنفاق، وكفاءة الحوكمة العمومية، فضلا عن قدرة الاقتصاد الوطني على تحويل الزيادة في الإنفاق إلى زيادة فعلية في الإنتاج والتشغيل. وعليه، فإن التوسع في النفقات الجارية، رغم ما قد يحققه من آثار ظرفية على النشاط الاقتصادي، لا يضمن بالضرورة معالجة هيكلية للبطالة، ما لم يقترن بإنفاق استثماري فعال وموجه نحو القطاعات المنتجة وكثيفة الاستخدام لليد العاملة.

وفيما يتعلق بالحالة الجزائرية، فقد أظهرت الدراسة أن الدولة اعتمدت بصورة واسعة على الإنفاق العام كوسيلة لدعم النمو وامتصاص البطالة، خاصة خلال فترات الوفرة المالية، إلا أن نتائج هذه السياسة ظلت محدودة نسبيا من حيث الاستدامة والفعالية الهيكلية، بسبب استمرار التبعية للمحروقات، وضعف التنوع الاقتصادي، وهيمنة بعض أوجه الإنفاق ذات الأثر التشغيلي المحدود، إلى جانب الاختلالات المرتبطة بكفاءة التخصيص والتنفيذ، وهو ما يدل على أن نجاح سياسة الإنفاق العام في الحد من البطالة لا يتوقف على التوسع الكمي في النفقات فحسب، بل يقتضي إعادة توجيهها وفق منظور تنموي يركز على الإنتاجية، وتحسين مناخ الاستثمار، ودعم الأنشطة الاقتصادية القادرة على خلق الثروة ومناصب الشغل، بما يضمن قدر الإمكان تقليل الآثار السلبية المتأتية من مشكلة المرض الهولندي أو ما يسمى بلعنة الموارد.

وبناء على ما سبق، يمكن التأكيد أن سياسة التوسع في الإنفاق العام تظل أداة ضرورية في مواجهة البطالة في الجزائر، غير أنها لا تكون كافية بمفردها ما لم تدعم بإصلاحات هيكلية أوسع تستهدف تنويع القاعدة الإنتاجية، وتعزيز دور القطاع الخاص، ورفع كفاءة سوق العمل، وتحسين فعالية المؤسسات العمومية. ومن ثم، فإن معالجة البطالة معالجة مستدامة تقتضي الانتقال من منطق الإنفاق الكمي إلى منطق الإنفاق الفعال، بما يجعل السياسة المالية رافعة حقيقية للتنمية والتشغيل، لا مجرد وسيلة ظرفية للتخفيف من حدة الاختلالات الاقتصادية والاجتماعية.

الفصل الثالث:

النمذجة القياسية لبيانات الدراسة وآفاق

اعتماد التقنيات المعاصرة في تطوير

الدراسات الاقتصادية في الجزائر

يكتسي تحليل المؤشرات الاقتصادية الكلية أهمية بالغة في الدراسات الاقتصادية التطبيقية، لكونه يمثل مدخلا أساسيا لفهم طبيعة التحولات التي تشهدها الاقتصادات الوطنية، والكشف عن أنماط التفاعل بين متغيراتها الأساسية، واستشراف اتجاهاتها المستقبلية. وتزداد أهمية هذا النوع من التحليل في حالة الاقتصاد الجزائري، بالنظر إلى خصوصيته البنيوية كاققتصاد يعتمد بدرجة كبيرة على عائدات المحروقات، الأمر الذي يجعله أكثر عرضة لتقلبات الأسواق النفطية العالمية، وللانعكاسات الناتجة عن الصدمات الخارجية والأزمات الاقتصادية الدولية.

وفي هذا السياق، تندرج هذه الدراسة ضمن محاولة تقديم قراءة تحليلية شاملة لبيانات الاقتصاد الجزائري خلال الفترة الممتدة من سنة 2001 إلى سنة 2023، وهي فترة تميزت بجملة من التحولات الاقتصادية والمالية ذات الأثر العميق على أداء الاقتصاد الوطني. فقد عرفت هذه المرحلة تذبذبا واضحا في أسعار النفط العالمية، وتفاوتا في مستويات الإنفاق العام، وتغيرات في معدلات النمو والبطالة والتضخم، إلى جانب تأثيرات مباشرة وغير مباشرة للأزمة المالية العالمية، ثم تداعيات جائحة كوفيد 19 التي شكلت بدورها اختبارا حقيقيا لقدرة الاقتصاد الجزائري على التكيف والصمود. ومن ثم، فإن اختيار هذه الفترة الزمنية لا يستند فقط إلى توفر المعطيات الإحصائية، بل إلى ما تمثله من أهمية تحليلية في رصد مسار الاقتصاد الجزائري عبر مراحل مختلفة من الانتعاش والتباطؤ والاختلال وإعادة التكيف.

وانطلاقا من ذلك، تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المتكاملة. يتمثل الهدف الأول في تقديم تحليل وصفي شامل لبيانات الاقتصاد الجزائري خلال الفترة المدروسة، بما يسمح بفهم خصائصها الأساسية واتجاهاتها العامة. أما الهدف الثاني، فيتعلق بدراسة السلوك الزمني للمتغيرات الاقتصادية الرئيسية، والكشف عن دوراتها وتحولاتها البنيوية. ويتمثل الهدف الثالث في استكشاف طبيعة العلاقات القائمة بين هذه المتغيرات، خاصة العلاقة بين النمو الاقتصادي والبطالة والإنفاق الحكومي، باعتبارها من أهم العلاقات المرتبطة بإشكالية الدراسة. كما تهدف الدراسة، في مستوى أكثر تقدما واستشرافا، إلى بناء نماذج كمية قادرة على تفسير ديناميكية المؤشرات الاقتصادية والتنبؤ باتجاهاتها المستقبلية في الأمد المتوسط، فضلا عن تصنيف سنوات الدراسة ضمن مجموعات متجانسة وفق خصائص الأداء الاقتصادي المشترك. وفي ضوء النتائج المتوصل إليها، تسعى الدراسة كذلك إلى استخلاص دلالات اقتصادية وتوصيات سياساتية يمكن أن تسهم في تحسين فعالية السياسات الاقتصادية المعتمدة.

ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمدت الدراسة على منهجية متعددة المستويات تجمع بين الأدوات الإحصائية والقياسية الحديثة. ففي المرحلة الأولى، تم توظيف التحليل الإحصائي الوصفي بالاعتماد على مقاييس النزعة المركزية والتشتت ومعاملات الارتباط، إلى جانب الرسوم البيانية التوضيحية، من أجل بناء تصور أولي عن طبيعة البيانات المدروسة. وفي المرحلة الثانية، تم اللجوء إلى تحليل السلاسل الزمنية باستعمال نماذج **ARIMA** و **VAR**، بما يسمح بدراسة سلوك

المتغيرات الاقتصادية عبر الزمن واختبار تفاعلاتها الديناميكية. أما في المرحلة الثالثة، فقد تم توظيف النماذج القياسية لأغراض التنبؤ بالمؤشرات الاقتصادية إلى غاية سنة 2028، استنادا إلى الاتجاهات التاريخية والعلاقات الكمية المستخلصة من بيانات الفترة المرجعية. كما تم، في مرحلة موازية، اعتماد أساليب التصنيف العنقودي، من خلال خوارزميات K-means والتحليل الهرمي، بهدف تصنيف السنوات محل الدراسة ضمن عناوين مقاربة تعكس أنماط اقتصادية متميزة. وقد تم تنفيذ مختلف هذه التحليلات باستخدام برنامج MATLAB R2015b، بالنظر إلى ما يوفره من إمكانيات تقنية متقدمة في معالجة البيانات، وبناء النماذج، وإنتاج الرسوم البيانية التحليلية.

ولا يقف هذا الفصل عند حدود التحليل القياسي لبيانات الدراسة وما يتيح من فهم للعلاقات الاقتصادية والتنبؤ باتجاهاتها، بل يمتد أيضا إلى مستوى منهجي واستشراقي أوسع، يتمثل في بحث آفاق تطوير الدراسات الاقتصادية في الجزائر من خلال اعتماد التقنيات المعاصرة في التحليل والنمذجة. فبعد عرض نتائج التحليل الإحصائي والقياسي والزمني والتصنيفي، يصبح من المشروع علميا الانتقال إلى مناقشة حدود المقاربات التقليدية في الدراسات القياسية، وبيان الإمكانيات التي تتيحها النمذجة الهيكلية المتقدمة، والذكاء الاصطناعي، والحوسبة عالية الأداء، والبيانات الضخمة في الارتقاء بكفاءة الدراسات الاقتصادية المعاصرة. ومن هذا المنطلق، لا يمثل هذا الجزء من الدراسة عنصرا منفصلا عن بقية الأجزاء، بل يعد امتدادا طبيعيا لها، لأنه ينقل النقاش من مستوى التطبيق على بيانات الاقتصاد الجزائري إلى مستوى التفكير في تطوير أدوات التحليل الاقتصادي ذاتها، بما يخدم مستقبل البحث الاقتصادي وصنع القرار في الجزائر.

وعليه، يتوزع هذا الفصل إلى أربعة مباحث مترابطة؛ يتناول أولها التحليل الإحصائي الوصفي ودراسة العلاقات بين المتغيرات، ويخصص ثانيها للنمذجة الزمنية والتحليل الديناميكي والتنبؤ الاقتصادي، بينما يعالج ثالثها التصنيف والتحليل العنقودي، في حين يتناول المبحث الرابع آفاق اعتماد التقنيات المعاصرة في تطوير الدراسات الاقتصادية في الجزائر.

المبحث الأول: التحليل الإحصائي الوصفي ودراسة العلاقات بين المتغيرات

يهدف هذا المبحث إلى تقديم قراءة أولية منظمة لبيانات الدراسة من خلال الوصف الإحصائي لمتغيراتها الأساسية، ثم الانتقال إلى فحص العلاقات العامة القائمة بينها في ضوء خصوصية الاقتصاد الجزائري خلال الفترة 2001-2023. وتكتسي هذه المرحلة أهمية خاصة لأنها تمثل المدخل الضروري لفهم اتجاهات المتغيرات المدروسة، ومستويات تغيرها، وحدود الترابط بينها، قبل الانتقال لاحقا إلى النمذجة الزمنية والتنبؤ والتصنيف.

ويتعلق الأمر أساسا بأربعة متغيرات رئيسية هي: الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي، الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي خارج قطاع المحروقات، الإنفاق الحكومي الحقيقي، ومعدل البطالة. كما تعتمد الدراسة على التمييز بين القيم الحقيقية والقيم الاسمية من أجل إبراز الأثر الذي تمارسه التغيرات السعرية على قراءة الأداء الاقتصادي. ويلاحظ في قاعدة البيانات وجود بعض القيم المفقودة، لاسيما بالنسبة لمعدل البطالة سنة 2002، وهو ما تم التعامل معه بأسلوب استكمال إحصائي يضمن استمرارية السلسلة الزمنية دون الإخلال بالمنطق العام للتحليل.

المطلب الأول: التحليل الإحصائي الوصفي descriptive statistical analysis لمتغيرات الدراسة

يهدف هذا المطلب إلى تقديم وصف إحصائي منظم لمتغيرات الدراسة الأساسية، بما يسمح بفهم اتجاهاتها العامة، ورصد مستويات تغيرها وتباينها خلال الفترة الممتدة من 2001 إلى 2023. وتكتسي هذه المرحلة أهمية خاصة لأنها توفر قاعدة أولية لقراءة الخصائص الكمية للمتغيرات المدروسة، قبل الانتقال إلى تحليل العلاقات القائمة بينها في المطلب الموالي. كما يساعد هذا الوصف على إبراز الفروق بين تطور الناتج الكلي والناتج خارج قطاع المحروقات، وعلى تقييم المسار العام للإنفاق الحكومي والبطالة في ضوء خصوصية الاقتصاد الجزائري.

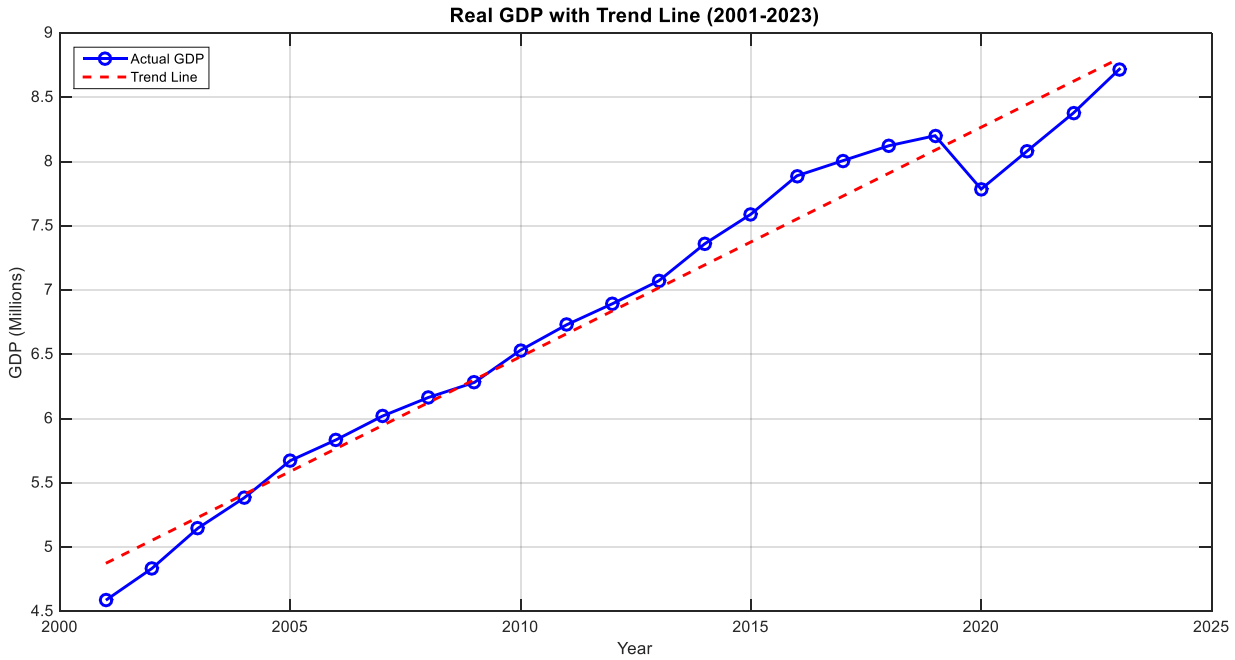
أولا: التحليل الإحصائي للناتج المحلي الإجمالي الحقيقي

يظهر الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي اتجاهها تصاعديا عاما خلال فترة الدراسة، إذ انتقل من نحو 4600 مليار دينار سنة 2001 إلى ما يقارب 8700 مليار دينار سنة 2023. ويعكس هذا التطور نموا حقيقيا معتبرا، غير أنه لم يتحقق بصورة خطية أو منتظمة، بل تخللته فترات تباطؤ وتقلب متفاوتة الحدة بفعل تأثير العوامل الداخلية والخارجية. وتسمح القراءة التحليلية لهذه السلسلة بالتمييز بين ثلاث مراحل تقريبية: مرحلة أولى اتسمت بنمو متسارع نسبيا خلال سنوات الطفرة النفطية، ومرحلة ثانية عرفت تذبذبا أوضح بفعل انعكاسات الأزمة المالية العالمية وتغير الظروف الخارجية، ثم مرحلة ثالثة اتسمت بتباطؤ نسبي وتزايد التقلبات. ويشير ذلك إلى أن النمو المحقق، رغم أهميته الكمية، ظل مرتبطا بدرجة معتبرة بظروف ظرفية أكثر من ارتباطه بتحول هيكل عميق في القاعدة الإنتاجية.

الجدول (1-3): معلمات الإحصاء الوصفي للدراسة

2. Calculating descriptive statistics...					
Descriptive Statistics (2001-2023):					
Variable	Mean	Std Dev	Min	Max	Median
Real_GDP	6839066	1228154	4587607	8718949	6894983
NonOil_GDP	5248829	1400229	3350653	7262740	4907246
Gov_Spending	2535413	662420	1452360	3573485	2668621
Unemployment	13	4	10	24	11

الشكل (1-3) تطور الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي وخط الاتجاه

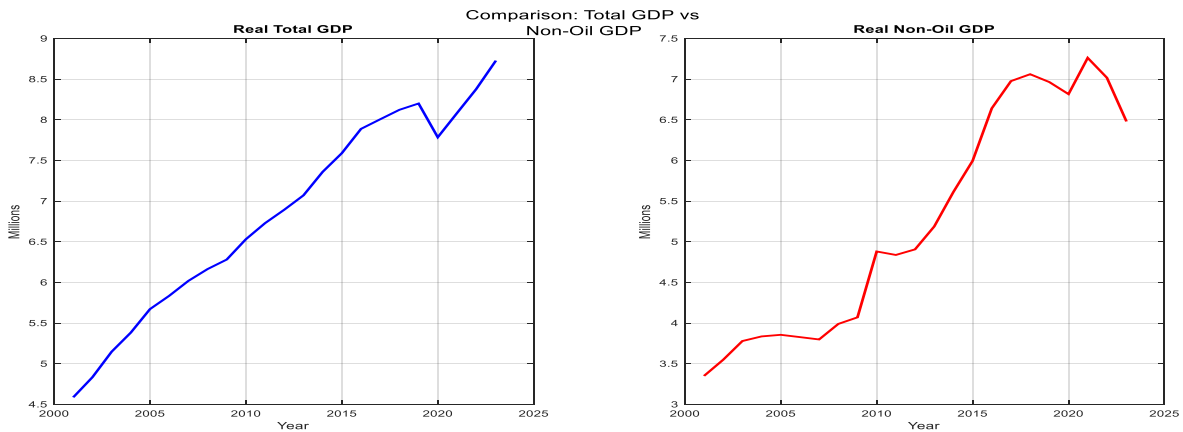


ثانيا: التحليل الإحصائي للناتج المحلي الإجمالي الحقيقي خارج قطاع المحروقات

يمثل الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي خارج قطاع المحروقات مؤشرا أكثر دقة على درجة تنوع الاقتصاد الوطني، لأنه يعكس أداء الأنشطة غير النفطية بعيدا عن الأثر المباشر لقطاع المحروقات. وقد انتقل هذا المؤشر من حوالي 4300 مليار دينار سنة 2001 إلى نحو 6500 مليار دينار سنة 2023، مع تسجيل مسار أقل انتظاما وأكثر تعرضا للتقلب مقارنة بالناتج الكلي.

وتوحي هذه النتائج الأولية بأن الاقتصاد غير النفطي حقق نموا فعليا، لكنه لم يستطع بعد تكوين قاعدة توسع مستقرة وقادرة على تعويض هشاشة النمو المرتبط بالمحروقات. كما أن التراجع الملحوظ في نهاية الفترة يستدعي قراءة حذرة، لأنه قد يعكس استمرار أثر الصدمات السابقة أو محدودية فعالية سياسات التنوع الاقتصادي في تعزيز المرونة الهيكلية للاقتصاد الجزائري.

الشكل (2-3) مقارنة تطور الناتج المحلي الإجمالي والناتج خارج قطاع المحروقات



ثالثا: التحليل الإحصائي للإنفاق الحكومي الحقيقي

شهد الإنفاق الحكومي الحقيقي تطورا ملحوظا خلال فترة الدراسة، إذ ارتفع من نحو 1450 مليار دينار سنة 2001 إلى ما يقارب 3570 مليار دينار سنة 2023. غير أن هذا الارتفاع لم يكن منتظما، بل عرف مراحل توسع سريع، خاصة في بعض سنوات الوفرة المالية، يقابلها تباطؤ أو تراجع نسبي في سنوات أخرى تبعا لتغير الإيرادات العمومية والضغوط الواقعة على الميزانية.

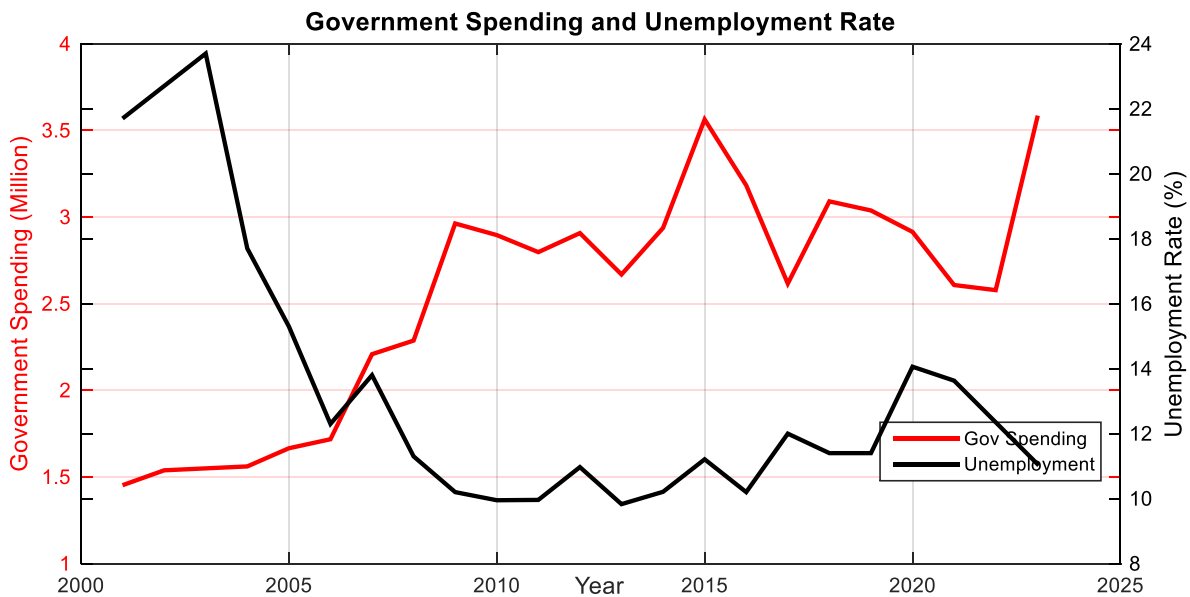
ويكشف هذا المسار أن الإنفاق الحكومي ظل أداة محورية في إدارة النشاط الاقتصادي وفي دعم الطلب الكلي، غير أن تطوره الكمي لا يكفي وحده للحكم على فعاليته. فالأهمية الحقيقية لهذا المتغير لا تتوقف على حجمه فقط، بل تشمل أيضا كيفية توجيهه، وطبيعته بين الجاري والاستثماري، ومدى مساهمته الفعلية في رفع الإنتاجية وخلق فرص العمل على نحو مستدام.

رابعا: التحليل الإحصائي لمعدل البطالة

يمثل معدل البطالة أحد أكثر المؤشرات ارتباطا بالبعد الاجتماعي للأداء الاقتصادي، وقد عرف خلال الفترة المدروسة مسارا متباينا. فقد تراجع من 21.7% سنة 2001 إلى حوالي 9.95% سنة 2010، ثم عاد إلى الارتفاع في السنوات اللاحقة، ليلعب نحو 14.06% سنة 2020 تحت تأثير جائحة كوفيد-19، قبل أن ينخفض مجددا إلى حوالي 11.07% سنة 2023.

ويعكس هذا التطور أن التحسن المسجل في العقد الأول من الألفية لم يكن كافيا لترسيخ اتجاه نزولي دائم للبطالة، إذ ظل سوق العمل الجزائري سريع التأثر بالتقلبات الاقتصادية وبالاختلالات الهيكلية. كما يوحي ارتفاع البطالة مجددا بعد 2010 بأن النمو المحقق لم يكن دائما كثيف التشغيل، أو أن قدرته على استيعاب الوافدين الجدد إلى سوق العمل بقيت محدودة نسبيا.

الشكل (3-3): تطور معدل البطالة وحجم الإنفاق الحكومي



خامسا: المقارنة بين القيم الحقيقية والقيم الاسمية

تسمح المقارنة بين القيم الحقيقية والقيم الاسمية بإبراز أثر التغيرات السعرية على قراءة المؤشرات الاقتصادية. فبينما تعكس القيم الاسمية التطور النقدي الجاري للمتغيرات، تكشف القيم الحقيقية عن الأداء الفعلي بعد استبعاد أثر التضخم. ومن ثم، فإن الاعتماد على القيم الحقيقية في التحليل الأساسي يعد اختيارا منهجيا ضروريا لتفادي المبالغة في تقدير النمو أو التوسع في الإنفاق.

وتظهر الفجوة بين النوعين من القيم أنها اتسعت في بعض السنوات أكثر من غيرها، وهو ما يوحي بوجود ضغوط سعرية متفاوتة التأثير خلال الفترة المدروسة. وتبقى هذه القراءة أولية وغير مباشرة، لكنها مفيدة في التنبيه إلى أن تفسير المؤشرات الاقتصادية في الجزائر لا ينبغي أن يقتصر على الأرقام الاسمية وحدها، بل يجب أن يراعي أثر المستوى العام للأسعار في تحديد الأداء الحقيقي.

المطلب الثاني: دراسة العلاقات بين المتغيرات

لا يكفي الوصف الإحصائي لمتغيرات الدراسة لفهم طبيعة الأداء الاقتصادي في الجزائر، ما لم يتم الانتقال إلى قراءة العلاقات التي تربط هذه المتغيرات بعضها ببعض. فدراسة النمو الاقتصادي، والبطالة، والإنفاق الحكومي، ودور قطاع المحروقات، لا تكتسب معناها الكامل إلا من خلال تحليل الترابط القائم بينها في ضوء خصوصية الاقتصاد الجزائري خلال الفترة 2001-2023. ومن هذا المنطلق، يهدف هذا المطلب إلى تقديم قراءة اقتصادية أولية للعلاقات بين متغيرات الدراسة، من خلال إبراز اتجاهات التأثير المحتملة، ومناقشة أهم الروابط التي تظهرها البيانات، تمهيدا لاختبارها لاحقا باستخدام أدوات النمذجة الزمنية والتقدير القياسي.

أولا: ديناميكيات النمو الاقتصادي economic growth dynamics في الجزائر

يظهر التحليل الاقتصادي الأولي أن النمو في الجزائر خلال الفترة المدروسة لم يكن نتاج ديناميكيات داخلية مستقلة بالكامل، بل ارتبط بدرجة معتبرة بتطور عائدات المحروقات وبمستوى الإنفاق الحكومي. ويعكس ذلك الطبيعة الخاصة للاقتصاد الجزائري، حيث تتداخل موارد الدولة مع النشاط الاقتصادي الكلي، فتؤثر السياسة المالية مباشرة في وتيرة النمو وتوزيعه القطاعي.

ويثير هذا النمط من النمو جملة من الإشكالات المنهجية والاقتصادية، أهمها محدودية الاستدامة وضعف التحول الهيكلي. فالنمو الذي يعتمد بدرجة كبيرة على الموارد النفطية وعلى التوسع في الإنفاق العمومي يكون أكثر عرضة للتذبذب عند حدوث صدمات خارجية، كما أن أثره على القطاعات المنتجة خارج المحروقات لا يكون دائما بالقدر الكافي لتأسيس نمو ذاتي ومستقر.

ثانيا: دور قطاع المحروقات في تفسير النمو الاقتصادي

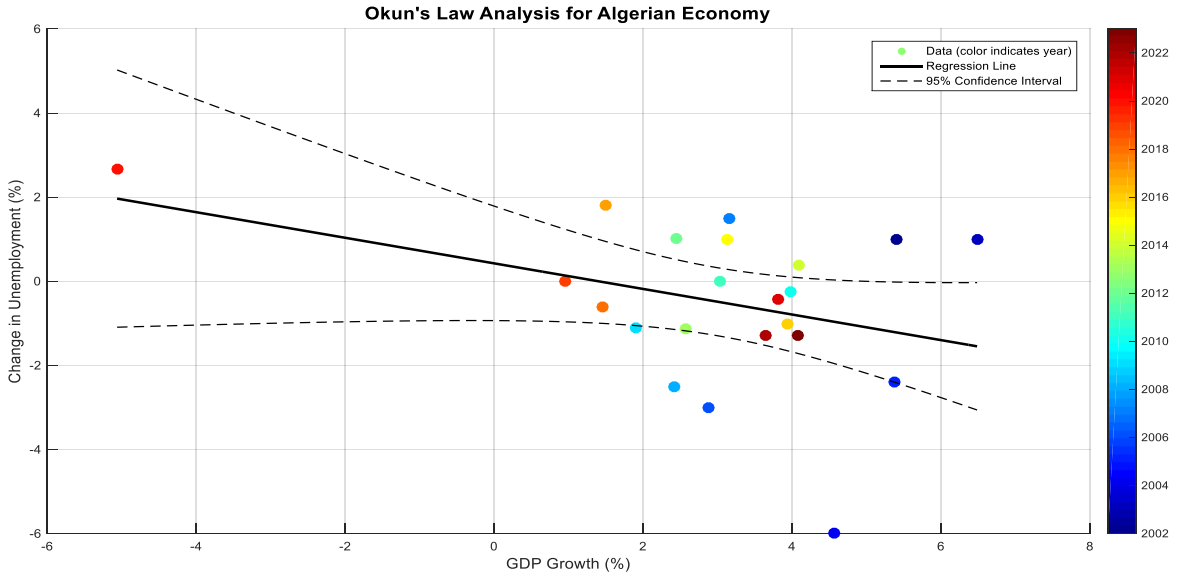
تكشف المقارنة بين الناتج المحلي الإجمالي الكلي والناتج خارج قطاع المحروقات أن قطاع المحروقات ظل عنصرا حاسما في تفسير الأداء الاقتصادي العام للجزائر خلال فترة الدراسة. فكلما تحسنت ظروف هذا القطاع، سواء من حيث

الأسعار أو من حيث الانعكاس على الإيرادات العمومية، ظهر ذلك بشكل أو بآخر في مستويات النمو والإنفاق العام، بما يؤكد استمرار حساسية الاقتصاد الوطني تجاه الصدمات الخارجية المرتبطة بالطاقة. غير أن هذه المركزية لا تعني بالضرورة غياب مساهمة القطاعات الأخرى، بل تشير أساسا إلى أن مسار التنويع الاقتصادي ما زال محدود الأثر مقارنة بوزن المحروقات في هيكل الموارد وتمويل السياسة الاقتصادية. ومن ثم، فإن أي قراءة للنمو في الجزائر تظل ناقصة ما لم تأخذ بعين الاعتبار موقع هذا القطاع وحدود الاعتماد عليه.

ثالثا: العلاقة بين النمو الاقتصادي والبطالة

تكشف القراءة الوصفية للبيانات عن وجود علاقة عكسية عامة بين تطور الناتج المحلي الإجمالي ومعدل البطالة، بما ينسجم مبدئيا مع مضمون قانون أوكون **Okun's law**. غير أن هذه العلاقة لا تبدو ثابتة أو متجانسة عبر كامل الفترة المدروسة، إذ إن فترات النمو المرتفع لم تؤد دائما إلى الانخفاض نفسه في البطالة، كما أن استجابة سوق العمل بدت متفاوتة من مرحلة إلى أخرى.

الشكل (3-4): العلاقة بين النمو الاقتصادي والبطالة في ضوء قانون أوكون



ويوحى ذلك بأن أثر النمو على البطالة في الجزائر يتوقف على طبيعة هذا النمو وعلى درجة كثافته التشغيلية، وليس على حجمه الكلي فقط. فالنمو المعتمد على قطاعات ضعيفة التشغيل أو على الإنفاق غير المنتج لا يحقق الأثر نفسه الذي يمكن أن يحققه نمو قائم على الاستثمار المنتج والتوسع في الأنشطة القادرة على امتصاص اليد العاملة.

رابعا: العلاقة بين الإنفاق الحكومي والنمو الاقتصادي

تشير المعطيات الأولية إلى أن الإنفاق الحكومي أسهم في دعم النشاط الاقتصادي، خاصة في الفترات التي لجأت فيها الدولة إلى توسيع الطلب الكلي أو مواجهة آثار التباطؤ الاقتصادي. إلا أن قوة هذا الأثر لم تكن متماثلة عبر جميع السنوات، ما يوحي بأن فعالية الإنفاق كانت تتأثر بطبيعته، وتوقيتته، والقطاعات المستفيدة منه، فضلا عن مستوى الكفاءة في تخصيص الموارد العمومية.

وعليه، فإن العلاقة بين الإنفاق الحكومي والنمو لا ينبغي فهمها باعتبارها علاقة آلية بسيطة، بل باعتبارها علاقة مشروطة بجودة الإنفاق وبقدرته على التحول إلى استثمار منتج ورفع الطاقة الاستيعابية للاقتصاد. وهو ما يفسر الحاجة إلى فحص هذه العلاقة لاحقا بأدوات قياسية أكثر دقة.

خامسا: العلاقة بين الإنفاق الحكومي والبطالة

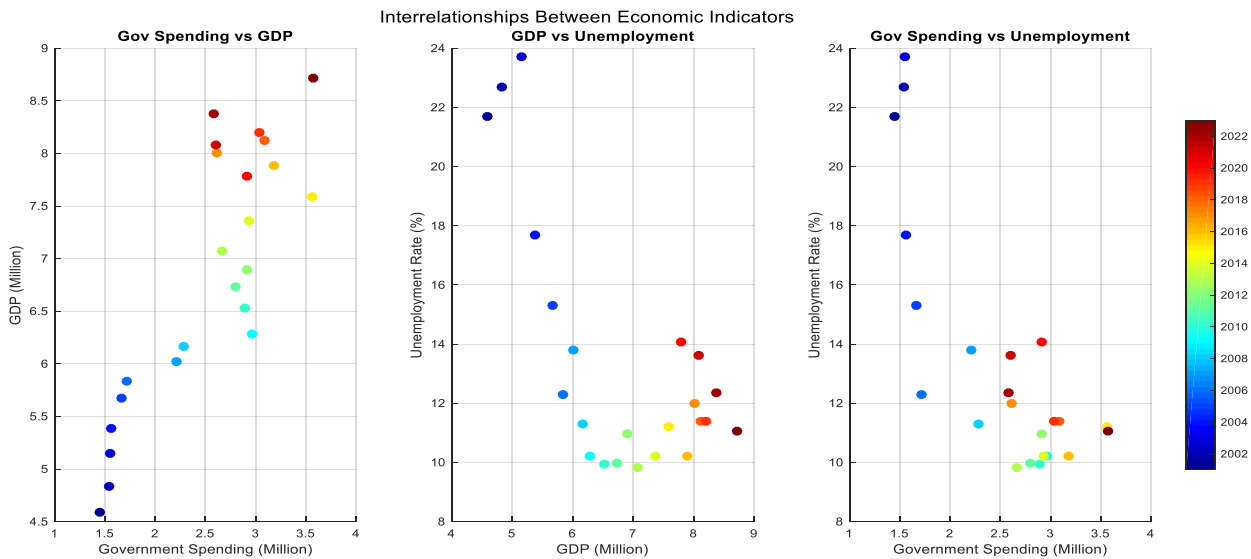
تظهر المقارنة الأولية بين مساري الإنفاق الحكومي والبطالة أن فترات التوسع في الإنفاق اقترنت في بعض المراحل بتحسّن نسبي في أوضاع سوق العمل وانخفاض معدل البطالة، خاصة خلال سنوات الوفرة المالية. غير أن هذا الأثر لم يكن دائما مستداما، بدليل عودة البطالة إلى الارتفاع في مراحل لاحقة رغم استمرار دور الدولة في تمويل النشاط الاقتصادي.

ويعني ذلك أن الإنفاق الحكومي، على أهميته، لا يمثل بمفرده شرطا كافيا لخفض البطالة بصورة دائمة، ما لم يكن موجها نحو أنشطة ذات قدرة تشغيلية مرتفعة، وقادرا على تحفيز الاستثمار والإنتاج خارج القطاع النفطي. ومن هنا تتضح مركزية هذا المتغير في إشكالية الدراسة وفي اختبار فعالية السياسة المالية في الحد من البطالة.

ومنه يتضح من خلال هذا المبحث أن التحليل الإحصائي الوصفي لبيانات الاقتصاد الجزائري خلال الفترة 2001-2023 يكشف عن اتجاهات عامة مهمة، من أبرزها النمو التصاعدي للناتج المحلي الإجمالي والإنفاق الحكومي، مقابل تطور متباين لمعدل البطالة، واستمرار هشاشة مساهمة القطاع غير النفطي في دعم النمو. كما أظهرت القراءة الأولية للعلاقات بين المتغيرات أن الاقتصاد الجزائري ظل متأثرا بصورة واضحة بتقلبات المحروقات وبالذور المحوري للإنفاق الحكومي.

وتؤكد هذه النتائج أن الوصف الإحصائي والتحليل العلائقي يوفران قاعدة ضرورية لفهم خصائص المتغيرات المدروسة، غير أنهما لا يكفيان وحدهما لتفسير العلاقات الديناميكية المعقدة بينها. ومن ثم، تبرز الحاجة إلى الانتقال في المبحث الموالي إلى النمذجة الزمنية والتقدير الكمي من أجل اختبار هذه العلاقات بصورة أكثر دقة وصرامة.

الشكل (3-5): تمثيل أولي للعلاقات بين المتغيرات الاقتصادية المدروسة



المبحث الثاني: النمذجة الزمنية والتحليل الديناميكي والتنبؤ الاقتصادي

ينتقل هذا المبحث من القراءة الوصفية الأولية للمتغيرات الاقتصادية إلى مستوى أكثر عمقا يقوم على تحليل خصائص السلاسل الزمنية وبناء نماذج ديناميكية تسمح بفهم العلاقات المتبادلة بين الناتج الحقيقي والإنفاق الحكومي والبطالة، ثم استثمار هذه النماذج في التنبؤ واستشراف الاتجاهات المستقبلية. وتكتسي هذه المرحلة أهمية منهجية خاصة، لأن البيانات الاقتصادية الكلية لا يمكن التعامل معها كما لو كانت ملاحظات مستقلة، بل هي بيانات مترابطة زمنيا تتأثر بماضيها وبالصددمات التي تتعرض لها المنظومة الاقتصادية.

وعليه، يقوم هذا المبحث على أربعة محاور مترابطة: اختبار استقرارية السلاسل الزمنية، وتقدير نماذج التنبؤ الفردي من نوع ARIMA، ثم بناء نموذج المنحنيات الذاتية VAR لتحليل التفاعلات الديناميكية، وأخيرا توظيف النتائج في إعداد تنبؤات اقتصادية وسيناريوهات مستقبلية للفترة 2024-2028. ويتيح هذا البناء المنهجي الانتقال من التحقق من الخصائص الإحصائية للبيانات إلى تفسير الصدمات والعلاقات السببية، ثم إلى استخلاص دلالات سياساتية أكثر صلابة.

المطلب الأول: خصائص السلاسل الزمنية واختبارات الاستقرارية

تمثل دراسة خصائص السلاسل الزمنية خطوة منهجية أساسية قبل الشروع في بناء النماذج القياسية الديناميكية، لأن صلاحية كثير من هذه النماذج تتوقف على مدى استقرار السلاسل الزمنية أو على طبيعة تكاملها. ومن هذا المنطلق، يهدف هذا المطلب إلى توضيح مفهوم الاستقرارية في السلاسل الزمنية، وبيان أهمية اختبارها في الدراسات الاقتصادية، ثم عرض نتائج اختبار ديكي-فولر المعزز بالنسبة لمتغيرات الدراسة، تمهيدا لاختيار النماذج المناسبة في المراحل اللاحقة من التحليل.

أولا: مفهوم الاستقرارية في السلاسل الزمنية¹ stationarity in time series

يقصد بالاستقرارية في السلاسل الزمنية أن تبقى الخصائص الإحصائية الأساسية للسلسلة (مثل المتوسط arithmetic mean والتباين variance والتغاير الذاتي autocovariance) ثابتة نسبيا عبر الزمن، بحيث لا يؤدي انتقالنا من فترة إلى أخرى إلى تغير جوهري في البنية الاحتمالية للبيانات. وتعد هذه الخاصية شرطا أساسيا في أغلب نماذج الاقتصاد القياسي الزمني، لأن كثيرا من النتائج الاستدلالية لا تكون صالحة إذا كانت السلسلة تتجه باستمرار إلى الأعلى أو إلى الأسفل أو إذا كان تباينها يتغير بصورة منتظمة مع الزمن.

في التطبيق الاقتصادي، تكون العديد من السلاسل الكلية مثل الناتج والإنفاق والأسعار غير مستقرة في مستوياتها بسبب الاتجاه العام، أو أثر الصدمات المتراكمة، أو التغيرات الهيكلية. وإذا تم تقدير نماذج على سلاسل غير مستقرة دون معالجة مناسبة، فقد نحصل على علاقات ظاهرها إحصائي قوي لكنها في الحقيقة علاقات زائفة. لذلك، فإن اختبار الاستقرارية يمثل خطوة أولى لا غنى عنها قبل الانتقال إلى التقدير أو التنبؤ.

ثانيا: اختبار ديكي-فولر المعزز (ADF) ودلالته التطبيقية¹

¹ -أموري هادي كاظم الحسنوي ، طرق القياس الاقتصادي، عمان ، دار وائل للنشر، 2002، ص397.

يعد اختبار ديكي-فولر المعزز **augmented Dikey-fuller test** أحد أشهر اختبارات الجذر الأحادي، ويستخدم للتحقق مما إذا كانت السلسلة الزمنية مستقرة أم أنها تحتوي على جذر أحادي يجعلها غير مستقرة. وتمثل فكرته الأساسية في اختبار ما إذا كانت القيمة الحالية للمتغير تعتمد على قيمته السابقة بدرجة تجعل الصدمات لا تزول بمرور الوقت، بل تستمر آثارها داخل السلسلة. وقد سمي بالاختبار المعزز لأنه يضيف فروقا زمنية متأخرة لمعالجة الارتباط الذاتي في البواقي وضمان سلامة الاستنتاج الإحصائي.

وتشير نتائج اختبار الاستقرار الواردة في هذه الدراسة إلى أن معظم السلاسل الزمنية محل التحليل غير مستقرة في مستوياتها، لكنها تصبح مستقرة بعد أخذ الفروق الأولى، وهو ما يعني أنها متكاملة من الدرجة الأولى. وتنسجم هذه النتيجة مع الطبيعة المعتادة لبيانات الاقتصاد الكلي، حيث تتسم المتغيرات بوجود اتجاهات طويلة الأجل وتأثيرات تراكمية للصدمات. وتترتب على هذه النتيجة آثار منهجية مهمة، إذ يصبح من الضروري إما تحويل السلاسل إلى فروقها الأولى أو توظيف نماذج تأخذ في الحسبان هذا النوع من التكامل.

الجدول (2-3): نتائج اختبار ديكي فولر المعزز

Stationarity Tests (ADF)

Variable	ADF Test Result
Real GDP	Non-stationary I(1) (t=-1.6921, p=0.5000)
Real Government Spending	Non-stationary I(1) (t=-1.1032, p=0.5000)
Unemployment Rate	Stationary (t=-4.4762, p=0.0100)

المطلب الثاني: نماذج ARIMA للتنبؤ الفردي

بعد التحقق من خصائص السلاسل الزمنية لمتغيرات الدراسة واستقراريتها، يصبح من الممكن الانتقال إلى مرحلة أكثر تقدما تمثل في بناء نماذج التنبؤ الفردي التي تستند إلى البنية الزمنية الخاصة بكل متغير على حدة. وتعد هذه المرحلة ذات أهمية كبيرة في الدراسات الاقتصادية التطبيقية، لأنها تسمح باستغلال المعلومات الكامنة في القيم الماضية للمتغير من أجل تفسير حركته الحالية واستشراف مساره المستقبلي، خاصة عندما يكون الهدف هو بناء توقعات كمية تستند إلى السلوك الذاتي للسلسلة الزمنية.

وفي هذا الإطار، تحتل نماذج **ARIMA** مكانة بارزة ضمن أدوات التنبؤ الزمني، نظرا لقدرتها على الجمع بين المكونات الذاتية الانحدارية، وعمليات التفريق اللازمة لتحقيق الاستقرار، وأثر الصدمات السابقة المنتقطة من خلال المتوسطات المتحركة. وتكتسب هذه النماذج أهمية خاصة عندما يتعلق الأمر بمتغيرات الاقتصاد الكلي التي غالبا ما تتسم بوجود اتجاهات عامة وتأثيرات متراكمة للصدمات، مما يجعل تحليلها في إطار زمني منظم أمرا ضروريا لفهم ديناميكيتها.

وانطلاقا من ذلك، يهدف هذا المطلب إلى تقديم الإطار النظري لنماذج **ARIMA** وبيان منطق استخدامها في التنبؤ الفردي، ثم تطبيقها على بعض متغيرات الدراسة، وعلى رأسها الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي ومعدل البطالة، بما

¹ -Asteriou ;dimiterious ;and hall ;Stephen G . Applied Econometrics;4th ed ,london;red globe press; bloomsbury academic:2021;p372.

يسمح بتقييم مدى ملاءمة هذه النماذج لالتقاط البنية الزمنية لكل متغير وتوظيفها في إعداد توقعات اقتصادية أولية تمهد للانتقال لاحقا إلى النماذج متعددة المتغيرات .

أولا: الإطار النظري لنماذج ARIMA وتطبيقها على الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي

تنتمي نماذج ARIMA إلى النماذج الأحادية التي تفسر سلوك المتغير انطلاقا من تاريخه الذاتي فقط، دون إدخال متغيرات تفسيرية خارجية. ويتكون اسم النموذج من ثلاثة عناصر: الجزء الذاتي الانحداري AR الذي يعبر عن أثر القيم الماضية للمتغير، ودرجة التكامل I التي تعبر عن عدد مرات التفريق اللازمة لتحقيق الاستقرار، والجزء الخاص بالمتوسطات المتحركة MA الذي يلتقط أثر الصدمات أو الأخطاء السابقة. وتعد هذه النماذج ملائمة عندما يكون الهدف هو التنبؤ الفردي بمسار متغير معين اعتمادا على بنيته الزمنية الخاصة¹.

الجدول (3-3) نتائج تقدير نموذج ARIMA(2,1,2) للناتج المحلي الإجمالي الحقيقي

7. ARIMA Modeling and Forecasting...			
Estimating ARIMA(2,1,2) model for GDP...			
ARIMA(2,1,2) Model:			

Conditional Probability Distribution: Gaussian			
Parameter	Value	Standard Error	t Statistic
-----	-----	-----	-----
Constant	109382	53736.8	2.03551
AR{1}	0.816207	0.210823	3.87152
AR{2}	-0.435528	0.137497	-3.16755
MA{1}	-0.582987	0.166655	-3.49816
MA{2}	1	0.178517	5.60171
Variance	2.24818e+10	0.0564818	3.98036e+11
ARIMA model estimated successfully.			

هذا وعند مقارنة عدد من الصيغ الممكنة، تم اعتماد نموذج ARIMA(2,1,2) لتمثيل سلسلة الناتج الإجمالي الحقيقي، وهو اختيار يفيد من الناحية الفنية بأن هذه السلسلة لم تكن ساكنة في مستواها الأصلي، بل احتاجت إلى التفريق من الدرجة الأولى حتى تصبح قابلة للنمذجة، وهو ما ينسجم مع نتائج اختبار السكون التي تصنف الناتج الحقيقي ضمن السلاسل المتكاملة من الدرجة الأولى. (1) كما يدل اعتماد هذا النموذج على أن تطور الناتج لا يختزل في حركة عشوائية بسيطة، وإنما يتطلب عند التقدير أخذ أثر فترتين سابقتين من السلسلة نفسها، إلى جانب أثر الصدمات الحديثة التي التقطها حدا المتوسطات المتحركة، وهو ما يعكس وجود نوع من الترابط الزمني النسبي في مسار الناتج الإجمالي الحقيقي. غير أن هذا الترابط لا ينبغي فهمه على أنه استقرار تام أو انتظام ميكانيكي صارم، بل باعتباره مؤشرا على أن الناتج يتفاعل تدريجيا مع أوضاعه السابقة ومع الاضطرابات التي تصيب الاقتصاد عبر الزمن.

ومن الناحية الاقتصادية، يمكن تفسير هذه النتيجة بأن الناتج الداخلي الحقيقي في الاقتصاد الجزائري لا يتحدد فقط بظروف السنة الجارية، بل يحمل في كل فترة أثرا جزئيا لما تحقق في الفترات السابقة، سواء من حيث مستوى النشاط الاقتصادي أو من حيث الصدمات التي يكون قد تعرض لها الاقتصاد. فوجود بنية من هذا النوع يوحي بأن التوسع أو التباطؤ الاقتصادي لا يظهر عادة بشكل فجائي ومنفصل، بل ينتقل أثره عبر الزمن بدرجة معينة، وهو أمر

¹ -Ibid ;p287.

منطقي في اقتصاد يتأثر بالإنفاق العمومي، وبإيرادات المحروقات، وبوتيرة الاستثمار، وبالطلب الكلي. كما أن تضمين حدود المتوسطات المتحركة يشير إلى أن بعض الصدمات الاقتصادية السابقة، مثل تقلبات الأسعار الدولية أو التغيرات في الإنفاق أو الاضطرابات الظرفية، لا يختفي أثرها مباشرة، بل قد يمتد إلى فترات لاحقة ويؤثر في المسار القصير الأجل للناتج. وعليه، فإن اختيار $ARIMA(2,1,2)$ يمكن قراءته اقتصاديا على أنه دليل على أن نمو الناتج الحقيقي يتسم بقدر من الاستمرارية الديناميكية، لكنه يظل في الوقت نفسه عرضة لتأثير الصدمات العابرة والمستمرة نسبيا، وهو ما يجعل تحليل الناتج في الاقتصاد الجزائري بحاجة إلى الجمع بين القراءة الزمنية والقراءة الهيكلية، وعدم الاكتفاء بالتفسير الآني أو الأحادي.

ثانيا: تطبيق ARIMA على معدل البطالة

الجدول (3-4) نتائج تقدير نموذج $ARIMA(1,1,1)$ لمعدل البطالة

ARIMA(1,1,1) Model for Unemployment

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	-0.6315	0.4767	-1.3248	0.2028
AR(1)	-0.0804	0.2325	-0.3457	0.7338
MA(1)	0.5000	0.4532	1.1033	0.2844

R-squared	-16.8743
Log likelihood	-41.9945
AIC	87.9890
BIC	89.9804

تظهر النتائج الإحصائية لنموذج $ARIMA(1,1,1)$ المطبق على معدل البطالة أن هذا المتغير لا يتمتع ببنية زمنية ذاتية قوية تسمح بتفسير تطوره السنوي اعتمادا على ماضيه القريب فقط، ذلك أن معاملات النموذج، سواء ما تعلق بالحد الذاتي $AR(1)$ أو حد المتوسطات المتحركة $MA(1)$ أو الثابت، جاءت جميعها غير معنوية إحصائيا، وهو ما يفيد بأن التغيرات المسجلة في معدل البطالة لا تخضع لنمط داخلي منتظم ومستقر يمكن التعويل عليه في التفسير أو التنبؤ بثقة عالية. ومن الناحية الاقتصادية، تعكس هذه النتيجة كون البطالة ليست ظاهرة مستقلة في حركتها، بل ترتبط بدرجة أكبر بعوامل الاقتصاد الكلي والاختلالات الهيكلية في سوق العمل، مثل وتيرة النمو، وحجم الاستثمار، وطبيعة الإنفاق العام، وقدرة الاقتصاد على خلق مناصب شغل منتجة. وعليه، فإن ضعف الدلالة الإحصائية لمعاملات النموذج يوحي بأن البطالة في الحالة المدروسة لا تفسر أساسا بآثارها الماضية، وإنما تبدو أقرب إلى كونها محصلة لتطورات اقتصادية ومؤسسية أوسع، وهو ما يبرر الانتقال من النماذج الأحادية إلى نماذج متعددة المتغيرات عند البحث عن تفسير اقتصادي أعمق لهذه الظاهرة.

المطلب الثالث: نموذج المتجهات الذاتية (VAR) والتحليل المشترك

بعد الانتهاء من تحليل خصائص السلاسل الزمنية لمتغيرات الدراسة وبناء نماذج التنبؤ الفردي، يصبح من الضروري الانتقال إلى مستوى أكثر شمولاً في التحليل، يقوم على دراسة التفاعلات الديناميكية المشتركة بين المتغيرات الاقتصادية داخل إطار واحد. وتكتسي هذه الخطوة أهمية خاصة في الدراسات الاقتصادية الكلية، لأن الناتج الحقيقي، والإنفاق

الحكومي، والبطالة، لا تتحرك بصورة مستقلة، بل تؤثر في بعضها بعضا عبر الزمن من خلال شبكة معقدة من العلاقات المتبادلة والتأثيرات المتأخرة.

وفي هذا السياق، يمثل نموذج المتجهات الذاتية (VAR) **vector autoregression model** أداة منهجية ملائمة لتحليل هذه التفاعلات، لأنه يسمح بالتعامل مع المتغيرات جميعها باعتبارها متغيرات داخلية في نظام ديناميكي مترابط، بحيث يتم تفسير كل متغير اعتمادا على القيم الماضية له وللمتغيرات الأخرى. كما يتيح هذا النموذج فحص أثر الصدمات غير المتوقعة، وقياس مصادر التقلب، واختبار العلاقات السببية ذات الطبيعة التنبؤية، بما يجعل نتائجه أكثر ثراء من النماذج الأحادية عند دراسة الظواهر الاقتصادية المعقدة.

وانطلاقا من ذلك، يهدف هذا المطلب إلى تقديم الإطار النظري لنموذج المتجهات الذاتية وبيان أهميته في التحليل الاقتصادي المشترك، ثم عرض كيفية تقديره وتوظيفه في دراسة العلاقات الديناميكية بين متغيرات الدراسة، قبل الانتقال إلى تفسير نتائج تحليل الاستجابة للصدمات، وتحليل التباين، واختبار السببية لغرانجر، تمهيدا لاستخلاص الدلالات الاقتصادية والسياساتية التي تسمح بفهم أعمق لسلوك الاقتصاد الجزائري خلال الفترة المدروسة.

أولا: الإطار النظري لنموذج المتجهات الذاتية¹ VAR

يعتمد نموذج المتجهات الذاتية VAR على فكرة أن المتغيرات الاقتصادية الكلية لا تتحرك بصورة منفصلة، بل تؤثر في بعضها بعضا عبر الزمن. ولذلك، فإنه يعامل جميع المتغيرات الداخلة في النظام باعتبارها داخلية، وتفسر كل معادلة سلوك متغير معين بالاعتماد على القيم الماضية له وللمتغيرات الأخرى. وتعد هذه المقاربة ملائمة عندما يكون الهدف هو تحليل التفاعل المشترك بين عدة متغيرات دون فرض قيود نظرية صارمة مسبقا على اتجاه العلاقة.

ثانيا: تحديد وتقدير نموذج VAR

وتزداد أهمية VAR في الدراسات الاقتصادية الكلية لأنه يسمح بتمثيل الاقتصاد كنظام ديناميكي مترابط. وإذا كانت المتغيرات متكاملة من الدرجة نفسها وتوجد بينها علاقة توازنية طويلة الأجل، فقد يتوسع الباحث إلى نموذج تصحيح الخطأ المتجه² **VECM**. أما في هذه الدراسة، فقد تم اعتماد صيغة VAR الملائمة للإطار التطبيقي المعتمد وللهدف المتمثل في تفسير التفاعلات الديناميكية والتنبؤ المشترك.

تم تقدير نموذج VAR بثلاثة متغيرات رئيسية هي الناتج الحقيقي، والإنفاق الحكومي، ومعدل البطالة، مع اعتماد إزاحة زمنية تساوي فترتين، استنادا إلى نتائج معايير المعلومات ومراعاة التوازن بين جودة الملاءمة وتجنب الإفراط في التخصيص. وتسمح هذه الصياغة بالتقاط الأثر المتأخر لكل متغير في نفسه وفي المتغيرات الأخرى ضمن النظام.

¹ -Ibid ; p347.

² -Ibid ;p348.

* **VECTOR ERROR CORRECTION MODEL** هو نموذج قياسي يستخدم عندما تكون المتغيرات الزمنية غير مستقرة أو غير ساكنة ولكن توجد بينها علاقة توازنية طويلة الأجل حيث يجمع بين ديناميكية الأجل القصير وآلية تصحيح الانحراف عن التوازن في الأجل الطويل. وهو صيغة خاصة من نموذج VAR

VAR(2) Model Results

VAR(2) Model Estimation Results				
Method: OLS (Equation by Equation)				
Sample: 2004 - 2022				
Number of observations: 19				
Number of variables: 3				
VAR lag order: 2				
=====				
Equation 1: Real GDP				

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
=====				
C	417662.7569	637803.7930	0.6548	0.5249
GDP(t-1)	0.8198	0.3011	2.7226	0.0185
Gov(t-1)	8805.8692	24323.0129	0.3620	0.7236
Unemp(t-1)	0.0714	0.1664	0.4291	0.6754
GDP(t-2)	0.0808	0.1738	0.4649	0.6503
Gov(t-2)	0.0695	0.2635	0.2637	0.7965
Unemp(t-2)	2041.9361	27372.0683	0.0746	0.9418
=====				
R-squared	0.9771			
Adj. R-squared	0.9656			
F-statistic	85.2399			
Durbin-Watson	1.9453			

بناء على نتائج VAR(2) المعروضة فقط، فإن أهم ما يظهر هو أن معادلة الناتج الداخلي الخام الحقيقي تتسم أساسا بالاستمرارية الذاتية؛ إذ إن المتغير الوحيد الذي ظهر ذا دلالة إحصائية هو الناتج الحقيقي المتأخر بفترة واحدة GDP(t-1) بمعامل موجب ودلالة عند مستوى 5% تقريبا، ما يعني أن الناتج الحالي يتأثر بدرجة كبيرة بمساره السابق. أما المتغيرات الأخرى، أي الإنفاق الحكومي المتأخر والبطالة المتأخرة، فلم تظهر لها دلالة إحصائية واضحة داخل هذه المعادلة، سواء عند الإزاحة الأولى أو الثانية.

هذا يعني أن نتائج VAR(2) المعروضة لا تسمح بالقول إن الإنفاق الحكومي يؤثر مباشرة وبشكل معنوي في الناتج الحقيقي ضمن هذا الجزء من النموذج، بل توحى بأن تفسير الناتج في الأجل القصير يعتمد أساسا على ديناميكيته الداخلية أكثر من اعتماده على صدمات المتغيرات الأخرى. كما أن معنوية GDP(t-1) مع عدم معنوية GDP(t-2) تشير إلى أن أثر الماضي القريب أقوى من أثر الماضي الأبعد في تفسير تطور الناتج. ومن جهة جودة الملاءمة، فإن ارتفاع R² إلى 0.9771 و R² المعدل إلى 0.9656 يدل على أن النموذج يفسر نسبة كبيرة من تغيرات الناتج داخل العينة، لكن هذا لا يكفي وحده للحكم على قوة العلاقات الاقتصادية بين المتغيرات، خاصة مع صغر حجم العينة ووجود عدة معاملات في النموذج. لذلك فالقراءة الأدق لنتائج VAR(2) هنا هي أن الناتج الحقيقي يظهر سلوكا استمراريا قويا، في حين لا تظهر آثار مباشرة معنوية للإنفاق الحكومي أو البطالة على الناتج في المعادلة المعروضة.

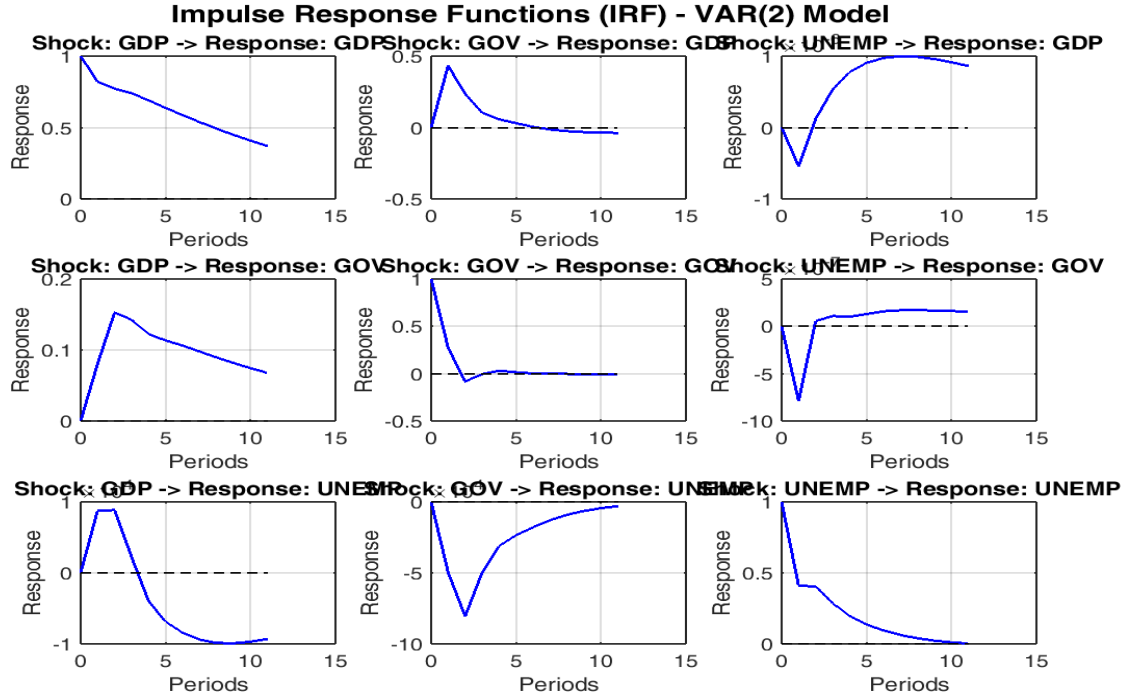
ثالثا: تحليل الاستجابة للصدمات impulse response function (IRF)¹

يعتمد تحليل الاستجابة للصدمات على تتبع أثر صدمة معيارية غير متوقعة تصيب أحد متغيرات النظام، ثم قياس كيفية انتقال هذا الأثر إلى بقية المتغيرات عبر فترات زمنية متلاحقة. وتكمن أهمية هذه الأداة في أنها لا تكتفي بإثبات وجود ترابط بين المتغيرات، بل توضح أيضا شكل هذا الترابط زمنيا: متى يبدأ الأثر، وكم يستمر، وهل يكون موجبا أو سالبا، وهل يتلاشى سريعا أم يتراكم قبل أن ينحسر.

¹ -Ibid ;p357.

وتشير دوال الاستجابة المقدره في هذه الدراسة إلى أن الصدمات لا تنتقل بصورة متماثلة بين المتغيرات، بل تختلف آثارها من حيث القوة والزمن والقناة التي تمر عبرها. ومن ثم، فإن قراءة نتائج IRF تسمح بفهم أفضل لآليات انتقال أثر السياسة المالية والنمو والبطالة داخل الاقتصاد الجزائري، خاصة في سياق يتسم بحضور قوي للدولة في النشاط الاقتصادي.

الشكل (3-6): منحنيات الاستجابة للصدمات



وتكشف النتائج المعروضة عن ثلاثة أنماط أساسية من الاستجابة يمكن إجمالها كما يأتي:

1. صدمة الإنفاق الحكومي: تظهر دوال الاستجابة أن صدمة الإنفاق الحكومي الحقيقي تولد آثارا متفاوتة على بقية المتغيرات، إذ تختلف استجابة الناتج الداخلي الحقيقي ومعدل البطالة من حيث الاتجاه والقوة والمدة. وتفيد هذه القراءة اقتصاديا بأن أثر السياسة المالية لا ينتقل بصورة آلية أو متماثلة إلى مختلف المتغيرات، بل يتوقف على طبيعة الاقتصاد وعلى درجة تفاعل النشاط الحقيقي وسوق العمل مع التوسع في الإنفاق العام. وعليه، فإن صدمة الإنفاق الحكومي يمكن النظر إليها بوصفها صدمة ذات بعد تحفيزي محتمل، لكن أثرها يبقى نسبيا ومتدرجا عبر الزمن.

2. صدمة الناتج: تشير منحنيات الاستجابة إلى أن الصدمة المرتبطة بالناتج الداخلي الحقيقي تنتقل بدورها إلى بقية المتغيرات بصورة غير متماثلة، بما يعكس أن تغيرات النشاط الاقتصادي الكلي لا تبقى محصورة في الناتج وحده، بل تمتد بدرجات متفاوتة إلى الإنفاق العام وإلى البطالة. ومن الناحية الاقتصادية، يعني ذلك أن تحسن النشاط الاقتصادي أو تراجعها قد يولد آثارا غير مباشرة على سلوك الدولة المالي وعلى أوضاع سوق العمل، غير أن هذه الآثار لا تظهر بالضرورة بالقوة نفسها ولا بالوتيرة نفسها في جميع الفترات.

3. صدمة البطالة: تكشف دوال الاستجابة كذلك أن صدمة البطالة ليست معزولة داخل سوق العمل فقط، بل يمكن أن تمتد آثارها إلى المتغيرات الكلية الأخرى، بما يعكس الترابط القائم بين أوضاع التشغيل ومستوى النشاط

الاقتصادي وتوجهات الإنفاق العام. وتفيد هذه النتيجة اقتصاديا بأن البطالة ليست مجرد نتيجة نهائية للتقلبات الاقتصادية، بل يمكن أن تتحول بدورها إلى مصدر ضغط أو إشارة تؤثر في التوازنات الكلية، سواء من خلال انعكاسها على الطلب، أو على وتيرة النشاط، أو على تدخل الدولة. وبالتالي يمكن القول بأن هذا التحليل سمح بإبراز أن العلاقات بين الإنفاق العام والنمو والبطالة ليست علاقات ساكنة أو أحادية الاتجاه، بل تتخذ طابعا ديناميكيا تتداخل فيه آثار السياسة المالية، وتقلبات النشاط الاقتصادي، واختلالات سوق العمل، ضمن مسار تدريجي ومتفاوت الشدة عبر الزمن.

رابعا: اختبار السببية لغرانجر granger causality test

يقوم اختبار السببية لغرانجر على فكرة بسيطة مفادها أن المتغير X يعد سببا بالمعنى التنبؤي للمتغير Y إذا كانت القيم الماضية لـ X تحسن القدرة على التنبؤ بـ Y بعد التحكم في القيم الماضية لـ Y نفسه. ومن ثم، فإن المقصود هنا ليس السببية الفلسفية أو الحتمية، بل السببية التنبؤية أو الزمنية، أي أسبقية المعلومات وقدرتها على الإضافة إلى معادلة التنبؤ¹.

الجدول (3-6) نتائج تقدير اختبار السببية لغرانجر

Granger Causality Tests

Null Hypothesis	F-Statistic	p-Value	Conclusion
Gov Spending does not Granger-cause Real GDP	0.1298	0.8793	Fail to reject H0: No causality
Unemployment does not Granger-cause Real GDP	0.7692	0.4808	Fail to reject H0: No causality
Real GDP does not Granger-cause Gov Spending	1.8528	0.1909	Fail to reject H0: No causality
Unemployment does not Granger-cause Gov Spending	0.8743	0.4374	Fail to reject H0: No causality
Real GDP does not Granger-cause Unemployment	18.8148	0.0001	Reject H0: Causality exists
Gov Spending does not Granger-cause Unemployment	16.0423	0.0002	Reject H0: Causality exists

تسمح نتائج اختبار السببية لغرانجر باستخلاص دلالة مركزية مفادها أن البنية السببية داخل النموذج ليست بنية تفاعلية متوازنة بين المتغيرات الثلاثة، وإنما هي بنية غير متماثلة تتمركز فيها الآثار السببية أساسا حول معدل البطالة. فقد أظهرت النتائج أن كلا من الناتج الداخلي الخام الحقيقي والإنفاق الحكومي يساهمان إحصائيا في تفسير التطور اللاحق للبطالة، بما يعني أن سوق العمل يتأثر بوضوح بكل من مسار النشاط الاقتصادي وتوجهات السياسة المالية. ويعكس هذا من الناحية الاقتصادية أن البطالة ليست ظاهرة مستقلة عن محيطها الكلي، بل تتحدد بدرجة كبيرة وفق قدرة الاقتصاد على توليد النمو الحقيقي، ووفق طبيعة التدخل العمومي وما إذا كان الإنفاق العام قادرا على تنشيط التشغيل بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وفي المقابل، فإن غياب السببية المعنوية بين الناتج الحقيقي والإنفاق الحكومي في الاتجاهين يشير إلى أن العلاقة بينهما داخل العينة المدروسة لا تتخذ شكل انتقال سببي مباشر، وهو ما يمكن تفسيره بأن أثر الإنفاق العام على النمو قد يكون ضعيفا أو متأخرا أو غير مباشر، أو أن بنية الناتج نفسها تخضع بدرجة أكبر لعوامل أخرى، من بينها التقلبات الخارجية، وتركيب الاقتصاد، ومحدودية فعالية بعض بنود الإنفاق العمومي. كما أن عدم وجود سببية من البطالة نحو الناتج أو نحو الإنفاق الحكومي يوحي بأن البطالة، رغم أهميتها الاجتماعية والاقتصادية، لا تمارس داخل النموذج دور المتغير القائد، بل تظهر أساسا كمتغير تابع يعكس نتائج

¹ -Ibid ;p349.

التوازنات والاختلالات الاقتصادية الكلية. ومن ثم، فإن النتائج تدعم تصورا تحليليا مفاده أن البطالة في الاقتصاد الجزائري تتحدد أساسا بفعل ديناميكيات النمو والسياسة المالية، في حين لا تكشف البيانات المستعملة عن وجود تفاعل سببي مباشر ومتكافئ بين جميع المتغيرات، الأمر الذي يعزز الطرح القائل بأن معالجة البطالة لا يمكن أن تتم بمعزل عن تحسين نوعية النمو ورفع كفاءة الإنفاق العام وتوجيهه نحو المجالات الأكثر قدرة على خلق مناصب شغل منتجة ومستدامة.

المطلب الرابع: التنبؤ الاقتصادي والسيناريوهات المستقبلية

يقصد بالتنبؤ الاقتصادي بناء قيم مستقبلية محتملة للمتغيرات اعتمادا على المعلومات التاريخية والعلاقات الإحصائية المقدرية بين السلاسل الزمنية. ولا يهدف التنبؤ إلى الادعاء بمعرفة المستقبل على نحو يقيني، بل إلى رسم مسارات مرجحة مشروطة بالفرضيات المعتمدة وباستمرار البنية العامة للعلاقات التي كشفت عنها البيانات السابقة. ومن هنا تتبع أهميته في دعم القرار الاقتصادي وتقييم البدائل السياسية.

أولا: منهجية التنبؤ وافتراضات النماذج

اعتمدت الدراسة على ثلاثة أنماط من النماذج لأغراض التنبؤ، وهي نماذج ARIMA الفردية، ونموذج VAR متعدد المعادلات، إلى جانب نماذج انحدار تقليدية للمقارنة. ويعكس هذا الاختيار حرصا منهجيا على عدم الاكتفاء بنموذج واحد، لأن لكل نموذج مزاياه وحدوده: فالنماذج الأحادية تكون غالبا أكثر بساطة وثباتا، بينما تسمح النماذج متعددة المعادلات بالتقاط التفاعلات المشتركة بين المتغيرات.

ويقضي بناء تنبؤ اقتصادي سليم الانتباه إلى عدد من الافتراضات، مثل استقرار البنية العامة للعلاقات خلال أفق التنبؤ، وعدم وقوع صدمات هيكلية غير ممثلة داخل العينة التاريخية، فضلا عن ملاءمة النموذج من حيث التشخيص الإحصائي. كما ينبغي التمييز بين دقة التنبؤ في الأجل القصير ودقته في الأجل المتوسط، لأن هامش الخطأ يتسع عادة كلما ابتعدنا عن آخر سنة ملاحظة. ومن هنا جاءت المقارنة بين النماذج كوسيلة للوصول إلى حل وسط بين الواقعية والدقة والقدرة التفسيرية.

ويمثل اختيار النموذج التنبؤي تحديا منهجيا حقيقيا: فالنموذج الأكثر تعقيدا قد يبدو أقدر على تمثيل الواقع، لكنه قد يصبح أقل ثباتا وأكثر حساسية للعينات الصغيرة أو للصدمات غير المتوقعة، بينما قد يكون النموذج الأبسط أقل طموحا لكنه أكثر صلابة في المدى القصير. ولذلك تم اعتماد مقاربة توفيقية تسمح باستخدام النموذج الأنسب بحسب طبيعة كل متغير وخصائصه الزمنية.

ثانيا: التنبؤات الأساسية للفترة 2024-2028

استنادا إلى النماذج المنتقاة ونتائج التشخيص، تم إعداد تنبؤات أساسية للمؤشرات الاقتصادية الرئيسية للفترة 2024-2028. وتمثل هذه التنبؤات المسار المرجعي الأكثر احتمالا في حال استمرار الاتجاهات التاريخية من دون حدوث صدمات استثنائية أو تحولات هيكلية كبيرة خارج ما تعكسه البيانات المدروسة.

Forecast Results (2024-2028)

Extracted from the original report

Year	Real GDP	Gov Spending	Unemployment Rate	GDP Growth
2024	8378549	2882799	12.83%	0.0%
2025	8423918	2937047	12.83%	0.5%
2026	8488313	2876267	13.06%	0.8%
2027	8545225	2851490	13.25%	0.7%
2028	8592169	2845472	13.40%	0.5%

وبناء على النتائج المتحصل عليها، فإن هذا المسار المرجعي لا يعكس ديناميكية نمو قوية، بل يشير إلى استمرار الاقتصاد في مسار يتسم بضعف التوسع وارتفاع القيود الهيكلية التي تحد من قدرة الناتج على تحقيق قفزة نوعية أو تحسين سريع في أوضاع سوق العمل.

الناتج الحقيقي الإجمالي

تفيد التنبؤات الأساسية بأن الناتج الحقيقي الإجمالي سيرتفع من 8378549 مليون دج سنة 2024 إلى 8592169 مليون دج سنة 2028، وهو ما يعكس زيادة تدريجية محدودة خلال فترة التنبؤ. كما تبين معدلات النمو المدرجة في الجدول أنها تبقى ضعيفة جدا، إذ تبلغ 0% سنة 2024، ثم 0.5% سنة 2025، و 0.8% سنة 2026، و 0.7% سنة 2027، و 0.5% سنة 2028. يعني ذلك أن الاقتصاد الجزائري، وفق هذا السيناريو المرجعي، لا يتجه نحو ركود تام، لكنه في المقابل لا يحقق نموا كافيا لإحداث تحول ملموس في مستوى النشاط الاقتصادي أو في قدرة الاقتصاد على خلق فرص العمل بالوتيرة المطلوبة. ومن الناحية الاقتصادية، توحى هذه النتائج بأن البنية الحالية للنمو ما تزال محدودة الفعالية، وأن استمرارها على هذا النحو سيبقي الاقتصاد في وضعية نمو ضعيف لا تسمح بتحسين قوي في الإنتاجية أو بامتصاص سريع لاختلالات سوق العمل، وهو ما يبرز الحاجة إلى إصلاحات تمس نوعية الاستثمار، وتخصيص الموارد، ودور القطاعات المنتجة خارج المحروقات في دعم النمو المستدام.

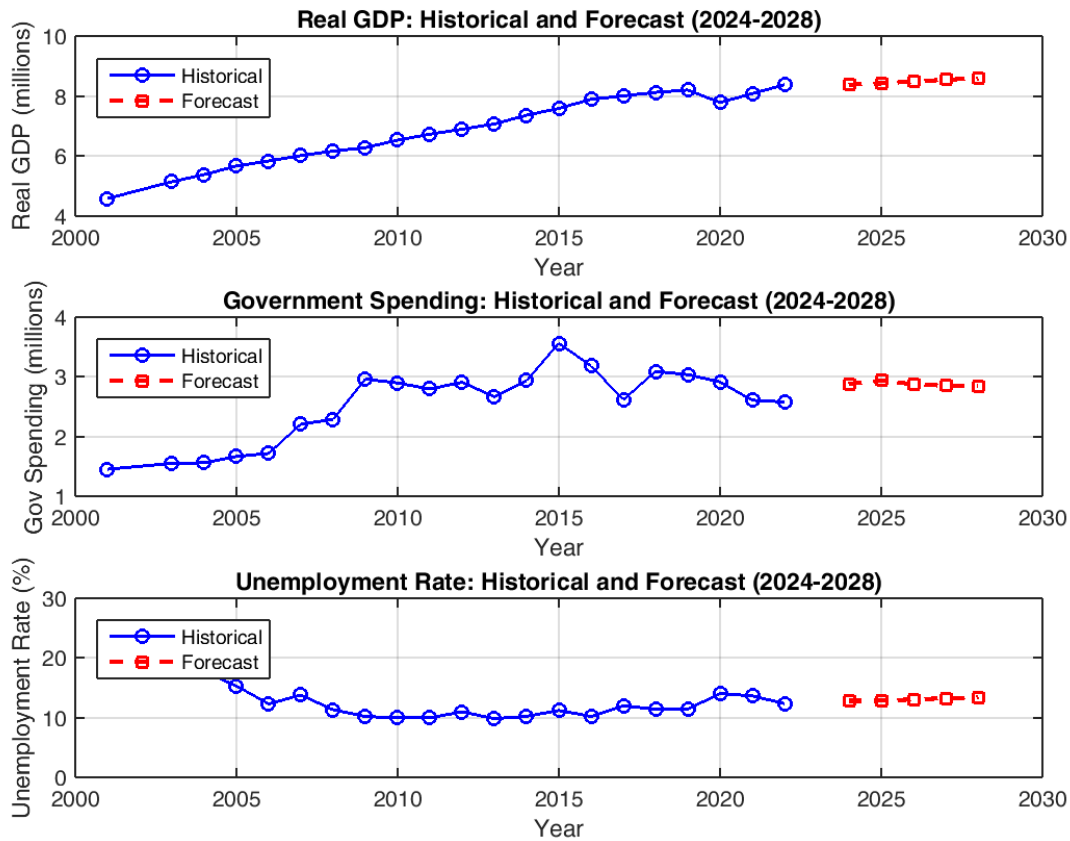
الإنفاق الحكومي الحقيقي

تشير التنبؤات إلى أن الإنفاق الحكومي الحقيقي لا يسلك مسارا تصاعديا منتظما خلال فترة التنبؤ، بل يسجل 2882799 مليون دج سنة 2024، ويرتفع إلى 2937047 مليون دج سنة 2025، ثم يتراجع إلى 2876267 مليون دج سنة 2026، ويواصل الانخفاض إلى 2851490 مليون دج سنة 2027، ثم 2845472 مليون دج سنة 2028. ويكشف هذا المسار أن التغير المتوقع في الإنفاق ليس توسعيا بصورة مستمرة، بل أقرب إلى الاستقرار النسبي مع ميل طفيف نحو الانخفاض بعد السنة الثانية من أفق التنبؤ. ومن الناحية الاقتصادية، يمكن تفسير ذلك بأن السياسة المالية، وفق الاتجاهات التاريخية التي التقطتها النماذج، لن تشكل خلال السنوات القادمة مصدر دفع قوي ومتزايد للنشاط الاقتصادي، بل ستظل في حدود إدارة التوازنات أكثر من كونها أداة توسع فعالة. كما أن هذا التطور قد يعكس حرصا ضمينا على الاستدامة المالية أو محدودية الهوامش المتاحة للإنفاق، لكنه في الوقت نفسه قد يحد من قدرة الدولة على التدخل المباشر لدعم النمو والتشغيل ما لم يصاحبه تحسن واضح في كفاءة الإنفاق وتوجيهه نحو الأنشطة الأعلى مردودية إنتاجية وتشغيلية.

معدل البطالة

تبين نتائج التنبؤ أن معدل البطالة سيبقى عند مستوى مرتفع مع ميل تصاعدي طفيف، إذ يبلغ 12.83% في سنتي 2024 و2025، ثم يرتفع إلى 13.06% سنة 2026، و 13.25% سنة 2027، و 13.40% سنة 2028. وتكتسي هذه النتيجة أهمية خاصة لأنها تعني أن النمو المتوقع، رغم كونه موجبا، لا يبدو كافيا لتوليد فرص العمل اللازمة لاستيعاب الوافدين الجدد إلى سوق العمل أو لتقليص الاختلالات الهيكلية بصورة محسوسة. كما توحي هذه المسارات بأن البطالة في الجزائر لا تعكس فقط ضعف الطلب الكلي، بل ترتبط كذلك بعوامل أعمق تتصل بتركيبة النمو، وضعف كثافته التشغيلية، وببطء انتقال أثر الإنفاق والنشاط الاقتصادي إلى التشغيل الفعلي. وعليه، فإن استمرار البطالة في مسار تصاعدي نسبي خلال أفق التنبؤ يبرز أن معالجة هذه المشكلة تتطلب سياسات أكثر تخصيصا، تشمل تحسين مواءمة التكوين مع احتياجات السوق، وتشجيع الاستثمار المنتج، وتوجيه الإنفاق العمومي نحو الأنشطة الأعلى قدرة على خلق مناصب الشغل.

الشكل (3-7): التنبؤات الاقتصادية للفترة 2024-2028



يوضح الشكل الخاص بالتنبؤات الأساسية أن المسارات المتوقعة للمؤشرات الرئيسية تتجه عموما نحو الاستمرار في الاتجاهات القائمة أكثر مما تتجه نحو تحول جذري. فالنتائج الحقيقي يواصل الصعود التدريجي ولكن بوتيرة محدودة، والإنفاق الحكومي يظهر مسارا شبه مستقر يتخلله تراجع طفيف بعد 2025، في حين يبدو معدل البطالة الأكثر إشكالا من حيث السياسات العمومية بسبب استقراره عند مستوى مرتفع ثم اتجاهه نحو الزيادة التدريجية. وتؤكد القراءة البصرية للشكل ما يفيد الجدول العددي، أي أن المسار المرجعي للاقتصاد خلال الفترة 2024-2028 هو مسار

نمو ضعيف نسبياً، محدود الأثر على التشغيل، وغير كاف بمفرده لإحداث تحسن هيكلي واضح في التوازنات الاقتصادية والاجتماعية

ثالثاً: السيناريوهات البديلة

السيناريو المتفائل

يفترض هذا السيناريو تحسن البيئة الاقتصادية العالمية، واستقراراً أفضل في أسواق الطاقة، وتسارعاً نسبياً في الإصلاحات الداخلية، بما يسمح بتحقيق أداء أفضل من المسار المرجعي الذي أظهرته التنبؤات الأساسية حيث يتوقع أن يرتفع نمو الناتج إلى حدود 5% سنوياً وخفض البطالة إلى أقل من 10%. وفي هذا الإطار، لا يمثل السيناريو المتفائل نتيجة مباشرة للجدول التنبؤي المستخرج من النموذج، بل يمثل تصوراً افتراضياً بديلاً يقوم على فرض تغيير الشروط المحيطة بالاقتصاد الوطني في اتجاه أكثر دعماً للنمو والتشغيل. ويعني ذلك أن تحقق مسار أكثر إيجابية يظل مشروطاً بتحسين مناخ الأعمال، ورفع مساهمة القطاع الخاص المنتج، وتحسين فعالية الاستثمار العمومي، وتوجيه الموارد نحو القطاعات القادرة على رفع القيمة المضافة وخلق فرص العمل. وبعبارة أخرى، فإن الانتقال من النمو الضعيف الذي تعكسه التنبؤات الأساسية إلى نمو أكثر قوة لا يمكن أن يتم تلقائياً، بل يستوجب تغييراً ملموساً في البيئة المؤسسية والإنتاجية والمالية.

السيناريو المتشائم

يقوم السيناريو المتشائم على فرضية تعرض الاقتصاد لصدمات خارجية أو داخلية إضافية، مثل تراجع أسعار النفط، أو ضعف الطلب الخارجي، أو تأخر الإصلاحات، أو تقلص الهوامش المالية المتاحة للدولة. وفي هذه الحالة، قد يصبح المسار الفعلي أقل من المسار المرجعي الوارد في التنبؤات، سواء من حيث النمو أو من حيث أوضاع البطالة والإنفاق. وتكمن أهمية هذا السيناريو في أنه يبين هشاشة التوازنات الاقتصادية عندما يعتمد النمو على أسس غير متينة أو عندما تبقى قدرة الاقتصاد على التنويع محدودة. كما يبرز أن البطالة قد ترتفع إلى مستويات أعلى من تلك المتوقعة في السيناريو الأساسي إذا لم تتوفر آليات امتصاص فعالة للصدمات أو إذا تقلصت قدرة السياسة المالية على التدخل. ومن ثم، فإن وظيفة هذا السيناريو ليست التنبؤ العددي الدقيق، بل التنبيه إلى أن بقاء الاقتصاد في وضعية نمو ضعيف أصلاً يجعله أكثر عرضة للتدهور عند أول صدمة كبيرة، وهو ما يفرض بناء هوامش أمان مالية ومؤسسية وتحسين كفاءة الإنفاق وتنويع مصادر النمو.

رابعاً: تقييم دقة النماذج التنبؤية

تم تقييم دقة النماذج التنبؤية بالاعتماد على مجموعة من المقاييس الإحصائية، من بينها متوسط الخطأ المطلق النسبي $MAPE^*$ والجذر التربيعي لمتوسط مربعات الخطأ $RMSE^*$ ، وهما من أكثر المؤشرات استخداماً في الحكم على جودة

* **MEAN ABSOLUTE PERCENTAGE ERROR** مقياس إحصائي يعبر عن متوسط نسبة الخطأ بين القيم الفعلية والمتوقعة ويستخدم لتقييم دقة النماذج

التنبؤية حيث تشير القيم الأصغر إلى دقة أعلى

* **ROOT MEAN SQUARE ERROR** هو مقياس يستخدم لمعرفة مدى قرب القيم المتوقعة من القيم الفعلية في البيانات وكلما كانت القيم صغيرة كان

النموذج أدق في التنبؤ.

التنبؤ. ويسمح هذان المقياسان بالمفاضلة بين النماذج ليس فقط من حيث جودة الملاءمة داخل العينة، بل أيضا من حيث قدرتها على إنتاج تنبؤات قابلة للاعتماد خارج العينة.

الجدول (8-3) نتائج تقييم دقة النماذج التنبؤية

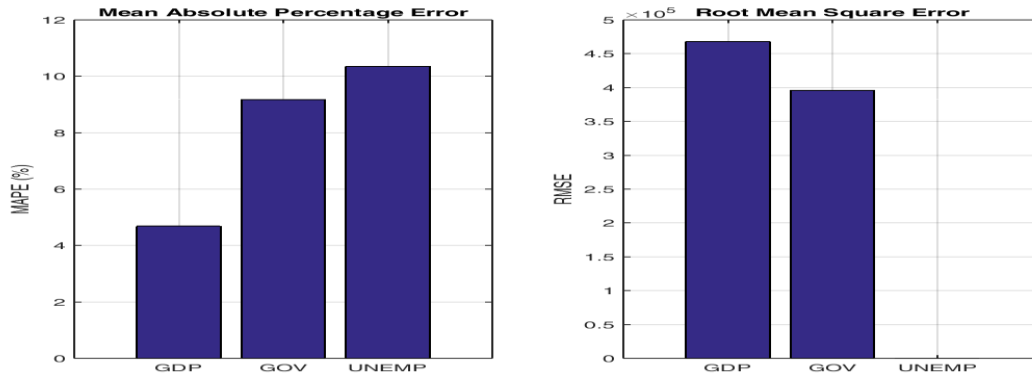
Out-of-Sample Forecast Validation

MAPE and RMSE

Variable	MAPE	RMSE
Real GDP	4.69%	468017.96
Gov Spending	9.18%	396083.01
Unemployment	10.36%	1.78

وتبين النتائج أن دقة النماذج تختلف باختلاف المتغيرات، إذ سجل الناتج الحقيقي $MAPE = 4.69\%$ و $RMSE = 468017.96$ ، في حين بلغ $MAPE = 9.18\%$ و $RMSE = 396083.01$ بالنسبة للإنفاق الحكومي، و $MAPE = 10.36\%$ و $RMSE = 1.78$ بالنسبة للبطالة. وتدلل هذه الأرقام على أن القدرة التنبؤية للنماذج تبدو أفضل نسبيا في حالة الناتج الحقيقي، وأضعف نسبيا بالنسبة للإنفاق الحكومي والبطالة، وهو أمر منطقي من الناحية الاقتصادية لأن هذين المتغيرين أكثر حساسية للصدمات وللعوامل الظرفية والمؤسسية التي قد لا تلتقطها النماذج بالكامل. وعليه، يمكن القول إن النتائج التنبؤية توفر أساسا مقبولا لرسم الاتجاهات العامة، لكنها لا تبرر المبالغة في الثقة الكمية الدقيقة، خاصة كلما امتد أفق التنبؤ أو تغيرت الظروف الاقتصادية بصورة غير متوقعة.

الشكل (8-3): مقارنة دقة النماذج التنبؤية وفق مختلف المعايير



يبين الشكل المقارن لدقة النماذج أن الأداء التنبؤي ليس متماثلا بين جميع المتغيرات، بل يتفاوت بحسب طبيعة السلسلة الزمنية ومدى استقرارها وحساسيتها للصدمات. ويظهر من المقارنة أن التنبؤ بالناتج الحقيقي أكثر موثوقية نسبيا من التنبؤ بالبطالة أو بالإنفاق الحكومي، وهذا ما يدعم فكرة الجمع بين النماذج الأحادية ومتعددة المعادلات بدل الركون إلى أداة واحدة. كما يؤكد الشكل أن المفاضلة بين البساطة والقدرة التفسيرية تظل عنصرا مركزيا في أي دراسة تنبؤية جادة، وأن القيمة العلمية لهذه النماذج تكمن أساسا في قدرتها على رسم الاتجاه العام للمؤشرات، لا في تقديم يقين كامل بشأن القيم المستقبلية الدقيقة.

هذا ويمكن القول بأن هذا المبحث قد خلص إلى أن العلاقة بين الإنفاق العام والناتج الداخلي الخام الحقيقي ومعدل البطالة في الجزائر ليست علاقة ميكانيكية بسيطة، بل تحكمها تفاعلات ديناميكية معقدة تعكس خصوصية البنية الاقتصادية الوطنية وحدود فعالية السياسات الكلية في التأثير المباشر على التشغيل. وقد بينت النتائج القياسية أن السلاسل المدروسة تتطلب معالجة منهجية دقيقة، كما أظهرت النماذج المقدر أن ديناميكية الناتج الحقيقي تبدو أكثر استقرارًا نسبيًا من ديناميكية البطالة، في حين يظل أثر الإنفاق العام على تحسين أوضاع سوق العمل محدودًا ما لم يقترن بكفاءة أعلى في التخصيص والتوجيه. كما كشفت نتائج السببية والاستجابة للصدمات والتنبؤ أن النمو المتوقع، في ظل الاتجاهات الحالية، لا يبدو كافيًا لإحداث تراجع ملموس في معدل البطالة، الأمر الذي يؤكد أن الإشكال لا يرتبط فقط بحجم الإنفاق، وإنما بطبيعته ومردوديته وقدرته على توليد نمو أكثر كثافة في التشغيل. وعليه، فإن هذا المبحث يفضي إلى نتيجة أساسية مفادها أن تخفيض البطالة في الجزائر يظل رهينًا بالانتقال من منطق التوسع الكمي في الإنفاق العام إلى منطق الفعالية الاقتصادية، من خلال تحسين نوعية التدخل العمومي وتوجيهه نحو الأنشطة الأقدر على خلق القيمة المضافة ومناصب العمل بصورة مستدامة.

المبحث الثالث: التصنيف والتحليل العنقودي والهرمي

يهدف هذا المبحث إلى توظيف أدوات التصنيف غير الموجه والتحليل العنقودي من أجل إعادة تنظيم سنوات الدراسة ضمن مجموعات متجانسة نسبيًا وفق خصائصها الاقتصادية المشتركة. وتكتسي هذه الخطوة أهمية خاصة في الدراسة الحالية لأنها لا تقتصر على الوصف المباشر للمؤشرات، بل تسعى إلى الكشف عن البنية الكامنة وراء تطور الاقتصاد الجزائري خلال الفترة المدروسة، وإلى تمييز الفترات التي تشابهت فيها الأنماط العامة للنمو والبطالة والإنفاق الحكومي. ويتيح هذا المنظور الانتقال من قراءة زمنية خطية للسلسلة إلى قراءة بنيوية تصنيفية تكشف المراحل الاقتصادية المتقاربة حتى وإن لم تكن متجاورة زمنيًا.

وبخلاف النماذج التفسيرية أو التنبؤية التي تنطلق من علاقات مفترضة بين المتغيرات، فإن التحليل العنقودي يقوم على منطق استكشافي غير موجه، إذ يبدأ من البيانات نفسها للمبحث عن التجانس والاختلاف داخلها. ومن ثم، فإنه يعد أداة مناسبة لتحديد الأنماط الاقتصادية المتكررة، ولبناء تصنيف موضوعي للفترات الاقتصادية بحسب تشابهها في الأداء متعدد الأبعاد. وفي هذه الدراسة تم اعتماد أسلوبين متكاملين: خوارزمية $means-K$ بوصفها أسلوبًا تجزئيًا $partitioning method$ ، والتحليل الهرمي بوصفه أسلوبًا تجميعيًا تسلسليًا $agglomerative method$ ، وذلك بهدف تدعيم النتائج ومقارنة البنية التصنيفية المستخلصة من كل منهما.

هذا ويقصد بالتصنيف العنقودي مجموعة الإجراءات الإحصائية التي تهدف إلى تقسيم المشاهدات أو الوحدات محل الدراسة إلى عناقيد أو مجموعات بحيث تكون الوحدات داخل كل عنقود أكثر تشابهًا فيما بينها من تشابهها مع الوحدات الموجودة في العناقيد الأخرى. ويستند هذا المنهج إلى فكرة أساسية مفادها أن البيانات متعددة الأبعاد قد تتضمن بنية خفية لا تظهر من خلال الجداول أو المتوسطات العامة، لكن يمكن الكشف عنها بالاعتماد على مقاييس المسافة والتشابه. وتعد هذه الفلسفة من الأسس الجوهرية في أدبيات التحليل العنقودي كما بين ذلك كل من

Rousseuw و Kaufman في كتابهما المرجعي حول اكتشاف المجموعات في البيانات، وكما عرضها Everitt وزملاؤه في مرجعهم التطبيقي الشهير في تحليل العناقيد.

وعلى هذا الأساس، لا يجب التحليل العنقودي عن سؤال من نوع: ما أثر متغير في متغير آخر؟ بل يجب عن سؤال مختلف: هل يمكن إعادة تنظيم المشاهدات في مجموعات متجانسة داخليا و متميزة خارجيا؟ وهذا الفرق المنهجي مهم في أطروحة الدكتوراه، لأنه يوضح أن التصنيف هنا لا يحل محل التقدير القياسي، وإنما يكمله من خلال الكشف عن الفترات الاقتصادية المتماثلة من حيث خصائص الأداء. كما أن هذا النوع من التحليل مفيد عندما يكون الهدف هو فهم البنية العامة للبيانات وبناء قراءة تركيبية للفترات الاقتصادية بدل الاكتفاء بالتبع السنوي المتسلسل.

هذا واعتمدت الدراسة على بيانات معيارية standardized data، أي بعد تحويل القيم الأصلية إلى قيم معدلة بمتوسط يساوي صفرا وانحراف معياري يساوي واحدا، وفق العلاقة: $Z = (X - \bar{X}) / S$. وتبرز أهمية هذا الإجراء من كون المتغيرات المستعملة في التحليل - مثل الناتج الحقيقي، والإنفاق الحكومي، والبطالة - تختلف في وحدات القياس وفي أحجامها المطلقة، وهو ما قد يؤدي إلى هيمنة المتغيرات ذات القيم الكبيرة على عملية التصنيف إذا استعملت البيانات الخام مباشرة. لذلك فإن التقييس لم يكن إجراء شكليا، بل شرطا منهجيا لضمان أن تعكس المسافات بين السنوات الاختلاف الحقيقي في البنية الاقتصادية لا مجرد اختلاف وحدات القياس.

كما جرى الجمع بين means-K والتحليل الهرمي لسبب منهجي واضح: فالأول فعال في إنتاج تقسيم مباشر للبيانات إلى عدد محدد من العناقيد، ويتيح حساب متوسطات معيارية لكل مجموعة وتمثيلها بيانيا، أما الثاني فيوفر تمثيلا شجريًا يبين التسلسل الذي تتقارب به السنوات والعناقيد مع بعضها بعضا. ومن ثم، فإن الجمع بين المنهجين يزيد من متانة القراءة التحليلية، إذ يسمح بمقارنة النتائج والتحقق من استقرارها النسبي بدل الاعتماد على خوارزمية واحدة فقط. هذا التوجه ينسجم مع ما تؤكد عليه الأدبيات التطبيقية الحديثة في أن نتائج التجميع تصبح أكثر موثوقية عندما تقرأ في ضوء أكثر من أسلوب تصنيفي.

المطلب الأول: التحليل من خلال خوارزمية means-K

أولا: مبدأ خوارزمية means-K

تعد خوارزمية means-K من أشهر خوارزميات التصنيف التجريبي، وقد ارتبط اسمها بشكل مباشر بعمل MacQueen الذي صاغ التسمية وقدم تصورها الإجرائي في إطار تصنيف المشاهدات متعددة المتغيرات. وتقوم هذه الخوارزمية على تقسيم البيانات إلى K عنقايد مسبقة التحديد، بحيث يتم تقليل مجموع مربعات المسافات داخل العناقيد، أي تقليل دالة الهدف: $J = \sum \sum |x_{ij} - \mu_j|^2$ ، حيث تمثل μ_j مركز العنقود J . وكلما انخفضت هذه الدالة، دل ذلك على تجانس أعلى داخل كل مجموعة.

وتتم العملية عادة عبر أربع خطوات متكررة: اختيار مراكز أولية للعناقيد، ثم إسناد كل مشاهدة إلى أقرب مركز بحسب المسافة المعتمدة، ثم إعادة حساب مراكز العناقيد انطلاقا من المتوسطات الجديدة، وأخيرا تكرار عمليتي الإسناد والتحديث إلى أن تستقر النتائج أو يصبح التحسن هامشيا. وتتميز الخوارزمية بسهولة التطبيق ووضوح

التفسير، لكنها تبقى حساسة لاختيار المراكز الأولية، كما أنها تميل إلى إنتاج عنقايد شبه كروية، وقد تتأثر بالقيم الشاذة وبعدها العنقايد المفروض مسبقا. ولهذا السبب غالبا ما تربط في التطبيقات الجادة بمعايير إضافية لاختيار عدد العنقايد الأمثل، وبإجراءات إعادة تشغيل متعددة للتحقق من استقرار الحل.

ومن حيث الدلالة الاقتصادية، فإن $means-K$ لا تفسر الظاهرة بقدر ما تعيد ترتيب السنوات وفق قربها في الفضاء متعدد المتغيرات. لذلك فإن معنى العنقود الاقتصادي هنا هو أن السنوات التي تنتمي إليه تشترك في صورة عامة متقاربة من حيث مستوى الناتج الحقيقي، والبطالة، والإنفاق الحكومي، وليس بالضرورة أنها تتجاوز زمنا أو تتبع المرحلة السياسية نفسها.

ثانيا: معيار كالينسكي-هاراباس واختيار العدد الأمثل للعنقايد

يمثل تحديد العدد الأمثل للعنقايد إحدى أكثر المسائل حساسية في التحليل العنقودي، لأن اختيار عدد قليل جدا من المجموعات يؤدي إلى تجميع مفرط يطمس الفروق الداخلية، في حين أن اختيار عدد كبير جدا يفضي إلى تفتت غير مبرر للبيانات. ومن بين المعايير الشائعة في هذا المجال معيار Harabasz-Calinski الذي اقترحه Calinski و Harabasz في دراستهما الكلاسيكية حول البنية الشجرية في التحليل العنقودي. ويقاس هذا المؤشر نسبة التشتت بين العنقايد إلى التشتت داخل العنقايد، بعد تصحيحها بدرجات الحرية، ويكتب على الصورة: $CH(k) = \frac{[k-W(k)]/n}{[1-B(k)]/k}$ ، حيث تمثل $B(k)$ التباين بين العنقايد و $W(k)$ التباين داخلها. ويفهم من هذا المؤشر أن الحل الجيد هو ذلك الذي يحقق تباعدا كبيرا بين العنقايد وتجانسا قويا داخل كل عنقود في الوقت نفسه؛ لذلك يكون العدد الأمثل هو العدد الذي يعطي أكبر قيمة للمؤشر. وقد تم اعتماد هذا المنطق في قراءة نتائج الدراسة، مع الإشارة إلى أن قيمة المؤشر لا ينبغي أن تفهم بصورة ميكانيكية معزولة عن التفسير الاقتصادي. فالحل العددي الأفضل إحصائيا يظل بحاجة إلى تحقق اقتصادي من حيث معقولية المجموعات الناتجة وقدرتها على تمثيل المراحل الاقتصادية التي مر بها الاقتصاد الجزائري.

ثالثا: قراءة نتائج $means-K$ في ضوء المخرجات الشكلية والحسابية

تشير المخرجات الشكلية المرفقة في هذا المبحث إلى أن الحل الذي اعتمده الخوارزمية هو حل بخمسة عنقايد، وهو ما يظهر بوضوح في نافذة النتائج وفي مخططات التوزيع والوسطات المعيارية. وبحسب هذه المخرجات، توزعت سنوات الدراسة على النحو الآتي: العنقود الأول يضم السنوات 2001-2004، والعنقود الثاني يضم 2017 و 2020 و 2021 و 2022، والعنقود الثالث يضم 2005-2008، والعنقود الرابع يضم 2009-2014، في حين يضم العنقود الخامس السنوات 2015 و 2016 و 2018 و 2019 و 2023. ومن ثم فإن الخوارزمية لم تنتج فقط تمييزا بين سنوات جيدة وأخرى ضعيفة، بل كشفت عن خمسة أنماط فرعية أكثر دقة داخل المسار الاقتصادي الجزائري.

وتسمح قراءة مخطط المتوسطات المعيارية بإعطاء مضمون اقتصادي أولي لكل عنقود. فالعنقود الأول، الذي يجمع السنوات الأولى من الفترة المدروسة، يرتبط بمستويات منخفضة نسبيا للناتج الحقيقي والإنفاق الحكومي مع بطالة

مرتفعة، وهو ما ينسجم مع صورة مرحلة ما قبل التحسن الكبير في الإيرادات النفطية. أما العنقودان الثالث والرابع فيمثلان بوجه عام سنوات الازدهار النسبي والتوسع المالي، مع فروق داخلية بين ازدهار أولي وازدهار أكثر رسوخا. في المقابل، يعكس العنقود الثاني وضعا أقرب إلى الصدمة أو التراجع، لأنه يضم سنوات متباعدة زمنيا لكنها متشابهة من حيث هشاشة الأداء وعودة الضغوط على سوق العمل. أما العنقود الخامس فيمثل وضعا وسيطا يجمع بين قدر من الاستقرار النسبي ومحاولات التكيف مع بيئة أقل ملاءمة من مرحلة الازدهار السابقة.

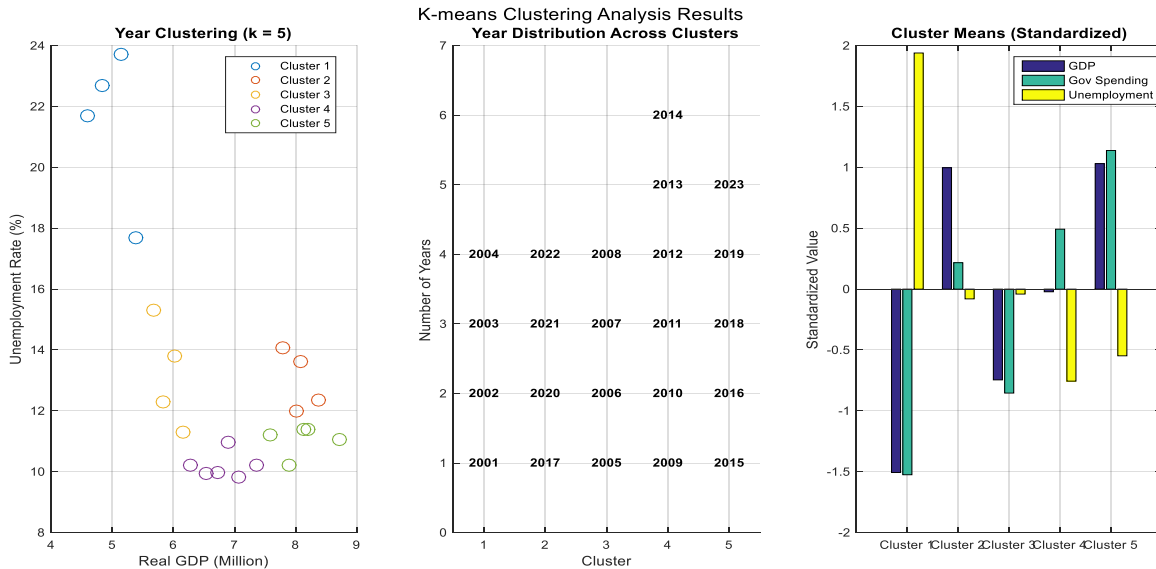
والنتيجة المنهجية المهمة هنا هي أن $means-K$ قدم تقسيما دقيقا من خمس مجموعات، لكن هذه المجموعات يمكن - لأغراض التفسير الاقتصادي الكلي - إعادة قراءتها ضمن ثلاث حالات أوسع: حالة ضغط واختلال نسبي، وحالة توسع وازدهار، وحالة تكيف واستقرار هش. ويفيد هذا التمييز بين "العناقيد الإحصائية الدقيقة" و"المجاميع التفسيرية الواسعة" في تجاوز التناقض الظاهري بين تعدد المخرجات الخوارزمية وحاجة الباحث إلى تركيب اقتصادي أكثر قابلية للعرض والمناقشة.

الجدول (9-3) نتائج التحليل العنقودي باستخدام خوارزمية k -means

```

15. Performing K-means clustering analysis...
Determining optimal number of clusters...
Optimal number of clusters: 5
Cluster 1: 4 years
  Years: 2001 2002 2003 2004
Cluster 2: 4 years
  Years: 2017 2020 2021 2022
Cluster 3: 4 years
  Years: 2005 2006 2007 2008
Cluster 4: 6 years
  Years: 2009 2010 2011 2012 2013 2014
Cluster 5: 5 years
  Years: 2015 2016 2018 2019 2023
    
```

الشكل (9-3): مخرجات تحليل $means-K$ وتوزيع سنوات الدراسة ومتوسطات العناقيد المعيارية.



تكشف نتائج $means-K$ أن الاقتصاد الجزائري لم يتحرك خلال الفترة 2001-2023 وفق مسار زمني متجانس، بل انتقل بين أوضاع اقتصادية مختلفة يمكن رصدها إحصائيا من خلال تكتل السنوات المتشابهة. ومن أهم ما يستفاد من الشكل أن السنوات لا تتجمع فقط بحسب تعاقبها الزمني، وإنما بحسب قربها في خصائص الأداء

الاقتصادي. ولذلك فإن بعض السنوات المتباعدة نسبيا - مثل 2017 و 2020-2022 - ظهرت ضمن عنقود واحد لأنها تشترك في ملامح اقتصادية متقاربة من حيث محدودية الزخم وارتفاع الضغوط على سوق العمل. كما تؤكد النتائج أن سنوات الطفرة النفطية لم تكن متجانسة بالكامل، بل انقسمت بدورها إلى أكثر من عنقود، وهو ما يوحي بأن التحسن الكلي الذي شهده الاقتصاد الجزائري لم يكن ذا طبيعة واحدة على امتداد كامل الفترة. فهناك فرق بين مرحلة الصعود الأولى التي ارتبطت بانتقال الاقتصاد من مستويات بطالة مرتفعة إلى مسار تحسن، وبين مرحلة التوسع الأكثر رسوخا التي عرفت مستويات أعلى من الإنفاق العام وتحسنا أوضح في المؤشرات المعيارية. وهذه الملاحظة ذات قيمة تحليلية لأنها تمنع التعميم المفرط على كل سنوات الوفرة النفطية باعتبارها كتلة واحدة.

المطلب الثاني: التحليل العنقودي الهرمي hierarchical clustering analysis

يقوم التحليل الهرمي على فكرة بناء شجرة تجمعية dendrogram توضح الكيفية التي تتقارب بها المشاهدات تدريجيا. وفي الصيغة التجميعية المساعدة agglomerative hierarchical clustering تبدأ العملية بكل مشاهدة باعتبارها عنقودا مستقلا، ثم تدمج أقرب المشاهدات أو العناقيد تباعا إلى أن ينتهي الأمر بعنقود واحد يضم جميع الوحدات. وتتميز هذه المنهجية بأنها لا تفرض منذ البداية عددا ثابتا للعناقيد، بل تتيح للباحث قراءة البنية التصنيفية على مستويات مختلفة من القطع. ولهذا تعد مناسبة جدا عندما يكون الهدف هو فهم العلاقات النسبية بين الوحدات وملاحظة السنوات "العتبية" أو الانتقالية.

وتتعدد قواعد الربط linkage rules داخل التحليل الهرمي، غير أن من أكثرها شيوعا طريقة Ward التي تعود إلى Ward Jr. وتقوم على دمج العناقيد بطريقة تقلل قدر الإمكان الزيادة في التباين داخل المجموعات. ويعني ذلك، عمليا، أن الدمج لا يتم فقط على أساس أقرب مسافة مباشرة، بل على أساس أقل خسارة ممكنة في التجانس الداخلي. وقد بينت المراجعات المنهجية اللاحقة، ومنها مراجعة Murtagh و Contreras، أن طريقة Ward من أكثر الطرق فاعلية في التطبيقات التي تعتمد على متغيرات كمية معيارية، لأنها تعطي في الغالب عنقود أكثر توازنا وأكثر قابلية للتفسير.

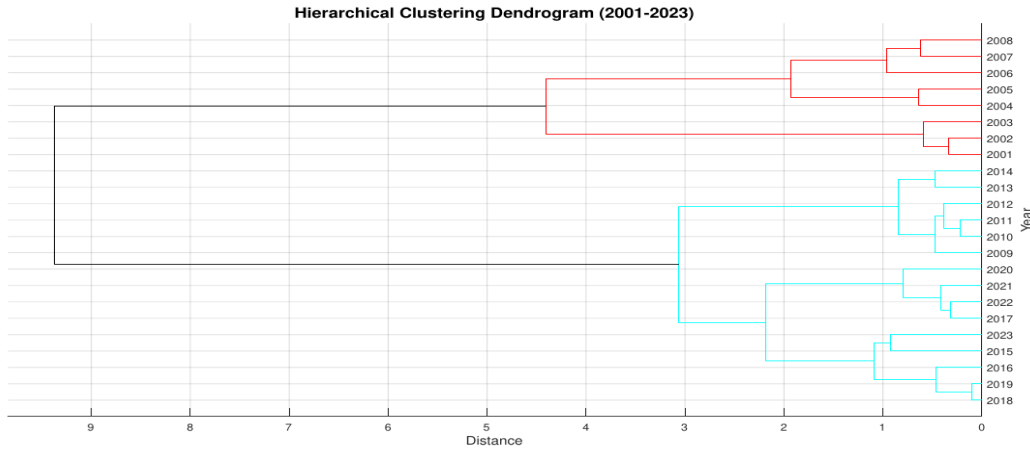
ومن المزايا الرئيسة للتحليل الهرمي أنه يوفر تمثيلا بصريا غنيا للبنية العنقودية، إذ يسمح المخطط الشجري برؤية مستويات التقارب المختلفة بين السنوات، وملاحظة المسافات التي يتم عندها الدمج. إلا أن هذا المنهج لا يخلو من القيود؛ فقرارات الدمج فيه غير قابلة للتراجع بعد اتخاذها، كما أن نتائجه قد تتأثر بنوع المسافة أو قاعدة الربط المختارة. لذلك فإن قراءته تكون أقوى عندما تقارن بنتائج means-K أو غيره من الأساليب التجميعية.

أولا: قراءة نتائج التحليل الهرمي في الدراسة الحالية

يبين المخطط الشجري المرفق أن السنوات لا تتقارب جميعها بالسرعة نفسها، بل توجد كتل زمنية تبدو أكثر تماسكا من غيرها. وتظهر السنوات 2001-2004 في الجزء العلوي من الشجرة بوصفها كتلة متقاربة نسبيا، وهو ما ينسجم مع كونها تمثل مرحلة افتتاحية اتسمت بمستويات أدنى للنتاج والإنفاق وبارتفاع واضح في البطالة. كما يبرز تجانس نسبي بين سنوات 2005-2008، ثم بينها وبين بعض سنوات 2009-2014 عند مسافة دمج أكبر، بما يشير إلى أن مرحلة التوسع النفطي والمالي تمثل مجالا مشتركا عاما مع وجود تمايز داخلي بين سنوات الازدهار الأولى والسنوات اللاحقة.

وفي المقابل، يظهر الجزء السفلي من المخطط تقاربا بين بعض السنوات الحديثة التي تمثل مرحلة إعادة التموذج أو التكيف، مع بروز سنوات مثل 2020 و2021 و2022 بوصفها أقرب إلى كتلة الضغط أو الصدمة. ومن أهم ما يكشفه التحليل الهرمي أن بعض السنوات تؤدي دور "الحلقات الانتقالية"، أي أنها لا تنتمي بصورة حادة إلى كتلة واحدة بقدر ما تشكل جسورا بين حالتين اقتصاديتين. وهذه الخاصية لا تظهر بسهولة في $means-K$ ، لكنها تتضح أكثر في التمثيل الشجري، ما يمنح التحليل الهرمي قيمة تفسيرية إضافية في فهم التحولات التدريجية في الاقتصاد الجزائري.

الشكل (3-10): المخطط الشجري للتحليل الهرمي لسنوات الدراسة (2001-2023)



ثانيا: المقارنة بين $means-K$ والتحليل الهرمي

تكشف المقارنة بين الطريقتين درجة معتبرة من الاتساق العام، رغم اختلاف المنطق الإجرائي لكل منهما. فكلتا الطريقتين تؤكدان وجود فصل واضح نسبيا بين السنوات المبكرة ذات البطالة المرتفعة والسنوات التي اتسمت بطفرة نمو وإنفاق، كما تؤكدان وجود كتلة وسيطة أو انتقالية في النصف الثاني من الفترة. ومع ذلك، فإن $means-K$ يعطي تقسيما حادا وواضح الحدود لأن كل سنة يجب أن تسند إلى عنقود واحد نهائي، بينما يتيح التحليل الهرمي رؤية أكثر تدرجا من خلال مسافات الدمج وإمكان الوقوف على السنوات التي تقع عند تخوم أكثر من مجموعة.

وعليه، فإن استخدام المنهجين معا يعزز موثوقية القراءة التصنيفية. فإذا اتفقت نتائج $means-K$ والتحليل الهرمي على تجمع سنوات معينة، أصبح ذلك دليلا أقوى على وجود نمط اقتصادي مشترك بينها. أما إذا ظهرت بعض الاختلافات، فإنها لا تعد بالضرورة تناقضا، بل قد تعكس مستويات مختلفة من الدقة في التوصيف: فالأول يخدم التجميع النهائي الواضح، والثاني يخدم فهم المسار التدريجي للتقارب والابتعاد بين السنوات.

المطلب الثالث: تفسير النتائج والدلالات السياسية للتحليل العنقودي في السياق الاقتصادي

أولا: تفسير النتائج في السياق الاقتصادي

يمكن تفسير العناقيد المتحصل عليها في ضوء التطورات الاقتصادية والسياسية التي عرفتها الجزائر خلال فترة الدراسة. فالعنقود الذي يضم السنوات الأولى من الفترة يرتبط بمرحلة كانت فيها البطالة ما تزال مرتفعة نسبيا، ولم تكن آثار الوفرة النفطية قد انتقلت بعد بكاملها إلى مستوى النمو الحقيقي والإنفاق العام. ثم تأتي العناقيد المرتبطة بالسنوات 2005-2014 لتجسد، بدرجات مختلفة، مرحلة التوسع النسبي التي غذتها عائدات المحروقات ووسعتها السياسة

المالية التوسعية. أما العناقيد الحديثة فتشير إلى مرحلة أكثر تعقيدا اتسمت بتراجع هوامش المناورة المالية، ثم بصدمة جائحة كوفيد-19، ثم بمحاولات استعادة التوازن في بعض السنوات اللاحقة.

ومن زاوية الاقتصاد السياسي، توحى هذه النتائج بأن السياسة الاقتصادية في الجزائر كانت في كثير من الأحيان ذات طابع تفاعلي أكثر منه استباقي؛ أي أنها استجابت بدرجة كبيرة لتقلبات البيئة الخارجية، وبخاصة أسعار النفط، بدل أن تقوم تحولا هيكليا مستداما مستقلا عنها. وهذا لا يعني غياب أثر السياسات العمومية، بل يعني أن فعاليتها بقيت رهينة بمدى اتساع الحيز المالي المتاح. لذلك فإن تشابه بعض السنوات المتباعدة زمنيا داخل العنقود نفسه لا يعكس مجرد مصادفة إحصائية، بل يكشف عن عودة الاقتصاد إلى أنماط سلوك متكررة كلما تكررت الظروف الخارجية أو القيود الداخلية نفسها.

ثانيا: الدلالات السياسية لتحليل العنقودي

يفضي التحليل العنقودي إلى جملة من الدلالات السياسية التي تتجاوز مجرد التوصيف الإحصائي. أولى هذه الدلالات هي أن الاقتصاد الجزائري يحتاج إلى سياسات مضادة للدورة الاقتصادية أكثر فاعلية، لأن النتائج تشير إلى أن الأداء العام ظل يرتبط بدرجة معتبرة بدورة المحروقات. ويعني ذلك أن فترات الرخاء ينبغي أن تستغل لبناء هوامش وقائية واحتياطيات مالية بدل تحويل كامل الفوائض إلى إنفاق يصعب استدامته في المراحل اللاحقة.

وثاني هذه الدلالات تتعلق بضرورة التمييز بين أنواع الإنفاق الحكومي لا بين حجمه فقط. فالعناقيد التي اقترنت بتحسن نسبي في مؤشرات الاقتصاد الكلي لا تكفي وحدها لإثبات أن كل توسع في الإنفاق يؤدي النتيجة نفسها؛ بل الأرجح أن فعالية الإنفاق ترتبط بمدى توجهه نحو الأنشطة ذات الأثر الإنتاجي والتشغيلي المرتفع. ومن ثم، فإن الانتقال من منطق الإنفاق الكمي إلى منطق الإنفاق الكفاء يعد شرطا أساسيا لتحويل السياسة المالية من أداة استجابة ظرفية إلى أداة تحويل بنيوي.

أما الدلالة الثالثة فتتمثل في أهمية بناء نظام إنذار مبكر يعتمد على المؤشرات متعددة الأبعاد. فبدل النظر إلى كل مؤشر على حدة، يكشف التحليل العنقودي أن تداخل الناتج والبطالة والإنفاق العام يعطي صورة أكثر واقعية عن موقع الاقتصاد داخل دورة أدائه. وهذا يفتح المجال أمام استعمال التصنيف الدوري للسنوات أو الفصول كأداة داعمة لقرار السياسة الاقتصادية، تسمح بالتعرف المبكر على الانتقال من حالة توسع إلى حالة هشاشة أو العكس.

وأخيرا، فإن أهم ما تؤكدته نتائج هذا المبحث هو أن التنوع الاقتصادي لم يعد مجرد خيار استراتيجي بعيد المدى، بل أصبح شرطا مباشرا لتقليل تكرار العناقيد الضعيفة أو الصدمية داخل المسار الاقتصادي الجزائري. فكلما اتسعت القاعدة الإنتاجية غير النفطية، قلت قابلية الاقتصاد للعودة إلى الأنماط نفسها من الضغط والاختلال كلما تعرضت سوق النفط لهزة خارجية.

هذا ويمكن القول بأن التحليل العنقودي، سواء في صيغته التجزئية عبر $means-K$ أو في صيغته التسلسلية عبر التحليل الهرمي، يوفر أداة تحليلية فعالة لإعادة قراءة سنوات الاقتصاد الجزائري بوصفها مراحل أداء متميزة لا مجرد نقاط متتالية على محور الزمن. وقد أظهرت النتائج أن سنوات الدراسة لا تتوزع بصورة عشوائية، بل تنظم في عناقيد

تعكس أوضاعا اقتصادية مختلفة تتراوح بين الضغط النسبي، والازدهار النسبي، والتكيف والاستقرار الهش. كما بينت المقارنة بين الطريقتين أن التصنيف الاقتصادي يصبح أكثر متانة عندما يجمع بين القراءة العددية النهائية والقراءة الشجرية التدريجية.

وعليه، فإن القيمة العلمية لهذا المبحث لا تكمن فقط في تقديم تصنيف للسنوات، وإنما في تحويل هذا التصنيف إلى أداة لفهم الطبيعة الدورية والهشاشة البنوية للاقتصاد الجزائري. ومن ثم، فإن نتائج التحليل العقودي تشكل قاعدة تفسيرية مساندة لما توصلت إليه النمذجة الزمنية والتنبؤ الاقتصادي في المباحث السابقة، كما توفر أرضية إضافية لمناقشة بدائل السياسة الاقتصادية القادرة على الحد من البطالة وتحسين استقرار النمو في اقتصاد نفطي شديد الحساسية للصدمات الخارجية.

المبحث الرابع: حدود النماذج التقليدية وآفاق اعتماد التقنيات المعاصرة في تطوير الدراسات الاقتصادية في الجزائر

شهدت الدراسات الاقتصادية خلال العقود الأخيرة تحولات منهجية عميقة فرضتها التغيرات المتسارعة التي عرفتها البيئات الاقتصادية المحلية والدولية، سواء من حيث تعقد العلاقات بين المتغيرات الاقتصادية، أو من حيث تزايد تأثير الصدمات الخارجية، أو من حيث التوسع الكبير في حجم البيانات المتاحة وتنوع مصادرها. وقد أدى ذلك إلى إعادة النظر في مدى كفاية النماذج الاقتصادية التقليدية، التي بني جزء معتبر منها في سياقات كانت فيها البيانات أقل حجما، وكانت العلاقات الاقتصادية أكثر استقرارا نسبيا، وكانت حدود الاقتصاد الوطني أكثر وضوحا مقارنة بما هو عليه الوضع اليوم.

ومع أن النماذج القياسية والهيكلية التقليدية شكلت لعقود طويلة أساسا مهما في التحليل الاقتصادي وفي بناء التنبؤات واختبار الفرضيات، فإن تطور الحوسبة وظهور الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي والبيانات الضخمة قد فتح آفاقا جديدة أمام الباحثين، ليس فقط لتحسين الدقة التنبؤية، بل أيضا لإعادة التفكير في طبيعة التفسير الاقتصادي ذاته وفي كيفية بناء النماذج التي تجمع بين المنطق النظري والقدرة الحاسوبية والثراء البياني¹.

وفي هذا السياق، تكتسب هذه المسألة أهمية خاصة في الاقتصادات النامية والاقتصادات الريفية، ومن بينها الجزائر، حيث تتداخل تحديات النمو والبطالة والإنفاق العام والتقلبات الخارجية مع محدودية البيانات اللحظية، وضعف التكامل المؤسسي، والحاجة إلى أدوات أكثر قدرة على تمثيل التحولات البنوية والصدمات المركبة. ومن هذا المنطلق، يهدف هذا المبحث إلى إبراز حدود النماذج التقليدية، ثم بيان الأساس النظري لاعتماد المقاربات الحديثة، وأخيرا توضيح الشروط العملية والمؤسسية التي تسمح بتوظيفها في إعداد الدراسات الاقتصادية في الجزائر.

المطلب الأول: حدود النماذج الاقتصادية التقليدية في تفسير الظواهر الاقتصادية المعاصرة

لا يمكن تبرير الانتقال نحو أدوات تحليلية أكثر تقدما من دون توضيح الأسباب العلمية التي جعلت النماذج التقليدية، رغم أهميتها، غير كافية في عدد متزايد من التطبيقات الاقتصادية المعاصرة. فالمشكلة لا تكمن في أن هذه

النماذج فقدت قيمتها بالكامل، بل في أن مجال صلاحيتها أصبح أكثر مشروطة، وأن قدرتها على احتواء التعقيد الاقتصادي أصبحت محدودة أمام التحولات البنيوية واللاخطية وتعدد مصادر البيانات.

وعليه، فإن هذا المطلب لا يسعى إلى إقصاء النماذج التقليدية أو التقليل من مساهمتها في تطور المعرفة الاقتصادية، بل يهدف إلى إبراز مواضع قوتها من جهة، وحدود كفايتها التفسيرية من جهة أخرى، بما يسمح ببناء مبرر علمي متين للانتقال إلى المقاربات الأكثر انفتاحا على التعقيد والبيانات الكثيفة.

أولا: القيمة العلمية للنماذج الاقتصادية التقليدية وحدود كفايتها التفسيرية

لا جدال في أن النماذج الاقتصادية التقليدية، سواء في صورتها النظرية أو القياسية أو الزمنية، قد أدت دورا حاسما في تطوير علم الاقتصاد الحديث. فقد مكنت من صياغة علاقات واضحة بين المتغيرات، واختبار الفرضيات، وتقدير مرونة الطلب والعرض، وقياس أثر السياسات المالية والنقدية، وبناء تنبؤات كمية ذات فائدة تطبيقية لصناع القرار. كما أن بساطة عدد من هذه النماذج ووضوحها البنيوي جعلها قابلة للفهم والتدريس والتطبيق في سياقات أكاديمية ومؤسسية متعددة.

غير أن هذه القيمة العلمية لا تعني أن النماذج التقليدية تكفي وحدها في جميع السياقات. فالكثير من هذه النماذج يقوم على افتراضات تجعل العالم الاقتصادي أكثر قابلية للتمثيل مما هو عليه في الواقع، مثل افتراض استقرار المعلمات، أو خطية العلاقة بين المتغيرات، أو إمكانية حصر الظاهرة في عدد محدود من المؤثرات. وعندما تنتقل الدراسة من اقتصاد مستقر نسبيا إلى اقتصاد معرض للصدمات البنيوية وعدم اليقين وتبدل السلوكيات، تبدأ حدود الكفاية التفسيرية لهذه النماذج في الظهور بوضوح.

وتزداد هذه الحدود وضوحا عندما يكون الهدف من النموذج ليس فقط تفسير متوسط السلوك الاقتصادي، بل تفسير نقاط التحول، أو عدم التماثل في الاستجابات، أو اختلاف الآثار بين الفترات والمناطق والقطاعات. ففي هذه الحالات، يصبح الاعتماد الحصري على النماذج التقليدية خطرا منهجيا، لأنه قد يقود إلى تعميمات لا تعكس التعقيد الحقيقي للظاهرة الاقتصادية.

ثانيا: مشكلة الخطية والتبسيط في النماذج التقليدية

تعتمد كثير من النماذج الاقتصادية التقليدية على تمثيل خطي أو شبه خطي للعلاقات بين المتغيرات، وهو تمثيل قد يكون مناسباً في التحليلات الأولية أو عندما تكون العلاقات الاقتصادية مستقرة نسبياً. غير أن الخطية ليست مجرد خيار رياضي محايد، بل هي افتراض قوي بشأن طبيعة الواقع الاقتصادي، لأنها تفترض أن أثر التغير في متغير مستقل يكون متناسبا في اتجاهه وحجمه تقريبا مع مستوى ذلك التغير ومع ظروف البيئة الاقتصادية المحيطة.

وفي الاقتصاد الحقيقي، لا تتطور الظواهر بهذه البساطة دائما. فقد يكون أثر السياسة المالية توسعيا في فترة الركود وضعيفا في فترة الانتعاش، وقد تختلف استجابة البطالة للنمو بحسب بنية هذا النمو، كما قد تتباين آثار التضخم أو أسعار الفائدة وفق مستوى الثقة أو الانفتاح أو هشاشة القطاع المصرفي. هذه اللامتماثلات والعلاقات غير الخطية

يصعب تمثيلها بفاعلية داخل النماذج الخطية البسيطة، إلا عبر إضافات وتصحيحات تجعل النموذج أكثر تعقيدا وأقل أناقة من الناحية الأصلية.

كما أن التبسيط المفرط يحد من قدرة النموذج على احتواء التفاعلات المتعددة بين المتغيرات. فحين يتم اختزال البطالة مثلا في علاقتها بالنمو فقط، أو اختزال التضخم في عامل نقدي واحد، يتم إهمال شبكة أوسع من المحددات البنوية والمؤسسية والسلوكية. وهذا لا يعني أن النماذج المبسطة غير مفيدة، وإنما يعني أن فائدتها تكون أعلى حين تستخدم بوصفها أدوات تفسير جزئي أو تمهيدي، لا بوصفها وصفا كاملا للواقع الاقتصادي.

ثالثا: محدودية النماذج التقليدية أمام التحولات البنوية والصدمات المركبة

من أبرز القيود التي تواجه النماذج التقليدية ضعف قدرتها على التكيف مع التحولات البنوية العميقة. فهذه النماذج غالبا ما تقدر اعتمادا على بيانات تاريخية يفترض ضمنيا أنها تعكس بنية مستقرة نسبيا، بينما تعرف الاقتصادات الحديثة تحولات متكررة في أنماط الإنتاج، وفي سلوك المستهلكين، وفي طرق التمويل، وفي التقنيات المستعملة، وفي بنية الأسواق ذاتها. وعندما تتغير هذه العناصر، تصبح العلاقات التاريخية أقل قدرة على تفسير الواقع الجديد.

كما أن الصدمات المركبة، مثل الأزمات المالية، والانهيارات النفطية، والجوائح، واضطرابات التجارة العالمية، لا تمر عبر قناة واحدة يمكن للنموذج التقاطها بسهولة، بل تنتقل عبر قنوات متعددة ومتداخلة تشمل التوقعات، والسيولة، والثقة، والإنفاق، والاستثمار، وسوق العمل، والقطاع الخارجي. ومن ثم، فإن النماذج التي تفترض استقرارا عاليا أو تستبعد نقاط التحول البنوي قد تعجز عن تمثيل شدة الصدمة أو مدة أثرها أو عدم تماثل انعكاساتها بين القطاعات والفئات.

ولهذا السبب، أصبح من الشائع في الأدبيات الحديثة التأكيد على أن النموذج الاقتصادي لا ينبغي أن يقيم فقط من حيث قدرته على تفسير الماضي، بل كذلك من حيث مرونته أمام التحولات التي تغير طبيعة العلاقات نفسها. وعندما يغيب هذا البعد، تصبح نتائج النماذج التقليدية معرضة للتقادم السريع أو لسوء التفسير في البيئات المتقلبة.

رابعا: محدودية البيانات التقليدية في دعم التحليل الاقتصادي المعاصر

ترتبط النماذج التقليدية عادة بالاعتماد على بيانات رسمية سنوية أو فصلية، وهي بيانات ذات قيمة عالية من حيث الموثوقية والمنهجية، غير أنها كثيرا ما تكون متأخرة النشر، أو منخفضة التواتر، أو محدودة التفصيل الإقليمي والقطاعي. وفي البيئات الاقتصادية التي تتعرض لتقلبات سريعة، يصبح هذا التأخر مشكلة حقيقية، لأن التحليل قد يصل بعد أن تكون الظاهرة قد تغيرت أو تطورت في اتجاه جديد.

كما أن بعض الظواهر الاقتصادية، مثل النشاط غير الرسمي، أو التغيرات السريعة في الاستهلاك والتنقل والبحث عن العمل، يصعب قياسها بدقة عبر الأدوات الإحصائية التقليدية وحدها. ومن ثم، فإن التمسك الحصري بالبيانات الرسمية الكلاسيكية قد يقيد أفق التحليل ويؤدي إلى بناء نماذج تفتقد بعض الإشارات المبكرة أو بعض الأبعاد الدقيقة للظاهرة.

إن هذا القيد لا يدعو إلى استبدال البيانات الرسمية، بل إلى مكملتها ببيانات إدارية ورقمية بديلة تسمح ببناء صورة أكثر ثراءً وديناميكية. ولذلك، فإن محدودية المادة الإحصائية ليست مسألة تقنية جانبية، بل تمثل عنصراً بنوياً في تفسير حدود النماذج التقليدية ذاتها.

خامساً: دلالة هذه المحدودية في الاقتصادات الريفية والنامية

ترداد محدودية النماذج التقليدية في الاقتصادات الريفية والنامية حيث تكون الهياكل الإنتاجية أقل تنوعاً، والتبعية للخدمات الخارجية أعلى، والبيانات أقل تكاملاً، والانتقال من السياسات إلى النتائج أكثر تعقيداً. ففي مثل هذه الاقتصادات، لا تتحدد الظواهر الاقتصادية الكبرى فقط بعلاقات سوقية مستقرة، بل أيضاً بطبيعة الدولة، ودور الريع، والبنية المؤسسية، وقيود التمويل، والفوارق الإقليمية، وتفاوت فرص الوصول إلى الشغل والاستثمار. وبالنسبة إلى الاقتصاد الجزائري، تظهر هذه المحدودية بوضوح في دراسة البطالة، والنمو غير النفطية، وفعالية الإنفاق العام، وأثر الصدمات النفطية. فالعلاقات بين هذه العناصر ليست علاقات بسيطة أو ثابتة، بل تتحكم فيها متغيرات وسيطة ومؤسسية وسياقية عديدة. ولذلك، فإن الاختصار على النماذج التقليدية قد ينتج عنه تشخيص جزئي، أو تأخر في النقاط التحول، أو ضعف في تقدير أثر السياسة الاقتصادية.

ومن هنا تتضح الحاجة إلى الانتقال نحو أدوات أوسع قدرة على تمثيل اللاخطية والتعقيد والتشابك، مع الحفاظ في الوقت نفسه على المرجعية الاقتصادية التي تمنع التحليل من التحول إلى مجرد معالجة حسابية للبيانات.

المطلب الثاني: الأساس النظري لاعتماد النمذجة الهيكلية العميقة والذكاء الاصطناعي والحوسبة عالية الأداء والبيانات الضخمة في الدراسات الاقتصادية المعاصرة

إذا كانت حدود النماذج التقليدية تفرض البحث عن أدوات أكثر تطوراً، فإن هذا الانتقال لا ينبغي أن يتم بمنطق الانبهار التقني أو القطيعة غير المبررة مع التراث الاقتصادي القياسي، بل يجب أن يستند إلى أساس نظري واضح يبين طبيعة المقاربات الحديثة، ومجال إضافتها العلمية، وحدودها المنهجية، وشروط توظيفها السليم. ومن هذا المنطلق، يمثل هذا المطلب جوهر المبحث، لأنه يؤسس علمياً للانتقال من المقاربة التبسيطية إلى المقاربة التكاملية التي تجمع بين النظرية والبيانات والخوارزميات.

ويقصد بالأساس النظري هنا ليس مجرد تقديم تعريفات تقنية، بل شرح الكيفية التي غيرت بها هذه الأدوات طريقة بناء السؤال الاقتصادي، وطريقة جمع البيانات، وطريقة تمثيل العلاقات، وطريقة اختبار الفرضيات، وطريقة دعم القرار. فالدراسات الاقتصادية المعاصرة لم تعد تقف عند حدود التقدير الخطي أو التنبؤ المتوسط، بل أصبحت معنية كذلك بتمثيل التعقيد، واكتشاف الأنماط الكامنة، وتحسين التنبؤ اللحظي، ودمج البيانات غير التقليدية في التحليل. وهذه كلها مسائل تجعل من النمذجة الهيكلية العميقة والذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي والبيانات الضخمة مكونات مترابطة داخل تحول منهجي أشمل.

أولاً: التحول المنهجي في الدراسات الاقتصادية المعاصرة

عرف البحث الاقتصادي المعاصر تحولا تدريجيا من نماذج مغلقة نسبيا تعتمد على عدد محدود من المتغيرات وفرضيات قوية بشأن الاستقرار والخطية، إلى نماذج أكثر انفتاحا على تعدد الأبعاد وعلى وفرة البيانات وعلى التغيرات البنوية. ولم يكن هذا التحول مجرد توسع في الأدوات الحسابية، بل رافقه تغير في فلسفة البحث الاقتصادي ذاتها، إذ أصبح الباحث معنيا بفهم الظاهرة الاقتصادية داخل بيئة شبكية معقدة، لا داخل علاقة ثنائية أو ثلاثية جامدة بين متغيرات معزولة.

كما أن الاقتصاد المعاصر أصبح أكثر تداخلا مع علوم البيانات والحوسبة وأدوات اتخاذ القرار، وهو ما جعل من الصعب الحفاظ على الفصل الصارم بين الاقتصاد القياسي التقليدي والأدوات الخوارزمية الحديثة. وتؤكد مراجعات حديثة في هذا الحقل أن الذكاء الاصطناعي لم يعد مجالا هامشيا بالنسبة للاقتصاد، بل أصبح يشكل حقلًا فرعيًا ناميًا داخل الأدوات الاقتصادية نفسها، يشمل الاقتصاد الكلي والأسواق والعمل والتنمية والابتكار والسياسات العامة.¹

ويعني ذلك أن التحول المنهجي الراهن لا يتمثل في استبدال الاقتصاد بالعلوم الحاسوبية، بل في توسيع الاقتصاد ليصبح أكثر قدرة على استيعاب بيانات أكبر، وأنماط أكثر تعقيدا، وأدوات أكثر تنوعا في التفسير والتنبؤ والتصنيف.

ثانيا: مفهوم النمذجة الهيكلية العميقة وأسسها النظرية

يقصد بالنمذجة الهيكلية العميقة **deep structural modeling** ، في هذا السياق، بناء نماذج اقتصادية لا تكفي بوصف العلاقات المباشرة أو السطحية بين المتغيرات، بل تسعى إلى تمثيل البنية الداخلية التي تولد هذه العلاقات، بما يشمل القنوات السببية، والقيود المؤسسية، والتفاعلات الديناميكية، والعلاقات غير الخطية، والتأثيرات غير المباشرة والمتأخرة. فالمسألة لا تتعلق فقط بتقدير أثر الإنفاق العام على البطالة أو أثر النمو على التشغيل، بل بفهم كيف ينتقل الأثر، وعبر أي مؤسسات وأسواق، وتحت أي شروط، وبأي درجة من الاختلاف بين المراحل الاقتصادية والمناطق والقطاعات.

ومن هذه الزاوية، فإن النمذجة الهيكلية العميقة لا تشير إلى تقنية واحدة بعينها، بل إلى اتجاه منهجي يزاوج بين المنطق البنوي في الاقتصاد، الذي يهتم بالآليات والقنوات والقيود، وبين الأدوات الحديثة في التقدير العددي والمعايرة والمحاكاة والتعلم من البيانات. وهي بذلك تسعى إلى تجاوز الفجوة التقليدية بين النماذج النظرية الصارمة ولكن المبسطة، من جهة، والنماذج التنبؤية المرنة ولكن الضعيفة تفسيرا من جهة أخرى.

وتكتسب هذه المقاربة قيمة خاصة عندما تكون الظواهر الاقتصادية متعددة المستويات، كما هو الحال في البطالة الهيكلية، أو انتقال الصدمات النفطية، أو العلاقة بين الإنفاق العام والقطاعات ذات الطابع الخاص، أو تطور الاختلالات الإقليمية. ففي هذه الحالات، يصبح من الضروري تمثيل الظاهرة على مستوى أعمق من مجرد الارتباطات الظاهرة، أي على مستوى البنية التي تنتج تلك الارتباطات وتعيد تشكيلها عبر الزمن.

¹ Bahoo, Salman, Cucculelli, Marco, and Sarras, Dimitrios, "Artificial Intelligence in Economics Research: What Have We Learned? What Do We Need to Learn?", Journal of Economic Surveys, vol. 39, no. 5, 2025, pp. 2194–2214.

وتشير الأدبيات الحديثة إلى أن التعلم العميق، عندما يوظف داخل إطار اقتصادي منضبط، يساعد على تمثيل التفاعلات المعقدة والأنماط غير الخطية التي تعجز النماذج التقليدية عن التقاطها بكفاءة، خصوصا في البيئات التي تتعدد فيها المتغيرات وتتشابك فيها القنوات التأثيرية.¹

غير أن النمذجة الهيكلية العميقة، حتى تكون ذات قيمة علمية، لا ينبغي أن تنفصل عن النظرية الاقتصادية. فالقوة الحسابية وحدها لا تكفي لبناء تفسير مقنع إذا لم يكن السؤال النظري مضبوطا، وإذا لم تكن الفرضيات المؤسسة للعلاقات معروفة بوضوح. لذلك، فإن المقصود بالعمق هنا ليس العمق التقني فقط، وإنما العمق في تمثيل البنية الاقتصادية وفي ربط النتائج بالسياق المؤسسي والسلوكي.

ثالثا: الذكاء الاصطناعي **artificial intelligence** في الدراسات الاقتصادية²

يمثل الذكاء الاصطناعي الإطار الأوسع الذي يضم مجموعة من التقنيات القادرة على تنفيذ مهام تتطلب عادة قدرا من التحليل أو الاستدلال أو التعرف على الأنماط أو اتخاذ القرار. وفي المجال الاقتصادي، لا تكمن أهميته في كونه بديلا للباحث، بل في كونه مضاعفا لقدرة الباحث على الاستفادة من كم هائل من البيانات وعلى اختبار أنماط معقدة وعلى بناء نظم دعم قرار أكثر مرونة.

وقد توسع حضور الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد عبر عدة مسارات، منها تحليل النصوص الاقتصادية والمالية، وتقدير المخاطر، وتحسين التنبؤات الكلية، وتصنيف الوحدات الاقتصادية، والكشف عن الأنماط غير المرئية في قواعد البيانات الواسعة. وبذلك، أصبح الذكاء الاصطناعي يمثل جزءا من تحول أوسع في بنية البحث الاقتصادي، لا مجرد أداة تقنية منفصلة عنه.

لكن ينبغي الانتباه إلى أن الذكاء الاصطناعي لا يملك في ذاته نظرية اقتصادية. فهو يستطيع أن يكتشف نمطا أو يحقق دقة تنبؤية مرتفعة، لكنه لا يفسر تلقائيا الآلية الاقتصادية التي تقف وراء هذا النمط. ومن هنا، فإن وظيفته الأكثر نجاعة داخل الاقتصاد تكون عندما يدرج ضمن تصميم بحثي منضبط، يحدد السؤال النظري أولا، ثم يستخدم الخوارزميات لتوسيع القدرة على الاكتشاف والتحليل لا لإحلالها محل النظرية.

وتكمن المخاطرة المنهجية هنا في الانزلاق نحو استعمال الذكاء الاصطناعي باعتباره حلا جاهزا لكل مشكلة تفسيرية أو تنبؤية. فالتاريخ الحديث للأبحاث التطبيقية يبين أن الأدوات الخوارزمية قد تكون قوية جدا من حيث الدقة، لكنها قد تنتج أيضا نماذج سوداء يصعب تبريرها اقتصاديا أو مساءلتها مؤسسيا إذا لم تصمم بعناية. ولذلك فإن القيمة الحقيقية للذكاء الاصطناعي في الاقتصاد تكمن في تكامله مع الاقتصاد القياسي والتحليل المؤسسي لا في انفصاله عنه.

هذا ويعد التعلم الآلي من أكثر فروع الذكاء الاصطناعي حضورا في الدراسات الاقتصادية المعاصرة، لأنه يعتمد على خوارزميات تتعلم من البيانات من أجل التنبؤ أو التصنيف أو اكتشاف الأنماط. وتكمن أهميته في قدرته على

¹ . Zheng, Yibing, Zhou, Cuicui, and Wang, Bing, "Deep Learning in Economics: A Systematic and Critical Review", *Artificial Intelligence Review*, vol. 56, 2023, pp. 2857–2896.

² Bahoo, Salman, Cucculelli, Marco, and Sarras, Dimitrios; op.cit;p2194-2214

التعامل مع عدد كبير من المتغيرات، وعلى التقاط العلاقات غير الخطية، وعلى استيعاب التفاعلات المعقدة بين المؤشرات، وهو ما يجعله مفيدا بصفة خاصة في الدراسات التي تتجاوز حدود التفسير البسيط.

ومن أبرز مزايا التعلم الآلي في الاقتصاد أنه يحرر الباحث نسبيا من شرط الاختيار اليدوي الصارم لمجموعة صغيرة من المتغيرات التفسيرية، إذ يسمح باستكشاف فضاء أوسع من المحددات المحتملة. كما أنه يفيد في بناء تنبؤات أكثر مرونة، وفي اكتشاف محددات جديدة، وفي تحسين التصنيف بين الفترات أو المناطق أو القطاعات أو الفئات السكانية. وقد أكدت الأدبيات الحديثة أن التعلم الآلي أصبح أداة مشروعة ومفيدة في البحث الاقتصادي حين يستخدم في الوقت المناسب، وللغرض المناسب، ومع وعي واضح بمحدوده.¹

ومع ذلك، فإن استعمال التعلم الآلي لا يخلو من إشكالات. فبعض الخوارزميات قد تحقق دقة عالية داخل عينة التدريب لكنها تفقد جزءا من صلاحيتها خارجها، كما أن بعضها قد يعاني من ضعف القابلية للتفسير. ومن هنا، فإن السؤال المنهجي لم يعد يتمثل في ما إذا كان ينبغي استخدام التعلم الآلي أو لا، بل في متى ينبغي استخدامه، وفي أي نوع من الأسئلة الاقتصادية، وبأي درجة من التكامل مع النماذج النظرية والقياسية التقليدية.

وفي موضوعات مثل البطالة أو *nowcasting* للنشاط الاقتصادي أو تصنيف الأنماط الإقليمية أو اكتشاف العوامل الأكثر تأثيرا في التغيرات قصيرة الأجل، يوفر التعلم الآلي قيمة مضافة واضحة. أما في الأسئلة التي يكون فيها البعد السببي والمؤسسي أكثر مركزية، فإن دوره يكون أكثر فعالية حين يستخدم بوصفه مكملا للنمذجة الاقتصادية لا بديلا عنها.

رابعا: البيانات الضخمة **big data** وتحول المادة الإحصائية في الاقتصاد

تمثل البيانات الضخمة أحد أهم محركات التحول في الدراسات الاقتصادية الحديثة. والمقصود بها ليس فقط الزيادة الكمية في البيانات، بل أيضا تنوعها من حيث المصدر والبنية، وسرعة تدفقها، وإمكانية تحديثها، وقدرتها على التقاط تفاصيل دقيقة لم تكن متاحة سابقا. وتشمل هذه البيانات السجلات الإدارية المرقمنة، وبيانات المعاملات الإلكترونية، وبيانات الأجهزة المحمولة، وبيانات المنصات الرقمية، والبيانات النصية، وبيانات الاستشعار عن بعد والأقمار الصناعية.

وقد أدت هذه المادة الجديدة إلى إعادة تعريف ما يمكن أن يشكل "معلومة اقتصادية". فبدل الاقتصار على السلاسل الزمنية الرسمية ذات التواتر المنخفض، بات بالإمكان رصد النشاط الاقتصادي أو الاستهلاك أو التنقل أو أسعار السلع والخدمات بصورة شبه آنية. وهذا التحول يفتح الباب أمام تحسين التنبؤات القصيرة الأجل، وتطوير أساليب *nowcasting*، والكشف المبكر عن نقاط التحول أو الاختلالات الإقليمية والقطاعية.

غير أن البيانات الضخمة ليست بطبيعتها بديلا مباشرا عن البيانات الرسمية. فهي قد تعاني من التحيز في التمثيل، أو من ضعف الجودة، أو من الصعوبات المرتبطة بالتطابق بين المؤشر الرقمي والمفهوم الاقتصادي الذي يراد قياسه. لذلك

¹ Desai, Anuja, Raj, Manav, and Seamans, Robert, "Machine Learning for Economics Research: When, What and How?", arXiv preprint, 2023, pp. 1–33.

فإن قيمتها العلمية تتوقف على جودة معالجتها وعلى قدرتها على الاندماج داخل إطار اقتصادي ومنهجي يضبط حدود استخدامها ويمنع التفسير المتسرع لمؤشرات قد تكون مضللة إذا أخذت بمعزل عن السياق. وقد بينت دراسات حديثة في الدول النامية أن دمج البيانات البديلة، مثل بيانات الأقمار الصناعية والاستشعار عن بعد، بخوارزميات التعلم الآلي يمكن أن يحسن تقدير النشاط الاقتصادي في الحالات التي تتأخر فيها الإحصاءات الرسمية أو تعاني من محدودية التواتر، وهو ما يجعل هذه المقاربة ذات أهمية خاصة للبيئات التي تحتاج إلى قراءة أقرب إلى الزمن الحقيقي¹.

خامسا: العلاقة التكاملية بين النمذجة الهيكلية العميقة والذكاء الاصطناعي والحوسبة عالية الأداء والبيانات الضخمة

إن القوة العلمية الحقيقية للمقاربات الحديثة لا تكمن في كل أداة على حدة، بل في قدرتها على التكامل داخل إطار بحثي موحد. فالنمذجة الهيكلية العميقة توفر المنطق التفسيري الذي يربط النتائج بالبنية الاقتصادية والقنوات السببية، بينما يوفر الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي القدرة على اكتشاف الأنماط وتحسين التنبؤ والتصنيف، وتوفر البيانات الضخمة مادة إحصائية أكثر غنى وتواترًا.

ومن هذا المنظور، لا ينبغي النظر إلى هذه الأدوات كبدايل متنافسة، بل كمكونات متكاملة داخل نموذج معرفي جديد في الاقتصاد: فالنظرية تحدد السؤال، والنمذجة الهيكلية توضح القنوات، والتعلم الآلي يوسع فضاء الاكتشاف والتنبؤ، والبيانات الضخمة تمنح الدراسة قدرة أعلى على التقاط الواقع الجاري. وتؤكد الأدبيات الحديثة أن المستقبل المنهجي لهذا الحقل يتجه نحو النماذج الهجينة والتكاملية، لا نحو القطيعة بين الاقتصاد القياسي والتعلم الآلي أو بين النظرية والبيانات².

وتكتسي هذه المقاربة أهمية خاصة عندما يكون الهدف من الدراسة هو فهم الظاهرة وتفسيرها والتنبؤ بها في آن واحد. ففي مثل هذه الحالات، لا تكفي الدقة التنبؤية وحدها، ولا تكفي النظرية المجردة وحدها، بل تكون الحاجة إلى إطار يجمع بين البعدين معا: تفسير منضبط من جهة، وقدرة حسابية وبيانية متقدمة من جهة أخرى.

سادسا: حدود المقاربات الحديثة ومخاطر التوظيف غير الرشيد

رغم القيمة العلمية الكبيرة للمقاربات الحديثة، فإن توظيفها في الدراسات الاقتصادية لا يخلو من مخاطر إذا تم بصورة غير منضبطة. فالنماذج الخوارزمية قد تعاني من الإفراط في التخصيص، أو من ضعف القابلية للتفسير، أو من الحساسية المفرطة لجودة البيانات، أو من إعادة إنتاج التحيزات الكامنة في البيانات الأصلية. ولذلك فإن الانتقال إلى هذه الأدوات لا يعني التحرر من القيود المنهجية، بل يعني في كثير من الأحيان الانتقال إلى نوع جديد من القيود التي تتطلب وعيا نقديا ومراقبة مستمرة.

¹ Bolívar, Orlando, "GDP Nowcasting: A Machine Learning and Remote Sensing Data-Based Approach for Bolivia", Data & Policy, vol. 6, 2024, manuscript version, especially pp. 2–3.

² Bahoo, Salman, Cucculelli, Marco, and Sarras, Dimitrios; op.cit;p2194-2214.

ومن بين هذه المخاطر أيضا تحويل الدراسة الاقتصادية إلى سباق نحو الدقة التنبؤية فقط، على حساب الفهم البنوي والبعده المؤسسي. فالاقتصاد لا يهدف إلى التنبؤ في حد ذاته، بل إلى تفسير الظواهر وتوفير معرفة قابلة للاستخدام في التشخيص وصنع القرار. وعندما تنفصل الحوارزمية عن النظرية، أو تنفصل البيانات عن المفهوم الاقتصادي، يصبح من السهل الوصول إلى نتائج تبدو قوية عدديا لكنها ضعيفة التفسير والسياساتية.

ولهذا فإن الأدبيات الحديثة تدعو إلى ما يمكن تسميته بالاستعمال الرشيد للمقاربات الحديثة، أي توظيفها داخل تصميم بحثي واضح، مع اختبار المتانة، والتحقق من جودة البيانات، وتفسير النتائج في ضوء النظرية، والحفاظ على مبدأ القابلية للفهم والمساءلة، خاصة عندما تكون النتائج موجهة لدعم القرار العمومي أو لتقييم السياسات العامة.

سابعاً: أهمية هذه المقاربات بالنسبة للاقتصاد الجزائري

تكتسب المقاربات الحديثة أهمية خاصة في الاقتصاد الجزائري بالنظر إلى طبيعته المركبة، حيث تتفاعل صدمات النفط، والإنفاق العام، وسوق العمل، والقطاع الخارجي، والتفاوتات الإقليمية، والتحولت الديمغرافية، في سياق تتفاوت فيه درجة توفر البيانات وأنيتهها. ولذلك فإن دراسة قضايا مثل البطالة أو فعالية الإنفاق العام أو النمو غير النفطي تتطلب نماذج أكثر مرونة وقدرة على تمثيل التشابك بين القنوات والمتغيرات.

كما أن الجزائر في حاجة إلى أدوات تساعد على تقليص الفجوة بين الواقع الاقتصادي الجاري والإحصاء المنشور، وعلى تطوير التحليل الإقليمي والقطاعي، وعلى اكتشاف الأنماط غير الظاهرة في البيانات التقليدية. وفي هذا الإطار، يمكن للمقاربة التي تجمع بين النمذجة البنوية والتعلم الآلي والبيانات الضخمة أن تفتح آفاقاً مهمة لتطوير البحث الاقتصادي الوطني، بشرط ألا يتم تبنيها بصورة شكلية أو تقنية معزولة عن الأساس النظري والمؤسسي.

ومن هنا، فإن الانتقال إلى هذه المقاربات لا يمثل ترفاً علمياً، بل يمكن اعتباره استجابة منهجية لواقع اقتصادي تتزايد فيه الحاجة إلى التفسير الأعمق، وإلى التنبؤ الأقرب إلى الزمن الحقيقي، وإلى تصميم سياسات قائمة على المعرفة الدقيقة لا على المؤشرات المتأخرة وحدها.

كما أن أهمية هذه المقاربات بالنسبة إلى الجزائر لا تقتصر على بعدها الأكاديمي، بل تمتد إلى بعدها السياسي. فكلما تحسنت القدرة على فهم ديناميكيات البطالة، والتمييز بين أثر الصدمات الخارجية والاختلالات البنوية الداخلية، أمكن تصميم سياسات أكثر استهدافاً وفعالية، سواء تعلق الأمر بالإنفاق العام، أو بسياسات سوق العمل، أو بدعم القطاعات غير النفطية، أو بالتدخلات الإقليمية الموجهة.

ومن زاوية أخرى، فإن اعتماد هذه الأدوات يساعد أيضاً على تعزيز استقلالية التحليل الاقتصادي الوطني. فبدل الاكتفاء بردود فعل متأخرة على المؤشرات الدولية أو على الصدمات الخارجية، يمكن تطوير قدرة محلية على الرصد المبكر، والتنبؤ، واختبار السيناريوهات، وهو ما يمنح البحث الاقتصادي والمؤسسات العمومية قدرة أفضل على الاستباق والتكيف. وهذا البعد الاستراتيجي يجعل من الاستثمار في هذه المقاربات جزءاً من بناء السيادة المعرفية في المجال الاقتصادي.

المطلب الثالث: متطلبات وآليات اعتماد التقنيات المعاصرة في تطوير الدراسات الاقتصادية في الجزائر

إذا كان المطلب الأول قد أبرز حدود النماذج التقليدية، وإذا كان المطلب الثاني قد أسس نظريا لجدوى المقاربات الحديثة، فإن الانتقال من الإمكان النظري إلى التطبيق الفعلي يقتضي طرح سؤال أكثر عملية: كيف يمكن اعتماد هذه المقاربات في السياق الجزائري؟ إن نجاح هذا التحول لا يتوقف على امتلاك البرمجيات أو الرغبة الأكاديمية فقط، بل يتطلب شروطا مؤسسية وتقنية وبشرية وقانونية ومنهجية متداخلة. ومن ثم، فإن هذا المطلب يعرض أهم الآليات العملية الضرورية لاعتماد النمذجة الهيكلية العميقة والذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة في إعداد الدراسات الاقتصادية في الجزائر.

أولا: بناء البنية التحتية الوطنية للبيانات

يمثل بناء منظومة وطنية موحدة للبيانات الاقتصادية الخطوة الأولى في هذا المسار. فبدون بيانات مهيكلية ومحدثة ومتراصة وقابلة للاستعمال، لا يمكن لأي مقارنة حديثة أن تعمل بكفاءة. ويشمل ذلك رقمنة أوسع للبيانات الإدارية، وربط قواعد البيانات بين المؤسسات، وتوحيد التصنيفات والمعايير، وتحسين جودة البيانات الوصفية، وتطوير آليات تبادل البيانات بصورة آمنة ومنظمة.

وفي الجزائر، تتمثل إحدى المشكلات الجوهرية في أن جزءا معتبرا من البيانات الاقتصادية يوجد داخل مؤسسات متعددة في صيغ متباينة ومنفصلة، الأمر الذي يجعل التحليل المندمج صعبا وبطيئا. ولذلك، فإن بناء بنية تحتية للبيانات لا يعني فقط تخزين الأرقام، بل يعني تأسيس بيئة بيانات وطنية قابلة للتشغيل البيني، بما يسمح بتتبع المؤشرات الاقتصادية وربطها زمنيا وجغرافيا ومؤسسيا¹.

وقد بينت تجارب دولية ناجحة أن بناء القيمة التحليلية من البيانات يبدأ من جودة البنية التحتية وحوكمة المعايير قبل الانتقال إلى الخوارزميات. فالدول التي نجحت في التحول إلى اقتصاد قائم على البيانات لم تبدأ بالذكاء الاصطناعي من الأعلى، بل بدأت أولا بتوحيد المعايير الرقمية وربط المؤسسات وتطوير قابلية تبادل البيانات بينها.

ثانيا: تطوير رأس المال البشري²

لا يكفي امتلاك البيانات والتقنيات إذا لم تتوفر الكفاءات القادرة على استغلالها. ولذلك فإن الجزائر تحتاج إلى تكوين جيل جديد من الباحثين والخبراء يجمع بين المعرفة الاقتصادية، والإحصاء القياسي، والبرمجة، وعلم البيانات، وفهم الخوارزميات، وتحليل السياسات. فالتحدي لم يعد في إنتاج خبير اقتصادي منفصل عن التقنية أو مهندس بيانات منفصل عن النظرية الاقتصادية، بل في تكوين كفاءات هجينة قادرة على العمل على الحدود المشتركة بين هذه المجالات.

ويفترض ذلك مراجعة البرامج الجامعية في الاقتصاد، وإدراج وحدات أكثر تقدما في البرمجة وتحليل البيانات والتعلم الآلي، وتوسيع التكوين التطبيقي داخل محابر البحث، وتشجيع التخصصات البينية بين الاقتصاد والإحصاء وعلوم

¹ -OCED ; digital public infrastructure for digital government, OCED public governance policy paper , n68, paris : OCED publishing, 2024; p3.

² - OCED, building an ai-ready public workforce: implications and strategies. OCED artificial intelligence papers; paris :OCED publishing. 2026; pp1-2.

الحاسوب. كما يفترض بناء مسارات تدريب مستمر للباحثين والكوادر العاملة في المؤسسات الاقتصادية والإحصائية، حتى لا يبقى التطور المنهجي حكرا على مبادرات فردية محدودة.

وتبين تجارب بلدان مثل سنغافورة وكوريا الجنوبية أن بناء القدرات البشرية كان عنصرا حاسما في الانتقال من الرقمنة الإدارية إلى الاستعمال الفعلي للبيانات والذكاء الاصطناعي في الاقتصاد والسياسات العامة. ومن المفيد في الحالة الجزائرية أن يوجه هذا الجهد التكويني نحو مشكلات اقتصادية محددة ذات أولوية، مثل البطالة، والقطاع غير النفطي، والاقتصاد الإقليمي، وتحليل آثار الإنفاق العام. فالتكوين يصبح أكثر فاعلية حين يرتبط بمشروعات بحثية تطبيقية حقيقية، لا حين يبقى في حدود التلقين النظري العام.

ثالثا: تطوير البنية التكنولوجية والحوسبة

تحتاج المقاربات الحديثة إلى بيئة تكنولوجية مناسبة تشمل الخوادم، وأدوات التخزين والمعالجة، ومنصات التحليل الآمن، والحوسبة السحابية أو الهجينة، والبرمجيات المتخصصة في الاقتصاد القياسي وعلوم البيانات. وبدون هذا الأساس التقني، يصعب تشغيل النماذج كثيفة البيانات أو إدارة المشاريع المشتركة بين المؤسسات أو حفظ البيانات واسترجاعها وتحديثها بفاعلية.

ولا يعني ذلك أن الجزائر مطالبة بالقفز مباشرة إلى بني حوسبية شديدة التعقيد والكلفة، بل يمكنها اعتماد مسار تدريجي يبدأ بمختبرات تحليل مشتركة، ومستودعات بيانات مؤمنة، وحلول برمجية مرنة، ثم ينتقل لاحقا إلى بيئات أكثر تطورا بحسب حاجات المؤسسات والباحثين. المهم هو الانتقال من منطق الأدوات المنفرقة إلى منطق البيئة التحليلية المتكاملة.

كما ينبغي أن ينظر إلى الاستثمار في الحوسبة لا بوصفه تكلفة تقنية معزولة، بل باعتباره جزءا من البنية الأساسية للبحث الاقتصادي الحديث، مثلما كانت المكتبات والإحصاءات الرسمية جزءا من بنية البحث التقليدي.

رابعا: الإطار المؤسسي والتنسيق بين الهيئات

لا يمكن لأي مشروع وطني في هذا المجال أن ينجح إذا بقي العمل متفرقا بين المؤسسات. فالمطلوب هو خلق آلية تنسيق فعالة بين الديوان الوطني للإحصائيات، وبنك الجزائر، ووزارة المالية، وقطاعات العمل والتجارة والطاقة، والجامعات ومراكز البحث. فإنتاج المعرفة الاقتصادية الحديثة لا يتم داخل مؤسسة واحدة، بل يتطلب تبادلا منظما للبيانات والخبرات والمعايير.

وفي الجزائر، تمثل مشكلة التشتت المؤسسي أحد العوائق الأساسية أمام تطوير الدراسات الاقتصادية القائمة على البيانات. فكثير من المؤشرات الضرورية لفهم البطالة أو النشاط غير النفطي أو الإنفاق العام توجد في قواعد منفصلة، وقد تخضع لآجال نشر مختلفة أو لتعريفات غير متطابقة. ومن ثم، فإن تحسين التنسيق لا يعد مسألة إدارية هامشية، بل شرطا بنويا لتطوير التحليل الاقتصادي ذاته.

وتفيد التجارب الدولية بأن إنشاء لجان دائمة أو منصات وطنية لتكامل البيانات، وتحديد بروتوكولات واضحة لتبادلها، وتوحيد المعايير المفاهيمية والفنية، كلها عناصر تساعد على الانتقال من البيانات المجزأة إلى المعرفة الاقتصادية القابلة للاستعمال.

خامسا: تطوير منهجيات البحث الاقتصادي

يتطلب التحول الحقيقي مراجعة مناهج البحث الاقتصادي نفسها، وذلك عبر الانتقال من النماذج المغلقة إلى النماذج الهجينة، والجمع بين الاقتصاد القياسي والتعلم الآلي، وتطوير الدراسات الآنية أو اللحظية *nowcasting*، والاعتماد على المحاكاة وتحليل السيناريوهات، وتوسيع التحليل الإقليمي والقطاعي. فالتحول المنهجي لا يعني فقط استعمال برنامج مختلف، بل يعني إعادة تعريف ما يعد سؤالاً اقتصادياً مشروعاً وما هي المادة المناسبة للإجابة عنه. وفي السياق الجزائري، يمكن أن يأخذ هذا التطور أشكالاً متعددة، مثل بناء نماذج هجينة لدراسة أثر الصدمات النفطية على سوق العمل، أو توظيف خوارزميات التصنيف لاكتشاف أنماط البطالة الإقليمية، أو استخدام التعلم الآلي لتحسين التنبؤ قصير الأجل بمؤشرات النشاط غير النفطي أو التضخم. ومثل هذه التطبيقات لا تتطلب إلغاء المناهج التقليدية، بل توسيعها وتحديثها داخل إطار أكثر انفتاحاً على التعقيد. كما ينبغي تشجيع البحوث التي تجمع بين البيانات الكمية والقراءة المؤسسية والسياقية، لأن كثيراً من الظواهر الاقتصادية في الجزائر لا يمكن تفسيرها بالكامل من خلال الأرقام وحدها، ولا من خلال التحليل الوصفي وحده، بل من خلال الجمع بين البعدين.

سادسا: استغلال البيانات الضخمة *BIG Data* والبديلة *Alternative Data*¹

يمكن للجزائر أن تستفيد من بيانات الهاتف المحمول، وبيانات الدفع الإلكتروني، وبيانات التجارة الرقمية، والبيانات الجغرافية المكانية، وصور الأقمار الصناعية، والسجلات الإدارية، والبيانات النصية والإخبارية، في دعم التحليل الاقتصادي وتوسيع مجاله. فهذه البيانات تسمح، إذا أحسن استعمالها، بقياس النشاط الاقتصادي بصورة أقرب إلى الزمن الحقيقي، ورصد التغيرات المحلية والقطاعية بسرعة أكبر من البيانات التقليدية وحدها. غير أن الاستفادة من البيانات البديلة لا ينبغي أن تتم بصورة انطباعية أو غير منضبطة. فهناك تحديات تتعلق بالتحيز في التغطية، ومشكلات التمثيل، والفوارق بين المؤشر الرقمي والمفهوم الاقتصادي المراد قياسه، فضلا عن قضايا الخصوصية. ولذلك يجب أن ترتبط عملية إدماج هذه البيانات بروتوكولات علمية واضحة للتحقق، والمطابقة، والدمج مع البيانات الرسمية.

وقد أثبتت تجارب دولية عدة أن الاستفادة من البيانات البديلة كانت مفيدة خصوصا في *nowcasting* وفي قراءة الاختلالات الإقليمية والقطاعية، وهو ما يجعل هذا المسار واعدا جدا بالنسبة إلى الجزائر إذا توفرت له البيئة المؤسسية والتقنية والقانونية الملائمة.

¹-Chris hammer ; diane katz ; anne manne and sheri m ; sturat, big data : potential challenges and statistical implications ; IMF staff discussion note, no sdn:17/06, Washington;2017;pp 11,14.

سابعاً: الإطار القانوني والتنظيمي¹

يقتضي اعتماد هذه المقاربات وضع إطار قانوني يضمن حماية البيانات الشخصية، وتنظيم الولوج إلى البيانات، وضبط مشاركة البيانات بين المؤسسات، وتأطير الاستعمال الأخلاقي للخوارزميات، وتحديد المسؤولية والمساءلة في استعمال أدوات الذكاء الاصطناعي. فكل توسع في استعمال البيانات يثير بطبيعة الحال مسائل تتعلق بالخصوصية والشفافية والحق في المعرفة والحماية من الاستخدامات التعسفية.

وفي الجزائر، يمثل هذا البعد أحد الشروط الحاسمة قبل توسيع استعمال البيانات الإدارية أو التجارية أو الرقمية في البحث الاقتصادي. ذلك أن الثقة في المشاريع القائمة على البيانات لا تبني فقط على الكفاءة التقنية، بل أيضاً على وضوح القواعد القانونية والتنظيمية التي تحكم الوصول إلى البيانات ومعالجتها وتداول نتائجها.

كما أن الإطار القانوني لا ينبغي أن يفهم فقط بوصفه أداة لل منع أو التقييد، بل أيضاً بوصفه أداة لل تمكين، لأنه يخلق بيئة واضحة تسمح للمؤسسات والباحثين بالعمل ضمن حدود معلومة وتحميهم من الغموض المؤسسي. وفي هذا الباب يمكن الاستفادة من بعض التجارب الأوروبية والآسيوية التي نجحت في الموازنة بين الانفتاح المدروس على البيانات وحماية الخصوصية وتعزيز الثقة العامة. فالتحول الرقمي الناجح لا يقوم على إتاحة البيانات بلا ضوابط، ولا على حبسها بالكامل، بل على بناء قواعد واضحة للتوازن بين المصلحة العامة والحقوق الفردية.

ثامناً: المشاريع النموذجية

الأفضل أن تبدأ الجزائر بمشاريع تطبيقية محددة بدل السعي إلى تعميم شامل ومبكر. ويمكن أن تشمل هذه المشاريع نمودجا لل تنبؤ بالتضخم، أو نمودج nowcasting للنمو غير النفطي، أو تحليلاً جغرافياً للبطالة، أو تقييم أثر الإنفاق العام على التشغيل، أو بناء لوحات قيادة ذكية لمتابعة بعض المؤشرات الاقتصادية في الزمن شبه الحقيقي. وتتميز هذه المقاربة بأنها تسمح باختبار الجدوى وبناء الثقة وتدريب الفرق وتقييم احتياجات البنية التقنية والقانونية والمؤسسية قبل الانتقال إلى نطاق أوسع. كما أنها تمنح المؤسسات فرصة للتعلم من التطبيق الفعلي بدل الاكتفاء بالتصورات النظرية العامة.

وتظهر التجارب الدولية أن المسارات الأكثر نجاحاً في التحول نحو استخدام البيانات والذكاء الاصطناعي في المجال العام بدأت غالباً بمشاريع صغيرة نسبياً ولكنها واضحة الأهداف وقابلة للقياس والتقييم. ولهذا فإن المشاريع النموذجية المقترحة في الجزائر ينبغي أن تصمم بحيث تنتج مكاسب معرفية ومؤسسية في الوقت نفسه، أي أن لا تكون مجرد تطبيقات معزولة، بل مختبرات لتطوير البيانات، وبناء الكفاءات، وتحسين التنسيق، واختبار الجدوى قبل التوسيع.

¹ - Rong chen ; mapping data governance legal frameworks around the world : finding the global data regulation diagnostic ; policy research working paper n9615; Washington, dc: world bank, 2021, pp4-5,9.

تاسعا: التدرج في التطبيق¹

من غير الواقعي الانتقال دفعة واحدة إلى اعتماد كامل لهذه الأدوات. المطلوب مسار تدريجي يبدأ برقمنة البيانات وتحسين جودتها، ثم بتكوين الكفاءات وبناء البيئات التقنية الملائمة، ثم بإطلاق التجارب التطبيقية، قبل الانتقال إلى تطوير النماذج الهجينة وتوسيع نطاقها المؤسسي. ويمنع هذا المسار التدريجي الوقوع في الفجوة المعتادة بين الطموح التقني والقدرة المؤسسية الفعلية.

كما أن التدرج في التطبيق يسمح بتقويم الأخطاء وتصحيح المسار وبناء التراكم المعرفي والمؤسسي بصورة مستدامة. فالتجارب التي تحاول القفز مباشرة إلى اعتماد شامل للذكاء الاصطناعي أو البيانات الضخمة دون تأسيس كافٍ غالبا ما تواجه صعوبات في الاستمرارية أو في الثقة أو في جودة المخرجات. ومن ثم، فإن التدرج ليس علامة ضعف أو بطء، بل هو اختيار منهجي رشيد يراعي طبيعة التحول المطلوب وتعقيد عناصره التقنية والبشرية والتنظيمية.

عاشرا: عوامل النجاح

تشمل عوامل النجاح الأساسية الإرادة السياسية، والتمويل المستدام، والتعاون المؤسسي، وجودة البيانات، وتطوير الكفاءات، والانفتاح على التجارب الدولية، وربط البحث الأكاديمي بصنع القرار. فالمسألة لا تتعلق بشراء برامج أو اقتناء خوادم فقط، بل ببناء رؤية وطنية تعتبر البيانات موردا استراتيجيا وتعتبر التحليل الاقتصادي الحديث أداة من أدوات السيادة المعرفية وحسن توجيه السياسات العامة.

كما أن نجاح هذا المسار يفترض إشراك الجامعات ومراكز البحث إشراكا فعليا، لا شكليا، حتى تتحول المعرفة المنتجة أكاديميا إلى رصيد قابل للتوظيف المؤسسي. ويحتاج ذلك إلى تشجيع البحث التطبيقي، وتمويل المشاريع المشتركة، وإتاحة البيانات للباحثين وفق ضوابط قانونية وأخلاقية واضحة.

وفي النهاية، فإن نجاح الجزائر في هذا المجال لن يقاس بعدد المنصات أو البرمجيات المعتمدة، بل بمدى قدرتها على تحويل البيانات إلى معرفة اقتصادية قابلة للاستعمال في التشخيص، والتنبؤ، والتقييم، ودعم القرار.

يظهر هذا المبحث أن النماذج الاقتصادية التقليدية، رغم استمرار أهميتها، لم تعد بمفردها كافية لفهم جميع الظواهر الاقتصادية المعاصرة، خاصة في البيئات التي تتسم بالتعقيد وعدم اليقين والتحويلات البنوية المتسارعة. كما تبين أن حدود هذه النماذج لا ترجع إلى قصور أصيل فيها بقدر ما ترجع إلى تغير طبيعة الواقع الاقتصادي وتوسع البيانات وتعدد مصادرها، وهو ما يفرض الانتقال من منطق الأداة الوحيدة إلى منطق المنظومة المنهجية المتكاملة.

كما أوضح المبحث أن النمذجة الهيكلية العميقة، والذكاء الاصطناعي، والتعلم الآلي، والبيانات الضخمة، لا ينبغي النظر إليها بوصفها بدائل متنافسة أو شعارات تقنية، بل بوصفها مكونات متكاملة داخل تطور أوسع في المعرفة الاقتصادية، يهدف إلى تحسين التفسير والتنبؤ والتصنيف ودعم القرار. وقد ظهر بوجه خاص أن المطلب الثاني يمثل قلب هذا التحول، لأنه يبرر علميا الانتقال إلى مقاربات أكثر قدرة على تمثيل التعقيد واللاخطية والتشابك البنوي.

¹ - OCED, Governing with artificial intelligence : are governments ready ?, paris: OCED publishing, 2024; pp9-10.

أما بالنسبة إلى الجزائر، فإن اعتماد هذه المقاربات يظل ممكنا وضروريا، لكنه مشروط ببناء بيئة بيانات مناسبة، وتطوير رأس المال البشري، وتحسين البنية التقنية، وتعزيز التنسيق المؤسسي، وإرساء إطار قانوني واضح، واعتماد التطبيق التدريجي والمشاريع النموذجية. ومن ثم، فإن الرهان الحقيقي لا يكمن في استيراد الأدوات الحديثة فقط، بل في بناء قدرة وطنية على توظيفها داخل سياق اقتصادي ومؤسسي محلي، بما يسمح للبحث الاقتصادي الجزائري بالانتقال من التحليل الوصفي المتأخر إلى التحليل الذكي القادر على التفسير والاستشراف والمساندة الفعلية لصنع السياسات.

خلاصة الفصل الثالث

أفضى هذا الفصل إلى نتيجة أساسية مفادها أن قراءة المؤشرات الاقتصادية الكلية في الجزائر خلال الفترة 2001-2023 لا يمكن أن تتم ضمن منظور تجزيي أو خطي مبسط، ذلك أن المعالجة الإحصائية والقياسية والتصنيفية للبيانات أبرزت أن الاقتصاد الجزائري ظل محكوما خلال هذه المرحلة بجملة من التفاعلات المعقدة التي تتداخل فيها ديناميكيات النمو الاقتصادي، والبطالة، والإنفاق الحكومي، مع البنية الربعية للاقتصاد الوطني والتقلبات الخارجية المرتبطة أساسا بأسعار المحروقات وبالتالي التقلبات في الإيرادات العامة النفطية وغير النفطية. وقد بين التحليل الوصفي أن التطور المسجل في الناتج المحلي الإجمالي والإنفاق الحكومي لم يكن كافيا في ذاته لإنتاج مسار مستقر ومستدام في التشغيل، كما أن العلاقة بين النمو والبطالة ظلت بدورها رهينة بطبيعة النمو وبنيته القطاعية وكثافته التشغيلية، لا بحجمه الكلي فقط. ومن ثم، فإن النتائج المتوصل إليها في المباحث التطبيقية الأولى قد أكدت أن الظواهر الاقتصادية المدروسة لا تتحرك في فضاء بسيط أو متجانس، بل داخل بنية ديناميكية مركبة لا يمكن اختزالها في علاقات سطحية أو مباشرة.

وفي هذا الإطار، سمحت النمذجة الزمنية والتنبؤ الاقتصادي والتحليل العنقودي بإبراز عدد من الخصائص البنوية المهمة، من أبرزها أن المتغيرات المدروسة تتأثر بماضيها وبالصددمات التي تصيبها وبالتفاعل المتبادل فيما بينها، وأن الاقتصاد الجزائري يتسم بدرجة معتبرة من الحساسية للتقلبات الخارجية ولتوجهات السياسة المالية. كما أن النتائج التنبؤية والتصنيفية أظهرت أن فترات الأداء الاقتصادي لم تكن متجانسة، بل توزعت بين حالات من الازدهار النسبي أو الركود أو الاستقرار المعتدل، وهو ما يعكس أن التحليل الاقتصادي في الحالة الجزائرية لا ينبغي أن يقتصر على تتبع المتوسطات العامة، بل يجب أن ينفذ إلى البنى العميقة للظاهرة، وإلى اختلاف السياقات الزمنية التي تتحرك ضمنها. غير أن القيمة الأهم التي ينتهي إليها هذا الفصل لا تكمن فقط في النتائج التطبيقية ذاتها، بل في الأفق المنهجي الذي قاد إليها وفتح النقاش حوله. فقد أظهر المبحث الرابع أن النماذج الاقتصادية التقليدية، على الرغم من استمرار ضرورتها العلمية، لم تعد وحدها كافية لاستيعاب جميع أبعاد الظواهر الاقتصادية المعاصرة، خاصة في البيئات التي تتسم بتعدد مصادر الصدمة، وتزايد الترابط بين المتغيرات، واتساع حجم البيانات وتنوعها، وظهور أنماط من التعقيد لا تستجيب بصورة كافية لفرضيات الخطية أو الاستقرار أو التجانس. فالمقصود هنا ليس التقليل من قيمة الأدوات القياسية المألوفة، وإنما إبراز أن فعاليتها أصبحت محدودة بمحدود معينة، وأن الاقتصاد المعاصر يفرض توسيع العدة المنهجية للباحث الاقتصادي حتى يصبح أكثر قدرة على التشخيص والتفسير والاستشراف.

ومن هذا المنطلق، أوضح هذا الفصل أن النمذجة الهيكلية العميقة تمثل مسارا واعدة لتجاوز بعض الاختلالات التي تنطوي عليها المقاربات التقليدية، لأنها تسعى إلى تمثيل البنى المولدة للظواهر الاقتصادية، لا مجرد مظاهرها السطحية أو ارتباطاتها المباشرة. كما أن الذكاء الاصطناعي والحوسبة عالية الأداء لا يكتسبان أهميتهما داخل الدراسات الاقتصادية بوصفهما أدوات تقنية معزولة، بل لأنهما يقدمان إمكانيات حقيقية لتحسين القدرة على اكتشاف الأنماط المعقدة، ورفع كفاءة التنبؤ، وتوسيع إمكانيات التصنيف والتحليل عندما تكون العلاقات غير خطية أو عندما تتعدد المتغيرات

وتتزاخم مصادر البيانات. أما البيانات الضخمة، فإنها لا تمثل توسعا كليا في حجم المعلومة فحسب، بل تشير إلى تحول نوعي في المادة الإحصائية ذاتها، بما تفتحه من إمكانيات لرصد النشاط الاقتصادي في الزمن الأقرب إلى الواقع، وبما تتيحه من مؤشرات جديدة ومكملة للمصادر الرسمية التقليدية.

وفي ضوء ذلك، برز بوضوح أن المسألة المنهجية في الحالة الجزائرية لم تعد تتعلق فقط بتحسين تقنيات التقدير الاقتصادي القياسي في معناها التقليدي، بل أصبحت ترتبط بإعادة بناء البيئة العامة التي تنتج داخلها المعرفة الاقتصادية. فاعتماد التقنيات المعاصرة في تطوير الدراسات الاقتصادية في الجزائر يفترض جملة من الشروط التأسيسية، في مقدمتها بناء بنية تحتية وطنية متكاملة للبيانات، وربط المؤسسات المنتجة للمعلومة الاقتصادية داخل منظومة أكثر تنسيقا وتبادلا، وتطوير رأس مال بشري يجمع بين الاقتصاد والإحصاء والبرمجة وعلوم البيانات، إلى جانب توفير القدرات الحاسوبية والمنصات التحليلية المناسبة، وتحديث مناهج البحث الاقتصادي على نحو يسمح بالانتقال من النماذج المغلقة إلى النماذج الهجينة التي تجمع بين الاقتصاد القياسي، والنمذجة الهيكلية، والتعلم الآلي، وتحليل السيناريوهات. وهذا كله ضمن رؤية علمية متوازنة لا تستبدل التفسير بالتقنية، ولا النظرية بالخوارزمية، وإنما تسعى إلى بناء تكامل حقيقي بينهما.

الخاتمة

الخاتمة:

سعت هذه الأطروحة إلى دراسة مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية وسبل تفعيل سياسة الإنفاق العام للحد منها، مع التركيز على حالة الجزائر خلال الفترة 2001-2023، انطلاقاً من فرضية مفادها أن البطالة في الاقتصاد النفطي لا يمكن تفسيرها أو معالجتها بالاعتماد على المقاربات الظرفية وحدها، ولا يكفي في مواجهتها مجرد التوسع الكمي في الإنفاق العام، ما لم يقترن ذلك بإصلاحات هيكلية وسياسات اقتصادية واجتماعية مكتملة قادرة على تحويل الإنفاق إلى نمو منتج وفرص عمل مستدامة. وقد انطلقت الدراسة من هذا المنظور لتفكيك الظاهرة نظرياً، وتحليلها تطبيقياً في الحالة الجزائرية، ثم اختبار بعض علاقاتها الكمية والقياسية، وصولاً إلى استخلاص نتائج وتوصيات تسهم في بناء فهم أكثر اتساقاً لمشكلة البطالة وحدود السياسة المالية في مواجهتها.

وقد بين التحليل النظري أن البطالة في الاقتصادات النفطية لا تمثل مجرد اختلال عابر في سوق العمل، بل تعكس في كثير من الحالات اختلالاً هيكلياً ناتجاً عن طبيعة الاقتصاد الريعي، وضعف التنوع، وهيمنة الدولة والقطاع العمومي على جانب معتبر من النشاط الاقتصادي والتشغيل. كما أظهرت الدراسة أن المرض الهولندي يمثل إحدى القنوات المركزية التي تنتقل عبرها آثار الربيع النفطي إلى بنية الاقتصاد الحقيقي، من خلال الضغط على سعر الصرف الحقيقي، وإعادة توجيه الموارد نحو القطاعات غير القابلة للتداول، وإضعاف القطاعات القابلة للتداول ذات القدرة الأكبر على توليد القيمة المضافة وفرص العمل المستدامة. وبذلك خلصت الأطروحة إلى أن البطالة في الاقتصادات النفطية لا يمكن فصلها عن طبيعة النمو نفسه، ولا عن هيكل الإنتاج ومولدات التشغيل داخله.

وفيما يخص الحالة الجزائرية، أوضحت الدراسة أن البطالة خلال الفترة المدروسة لم تكن ظاهرة ثابتة في مستوياتها، لكنها ظلت مرتبطة بمجموعة من الاختلالات العميقة التي تحد من قدرة الاقتصاد على امتصاص اليد العاملة، لاسيما في ظل محدودية مساهمة الصناعة التحويلية والقطاعات المنتجة خارج المحروقات، واستمرار الاعتماد على الدولة في تحفيز النشاط الاقتصادي وتمويل جزء معتبر من التشغيل المباشر وغير المباشر. كما أظهرت المعالجة التحليلية أن جزءاً مهماً من البطالة في الجزائر يأخذ طابعاً هيكلياً مرتبطاً بضعف المطابقة بين التكوين واحتياجات السوق، وبمحدودية الاستثمار الخاص المنتج، وباستمرار اختلالات التوزيع القطاعي والجهوي للنشاط الاقتصادي،

فضلا عن وجود مظاهر من البطالة المقنعة التي تجعل بعض التحسن الظاهري في مؤشرات التشغيل غير معبر بدقة عن نوعية الاندماج المهني وكفاءة استخدام العمل.

كما خلصت الأطروحة إلى أن سياسة التوسع في الإنفاق العام لعبت فعلا دورا مهما في دعم النشاط الاقتصادي والتخفيف من حدة البطالة، خاصة في الفترات التي اتسع فيها الحيز المالي بفعل تحسن الإيرادات النفطية. غير أن هذا الدور لم يكن متجانسا ولا مستداما بالقدر الكافي، لأن فعالية الإنفاق لم ترتبط بحجمه فقط، بل بطبيعته، وكيفية توجيهه، والقطاعات المستفيدة منه، ومستوى كفاءة إعداده وتنفيذه ومتابعته. وقد أكدت الدراسة أن الإنفاق العمومي في الجزائر كان أكثر قدرة على التأثير قصير الأجل في الطلب والنشاط، لكنه لم يحدث دائما التحول المطلوب في بنية التشغيل، بسبب محدودية التنويع، وضعف المردودية التشغيلية لبعض أوجه الإنفاق، وهيمنة النفقات الجارية، وغياب الارتباط الكافي بين التوسع المالي وبين بناء قاعدة إنتاجية قادرة على توليد فرص عمل دائمة.

وفي هذا السياق، أظهرت النتائج القياسية أن الإنفاق الحكومي يؤثر إيجابا في الناتج الحقيقي ويسهم في خفض البطالة خلال الفترات الأولى التي تلي الصدمة، غير أن هذا الأثر يبدأ في التلاشي تدريجيا بعد مدة محدودة، بما يؤكد أن التوسع المالي، رغم ضرورته، يظل محدود الأجل إذا لم يُدعم بتحسين هيكلية القاعدة الإنتاجية. كما أظهرت النتائج أن البطالة تتفاعل مع مسار النمو والإنفاق معا، وأن الاقتصاد الجزائري ظل مرتبطا بدرجة معتبرة بدورات المحروقات، بما يفسر عودة بعض أنماط السلوك الاقتصادي كلما تكررت الظروف الخارجية أو القيود الداخلية نفسها. ومن ثم، فإن النتيجة المركزية التي أسفرت عنها الدراسة القياسية هي أن الإنفاق العام يمكن أن يكون أداة فعالة للتخفيف من البطالة، لكنه لا يتحول إلى أداة مستدامة لمعالجتها ما لم يقترن بإعادة توجيهه هيكلي للموارد ورفع جودة السياسات المصاحبة.

ومن النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسة أيضا أن رفع فعالية سياسة الإنفاق العام لا يمر فقط عبر التوسع في حجم الموارد، بل عبر تحسين شروط الإعداد والتنفيذ والرقابة والتقييم. ولذلك أكدت الأطروحة أهمية الانتقال من منطق التوسع الظرفي إلى منطق الإطار المالي متوسط الأجل، واعتماد سقف إنفاق واقعية، وربط القرارات السنوية بالأهداف الاقتصادية الكبرى، وتحسين تقدير الإيرادات، والتمييز بين النفقات ذات الأثر الإنتاجي والتشغيلي المرتفع وبين النفقات الأقل مردودية. كما بينت الدراسة أن الاقتصادات النفطية تحتاج إلى آليات مؤسسية تقلل الدورية

المالية، وتحول دون توجيه كامل الفوائض إلى إنفاق يصعب استدامته في الفترات اللاحقة، وهو ما يفسر أهمية الصناديق السيادية حين تُدار وفق قواعد حوكمة واضحة وتكامل حقيقي مع الإطار المالي العام، لا بوصفها مجرد حسابات ظرفية لتغطية العجز.

كما خلصت الأطروحة إلى أن السياسات الاقتصادية والاجتماعية المكتملة تمثل عنصرا حاسما في تحويل أثر الإنفاق العام إلى فرص عمل فعلية. فقد أظهر التحليل أن ضعف نتائج الإنفاق لا يرجع دائما إلى نقص الموارد، بل كثيرا ما يكون مرتبطا بضعف المطابقة في سوق العمل، وهشاشة الوساطة والتشغيل، وعدم مواكبة منظومة التكوين والتحصيل المهاري للتحويلات المتسارعة في الطلب على العمل. ومن ثم، فإن فعالية السياسة المالية في الحد من البطالة تظل رهينة بإصلاح سوق العمل، وتحديث خدمات التشغيل، وتوظيف الأدوات الرقمية والذكاء الاصطناعي في تحسين المطابقة، وعصرنة رأس المال البشري عبر رفع المهارات وإعادة التأهيل، فضلا عن تقوية الحوكمة الاقتصادية ومكافحة الفساد ورفع جودة إعداد وتنفيذ الإنفاق. وقد أبرزت الدراسة أن هذه الركائز المكتملة ليست عناصر ثانوية، بل تمثل الشروط المؤسسية والبشرية التي تجعل أثر الإنفاق العام أكثر استدامة وعمقا.

وفي بعد آخر، بينت الأطروحة أن تطوير معالجة هذه الإشكاليات في الجزائر لم يعد ممكنا بالاكتمال بالمقاربات الكلاسيكية وحدها، رغم أهميتها، بل أصبح يقتضي انفتاحا منهجيا منضبطا على النمذجة الهيكلية المتقدمة، والذكاء الاصطناعي، والتعلم الآلي، والبيانات الضخمة، ضمن رؤية لا تستبدل التفسير بالتقنية، ولا النظرية بالخوارزمية، وإنما تسعى إلى بناء تكامل بينهما. وقد أظهرت الدراسة أن جزءا معتبرا من البيانات الاقتصادية في الجزائر ما يزال مشتتا بين مؤسسات متعددة وبصيغ غير متجانسة، ما يجعل تطوير البيئة الإحصائية والبيانية والمؤسسية شرطا أساسيا للانتقال من التحليل الوصفي المتأخر إلى التحليل الذكي القادر على التفسير والتنبؤ والمرافقة الفعلية لصنع القرار الاقتصادي.

وانطلاقا من النتائج السابقة، يمكن تلخيص الاستنتاج العام للأطروحة في أن البطالة في الجزائر ليست مجرد مشكلة نقص في الطلب الكلي يمكن معالجتها بالتوسع في الإنفاق العام وحده، بل هي نتيجة تفاعل بين بنية الاقتصاد النفطي، وآثار المرض الهولندي، وضعف التنوع، ومحدودية فعالية المؤسسات والسياسات المكتملة. ولذلك، فإن الإنفاق العام يظل أداة ضرورية، لكنه لا يصبح أداة كافية إلا إذا أُعيد توجيهه داخل استراتيجية أوسع تستهدف

تنويع الاقتصاد، وتعزيز القطاعات القابلة للتداول، ورفع جودة الاستثمار العمومي، وعصرنة سوق العمل، وتطوير رأس المال البشري، وتحسين الحوكمة المالية والمؤسسية.

وبناء على ذلك، توصي هذه الأطروحة بضرورة توجيه الإنفاق العمومي نحو المجالات ذات الأثر التشغيلي المرتفع، ولا سيما البنية التحتية الاقتصادية، والاستثمار المنتج، والتكوين والتأهيل، والقطاعات القابلة للتداول. كما توصي بتعزيز الإطار المالي متوسط الأجل، وتطوير آليات مضادة للدورة الاقتصادية، وإعادة تصميم أدوات إدارة الفوائض النفطية بما يقلل من هشاشة المالية العامة. فضلا عن ذلك، تؤكد الدراسة أهمية تحديث سوق العمل وآليات الوساطة، وربط التكوين باحتياجات الاقتصاد، والانتقال من منطق تضخيم الإنفاق إلى منطق رفع مردوديته التشغيلية. كما توصي بتهيئة بيئة بيانات وطنية متكاملة تسمح ببناء تشخيصات أكثر دقة، وتطوير الدراسات الاقتصادية باستخدام أدوات كمية وتقنية أكثر تقدما.

وخلاصة القول، إن الرهان الحقيقي في الجزائر لا يتمثل في توسيع الإنفاق العام لذاته، بل في تحويله من أداة امتصاص ظرفي للاختلالات إلى أداة استراتيجية موجهة لبناء نمو متنوع وكثيف التشغيل. فحين يتحقق هذا التحول، يصبح الإنفاق العام جزءا من حل مستدام لمشكلة البطالة، لا مجرد وسيلة لتخفيفها مؤقتا. وعلى هذا الأساس، فإن معالجة البطالة في الاقتصاد الجزائري تظل رهينة بقدرة الدولة على الانتقال من إدارة الربيع إلى إدارة التنمية، ومن التوسع المالي قصير الأجل إلى بناء قاعدة إنتاجية ومؤسسية أكثر قدرة على خلق العمل، وتحقيق الاستقرار في شتى المجالات. وعلى هذا الأساس فإن هذه الأطروحة لا تدعي الإحاطة النهائية بكل جوانب مشكلة البطالة في الاقتصادات النفطية، وإنما تمثل محاولة علمية للإسهام في فهمها وتحليل محدداتها واقتراح بعض السبل الكفيلة برفع فعالية التدخل العمومي في مواجهتها. ومن ثم، فإن النتائج المتوصل إليها تفتح المجال أمام آفاق بحثية متعددة يمكن أن تثري هذا الموضوع وتوسع حدوده النظرية والتطبيقية.

فمن جهة أولى، يمكن أن تتجه الدراسات اللاحقة إلى تعميق التحليل القطاعي للبطالة في الجزائر، من خلال دراسة الفوارق بين القطاعات الاقتصادية المختلفة من حيث القدرة على خلق فرص العمل، وقياس أثر الإنفاق العام داخل كل قطاع على التشغيل والإنتاجية. ومن جهة ثانية، تبرز الحاجة إلى توسيع التحليل ليشمل البعد الجهوي،

بالنظر إلى التفاوتات المكانية في معدلات البطالة وفي مستويات النشاط الاقتصادي، بما يسمح بفهم أوضح لعلاقة البطالة بالتنمية الإقليمية وتوزيع الاستثمار العمومي.

ومن جهة ثالثة، تفتح هذه الدراسة المجال أمام تطوير بحوث أكثر تخصصا في أثر التحولات الرقمية، والاقتصاد الأخضر، والتغير في بنية المهارات، على مستقبل سوق العمل في الجزائر، خاصة في ظل التحولات العالمية المتسارعة في أنماط الإنتاج والتشغيل. كما يمكن أن تتجه أبحاث لاحقة إلى بناء نماذج قياسية أكثر تقدما، أو إلى توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي والبيانات الضخمة، بما يعزز القدرة على التنبؤ بديناميكية البطالة، وتحسين جودة التشخيص الاقتصادي، ودعم صناعة القرار العمومي على أسس أكثر دقة ومرونة.

وعليه، فإن هذه الأطروحة، رغم انشغالها أساسا بتحليل الفترة 2001-2023 وبحث سبل تفعيل سياسة الإنفاق العام للحد من البطالة في الجزائر، تظل منفتحة على امتدادات بحثية أوسع، سواء من حيث التعمق في الأدوات المنهجية، أو من حيث توسيع مجالات التطبيق، أو من حيث ربط نتائجها بمسارات التحول الاقتصادي التي سيعرفها الاقتصاد الجزائري في المستقبل.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية:

1. • إبراهيم نعمة الله نجيب، نظرية اقتصاد العمل، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1997.
2. • أحمد حويتي وآخرون، البطالة وعلاقتها بالجريمة والانحراف في الوطن العربي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1998.
3. • أحمد فريد مصطفى، وسهير محمد السيد حسن، الاقتصاد المالي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1989.
4. • أحمد مجذوب أحمد علي، السياسة المالية في الاقتصاد الإسلامي: دراسة مقارنة مع الاقتصاد الرأسمالي، هيئة الأعمال الفكرية، أم درمان، 2003.
5. • أديب علي صقر، البطالة في سورية: الواقع والآفاق، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، 2006.
6. • أسامة بشير الدباغ، البطالة والتضخم: المقولات النظرية ومناهج السياسة النقدية، الأهلية للنشر والتوزيع، 2008.
7. • أسامة محمد باحنشل، مقدمة في التحليل الاقتصادي الكلي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1999.
8. • إسماعيل سفر، وعارف دليلة، تاريخ الأفكار الاقتصادية، منشورات جامعة دمشق، ط11، 2001.
9. • أموري هلدي كاظم الحسنواوي، طرق القياس الاقتصادي، دار وائل للنشر، عمان، 2002.
10. • إيمان عطية ناصف، مبادئ الاقتصاد الكلي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2008.
11. • بول سامويلسون، وويليام نوردهاوس، الاقتصاد، ترجمة هشام عبد الله، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2001.
12. • جلال مراد، البطالة والسياسات الاقتصادية، بحث منشور ضمن بحوث ندوة الثلاثاء الاقتصادية الخامسة والعشرين، دمشق، 8 أبريل 2008.
13. • جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط6، 1997.
14. • جمال حسن أحمد عيسى، مشكلة البطالة وعلاجها: دراسة مقارنة بين الفقه والقانون، اليمامة، دمشق، 2000.
15. • جون كينيث جالبريت، تاريخ الفكر الاقتصادي: الماضي صورة الحاضر، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، سلسلة عالم المعرفة، العدد 261، الكويت، 2000.
16. • حسام داود وآخرون، مبادئ الاقتصاد الكلي، دار المسيرة، عمان، 2005.
17. • حسين عبد الحميد رشوان، السكان من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، ط2، 2006.
18. • خالد الزاوي، البطالة في الوطن العربي: المشكلة والحل، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ط1، 2004.
19. • دراوسي مسعود، السياسة المالية ودورها في تحقيق التوازن الاقتصادي: دراسة حالة الجزائر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2005.

20. رمزي زكي، الاقتصاد السياسي للبطالة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 226، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997.
21. سامي خليل، النظريات والسياسات النقدية والمالية، شركة كاظمة للنشر والتوزيع، الكويت، 1982.
22. سوزي عدلي ناشد، الوجيز في المالية العامة، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2000.
23. سيد شوربجي عبد المولى، تأثير الجريمة على خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية، دار النشر، الرياض، 1994.
24. عادل أحمد حشيش، أساسيات المالية العامة: مدخل لدراسة أصول الفن المالي للاقتصاد العام، دار النهضة العربية، بيروت، 1992.
25. عامر لطفي، مساهمة في شرح وتوضيح النظريات الاقتصادية، دار الرضا للنشر، دمشق، 2002.
26. عبد الرحمن يسري أحمد، النظرية الاقتصادية الكلية والجزئية، الإسكندرية، 2004.
27. عبد الرحمن يسري أحمد، تطور الفكر الاقتصادي، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2001.
28. عبد الرحيم بوادقجي، ومُجدّ خالد الحريري، علم السكان، جامعة دمشق، 2006.
29. عبد القادر القصير، الهجرة من الريف إلى المدن، دار النهضة العربية، بيروت، 1992.
30. عبد القادر مُجدّ عبد القادر، «نحو مفهوم علمي للبطالة مع التطبيق على مصر»، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية، مجلد 27، العدد الأول، 1990.
31. عبد الله الشيخ محمود الطاهر، مقدمة في اقتصاديات المالية العامة، جامعة الملك سعود، الرياض، 1992.
32. عبد المطلب عبد الحميد، السياسات الاقتصادية، زهراء الشرق، القاهرة، 1997.
33. علي عبد الوهاب نجا، مشكلة البطالة وأثر برنامج الإصلاح الاقتصادي عليها، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2005.
34. علي كنعان، الاقتصاد المالي، جامعة دمشق، 2009.
35. عمرو محيي الدين، التخلف والتنمية، دار النهضة العربية، 1975.
36. قحطان السيوفي، السياسة المالية في سورية: أدائها ودورها الاقتصادي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2008.
37. مجدي محمود شهاب، الاقتصاد المالي: نظرية مالية الدولة والسياسات المالية للنظام الرأسمالي، الدار الجامعية، القاهرة، 1988.
38. مُجدّ جميل عمر، اقتصاد وتخطيط القوى العاملة، جامعة دمشق، 1987.
39. مُجدّ دويدار، مبادئ الاقتصاد السياسي، الجزء الأول (الأساسيات)، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2001.
40. مُجدّ دويدار، مبادئ الاقتصاد السياسي، الجزء الرابع (الاقتصاد المالي)، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2001.
41. مُجدّ عبد المنعم عفر، وأحمد فريد مصطفى، الاقتصاد المالي الوضعي والإسلامي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999.

42. • مُجَّد محروس إسماعيل، اقتصاديات الصناعة والتصنيع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1992.
43. • محمود ولد سيدي محمود، المشاكل الهيكلية للتنمية، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، 1995.
44. • نوزاد عبد الرحمن، المدخل الحديث في اقتصاديات المالية العامة، دار المناهج، عمان، 2006.
45. • هوشيار معروف، تحليل الاقتصاد الكلي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2005.
46. • هوشيار معروف، دراسات في التنمية الاقتصادية: استراتيجيات التصنيع والتحول الهيكلي، دار صفاء، عمان، 2005.
47. • SENC. التقرير التمهيدي حول الظرف الاقتصادي والاجتماعي للسداسي الأول من سنة 2004. الجزائر، ديسمبر 2004.
48. • الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الأمر رقم 03-01 المؤرخ في 20 أغسطس 2001، المتعلق بتطوير الاستثمار، العدد 47، 22 أغسطس 2001.
49. • الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الأمر رقم 06-08 المؤرخ في 15 يوليو 2006، المعدل والمتمم للأمر رقم 03-01 المتعلق بتطوير الاستثمار، العدد 47، 19 يوليو 2006.
50. • الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الأمر رقم 09-01 المؤرخ في 22 يوليو 2009، المتضمن قانون المالية التكميلي لسنة 2009، العدد 44، 26 يوليو 2009.
51. • الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العدد 22، 30 أبريل 2008.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

1. Arthuis, Patrick, and Pierre-Alain Muet. *Théories du chômage*. Paris: Economica, 1995.
2. • Asteriou, Dimitrios, and Stephen G. Hall. *Applied Econometrics*. 4th ed. London: Red Globe Press/Bloomsbury Academic, 2021.
3. • Auty, Richard M. *Sustaining Development in Mineral Economies: The Resource Curse Thesis*. London: Routledge, 1993.
4. • Bahoo, Salman, Marco Cucculelli, and Dimitrios Sarras. "Artificial Intelligence in Economics Research: What Have We Learned? What Do We Need to Learn?" *Journal of Economic Surveys* 39, no. 5 (2025): 2194-2214.
5. • Beblawi, Hazem, and Giacomo Luciani. *The Rentier State*. London: Croom Helm, 1987.
6. • Blanchard, Olivier. *Macroeconomics*. 7th ed. Boston: Pearson, 2017.
7. • Bolívar, Orlando. "GDP Nowcasting: A Machine Learning and Remote Sensing Data-Based Approach for Bolivia." *Data & Policy* 6 (2024).

8. • Corden, W. M., and J. P. Neary. "Booming Sector and De-Industrialization in a Small Open Economy." *The Economic Journal* 92, no. 368 (1982): 825-848.
9. • Desai, Anuja, Manav Raj, and Robert Seamans. "Machine Learning for Economics Research: When, What and How?" arXiv preprint, 2023.
10. • Elbadawi, Ibrahim, and Houda Selim. *Avoiding the Oil Curse in Resource-Rich Arab Economies*. Cambridge: Cambridge University Press, 2016.
11. • Forstenlechner, Ingo, and Emilie J. Rutledge. "The GCC's Demographic Imbalance: Perceptions, Realities and Policy Options." *Middle East Policy* 18, no. 4 (2011): 25-43.
12. • Freyssinet, Jacques. *Le chômage*. Paris: La Découverte, 1984.
13. • Gelb, Alan. *Oil Windfalls: Blessing or Curse*. New York: Oxford University Press, 1988.
14. • Gray, Simon T. *Official and Parallel Exchange Rates - Recognizing Reality*. IMF Working Paper No. 21/25. Washington, DC: International Monetary Fund, 2021.
15. • H. L. Bhatia. *Public Finance*. New Delhi: Vikas Publishing House, 1993.
16. • Hertog, Steffen. *Arab Gulf States: An Assessment of Nationalisation Policies*. GLMM Research Paper. 2014.
17. • Ismail, Kareem. *The Structural Manifestation of the 'Dutch Disease': The Case of Oil Exporting Countries*. IMF Working Paper No. 10/103. Washington, DC: International Monetary Fund, 2010.
18. • Karl, Terry Lynn. *The Paradox of Plenty: Oil Booms and Petro-States*. Berkeley: University of California Press, 1997.
19. • Kemoe, Laurent, Moustapha Mbohou, Hamza Mighri, and Saad Quayyum. *Effect of Exchange Rate Movements on Inflation in Sub-Saharan Africa*. IMF Working Paper No. 24/59. Washington, DC: International Monetary Fund, 2024.
20. • Kojo, Naoko C. *Demystifying Dutch Disease*. World Bank Policy Research Working Paper No. 6981. Washington, DC: World Bank, 2014.
21. • Koranchelian, Taline. *The Equilibrium Real Exchange Rate in a Commodity Exporting Country: Algeria's Experience*. IMF Working Paper No. 05/135. Washington, DC: International Monetary Fund, 2005.
22. • Kydland, Finn E., and Edward C. Prescott. "Time to Build and Aggregate Fluctuations." *Econometrica* 50, no. 6 (1982): 1345-1370.
23. • Lama, Ruy, and Juan Pablo Medina. *Is Exchange Rate Stabilization an Appropriate Cure for the Dutch Disease?* IMF Working Paper No. 10/182. Washington, DC: International Monetary Fund, 2010.

24. • Lucas, Robert E. "Expectations and the Neutrality of Money." *Journal of Economic Theory* 4, no. 2 (1972): 103-124.
25. • Myrdal, Gunnar. *Economic Theory and Underdeveloped Regions*. London: Duckworth, 1957.
26. • North, Douglass C. *Institutions, Institutional Change and Economic Performance*. Cambridge: Cambridge University Press, 1990.
27. • Papp, Róbert. *The Political Economy of Public Employment in Natural Resource-Rich Countries*. PhD diss., Central European University, 2015.
28. • Petrušek, I., and K. Basna. "Structural and Cyclical Unemployment and Redistribution Support in Europe: The Moderating Role of Welfare State Size." *West European Politics* (2025), advance online publication.
29. • Pissarides, Christopher A. *Equilibrium Unemployment Theory*. 2nd ed. Cambridge, MA: MIT Press, 2000.
30. • Prebisch, Raúl. *The Economic Development of Latin America and Its Principal Problems*. New York: United Nations, 1950.
31. • Romer, David. *Advanced Macroeconomics*. 5th ed. New York: McGraw-Hill Education, 2021.
32. • Ross, Michael L. *The Oil Curse: How Petroleum Wealth Shapes the Development of Nations*. Princeton: Princeton University Press, 2012.
33. • Sachs, Jeffrey D., and Andrew M. Warner. "The Curse of Natural Resources." *European Economic Review* 45, no. 4-6 (2001): 827-838.
34. • Shaxson, Nicholas. "Oil, Corruption and the Resource Curse." *International Affairs* 83, no. 6 (2007): 1123-1140.
35. • Thaler, Richard H. *Misbehaving: The Making of Behavioral Economics*. New York: W. W. Norton & Company, 2015.
36. • van der Ploeg, Frederick, and Anthony J. Venables. "Absorbing a Windfall of Foreign Exchange." *Journal of Development Economics* 102 (2013): 118-130.
37. • van der Ploeg, Frederick. *Natural Resources: Curse or Blessing?* CESifo Working Paper No. 3125. Munich: CESifo, 2010.
38. • van der Ploeg, Frederick. "Natural Resources: Curse or Blessing?" *Journal of Economic Literature* 49, no. 2 (2011): 366-420.
39. • Wilthagen, Ton, and Frank Tros. "The Concept of 'Flexicurity': A New Approach to Regulating Employment and Labour Markets." *Transfer: European Review of Labour and Research* 10, no. 2 (2004): 166-186.

40. • Zheng, Yibing, Cuicui Zhou, and Bing Wang. “Deep Learning in Economics: A Systematic and Critical Review.” *Artificial Intelligence Review* 56 (2023): 2857-2896.
41. • Beaton, David, Valentina Flamini, and Andrew Jewell. *How to Design and Implement Rules-Based Fiscal Frameworks Based on Debt Anchors*. Inter-American Development Bank, 2024.
42. • Brioscú, A., A. Lauringson, A. Saint-Martin, and T. Xenogiani. *A New Dawn for Public Employment Services: Service Delivery in the Age of Artificial Intelligence*. OECD Artificial Intelligence Papers, No. 19. Paris: OECD Publishing, 2024.
43. • Chen, Rong. *Mapping Data Governance Legal Frameworks Around the World: Findings from the Global Data Regulation Diagnostic*. Policy Research Working Paper No. 9615. Washington, DC: World Bank, 2021.
44. • European Training Foundation (ETF). *Work-based Learning in Algeria: An Assessment per EU Quality Standards*. Turin: ETF, 2025.
45. • Gruber, Jonathan. “The Consumption Smoothing Benefits of Unemployment Insurance.” NBER Working Paper No. 4750. Cambridge, MA: National Bureau of Economic Research, 1994.
46. • Hammer, Chris, Diane Coyle, Diane Katz, Anne Manne, and Sheri M. Stuart. *Big Data: Potential, Challenges, and Statistical Implications*. IMF Staff Discussion Note No. SDN/17/06. Washington, DC: International Monetary Fund, 2017.
47. • International Labour Office. *Combining Flexibility with Security for Decent Work*. Geneva: ILO, 2009.
48. • International Labour Organization (ILO). *Employment Support? A Conceptual and Empirical Review of Unemployment Assistance and Related Active Labour Market Measures*. Geneva: ILO, n.d.
49. • International Labour Organization (ILO). *Key Indicators of the Labour Market*. 10th ed. Geneva: ILO, 2021.
50. • International Labour Organization (ILO). *Resolution concerning Statistics of Work, Employment and Labour Underutilization (19th ICLS, Geneva, October 2013)*. Geneva: ILO, 2013.
51. • International Monetary Fund (IMF). *Algeria: 2025 Article IV Consultation - Staff Report*. Washington, DC: IMF, 2025.
52. • International Monetary Fund (IMF). *Fiscal Monitor, October 2020: Public Investment for the Recovery*. Washington, DC: IMF, 2020.

53. • International Monetary Fund (IMF). Fiscal Transparency Code. Washington, DC: IMF, 2019.
54. • International Monetary Fund (IMF). How to Develop and Implement a Medium-Term Fiscal Framework. IMF How To Notes, Note/2024/005. Washington, DC: IMF, 2024.
55. • OECD. Building an AI-Ready Public Workforce: Implications and Strategies. OECD Artificial Intelligence Papers. Paris: OECD Publishing, 2026.
56. • OECD. Digital Public Infrastructure for Digital Government. OECD Public Governance Policy Papers, No. 68. Paris: OECD Publishing, 2024.
57. • OECD. Governing with Artificial Intelligence: Are Governments Ready? Paris: OECD Publishing, 2024.
58. • OECD. Local Content Requirements. OECD Trade Policy Brief. Paris: OECD Publishing, 2019.
59. • OECD. Medium-term and Top-down Budgeting in OECD Countries. GOV/SBO(2023)10/REV1. Paris: OECD, 2023.
60. • OECD. Readyng Adult Learners for Innovation: Reskilling and Upskilling in Higher Education. OECD Education Spotlights, No. 13. Paris: OECD Publishing, 2024.
61. • Office national des statistiques (ONS). Résultats préliminaires relatifs à l'enquête Activité, Emploi et Chômage. Alger: ONS, octobre 2024.
62. • PEFA Secretariat. PEFA Framework for Assessing Public Financial Management. Washington, DC: PEFA Secretariat, 2016.
63. • World Bank. Algeria Economic Update. Washington, DC: World Bank, May 2024.
64. • World Bank. Commodity Dependence and Structural Transformation in Developing Economies. Washington, DC: World Bank, 2022.
65. • World Bank. Medium-Term Expenditure Frameworks Revisited. Washington, DC: World Bank, 2023.
66. • World Bank. Population Dynamics in Resource-Rich Economies: Opportunities and Challenges. Washington, DC: World Bank, 2023.
67. • World Trade Organization (WTO). The WTO Agreements Series: Technical Barriers to Trade. Geneva: WTO, 2021.
68. • Journal officiel de la République algérienne démocratique et populaire, Décret exécutif modifiant l'article 7 du décret n° 22-70, janvier 2023, portant revalorisation de l'allocation chômage à 15,000 DA.

69. • Journal officiel de la République algérienne démocratique et populaire, Décret exécutif n° 22-70 du 10 février 2022 fixant les conditions, les modalités et le montant de l'allocation chômage ainsi que les engagements des bénéficiaires.

70. • Journal officiel de la République algérienne démocratique et populaire, Décret exécutif n° 26-87 du 21 janvier 2026 modifiant et complétant le décret exécutif n° 22-70.